فهرست الجزء الأول من الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية

(تمت فهرست الجزء الأول)

الجزء الأول من الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية

لمؤلفها فريد العصر والأوان علي الهمة عظيم الشان شيخ الاسلام
بالاقطار الحجازية ومفتي السادة الشافعية بمكة المحمية
المستمد من فيض جده سيد ولد عدنان مولانا
وسيدنا الاستاذ السيد احمد بن السيد
زيني دحلان متع الله بحياته
جميع المسلمين وأدام نفعه
عليهم بجاه الأمين
آمين آمين
آمين



(ا لاولى)

طبع في المطبعة الميرية الكائنة بمكة المحمية

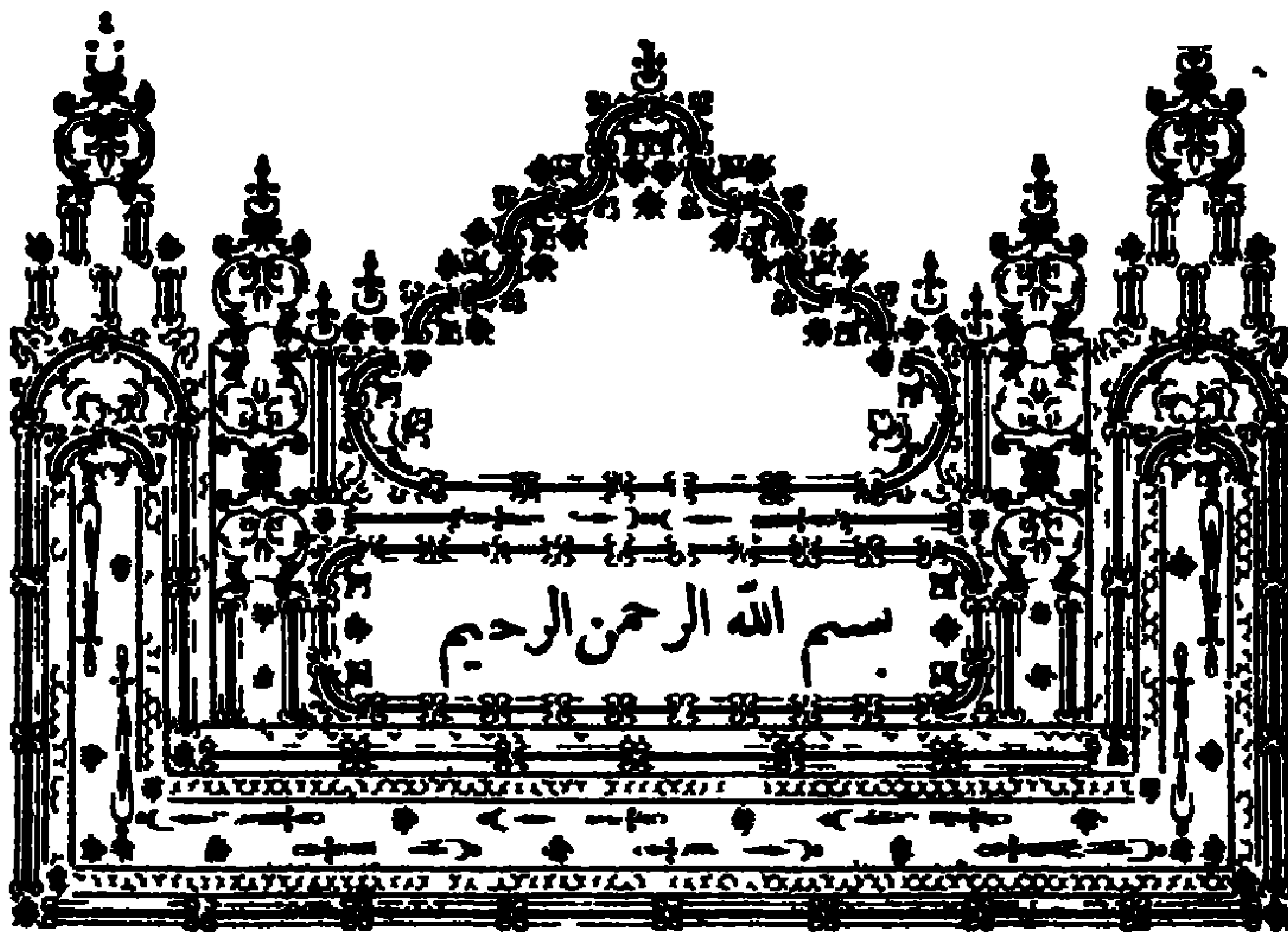
سنة

تاريخ اسلام ١٣٠٢

٢٧ × ١٨ سم

ص = ٢٨٨

ماشاء الله كان



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام عل ـ ـدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

﴿ أما بعد ﴾ فيقول العبد الفقير خادم طلبـ ـلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجي من ربه الغفران أحمد بن ز يني دحـ ـن غفر الله له ولوالديه ومشايخه ومحبيه والمسلمين أجمعين هذه وريقات جمعت فيها بغاية الاختصار الفتوحات الاسلامية التى افتتحها أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم من الخلفاء والملوك فابتدأت بما كان منها فى زمن سيدنا ابى بكر الصديق رضى الله عـ ـ وسميتها الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية فأولها بعث جيش أسامة بن زيد رضى الله عنهما لأن النبي صلى الله عليه وسلم جهزه فى زمنه الذى توفى فيه وأمره ان يسير الى الموضع الذى استشهد فيه أبوه زيد بن حارثة رضى الله عنه وأمره ان يوطئ الخيل تخوم البلقا والداروم من ارض فلسطين ومشارق الشام وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مسير جيش أسامة فلما استخلف ابو بكر رضى الله عنه وارتد كثير من العرب أشار عليه بعض الصحابة رضى الله عنهم بتأخير جيش أسامة رضى الله عنه فامتنع وقال أول شئ أنفذه سير الجيش الذى جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت جيش أسامة الذى جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار أسامة رضى الله عنه بجيشه كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبث الجنود فى بلاد قضاعة التى ارتدت وأغار على أبنى فسبى وقتل وغنم ورجع لأربعين يوما ولم يحدث ابو بكر رضى الله عنه فى مغيبه شيأ وكان انفاذ جيش أسامة من أعظم الأمور نفعا للمسلمين فان العرب قالوا لولم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا

(الجيش)

الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه ولما ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ثبتت قريش وثقيف على الاسلام ولم يرتد أحد منهم أما قريش فثبتهم الله بسهيل بن عمرو العامرى رضى الله عنه فانه خطب أهل مكة خطبة تشبه خطبة ابى بكر رضى الله عنه التى خطب بها يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وثبت أهل المدينة بها فلما جاء خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة ارتجت مكة وكاد أهلها يرتدون فقام سهيل بن عمرو رضى الله عنه على باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت ألم تعلموا ان الله قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الارسول قدخلت من قبله الرسل وتلى آيات أخر ثم قال والله انى أعلم ان هذا الدين ليمتد امتداد الشمس والقمر فى طلوعهما وغروبهما وقال ايضا ياأهل مكة لاتكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد والله ليتمن الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد رأيته قائما مقامى هذا وحده وهو يقول قولوا معى لااله الاالله تدين لكم العرب وتؤدى اليكم العجم الجزية والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر فى سبيل الله فمن بين مستهزىء ومصدق فكان مارأيتم فوالله ليكونن الباقى ثم ذكر لهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلاف ابى بكر رضى الله عنه وقال ان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان الله ناصر من نصره ومقوى دينكم وقد جمعكم على خيركم يعنى ابابكر رضى الله عنه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وهذه الخطبة هى المقام الذى أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر لما أسر سهيل بن عمرو مع من أسر من كفار قريش يوم بدر وكان فصيحا بليغا يخطبهم ويحثهم ويحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما أسر قال عمر رضى الله عنه يارسول الله دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو فلايقوم عليك خطيبا فى موطن ابدا لان سهيلا كان أعلم اى مشقوق الشفة العليا والأعلم اذا نزعت ثنيتاه لم يستطع الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه دعه ياعمر فعسى ان يقوم مقاما تحمده عليه ولاتذمه فكان ذلك المقام هذه الخطبة التى قام بها حين جاءهم بمكة خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وثبت الله بها أهل مكة وكان اسلام سهيل ابن عمرو عام فتح مكة واستشهد يوم اليرموك سنة ثنتى عشرة وقيل مات فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة ويجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم فى لؤى بن غالب لانه من بنى عامر بن لؤى والنبي صلى الله عليه وسلم من بنى كعب بن لؤى وكان سهيل رضى الله عنه من أشراف قريش وله ترجمة واسعة وأما ثقيف فثبتهم الله بعثمان ابن أبى العاص الثقفى رضى الله عنه فانه قام فيهم بمثل ماقام به سهيل بن عمرو فى مكة فثبتوا وكان قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهور مسيلمة الكذاب ودعواه النبوة باليمامة وظهور طليحة بن خويلد الأسدى ودعواه النبوة فى بنى أسد وغطفان وظهور الأسود العنسى ودعواه النبوة باليمن فاما الأسود العنسى فسلط الله عليه فيروز الديلمى فقتله وأخبر

النبي صلى الله عليه وسلم بقتله قبل وفاته ثم جاءتهم الأخبار بقتله في أول خلافة ابي بكر رضي الله عنه وأما مسيلمة وطليحة الأسدي فسيأتي الكلام عليهما ولما ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عظمت مصيبة المسلمين واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية واضطرمت الارض نارا وكانت ردتهم مختلفة فنهم من قال لو كان نبيا ما مات ومنهم من قال انقضت النبوة بموته فلا نطيع أحدا أبدا ومنهم من قال نؤمن بالله ومنهم من قال نؤمن بالله ونشهد ان محمدا رسول الله ونصلي ولكن لا نعطيكم أموالنا فقال أبو بكر رضي الله عنه ان الزكاة مثل الصلاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم فجادله في ذلك كثير من الصحابة منهم عمر وابو عبيدة وسالم مولى ابي حذيفة وغيرهم ومن مجادلتهم له قول عمر رضي الله عنه له تألف الناس وارفق بهم فانهم بمنزلة الوحش فقال له ابو بكر رضي الله عنه رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك أجبار في الجاهلية وخوار في الاسلام قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وانا حي والله لأجاهدنهم مهما أستمسك السيف في يدي وان منعوني عقالا وقال له عمر ايضا انما شحت العرب على أموالها فلو تركت للناس صدقة هذه السنة فأبى الاقتالهم وقال له عمر ايضا كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم فقال له ابو بكر رضي الله عنه أليس قد قال الا بحقها ومن حقها اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والله لو منعوني عقالا وفي رواية عناقا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ولو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي فقال عمر رضي الله عنه فوالله ما هو الا ان رأيت أن شرح الله صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق وقال عمر بعد ذلك والله لقد رجح ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة في قتال اهل الردة وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا ان الله منّ علينا بأبي بكر أجمعنا ان لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ونعبد الله حتى يأتينا اليقين فعزم الله لأبي بكر على قتالهم ثم اتفق الصحابة كلهم رضي الله عنهم على قتالهم واستصوبوا ما رآه ابو بكر رضي الله عنه قال انس بن مالك رضي الله عنه كره الصحابة أولا قتال مانعي الزكاة وقالوا أهل القبلة فتقلد ابو بكر رضي الله عنه سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره وهذا دليل على كمال شجاعته وقال ابو بكر بن عياش سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من ابي بكر رضي الله عنه لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة

﴿ ذكر أول وقعة في قتال أهل الردة ﴾

كان بعض أهل الردة طمعوا في استيلائهم على المدينة واستيصال الصحابة ليرجعوا الأمر جاهلية كما كانوا فتعجل جماعة من بني عبس وذبيان ونزلوا في الأبرق ونزل آخرون بذي القصة ومعهم قوم من بني اسد وكنانة وبعثوا وفدا الى ابي بكر يطلبون الاقتصار على الصلاة دون

الزكاة فأبى ابوبكر من ذلك وأخذ فى الاحتراس والتحذر منهم فجعل على أنقاب المدينة عليا والزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود وغيرهم ورجع وفد المرتدين فأخبروا قومهم بقلة أهل المدينة فأغاروا على من كان بأنقاب المدينة فبعثوا الى ابى بكر فخرج فى أهل المسجد الحاضرين فى ذلك الوقت على النواضح فهربوا والمسلمون فى اتباعهم الى ذى خشب وكان المرتدين كمين فى ذى حسى فنفروا أبل المسلمين بشنان نفخوها وفيها حبال ثم دهدهوها على الارض فنفرت ابل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم الى المدينة ولم يصرع مسلم فظن المرتدون بالمسلمين الوهن وبعثوا الى اهل ذى القصة بالخبر فقدموا عليهم وبات ابو بكر رضى الله عنه يعبى الناس وخرج على تعبيته فاطلع الفجر الاوهم والعدو على صعيد واحد فاشعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فاذر قرن الشمس حتى ولوهم الادبار وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتلوا رجالا منهم وتبعهم ابوبكر رضى الله عنه ومن معه حتى نزلوا بذى القصة وكان ذلك اول الفتح ووضع بها النعمان بن مقرن فى عدد ورجع الى المدينة فذل له المشركون واعتز المسلمون بوقعة ابى بكر هذه واستبشروا ولما قدم أسامة بن زيد استخلفه ابوبكر رضى الله عنه على المدينة وخرج بمن معه من المسلمين الى ذى حسى وذى القصة حتى نزل بالابرق فقاتل من به فهزم الله المشركين وأخذ الحطيئة أسيرا فطأطئت بنو عبس وبنو بكر وأقام ابوبكر بالابرق أياما وغلب على بنى ذبيان وبلادهم وحماها لدواب المسلمين وصدقاتهم ثم رجع الى المدينة ولما انهزم بنو عبس وذبيان رجعوا الى طليحة الأسدى وهو ببزاخة ثم قطع ابوبكر رضى الله عنه البعوث وعقد الألوية فعقد أحد عشر لواء وجعل لكل لواء أميرا وعزم ابو بكر على الخروج لقتال المرتدين بنفسه وأمر الناس بالجهاد فخرجوا وخرج هو فى مائة من المهاجرين والانصار وخالد بن الوليد يحمل اللواء حتى نزل بذى القصة ومكث اياما ينتظر الناس وبعث الى من كان حوله من أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة فأقبلوا من كل ناحية حتى كثر الناس وجعل عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهما يكلمان أبا بكر فى الرجوع الى المدينة لما رأيا عزمه على المسير بنفسه وقال عمر أرجع يا خليفة رسول الله تكن للمسلمين فئة وردأ فانك ان تقتل يرتد الناس ويعلوا الباطل على الحق وابوبكر يظهر المسير بنفسه واخرج الدارقطنى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال لما برز أبو بكر واستوى على الراحلة اخذ على بن ابى طالب رضى الله عنه بزمامها وقال الى أين يا خليفة رسول الله أقول لك ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنابك لا يكون للاسلام نظام ابدا ولما ألحوا عليه فى الرجوع رجع بعد أن بعث الأمراء فى كل ناحية لقتال أهل الردة

﴿ ذكر مسير خالد بن الوليد الى بزاخة لقتال طليحة ابن خويلد الاسدى ﴾
﴿ من بنى أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس ﴾

ادعى النبوة قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وزعم ان جبريل يأتيه وسجع للناس الأكاذيب والخرافات التى تمجها الأسماع كقوله والحمام واليمام والصرصر والصوام قد صمن

قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام وكثر أتباعه من بني أسد وغطفان وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول ان الله مايصنع بتعفر وجوهكم وتقبيح أدباركم شيأ اذكروا الله اعبدوه قياما فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتال طليحة ومعه كثير من المهاجرين والانصار ومعه ايضا عدي بن حاتم في ألف من طيئ وكان طليحة قد أسلم ثم ارتد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكان كاهنا فادعى النبوة فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم استطار أمر طليحة واجتمعت اليه غطفان وهوازن وغيرهم وارتد ايضا عيينة بن حصن الفزاري وصار مع طليحة ونزلوا جميعا بزاخة فقصدهم خالد بن الوليد بمن معه وتقاتلوا واشتد القتال ثم انهزموا فقتل من قتل منهم وأسلم من أسلم فوثب طليحة على فرسه واحتقب امرأته ونجا بها الى الشام روي ان طليحة قال لاصحابه لما رأى انهزامهم ويلكم مايهزمكم فقال له رجل منهم انا أخبركم انه ليس منا رجل الا وهو يحب ان صاحبه يموت قبله وانا نلقى قوما كلهم يحب ان يموت قبل صاحبه وكان خالد بن الوليد قبل القتال ولقاء القوم أرسل طليعة عكاشة بن محصن الأسدي وثابت بن أرقم الانصاري فلقيهما حبال أخو طليحة فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة فقتل طليحة عكاشة وقتل أخوه ثابتا وقيل ان حبال أخو طليحة أسر فأرادوا ارساله الى ابي بكر رضي الله عنه فقال اضربوا عنقي ولا تروني محمديكم هذا ولما وقع القتال من طليحة وقومه كان خالد رضي الله عنه يحرض المؤمنين ويقول يامعشر الانصار الله الله واقتحم وسط القوم وكر على اصحاب طليحة فاختلطت الصفوف واختلفت السيوف بينهم واشتد القتال وقاتل خالد يومئذ بسيفين حتى قطعهما وقاتل عيينة بن حصن مع طليحة قتالا شديدا وكذا قومه وكان معه منهم سبعمائة ولما انهزم القوم أسر عيينة بن حصن وقرة بن هبيرة القشيري وأرسلا الى ابي بكر رضي الله عنه فرجعا للاسلام فقبله منهما واما طليحة فانه لما انهزم الناس فر وبقي نحو الشام عند بني غسان الى ان توفي ابو بكر رضي الله عنه ودخل بنو أسد وغيرهم في الاسلام أسلم طليحة وحسن اسلامه ولقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبايعه وقال له عمر رضي الله عنه انت قاتل عكاشة وثابت والله لاأحبك ابدا فقال ياأمير المؤمنين مايهمك من رجلين اكرمهما الله بالشهادة على يدي ولم يهني بايديهما ثم كان لطليحة آثار جيلة في قتال الفرس لما فتح العراق وكان من الشجعان المشهورين استشهد رضي الله عنه بنهاوند سنة ثمان عشرة ولما أوقع الله ببني أسد ماأوقع وانهزموا ابث خالد السرايا ليصيبوا ماقدروا عليه فجعلت العرب تسير الى خالد راغبة في الاسلام او خائفة من السيف ومنهم من مضى الى ابي بكر ولم يأت خالدا ولما فرغ خالد من بني اسد سار الى ارض بني تميم فلما وصل الى البطاح من ارض تميم لم يجد بها جمعا ففرق السرايا في نواحيها فلقوا اثنى عشر رجلا فيهم مالك بن نويرة التميمي وكانوا ممن ارتدوا ومنعوا الزكاة فأخذوهم وجاؤبهم خالدا واختلف الذين أخذوهم في مالك بن نويرة ومن معه فقال قوم انهم أسلموا فمالنا عليهم من سبيل وقال قوم لم يسلموا وان قتلهم وسبيهم حلال وكان ذلك رأى خالد فيهم فأمر بهم خالد فقتلوا وقتل معهم مالك وتزوج خالد امرأته وقيل ان خالدا سمع من مالك كلاما استدل به على عدم اسلامه من ذلك انه قال ان صاحبكم قد توفي فلم خالد أنه أراد

انه صلى الله عليه وسلم ليس بصاحب له فتيقن ردته فقتله بعد ان تكرر من مالك قوله فعل صاحبكم شأن صاحبكم فقال له خالد وليس بصاحب لك وقيل انه لما قدم مالك بن نويرة ومعه الأسرى على خالد حبسهم عند ضرار بن الأزور وكانت ليلة ممطرة فنادى مناديه ان أدفئوا أسراكم وكانت في لغة كنانة كناية عن القتل فبادر ضرار بقتلهم وكان كنانيا وسمع خالد الداعية فخرج متأسفا وقد فرغوا فقال اذا أراد الله امرا أصابه ولما قدم خالد على ابي بكر رضي الله عنه سأله عن قتل مالك بن نويرة فأخبره بذلك واعتذر اليه فقبل عذره وأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان ابابكر رضي الله عنه يقتل خالدا قصاصا في مالك بن نويرة فقال ابو بكر ياعمر تأول خالد فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فاني لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين ودفع ابو بكر رضي الله عنه ديات لأولياء مالك بن نويرة ومن قتل معه وكان مالك بن نويرة أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقدم عليه فجعله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه فجمعها فلما بلغه وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ردها من حيث جاءت وكان من أمره ما تقدم وكان خالد رضي الله عنه بعد وقعة مالك بن نويرة رجع من البطاح الى المدينة واجتمع بابي بكر رضي الله عنه واعتذر عما كان في أمر مالك بن نويرة فقبل عذره وأمره بالسير الى قتال مسيلمة فسار خالد ومن معه لقتال أهل اليمامة التابعين لمسيلمة ولنذكر قبل ذلك خبر سجاح بنت الحارث التميمية

﴿ ذكر خبر سجاح ﴾

لما ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ادعت النبوة سجاح بنت الحارث التميمية وأقبلت من الجزيرة وتبعها كثير من قومها وقوم من بني تغلب وكانوا أخوالها وسجعت لهم أسجاع طليحة الأسدي ومسيلمة الكذاب من ذلك قولها أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم أغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب وأرادت أن تغزو بجموعها ابابكر رضي الله عنه بالمدينة ثم أشاروا عليها بغزو مسيلمة باليمامة فخرجت بمن معها تريد اليمامة وقالت عليكم باليمامة دفوا دفيف الحمامة فانها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة فبلغ ذلك مسيلمة فاحتال عليها وأرسل لها هدية ثم أرسل لها يستأمن على نفسه حتى يأتيها فأمنته فجاءها في أربعين من بني حنيفة وأرسل لها أبعدي أصحابك ففعلت وقد ضرب لها قبة فجمرها وأكثر فيها من رائحة الطيب المحرك للشهوة واجتمع بها في تلك القبة فقالت له ماأوحي اليك ربك فقال ألم ترى الى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى بين صفاق وحشى قالت وماذا ايضا قال ان الله خلق للنساء أفراجا وجعل الرجال لهن أزواجا فتولج فيهن ايلاجا وتخرجها اذا شاءت اخراجا فينتجن لهن سخالا انتاجا قالت أشهد أنك نبي قال هل لك ان أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب قالت نعم قال

* ألا قومي الى النيك * فقد هيئ لك المضجع * فان شئت ففي البيت *
* وان شئت ففي المخدع * وان شئت سلقناك * وان شئت على أربع *
* وان شئت بثلثيه * وان شئت به أجمع * قالت بل به أجمع

فانه أجمع للشمل قال بذلك أوحى الى فأقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت الى قومها فقالوا لها ما عندك قالت كان على الحق فتبعته وتزوجته قالوا هل أصدقك شيأ قالت لا قالوا فارجعي فاطلبي الصداق فرجعت فلما رآها أغلق باب الحصن وقال مالك قالت أصدقني قال من مؤذنك قالت شبث بن ربعي الرياحي فدعاه وقال له ناد في أصحابك ان مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما جاءكم به محمد صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة فانصرفت معها أصحابها فقال بعض منهم

* أمست نبيتنا أنثى نطوف بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا *

وصالحها مسيلمة على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف والنصف الثاني تترك عنده من يأخذه فأخذت النصف وانصرفت الى الجزيرة وتركت عنده من يأخذ النصف الباقي فلم يفاجئهم الا وقد جاء خالد اليهم فارفضوا قيل انها لما قتل مسيلمة سارت الى أخوالها تغلب بالجزيرة فماتت عندهم ولم يسمع لها ذكر وقيل انها أسلمت وحسن اسلامها وانتقلت الى البصرة وماتت بها وصلى عليها سمرة بن جندب وهو أمير على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة

﴿ ذكر مسير خالد بن الوليد رضي الله عنه الى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب بن حبيب الحنفي ﴾

كان ابو بكر رضي الله عنه لما بعث السرايا لقتال المرتدين أرسل عكرمة بن ابي جهل رضي الله عنه في عسكر الى مسيلمة وأتبعه بشرحبيل بن حسنة التميمي وقيل الكندي وكان حليفا لبني زهرة رضي الله عنه فعجل عكرمة فواقاهم فنكبوه فانهزم وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر وكتب عكرمة لأبي بكر بالخبر فكتب اليه أبو بكر ان لا ترجع فتوهن الناس امض الى قتال أهل عمان ومهرة وكان قد أرسل الى قتالهم حذيفة بن محصن وعرفجة ابن هرثمة فأمر عكرمة باللحاق بهما ثم لما جاء خالد الى بزاخة بعد قصة مالك بن نويرة أمره بالمسير الى اليمامة لقتال مسيلمة بن حبيب ومسيلمة من بني حنيفة وهي قبيلة من قبائل ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان وكان مسيلمة رئيسا في قومه فقدم مع وفد بني حنيفة على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم واجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يجعل له الأمر بعده وكان في يد النبي صلى الله عليه وسلم عسيب من سعف النخل فقال لمسيلمة لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتكه فلما رجع الى اليمامة ارتد عدو الله وادعى النبوة وقال انى أشركت في الأمر مع محمد فتبعه بنو حنيفة وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فاني قد أشركت في الأمر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون وبعث الكتاب مع رجلين من قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ كتابه أتشهدان أني رسول الله قالا نعم قال أتشهدان ان مسيلمة رسول الله قالا نعم اشترك معك في الأمر فقال أما والله لولا ان الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ثم كتب الى مسيلمة في جوابه بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقد اهلكت اهل الحجر ابادك الله ومن صوت معك فلما جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخفاه وكتب عن رسول الله كتابا زعم انه وصله بثبوت الشركة بينهما واخرج ذلك الكتاب الى قومه فافتتنوا بذلك وكان ذلك فى آخر السنة العاشرة من الهجرة قال الزمخشرى فى ربيع الابرار قال الجاحظ كان مسيلمة قبل ادعاء النبوة يدور فى الاسواق التى بين دور العرب والعجم يلتمس تعلم الحيل والنيرنجات واحتيالات اصحاب الرقى والنجوم ومما تعلمه من الحيل انه صب على بيضة من خل حاذق قاطع فلانت حتى اذا مددتها استطالت واستدقت كالعلك ثم ادخلها قارورة ضيقة الرأس وتركها حتى انضمت واستدارت وعادت كهيئتها الاولى فاخرجها الى قومه وهم قوم اعراب وادعى النبوة فآمن به جماعة ووضع الصلاة عن قومه واحل الخمر والزنا ونحو ذلك واتفق معه بنوا حنيفة الا افرادا منهم من ذوى عقولهم ومن اراد الله به الخير ثم اشتغل بتأليف سجعات يزعم انه يعارض بها القرآن وهى ركيكة مضحكة للعقلاء منها قوله الفيل ما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر وخرطوم طويل ان ذلك من خلق ربنا لقليل ومنها قوله ياضفدع كم تنقين اعلاك من الماء واسفلك فى الطين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين وروى ياضفدع بنت ضفدعين لحسن ما تنقين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين امكثى فى الارض حتى يأتيك الخفاش بالخبر اليقين لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريش قوم لايعدلون وسمع اللعين على سورة انا اعطيناك الكوثر فقال انا اعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك لفاجر وفى رواية انا اعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر واحذر ان تحرص او تكاثر وفى رواية انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وبادر فى الليالى الغوادر ولما سمع اللعين والنازعات غرقا قال والزارعات زرعا فالحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخافرات خفرا والخابزات خبزا فالثاردات ثردا فاللاقمات لقما والآكلات اكلا لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر وله غير ذلك مما يدل على سخافة عقله وعقل من صدقه واتبعه روى ان امرأة اتت مسيلمة فقالت ادع الله لنا ولنخلنا ولمائنا فان محمدا دعا لقومه فجاشت ابارهم وكثر ماؤها قال كيف صنع قالت دعا بسجل فدعا لهم فيه ثم تمضمض ومج فيه فافرغوه فى تلك الابار ففعل مسيلمة كذلك فغارت تلك المياه ولما سمع اللعين ان النبى صلى الله عليه وسلم تفل فى عين على رضى الله عنه وكان ارمد فبرء تفل فى عين بصير فعمى ومسح بيده ضرع شاة حلوب فارتفع درها ويبس ضرعها وحفرة بنو حنيفة بيرا فاعذبوها متاحا فجاؤا الى مسيلمة وطلبوا منه ان يأتيها وان يبارك فيها فأتاها فبصق فيها فعادت اجاجا وتوضأ مسيلمة فى حائط فصب وضوءه فيه فلم ينبت وقال له رجل بارك على ولدى فان محمدا يبارك على اولاد اصحابه فلم يؤت بصبى مسح مسيلمة رأسه او حنكه الاقرع اولثغ وجاءه رجل فقال ياابا ثمامة انى ذومال وليس لى مولود يبلغ سنتين حتى يموت غير هذا المولود وهو ابن عشر ين ولى مولود ولد امس احب ان تبارك فيه وتدعو ان يطيل الله عمره فقال سأطلب

قال فى القاموس والنيرنج بالكسر اخذ كالسحر وليس به اهـ

لك الذى طلمت فجعل عمر المولود اربعين سنة فرجع الرجل الى اهله مسرورا فتردى الاكبر فى بير ووجد الصغير ينزع فى الموت فلم يمس من ذلك اليوم حتى ماتا جميعا فقالت امهما فلا والله مالابى ثمامه عندالهه مثل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم وكان مسيلمة قبيح الخلقة وذميم الصورة وصفته على عكس صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم ان جبريل يأتيه بالوحى وكان اسمه هارون ابن حبيب وكنيته ابوثمامه ولقبه مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامه قيل انه كان يقول ان الذى يأتيه اسمه رحمن وقيل انه من باب تعنتهم فى الكفرهم ولما فرغ خالد من البطاح ورجع الى المدينة ورضى عنه ابو بكر رضى الله عنه بعثه الى مسيلمة فتعجل الى البطاح وامده ابو بكر رضى الله عنه بالرجال فانتظر البعوث حتى قدمت عليه فنهض الى اليمامه وكان جيشه اربعة آلاف وكان اهل اليمامة اربعون الف مقاتل ولما بلغهم دنو خالد بن الوليد رضى الله عنه خرجوا وعسكروا فى منتهى ريف اليمامة واستنفروا الناس فنفروا اليهم واقبل خالد وجعل على مقدمته شرحبيل بن حسنه فهجم عليه من اصحاب مسيلمة ليلة سرية اربعون اوستون فبض المسلمون عليهم وقتلوهم ثم سار خالد ونازل بنى حنيفة واشتدت الحرب ولم يلق المسلمون حربا مثلها قط وتذامرت بنو حنيفة وقاتلت قتالا شديدا وكانت الحرب يومئذ تارة للمسلين وتارة للكافرين ثم انزل الله نصره على المسلين حتى الجؤا بنى حنيفة الى حديقة احتشدوا فيها فدخلها المسلمون عليهم وقاتلوهم اشد القتال فلم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة واشترك فى قتله وحشى مولى جبير بن مطعم الذى قتل حمزة رضى الله عنه ورجل من الانصار اما وحشى فدفع عليه حربته فوقعت بين ثديه وضربه الانصارى بسيفه واختلف فى هذا الانصارى فقيل هو ابو دجانه وقيل هو عبدالله بن زيد قال ابن عمر فصرخ رجل وقال قتله العبد الاسود وقالت جارية على ظهر بيت وآمير المؤمنين قتله العبد الاسود فولت بنو حنيفة عند قتله مهزومة واخذهم السيف من كل جانب ثم بقى منهم جماعة بالحصون فصالحهم خالد على كل شئ دون النفوس وفى رواية فصالحهم على الصفرا والبيضا والحلقة والكراع ونصف السبى وكان وحشى يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام يعنى حمزة ومسيلمه وفى تاريخ ابن الوردى لما عزى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة حين قتله وحشى باحد قال بعضهم ويل لوحشى من النار فقال صلى الله عليه وسلم اما حمزة فاجله قد انقضى واما وحشى فسوف يدرك الشرف من بعده فقالوا كيف يا رسول الله قال هو يقتل مسيلمة الكذاب فكان كما قال صلى الله عليه وسلم واستشهد فى هذه الوقعة كثير من مشاهير المهاجرين والانصار وفضلاء الصحابة يطول الكلام بتعداد اسمائهم وجملة من قتل من المهاجرين والانصار من المدينة ثلثمائة وستون ومن المهاجرين من غير المدينة ثلاثمايه رجل ومن بقية المسلمين سمائه فجملة من استشهد من المسلين الف ومائتان وقيل الف وثمانمائة ومن المشركين نحو عشرين الف قتل منهم فى الحديقة فقط سبعة عشر الفا كما فى تاريخ ابن خلدون وكانت هذه الوقعة فى ربيع الاول من سنة ثنتى عشرة من الهجرة كذا فى تاريخ الخميس والذى يقتضيه تاريخ ابن الاثير وتاريخ ابن

خلدون

خلدون انها كانت فى اواخر السنة الحادية عشر لأنهم ذكروا ان مسير خالد الى العراق
فى اول سنة ثنتى عشرة وكان ذلك بعد فراغه من قتال اهل اليمامة وكان القتال يوما
كاملا من بكرة النهار الى بعد العصر وقاتل خالد بن الوليد فى ذلك اليوم قتالا شديدا وكان
يقول شهدت عشرين زحفا فلم ارقوما اصبر لوقع السيوف ولا اضرب بها ولا اثبت
اقداما من بنى حنيفة يوم اليمامه وقال ابو برزة الاسلمى لقد اقتحم خالد حتى اعذر وصبر
حتى ظفر وقال رافع بن خديج خرجنا ونحن اربعة آلاف فانتهينا الى اليمامة فننتهى الى
قوم هم الذين قال الله فيهم ستدعون الى قوم اولى بأس شديد ثم ان الله بمنه وكرمه
وفضله رزقنا عليهم الظفر وكان مع المسلمين امرأة وهى ام عماره نسيبه بنت كعب الانصاريه
وهى والدة عبد الله بن زيد الذى قتل مسيلمة مع وحشى وشهدت امه ذلك اليوم وقطعت
يدها فى ذلك القتال وكانت ام عماره هذه جاءت الى ابى بكر رضى الله عنه لما تجهز القوم
للخروج واستأذنته فى الخروج فقال لها ابو بكر رضى الله عنه ماشلك يحال بينه وبين
الخروج قد عرفناك وعرفنا جرآءتك فى الحرب فاخرجى على اسم الله وكان مسيلمة قبل
خروجهم قد ظفر بابن لها وهو حبيب ابن زيد وكان مقبلا من عمان يريد المدينه فسمع به مسيلمة
فارسل من قبض عليه وجئ به اسرا فقال له مسيلمة اتشهد انى رسول الله فقال لا اسمع
فقال له اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فأمر به فقتل وكان كلما قال اتشهد انى رسول الله
قال لا اسمع فاذا قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم حتى قطعه عضوا عضوا حتى قطع يديه
من المنكبين ورجليه من الوركين ثم احرقه بالنار وهو فى كل ذلك لا ينزع عن قوله ولا يرجع
عما بدأ به حتى مات فى النار فخرجت امه مع القوم لتأخذ بثار ابنها فلما انتهوا الى اليمامه فكانت
تقاتل مع المسلمين قالت فلما انتهينا الى الحديقة ازدحمنا على الباب فاقتحمنا فصار بنا هم ساعة وجعلت
اقصد عدو الله مسيلمة لان اراه ولقد عاهدت الله لئن رأيته لا اكذب عنه او اقتل دونه
وجعلت الرجال تختلط والسيوف بينهم تختلف وخرس القوم فلا صوت الا وقع السيوف
حتى بصرت بعدو الله فشددت عليه وعرض لى منهم رجل فضرب يدى فقطعها فوالله
ماعرجت عليها حتى انتهيت الى الخبيث وهو صريع قد قتله ابنى عبد الله وفى رواية وابنى
يمسح سيفه بثيابه فقلت اقتلته قال نعم ياامه فسجدت شكرا لله تعالى وقطع الله دابرهم فلما
انقطعت الحرب ورجعت الى منزلى جاءنى خالد ابن الوليد بطبيب من العرب فداوانى بالزيت
المغلى وكان والله اشد على من القطع وكان خالد كثير التعاهد لى حسن الصحبة لنا يعرف لنا حقنا
ويحفظ فينا وصية نبينا وعن محمد بن يحيى بن حبان قال جرحت ام عماره يوم اليمامه احد
عشر جرحا بين ضربة سيف اورمية بسهم اوطعنة برمح وقطعت يدها سوى ذلك ولما قدمت
المدينة كان ابو بكر رضى الله عنه يأتيها ويسأل عنها وهو يومئذ خليفة وممن استشهد يوم
اليمامه ثابت بن قيس ابن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفاخر به
وفود العرب اذا قدموا عليه يفتخرون بفصاحة خطبائهم وكان يوم اليمامة معه راية الانصار
ولما استشهد ودفنه المسلمون سمعوه حين ادخلوه فى قبره يقول محمد رسول الله ابوبكر
الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظروه فاذا هو ميت ذكر ذلك القاضى عياض فى الشفا

وبعد وفاته رآه رجل من المسلمين فى منامه يقول له انى موصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه انى لما قتلت بالامس جاء رجل من ضاحية نجد وعلم درعى فاخذها واتى بها منزله فاكفا عليها برمته وجعل على البرمة رحلا وخباؤه فى اقصى العسكر الى جنب خبائه فرس ابلق يستن فى طوله فأت خالد بن الوليد فاخبره فليبعث الى درعى فليأخذها واذا قدمت على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره ان على من الدين كذا ولى من الدين كذا وسعد ومبارك غلاماى حران فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه فلما اصبح الرجل اتى خالد رضى الله عنه فاخبره فبعث خالد الى الدرع فوجدها كما قال واخبره بوصيته فاجازها ولا نعلم ان احدا من المسلمين اجيزت وصيته بعد موته الا ثابت ابن قيس بن شماس وقد روى ان بلال بن الحارث رضى الله عنه كان صاحب الرؤيا ولما انقضى القتال اجتمع خالد بن الوليد ببعض اهل اليمامة وسألهم من اسجاع مسيلمة فقصوها عليه فقال سبحان الله هذا الكلام ماخرج من إل ولا بر فاين يذهب بكم عن احلامكم وقال ابو بكر رضى الله عنه فى حق اهل اليمامة لن يزالوا من كذابهم فى بلية الى يوم القيامة الا ان يعصمهم الله تعالى وقصة يوم اليمامة طويلة وقع فيها عجائب من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانت معجزات له صلى الله عليه وسلم وكرامات لهم وكلها مذكورة فى التواريخ وفى هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم والكلام على بقية اهل الردة الذين قاتلهم غير خالد بن الوليد سيأتى الكلام عليه مؤخرا بعد اتمام الكلام على غزوات خالد بن الوليد بالمشرق والعراق

﴿ ذكر مسير خالد بن الوليد الى العراق ﴾

ولما فرغ خالد بن الوليد من امر اليمامة بعث اليه ابو بكر رضى الله عنه فى المحرم من سنة ثنتى عشرة فامره بالمسير الى العراق فسار من اليمامة وقيل قدم على ابى بكر رضى الله عنه ثم سار من المدينة وانتهى الى قرية بالسواد وصالحه اهلها على عشرة آلاف دينار فقبضها ووضع الجزية عليهم ثم سار الى الحيرة وخرج اليه اشرافها مع اياس ابن قبيصة الطائى الامير عليها بعد النعمان ابن المنذر فدعاهم الى الاسلام او الجزية او مناجزة الحرب فاختاروا الجزية فصالحوه على تسعين الف درهم ثم سار الى الابلة وكان معه عشرة الاف وامده ابو بكر رضى الله عنه بالمثنى بن حارثة الشيبانى ومعه ثمانية الاف وكان قبل مجئ خالد استأذن ابا بكر رضى الله عنه ان يغزوا بالعراق فلما قدم خالد امر ابو بكر المثنى ان يكون مع خالد ونازلوا الحفير وكان ذلك الفرج اعظم فروج فارس واشدها شوكة وكان صاحبه اسمه هرمز فكان يحارب العرب فى البر ويحارب الهند فى البحر فلما سمع هرمز بهم كتب الى كسرى اذدشير الملك بالخبر وتعجل هو الى الكواظم واقترن قومه بالسلاسل لئلا يفروا فسمع بهم خالد وكانوا سبقوه فى النزول على الماء فنزل خالد على غير ماء فقال له اصحابه فى ذلك فقال لهم لعمرى ليصيرن الماء لاصبر الفريقين فحطوا اثقالهم وتقدم خالد الى الفرس فلاقاهم فارسل الله سحابة فاغدرت وراء صف المسلمين فقويت قلوبهم وخرج هرمز ودعا خالدا الى البراز وتواطأ مع اصحابه على الغدر بخالد فبرز اليه خالد ومشى نحوه راجلا ونزل هرمز ايضا

ونصاريا فاحتضنه خالد وحمل اصحاب هرمز الذين تواطأمعهم فاشغل ذلك خالدا عن قتله
وحمل القعقاع بن عمر وعليهم فازاحهم وانهزم اهل فارس وركبهم المسلمون وقتل خالد
هرمز واخذسلبه وكانت قلنسوته بمائةالف وكانت هذه عادتهم اذا تم شرف الانسان
تكون قلنسوته بمائةالف و بعث خالد بالفتح والاخماس الى ابى بكر وسميت هذه الوقعة
ذات السلاسل ثم سار خالد فنزل بمكان البصرة و بعث المثنى بن حارثة فى اثار العدو فحاصر
حصن المرأة وفتحه فاسلمت وتزوجها وكان كسرى اذدشير لماجاءه كتاب هرمز بمسير خالد
امده بجيش فلقية المنهزمون فرجعوا ونزلوا الثنى وهو النهر وتعرف هذه الوقعة بوقعة
الثنى وسار اليهم خالد واقتتلوا وانهزم الفرس وقتل منهم نحو ثلاثين الفا سوى من غرق
وغنم المسلمون غنيمة عظيمة واخذ الجزية من الفلاحين وصاروا فى ذمة وكان فى السبى والد
الحسن البصرى وكان نصرانيا ولماجاء الخبر الى كسرى بعث جيشا عظيما وعسكروا بالدلجه
فسار اليهم خالد فقاتلهم وهزمهم وقتل كثيرا منهم ثم اجتمعوا على مليس ومعهم كثير من
نصارى العرب فسار اليهم خالد فبرز اليه مالك بن قيس فقتله خالد واشتد القتال ثم انهزموا
واستأسر الكثير منهم وقتلهم خالد حتى سال النهر بالدم وسمى نهر الدم و بلغ عدد قتلاهم
سبعين الفا ثم سار الى امغيشيا فغزا اهلها واعجلهم ان ينقلوا اموالهم فغنم جميع مافيها
وخربها فلمابلغ ذلك ابابكر رضى الله عنه قال عجزت النساء ان يلدن مثل خالد ثم سار الى
الحيرة وحمل الرجال والاثقال فى السفن فخرج مرزبان الحيره فعسكر عند العريين وارسل
ابنه ليقاطع الماء عن السفن فوقفت على الارض فسار اليه خالد فقتله وجميع من معه ثم
سار خالد الى ابيه فى الحيره فهرب من غير قتال وحاصر خالد قصور الحيره وافتتحها واكثر
القتل فخرج ابن قبيصة من القصر الابيض وعمرو بن عبدالمسيح ابن بقيله وكان معمرا
فقال له خالد كم اتى عليك قال مئوسنين قيل ان عمره كان اربعمائه سنة قال فما اعجب مارأيت
قال رأيت القرى منظومة مابين دمشق والحيره تخرج المرأة فلاتتزود الارغيفا وكان معه
خادم معه كيس فسأله خالد ما فى هذا الكيس قال فيه سم ساعه فاخذه خالد ونثره
فى يده وقال لم تستصحب هذا معك قال خشيت ان يكون على غير مارأيت فيكون الموت
احب الى من مكروه ادخله على قومى فقال له خالد لن تموت نفس حتى تأتى على اجلها
ثم قال خالد بسم الله الذى لايضر مع اسمه شئ وابتلع السم فقال ابن عبد المسيح والله
لتبلغن ماأردتم مادام احد منكم هكذا واباخالد ان يصالحهم الا على تسليم كرامة بنت عبد
المسيح لصحابى اسمه شويل كما فى تاريخ ابن الاثير وقيل شربك كما فى تاريخ ابن خلدون وكرامه
بنت عبدالمسيح قيل اسمها الشيما وسبب اشتراط تسليمها له ان النبى صلى الله عليه وسلم لماذكر
استيلاء أمته على ملك فارس والحيره سأله ذلك الصحابى ان يعطى كرامة بنت عبدالمسيح قال ابن
الاثير وكان راها شابه فمال اليها فوعده النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فلما فتحت الحيره
طلبها وشهدله شهود بوعد النبى صلى الله عليه وسلم فسلموها لخالد وسلمها خالد له وقالوعد
النبى صلى الله عليه وسلم اياه فاشتروها منه بألف درهم وصالحهم خالد على مايتى الف وتسعين
الفا واهدوا له هدايا فبعث بالفتح والهدايا الى ابى بكر رضى الله عنه فقبلها ابوبكر من الجزية

وكتب الى خالد ان يأخذ منهم بقية الجزية وقصة بنت عبد المسيح ذكرها الدميرى فى حياة الحيوان فى ترجمة البغله فقال روى الطبرانى وابونعيم من طرق صحيحه عن خزيمة ابن اوس قال هاجرت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقدمت عليه عند منصرفه من تبوك فاسلمت فسمعته يقول هذه الحيره قد رفعت اليكم ستفتحونها وهذه الشيما بنت بقيله الازدية على بغلة شهبا معتجرة بخمار اسود فقلت يارسول الله ان نحن دخلنا الحيره فوجدناها على هذه الصفه فهى لى قال عليه الصلاة والسلام هى لك فاقبلنا مع خالد ابن الوليد نريد الحيره فلما دخلناها كان اول من تلقانا الشيما بنت بقيله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغله شهبا معتجره بخمار اسود فتعلقت بها وقلت هذه وهبها لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منى خالد عليها البينة فاتيته بها فسلمها الى ونزل الينا اخوها عبد المسيح فقال ابعنيها فقلت نعم فقال احتكم ماشئت فقلت والله لاانقصها عن الف درهم فدفع لى الف درهم فقيل لى لو قلت مائة الف درهم لدفعها لك فقلت لااحسب مالا اكثر من الف درهم قال الطبرانى وبلغنى ان الشاهدين كان محمدا بن مسلمة وعبدالله بن عمرو رضى الله عنهم انتهى وفى اسد الغابه ان اسم الصحابى المذكور حزيم ابن اوس الطائى وان المرأة اسمها الشيما وان الشاهد بن محمد بن مسلمة وعبدالله بن عمرو وقيل محمد بن مسلمة ومحمد بن بشير فمن قال ان الصحابى شويل اوشريك فلعله يلقب بذلك وكذلك من قال ان اسم المرأة كرامه فلعله لقب لها لان القصة واحدة وهى من معجزاته صلى الله عليه وسلم واعلام نبوته والحيره مدينة بارض الكوفه على ساحل البحر كان بها ملك النعمان بن المنذر وغيره من ملوك العرب عمالا لكسرى ملك الفرس والآن لااثر للمدينة المذكوره ومكان المدينة دجله

﴿ ذكر فتح ماور الحيره ﴾

كان الدهاقين يتربصون بخالد مايصنع باهل الحيره فلما صالحهم واستقاموا له جاءته الدهاقين من كل ناحية فصالحوه عما يلى الحيره من القلاليج على الفى الف وبث السرايا فى الثغور وامرهم بالغاره فخرجوا السواد كله الى شاطئ دجله وكتب الى ملوك فارس يدعوهم الى الاسلام او اداء الجزية واقام بالحيره سنة يصوب ويصعد والفرس حايرون فيمن يملكونه لان ملكهم مات فحصل اضطراب بينهم ثم سار خالد الى الانبار فحاصرهم وامر الرماة ان يقصدوا عيونهم فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا فاصابوا الف عين فسميت تلك الوقعة ذات العيون فارسلوا يطلبون الصلح على امر لم يرضه خالد فرد الرسل ونحر من ابل العسكر كل ضعيف والقاه فى خندقهم ثم عبره فاجتمع المسلمون والكفار فى الخندق فبذلوا لخالد ماأراد وعقدوا الصلح معه والحقهم بامنهم ليس معهم شئ غير المتاع ثم صالحه من حول الانبار واهل كلواذا

﴿ ذكر فتح عين التمر ﴾

ولما فرغ خالد من الانبار سار الى عين التمر وبها جمع عظيم من العجم ومعهم جمع من العرب من بنى تغلب وغيرهم فقال لهم العرب نحن اعلم بقتال العرب فدعونا وخالدا فقالوا صدقتم

فتقدم

فتقدم العرب لقتال خالد فاسرامير هم ثم قتله وهزمهم واسر كثيرا منهم فانهزم العجم وتركوا الحصن فتحصن المنهزمون من العرب فنازلهم خالد فطلبوا الامان فأبى فنزلوا على حكمه فاخذهم اسرى ثم قتلهم اجمعين وسبى كل من فى الحصن وغنم مافيه ووجد فى بيعتهم اربعين غلاما يتعلمون الانجيل فاخذهم فقسمهم على اهل البلاد منهم سيرين والد محمد بن سيرين ونصير ولد موسى بن نصير وحمران مولى عثمان رضى الله عنه وارسل الى ابى بكر بالخبر والخمس

ذكر خبر دومة الجندل

لما فرغ خالد من عين التمر جاءه كتاب من عياض بن غنم رضى الله عنه وكان اميرا على جيش لقتال نصارى العرب الذين بدومة الجندل فكتب لخالد يستمده على من بأزائه من نصارى العرب وكانوا قبايل كثيرة فسار اليه خالد فنزل دومه وعياض عليها من الجهة الاخرى فقاتلوا انصارى العرب من الجهتين فانهزموا الى الحصن فحاصروهم وافتتحوا الحصن عنوة وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية واقام خالد بدومة الجندل فطمع الاعاجم فى الحيره وكثرت جموعهم بالحصيد ومعهم كثير من نصارى العرب وكان خالد جعل على الحيرة القعقاع ابن عمرو فقاتلهم بالحصيد وقتل من العجم مقتلة عظيمة وهزمهم وغنم المسلمون غنايم كثيرة ثم اجتمع الاعاجم بمضيخ بنى البرشاء وكثرت جموعهم فبلغ الخبر خالدا فكتب الى القعقاع ومن معه من الامراء وعدهم ساعة وليلة يجتمعون فيها الى المضيخ وخرج خالد قاصدا اليهم فلما كانت تلك الساعة من ليلة الوعد اتفقوا جميعا فاغاروا عليهم وهم نايمون من ثلاثة اوجه فقتلوا كثيرا منهم وكان معهم عبد العزى ابن ابى رهم ولبيد بن جرير وكانا قد اسلما ومعهما كتاب من ابى بكر رضى الله عنه باسلامهما فقتلا فى المعركة فوداهما ابو بكر واوصى باولادهما وكان عمر رضى الله عنه يعتد بقتلهما وقتل مالك بن نويره على خالد فيقول ابو بكر كذلك يلقى من نازل اهل الشرك

ذكر وقعة الثنى والزميل

كان ربيعة بن بجير التغلبى بالثنى والزميل وهما شرق الرصافة ومعه جموع يريديها قتال خالد رضى الله فلما اصاب خالد اهل المضيخ امر القعقاع والامرا بالمسير ليغيروا عليهم وسار خالد من المضيخ واجتمع بالثنى فبيتوا القوم واغاروا عليهم من ثلاثة اوجه وجردوا فيهم السيوف فلم يفلت منهم مخبر وغنم وسبى ولما انهزم من كانوا بالمضيخ كان فيهم الهذيل بن عمران فلحق بجند لهم كان بالبشر فى عسكر ضخم فبيتهم خالد بغارة شعواء وقتل منهم قتلة عظيمة وقسم الغنائم وبعث الخمس الى ابى بكر رضى الله عنه ثم سار خالد الى الرضاب وبها جمع من نصارى العرب فهربوا و تفرقوا لما سمعوا بمسير خالد فوصل اليها خالد ولم يلق كيدا

ذكر وقعة الفراض

ثم سار خالد من الرضاب الى الفراض وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة وافطر بها

قتل في المعركة مائة الف

رمضان لاتصال الغزوات وحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من الفرس فاعانوهم واجتمع معهم من العراب تغلب واياد والنمر وساروا الى خالد واقتتلوا بالفراض قتالا عظيما وانهزمت الروم ومن معهم وامر خالد المسلمين ان لا يرفعوا عنهم السيف فقتل في المعركة وفي الطلب مائة الف واقام خالد بالفراض عشرا ثم اذن بالرجوع الى الحيره لخمس بقيت من ذى القعدة وخرج هو من الفراض حاجا مسرا ومعه عدة من اصحابه يعسف البلاد فاتى مكه وحج ورجع فما توافى جنده بالحيره حتى وافاهم ولم يعلم بحجه الا من اعلمه ولم يعلم بذلك ابو بكر رضي الله عنه الا بعد رجوعه فعتب عليه في ذلك وكانت عقوبته اياه ان صرفه الى الشام من العراق ممدا جموع المسلمين باليرموك وكانت غزواته هذه كلها في اقل من سنة لانه توجه الى العراق في المحرم سنة ثنتي عشرة كما تقدم ولنذكر بقية الكلام على قتال اهل الردة الذى جرا من الامرا غير خالد بن الوليد ثم نرجع لما كان في فتوح الشام

﴿ ذكر ردة بني عامر وهوازن وسليم ﴾

كانت بنو عامر تقدم الى الردة رجلا وتوخر اخرى وتنظر امر طليحة وما تصنع بنو اسد وغطفان حتى احيط بهم واوقع بهم خالد بن الوليد وكان روسا بني عامر قرة بن هبيره وعلقمة ابن علاثه وكان علقمة اسلم ثم ارتد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولحق بالشام بعد فتح الطائف فلما توفى النبي صلى الله عليه وسلم اقبل مسرعا حتى عسكر في بني كعب فبلغ ذلك ابا بكر رضي الله عنه فبعث اليه سرية عليها القعقاع ابن عمرو فاغار على الماء الذى عليه علقمه وكان لايبرح الا مستعدا فسابقهم على فرسه فسبقهم واسلم اهله وولده فاخذهم القعقاع وقدم بهم على ابي بكر رضي الله عنه فجحدوا ان يكونوا على ما كان عليه علقمة ولم يبلغ ابابكر رضي الله عنه انهم فارقوا دارهم وقالوا له ما ذنبنا فيما صنع علقمة فارسلهم ثم اسلم علقمة فقبل ذلك منه واقبلت بنو عامر بعد هزيمة اهل بزاخه يقولون ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله واتوا خالد بن الوليد فبايعهم على ما بايع اهل بزاخه واعطوه بايديهم على الاسلام ولم يقبل من احد من اسد وغطفان وطى وسليم وعامر الا ان يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على الاسلام في حال ردتهم فأتوه بهم فمثل بهم وحرقهم ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم من الابار وارسل الى ابي بكر رضي الله عنه يعلمه واما قرة بن هبيرة فكان قد لقى عمرو بن العاص رضي الله عنه منصرفه من عمان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعمرو اتركوا الزكاة فان العرب لا تدين لكم بالاتاوه فغضب عمرو واسمعه كلاما وابلغ مقالته ابابكر رضي الله عنه فكتب الى خالد بذلك فقبض على قرة بن هبيره وبعث به الى ابي بكر فاسلم واعتذر فقبل ذلك منه ابو بكر وحقن دمه ثم اجتمع قبائل من غطفان وهوازن وطى واسد الى سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر في الجوب وبلغ ذلك خالدا بعد فراغه من اهل بزاخه فقاتلهم وسلمى واقفة على جملها حتى عقر وقتلت وقتل حول هودجها مائة رجل فانهزموا واما بنو سليم فكان الفجاءة ابن عبد ياليل قدم على ابي بكر رضي الله عنه يستعينه مدعيا اسلامه ويضمن له قتال

اهل

اهل الردة فاعطاه وامره فخرج الى الجون وارتد و بعث نجبة بن ابى المثنى من بنى الشريد وامره بشن الغارة على المسلمين فى سليم وهوازن فبعث ابو بكر الى طريفة ابن حاجر وعبدالله بن قيس الحاسى فنهضا اليه ولقياه فقتل نجبة وهرب الفجاء فلحقه طريفة فاسره وجاء به الى ابى بكر رضى الله عنه فاوقدله فى مصلى المدينة حطبا ثم رمى به فى النار مقموطا وفات بنوسليم كلهم ودخلوا فى الاسلام وكان منهم ابوشجرة بن عبدالعزى السلمى وهو ابن الخنسا وكان قدارتد وقال شعرا منه قوله

* فرويت رمحى من كتيبة خالد * وانى لارجو بعدها ان اعمرا *

يعنى عمر بن الخطاب فلما اسلم قبل ابو بكر رضى الله عنه منه الاسلام فلما كانت خلافة عمر رضى الله عنه قدم المدينة فرأ عمر يقسم مالا فى المساكين فقال اعطنى فانى ذوحاجة فقال ومن انت فقال ابوشجرة بن عبدالعزى السلمى قال اى عدوالله لاوالله الست الذى تقول

* فرويت رمحى من كتيبة خالد * وانى لارجو بعدها ان اعمرا *

وجعل عمر يعلوه بالدرة على رأسه فسبقه عدوا الى ناقته فركبها ولحق بقومه وقال ابياتا منها قوله

* ضن علينا ابوحفص بنائله * وكل مختبط يوما له ورق *

﴿ ذكر ردة اهل البحرين ﴾

كانت عبدالقيس وبكر بن وائل وغيرهم من احياء ربيعة قدارتدوا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فاما عبدالقيس فردهم الجارود ابن المعلى الى الاسلام وكان قداسلم ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم فلما رجع الى قومه دعاهم الى الاسلام فاسلموا فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم ارتدوا وقالوا لوكان نبيا مامات فقال لهم الجارود تعلمون ان لله انبياء من قبله ولم تروهم وتعلمون انهم ماتوا ومحمد صلى الله عليه وسلم قدمات وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلموا وثبتوا على اسلامهم واجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة الا الجارود ومن تبعه وخرج الحطم بن ضبيعة اخو بنى قيس ابن ثعلبة فى بكر بن وائل فاجتمع اليه كثير من المرتدين وكثير ممن لم يزل مشركا حتى نزل القطيف وهجر اسم موضع واستغوى من بهما وبعث بعثا الى دارين والى جواثا فحصر المسلمين واشتد الحصر على من بهما فبعث ابوبكر رضى الله عنه العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه لقتال اهل الردة بالبحرين ومعه جموع من المسلمين فنزل هجر وبعث الى الجارود ان نازل بعبدالقيس الحطم بن ضبيعة وخندق العلاء والمسلمون على انفسهم وقاتلوا المرتدين وكانوا يتراوجون القتال و يرجعون الى خندقهم فكانوا كذلك شهرا وسمعوا فى بعض الليالى ضوضأة شديدة اى جلبة وصياحا فى المشركين فبعثوا من يأتيهم بالخبر فجاءهم بان القوم سكارى فبيتوهم ووضعوا السيوف فيهم وفر القوم هرابا واقتحموا الخندق فمن بين مترد وناج ومقتول ومأسور وابادوا القوم وكفى الله شرهم وقسموا الغنائم ثم ندب العلا الناس الى دارين وقال لهم قدأراكم الله من آياته فى البر لتعتبروا بها فى البحر فانهضوا الى عدوكم واستعرضوا البحر وارتحل وارتحلوا

وكان بينهم وبين دارين البحر فاقتحموا البحر على الخيل والابل والحمير وغير ذلك وفيهم الراجل ودعا ودعوا وكان من دعائهم يا ارحم الراحمين يا كريم يا حليم يا احد يا صمد يا حي يا محيي الموتى يا حي يا قيوم لا اله الا الله انت يا ربنا فاجتازوا ذلك الخليج باذن الله يمشون على مثل رملة فوقها ما يغمر اخفاف الابل وبين الساحل ودارين يوم وليلة بسفن البحر فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فظفر المسلمون وانهزم المشركون واكثر المسلمون فيهم القتل فما تركوا بها مخبرا وغنموا وسبوا فلما فرغوا رجعوا حتى عبروا كما جاؤا وضرب الاسلام بجرانه فيها وكتب العلا الى ابي بكر رضي الله عنه يعرفه هزيمة المرتدين وقتل الحطم ابن ضبيعه ولما قسمت الغنيمة كان للفارس ستة آلاف وللراجل الفان وكان مع المسلمين راهب من اهل هجر فاسلم فقيل له ما حملك على الاسلام قال ثلاثة اشياء خشيت ان يمسخني الله بعدها فيض في الرمال وتمهيد ثبج البحر ودعاء سمعته في عسكرهم في الهوا سحرا اللهم انت الرحمن الرحيم لا اله غيرك البديع فليس قبلك شيء والدائم غير الغافل الحي الذي لا يموت وخالق ما يرى وما لا يرى وكل يوم انت في شان علمت كل شيء بغير معلم فعلمت ان القوم لم يعانوا بالملائكة الا وهم على حق فكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسمعون هذا منه بعد والعلاء بن الحضرمي صحابي مشهور توفي سنة اربع عشرة من الهجرة وكان مجاب الدعوه واصله من حضرموت ونزل جده مكه وكان حليفا لحرب بن اميه وكان له في هذه الغزوة آثار محموده وكرامات كثيره منها انهم سلكوا مفازه وعطشوا عطشا شديدا حتى خافوا الهلاك فنزل العلاء وصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اسقنا فجاءت سحابة كانها جناح طائر فقعقعت عليهم وامطرت حتى ملؤا الآنية وسقوا الركاب قال الراوي ثم انطلقنا حتى اتينا دارين والبحر بيننا وبينهم وفي رواية اتينا على خليج من البحر ما خيض فيه قبل ذلك اليوم فلم نجد سفنا وكان المرتدون قد احرقوا السفن فصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اجزنا ثم اخذ بعنان فرسه ثم قال جوزوا باسم الله قال ابو هريرة وكان مع القوم فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر وكان الجيش اربعة آلاف وقال ابراهيم بن ابي حبيبة حبس لهم البحر حتى خاضوا اليهم وجاوزه العلا واصحابه مشيا على ارجلهم وكانت تجري فيه السفن قبل

العلاء هو الحضرمي صحابي اصله من حضرموت

﴿ ذكر ردة اهل عمان والمهره ﴾

كان على اهل عمان والمهره عاملان للنبي صلى الله عليه وسلم جيفر وعياذ ابناء الجلندي فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم قام بعمان رجل من الازد يقال له لقيط بن مالك الازدي فارتد وادعى النبوة وتغلب على عمان ودفع عنها الملكين فبعث جيفره الى ابي بكر بالخبر فبعث ابو بكر رضي الله عنه حذيفه بن محصن الحميري الى عمان وعرفجة البارقي الى المهره وامرهما ان يكاتبا جيفرا ويأخذا برأيه وكان قد بعث عكرمة بن ابي جهل الى اليمامه ومسيلمة ووقعت عليه النكبة كما مر فامره بالمسير الى حذيفه وعرفجة ليقاتل معهما عمان والمهره ويتوجه اذا فرغ من ذلك الى اليمن فمضى عكرمة فلحق بهما قبل ان يصلا عمان وقد عهد اليهم ابو بكر ان ينتهوا

الى

الى رأى عكرمه فراسلوا جيفرا وعياذا وبلغ لقيطا المتغلب مجئ الجيوش فعسكر بمدينة دبا وعسكر جيفر وعياذ بصحار واستقدموا عكرمة وحذيفة وعرفجة وكاتبوا رؤسا الذين تقدموا بجيوشهم ثم عمدوا الى لقيط واصحابه فقاتلوهم وقد اقام لقيط عياله وراء صفوفه وهم المسلمون بالهزيمة حتى جاءهم مددهم من بنى ناجيه وعليهم الحريث بن راشد من بنى عبد القيس وسيحان بن صوحان فانهزم العدو وظفر المسلمون وقتلوا من العدو نحو عشرة آلاف وسبوا الذرارى والنسا وتم الفتح وقسموا الغنائم وبعثوا بالخمس الى ابى بكر رضى الله عنه وكان الخمس ثمانمائة راس واقام حذيفة بعمان وسار عكرمه الى المهره فهزمهم وقتل رئيسهم واصابوا منهم الفى نجيبه واجاب اهل تلك النواحى الى الاسلام وبعث الى ابى بكر رضى الله عنه بالفتح ثم سارعوا الى اليمن

﴿ ذكر ردة اهل اليمن ﴾

لما ظهر الاسود العنسى وادعا النبوة قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ارتد كثير من اهل اليمن ثم لما قتل فيروز الديلمى الاسود العنسى رجع كثير منهم الى الاسلام فلما جاءهم خبر وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ارتد الناس الا القليل وكان ابو بكر رضى الله عنه اقام فيروز الديلمى اميرا على صنعا فكان يقاتل كل من قدر على قتاله وكان باليمن عمال النبى صلى الله عليه وسلم اقامهم قبل وفاته منهم عمرو بن حزم على نجران للصلاة ومعه ابو سفيان ابن حرب على الصدقات وعلى ما بين زمع وزبيد ونجران خالد بن سعيد بن العاص وعلى همدان كلها عامر بن شهر الهمدانى وعلى الجند يعلى بن اميه وعلى مارب ابو موسى الاشعرى وعلى وعك الطاهر بن ابى هاله وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياضى وعكاشه بن ثور الغوثى وعلى كنده المهاجر ابن ابى امية المخزومى وكان معاذ بن جبل يعلم القرآن باليمن ينتقل على هؤلاء وهؤلاء فى اعمالهم فلما ارتد الناس رجع عمرو بن حزم الى المدينة واتبعه خالد بن سعيد واما المهاجر ابن ابى اميه فانه لما ولاه النبى صلى الله عليه وسلم على كنده مرض ولم يصل اليها واقام زياد ابن لبيد ينوب عنه وكان ابو بكر رضى الله عنه قد حارب اهل الردة اولا بالكتب والرسل ولم يرسل الى من ارتد وابتدا بالمهاجرين والانصار ثم استنفر كلا على من يليه حتى فرغ من آخر امور الناس لا يستعين بمرتد فكتب الى عتاب بن اسيد بمكة وعثمان ابن ابى العاص بالطايف بركوب من لم يرتد على من ارتد وكان قد اجتمع بتهامه اوباش من مدلج وخزاعه فبعث عتاب اليهم ففرقهم وقتلهم واجتمع بشنوءة جمع من الازد وخثعم وبجيله فبعث اليهم عثمان بن ابى العاص من فرقهم وقتلهم واجتمع بطريق الساحل من تهامه جموع من عك والاشعريين فسار اليهم الطاهر بن ابى هاله ومعه مسروق العكى فهزموهم وقتلوهم واقام بالاجناد ينتظر امر ابى بكر ومعه مسروق العكى وبعث ابو بكر رضى الله عنه الى نجران وكتب ابو بكر الى عثمان بن ابى العاص ان يضرب البعوث على مخاليف اهل الطائف فضرب على كل مخلاف عشرين وامر عليهم اخاه عبد الرحمن وكتب الى عتاب بن اسيد ان يضرب على مكة وعملها خمسمائة ففعل وامر عليهم اخاه خالد بن اسيد واقاموا ينتظرون امر ابى بكر رضى الله

عنه فامر المهاجر بن ابى امية المخزومى ان يسير الى اليمن ليصلح من امره ثم يسير الى عمله
الذى ولاه النبى صلى الله عليه وسلم وامره بقتال من بين نجران واقصى اليمن ففعل ذلك
ومر بمكة والطايف فسار معه خالد بن اسيد وعبد الرحمن بن ابى العاص بمن معهما ومر
بجرير بن عبد الرحمن وعكاشة بن ثور فضمهما اليه وكان عمرو بن معدى كرب وقيس بن
مكشوح ممن ارتدا فظفر بهما المهاجر فاوثقهما و بعث بهما الى ابى بكر فتابا فقبل توبتهما
وردهما وسار المهاجر وقتل كل من ظفر به من المرتدين وقاتل من قاتله وقبل توبة من يتوب
الى ان وصل الى صنعا وكتب الى ابى بكر بدخوله صنعا فجاء الجواب ان يسير الى كنده
مع عكرمة بن ابى جهل وقد جاءه من ناحية عمان ومعه خلق كثير من المهرة والازد وناجية
وعبد القيس وغيرهم فسار وامع المهاجر الى كنده وكتب زياد النائب على كنده الى المهاجر
يستحثه فلقيه الكتاب بالمفازة بين مارب وحضر موت فاستخلف عكرمة على الناس
وتعجل الى زياد وشدوا الى كنده وكانوا قد ارتد كثير منهم وارتد الاشعث بن قيس
السكسكى فجعلوه اميرا عليهم فقاتلهم المهاجر وهزمهم وقتل كثيرا منهم وفروا الى النجير
حصن لهم فتحصنوا فيه مع من استغووه فحاصروهم وسدوا عليهم الطريق وقطعوا عنهم المدد
ولحق عكرمة المهاجر وهم محاصرون القوم ثم استأمن الاشعث الى عكرمة فخرج اليه فجاء
به الى المهاجر فامنه فى اهله وماله وتسعة من قومه كانوا خرجوا معه فقال لهم المهاجر
اكتبوا ماشئتم وهلموا الكتاب حتى اختمه واشترطوا على انفسهم ان يفتحوا لهم باب
الحصن ففعلوا فاقتحمه المسلمون وقتلوا المقاتلة وسبوا الذريه والنسا فكان فى السبى الف
امرأة وكان الاشعث بن قيس لما كتب الصحيفة ختم عليها المهاجر كتب التسعة ونسى ان
يكتب نفسه فلما فرغوا من القتل والسبى طلب المهاجر الصحيفة التى كتبوها والتى ختم عليها
فاذا الاشعث ليس مكتوبا معهم فقال المهاجر الحمد لله الذى اخطأك يا اشعث ياعدو الله
قد كنت اشتهى ان يخزيك الله وشده كتافا فقيل له اخره و سيره الى ابى بكر فهو اعلم
بالحكم فيه فسيره الى ابى بكر مع السبى فكان المسلمون يلعنونه و يلعنه سبايا قومه وسماه
نسا قومه عرف النار وهو اسم الغادر عندهم فلما قدم المدينة قال له ابو بكر ما ترانى اصنع
بك قال لا اعلم قال فانى اقتلك قال فانا الذى راوضت القوم فى عشرة فما يحل دمى قال
ابو بكر فاوجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها وانما كنت قبل ذلك مراوضا فلما
خشى القتل قال او تحتسب فى خيرا فتطلق الاسارى وتقيلنى عثرتى وتفعل بى مثل مافعلت
باشالى وترد على زوجتى وقد كان خطب ام فروة اخت ابى بكر لما قدم على النبى صلى الله
عليه وسلم واخرها الى ان يقدم الثانية فتوفى النبى صلى الله عليه وسلم وارتد فان فعلت
ذلك تجدنى خير اهل بلادى لدين الله فحقن دمه وزوجه اخته وحسن اسلامه واقام
بالمدينة حتى فتح العراق وشهد فتح القادسيه واليرموك وكان مع على رضى الله عنه فى قتال
صفين وتوفى بالكوفة سنة اثنين واربعين من الهجرة وقيل بعد على رضى الله عنه باربعين
يوما وصلى عليه الحسن بن على رضى الله عنهما قال بن الاثير قد اختلف فى تاريخ حرب
المسلمين هؤلاء المرتدين فقال بن اسحاق كان فتح اليمامة واليمن والبحرين و بعث الجنود الى

الشام

اصلاح

الشام سنة ثنتي عشرة وقال ابو معشر و يزيد بن عياض وابو عبيده بن محمد بن عمار بن ياسر ان فتوح الردة كلها لخالد وغيره كان سنة احدى عشرة وكان مسير خالد الى العراق في اول سنة ثنتي عشرة الى ذي القعده منها وهذا القول هو الذي يدل عليه سياق تلك الوقايع

﴿ ذكر فتوح الشام ﴾

لما فرغ ابو بكر رضي الله عنه من اهل الردة واستقامت له العرب حدث نفسه بغزو الروم ولم يطلع عليه احد فبينما هو كذلك اذ رأى شرحبيل بن حسنه في المنام صورة غزو الشام و بعث الجند فجاءه شرحبيل وجلس اليه فقال ياخليفة رسول الله احدثت نفسك بالغزو وان تبعث الى الشام جندا قال نعم حدثت نفسي بذلك ولم يطلع عليه احد وما سألتني الا لشئ فاخبره شرحبيل بما رأى فاوله ابو بكر ببعثه جندا الى الشام وفتحها عليهم ثم انه بعد ذلك امر الامرا و بعث الى الشام البعوث وعن عبدالله بن ابى اوفى الخزاعي رضي الله عنه قال لما اراد ابو بكر رضي الله عنه ان يجهز الجنود الى الشام دعا عمر وعثمان وعليا وعبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص واباعبيدة ابن الجراح ووجوه المهاجرين والانصار من اهل بدر وغيرهم وشاورهم وكلهم استصوبوا رأى ابى بكر رضي الله عنه وقالوا ما رأيت من الرأى فأمضها نا سامعون لك مطيعون لا نخالف امرك وعلى رضي الله عنه في القوم لايتكلم فقال له ابو بكر ماذا ترى يا اباالحسن فقال ارى انك مبارك الامر ميمون النقيبه فانك ان سرت اليهم بنفسك او بعثت عليهم نصرت ان شاءالله تعالى قال بشرك الله بخير ومن اين علمت هذا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايزال هذاالدين ظاهرا على كل من ناواه حتى تقوم الساعه واهله ظاهرون فقال ابو بكر سبحان الله ما احسن هذا الحديث لقد سررتني سرك الله في الدنيا والآخرة ثم انه قام في الناس خطيبا ورغب الناس في الجهاد ثم امر بلالا فاذن في الناس انفروا ايها الناس الى جهاد عدوكم الروم بالشام ثم شرع في بعث الجيوش وكان ذلك في افتتاح سنة ثلاث عشرة من الهجرة وقيل في اول السنة التي قبلها حين بعث خالد بن الوليد الى العراق وكتب الكتب الى اهل مكة والطايف واليمن وغيرها فكتب لهم جميعا بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم فانى احمدالله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد عزمت ان اوجهكم الى ناحيه بلاد الشام لتأخذوها من ايدى الكفار والطغاة فمن عول منكم على الجهاد والصدام فليبادر الى طاعة الملك العلام ثم كتب انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ثم بعث الكتب اليهم واقام ينتظر قدومهم وكان الذى بعثه بالكتب التي لليمن انس بن مالك رضي الله عنه فما مرت الايام حتى قدم انس رضي الله عنه يبشره بقدوم اهل اليمن وقال ياخليفة رسول الله وحقك على الله ماقرأت كتابك على احد الابادر لطاعة الله ورسوله واجابوا دعوتك وقد تجهزوا فى العدد والعديد والزرد والنضيد وقد اقبلت اليك ياخليفة رسول الله مبشرا بقدوم الرجال فسر ابو بكر رضي الله عنه بقوله سرورا عظيما ثم عقد الالوية وامر الامراء وبعثهم الى الشام

افواجا يتبع بعضهم بعضا كلما اجتمع جماعة امرهم بالتوجه فمن الامراء الذين عقد لهم الالوية ابو عبيدة بن الجراح و يزيد بن ابى سفيان وربيعة ابن عامر وشرحبيل بن حسنه وخالد بن سعيد وعمرو بن العاص وغيرهم وجعل كل واحد اميرا على جماعة وامره بالتوجه الى الموضع الذى عينه له وجعل اباعبيده اميرا على الجميع وكلما توجه امير يودعه ابو بكر رضى الله عنه و يوصيه فكان يوصيهم بوصايا كثيرة منها تقوى الله وحسن الصحبة والمواظبة على الصلوات فى اوقاتها جماعة وان يصلح كل منهم نفسه حتى يصلح الله له الناس وان يكرموا رسل العدو اذا قدموا اليهم وان يقللوا لبثهم عندهم حتى يخرجوا من عسكرهم وهم جاهلون لم يطلعوا على شئ من الخلل وان يمنعوا عسكرهم من محادثتهم وان يكون الامير هو المتولى لكلامهم وان يكثروا الحرس و يفرقوهم فى العسكر وان يكثروا مفاجاتهم فى محارسهم بغير علم منهم فمن وجدوه غفل يعاقب بغير افراط وان يعاقب بينهم فى الليل و يجعل النوبة الاولى اطول من الاخيرة فانها ايسرهما لقرب الاخيرة من النهار وان لا يغفلوا عن العسكر فيفسدوا ولا يجسسوا عليهم فيفضحوهم ولا يكشفوا عن الناس اسرارهم بل يكتفوا بعلانيتهم وان يكثروا من مجالسة اهل الصدق والوفا وان يشاوروهم وان لا يجبنوا فيجبن الناس وان يجتنبوا الغلول فان الغلول يقرب الفقر و يدفع النصر وقال ستجدون اقواما حبسوا انفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا انفسهم له الى غير ذلك مما اوصاهم به وكان ابو بكر رضى الله عنه يدعو لهم اذا خرجوا من دعائه اللهم احفظهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم واحطط اوزارهم واعظم اجورهم ولما بلغ هرقل مسير جيوش المسلمين حشد جيوشه وكان بفلسطين فحث الناس وحرضهم على القتال عن دينهم وبلادهم ثم اتى دمشق ففعل مثل ذلك ثم اتى حمص ففعل مثل ذلك ثم اتى انطاكيه فاقام بها وبعث الى الروم فحشدهم فجاء منهم مالا يحصى ولما دنى ابو عبيدة من الجابيه اتاه آت فاخبره ان هرقل بانطاكيه وانه جمع من الجموع مالم يجمعه احد كان قبله من ابائه فكتب الى ابى بكر رضى الله عنه بذلك فجاءه الجواب بعده بالنصر ثقة بوعد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له انه يمده بالرجال ثم امدهم بجند مع هاشم بن عتبه بن ابى وقاص وسعيد ابن عامر و بجند مع معاوية مددا لاخيه يزيد وكان الناس اقبلوا من كل جهة يريدون الجهاد فكان ابو بكر رضى الله عنه كلما اجتمع اناس بعثهم مددا لمن سبقهم

لما عسكر هرقل بفلسطين والبلقا
بدمشق وحمص وانطاكيه والروم
اقام بانطاكيه

﴿ ذكر اول وقعة بالشام ﴾

اول وقعة بالشام كانت بالعربة من ارض فلسطين خرج ستة قواد من الروم مع كل قايد خمسمائه فكانوا ثلاثة الاف فبعث اليهم يزيد بن ابى سفيان ابا امامة الباهلى فى خمسمائه فحملوا عليهم وهزموهم وقتلوا كثيرا منهم وقائدا من قوادهم فاجتمع كثير من الروم بالدثنه فساروا اليهم فهزموهم وزحفت جيوش المسلمين حتى قربوا من الشام فعند ذلك فزع الروم وارسلوا الى ملكهم فامدهم بجموع كثيرة نحو تسعين الفا فنزلوا بثنية جلق باعلا فلسطين وعليهم اخو هرقل شقيقه ونزل هرقل بحمص وكان فى جهة فلسطين عمرو بن العاص بمن معه من المسلمين وبعث هرقل ستين الفا نحو ابى عبيدة بالجابيه وبعث جيشا قريبا من

ذلك

ذلك نحو يزيد بن ابي سفيان وكان نازلا بالبلقا وجيشا نحو شرحبيل بن حسنه وكان نازلا ببصرى فراى المسلمون ان الاجتماع اليق بهم من التفرق فاجتمعوا باليرموك وهو واد بناحية الشام وجاء الروم ايضا واجتمعوا باليرموك وصار الوادى خندقالهم واقام الجميع شهر صفر وشهرى ربيع لايقدرون منهم على شئ من الوادى والخندق ولايخرج الروم خرجة الا اخذهم المسلمون واديلوا عليهم فكانت بينهم وقعات ومناوشات فى تلك المده ولماراى المسلمون مطاولة الروم استمدوا ابابكر رضى الله عنه فكتب الى خالد ابن الوليد وهو بالعراق يأمره بالمسير اليهم وان يأخذ نصف الناس الذين عنده و يستخلف على النصف الاخر المثنى بن حارثة الشيبانى فسار خالد من العراق فى تسعة الاف وقيل فى ستة واغار فى طريقه على كثير من المشركين واخذهم وناله مشقة كثيره فى مسيره هذا وسار فى مفا وز ليس فيها ماء فامر صاحب كل جاعه ان يعطشوا بعض الابل المسنه ثم يسقوها الماء عللا بعد نهل والعلل الشربة الثانية والنهل الاولى ثم يصروا اذان الابل و يشدوا مشافرها لئلا تجتر ثم ساروا يوما وليله وشقوا بطون عشرة من الابل فرجوا ما فى كرشها من الماء بما كان من الالبان وسقوا ذلك للخيل ففعلوا ذلك اربعة ايام ولما وصل ثنية العقاب وهى من ارض الشام ناشرا رأيته وهى رأية سودا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب اغار على غسان وهم من نصارى العرب الذين بالشام فصبحهم وقتل وسبي وارسل سرية الى كنيسة بالغوطه فقتلوا الرجال وسبوا النسا وساقوا العيال الى خالد ثم سار حتى وصل الى بصرى فقاتل من بها فظفر بهم ثم صالحهم فكانت بصرى اول مدينة فتحت بالشام على يد خالد واهل العراق وقيل ان فتح بصرى كان بعد اليرموك ثم سار خالد فطلع على المسلمين فى ربيع الاخر وكان ابو بكر رضى الله عنه كتب لخالد ان يسير من العراق الى الشام و يلقى اباعبيدة ومن معه من المسلمين فاذا التقيتم فانت امير الجماعه والسلام فكتب خالد كتابا لابى عبيدة وارسله مع عمرو بن الطفيل الازدى وفيه اما بعد فانى اسأل الله لنا ولك الامن يوم الخوف والعصمة فى دار الدنيا من كل سوء وقد اتانى كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنى بالمسير الى الشام و بالقيام على جندها والتولى لامرها والله ماطلبت ذلك قط ولااردته اذ وليته فانت على حالك التى كنت عليه لا نعصيك ولانخالفك ولا نقطع دونك امرا فانت سيد المسلمين لا ننكر فضلك ولانستغنى عن رأيك تمم الله بنا و بك من احسان ورحمنا واياك من صلى النار والسلام عليك ورحمة الله و بركاته فلما قرأ ابو عبيدة كتاب خالد قال بارك الله لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رأى وحيا الله خالدا وكان ابو بكر رضى الله عنه كتب لابى عبيدة رضى الله عنه اما بعد فانى قد وليت خالدا قتال العدو بالشام فلا تخالفه واسمع له واطع فانى لم ابعثه عليك ان لا تكون عندى خيرا منه ولكننى ظننت ان له فطنة فى الحرب ليست لك اراد الله بنا و بك خيرا والسلام

﴿ ذكر وقعة اليرموك ﴾

لما وصل خالد بن الوليد وتكامل جمع المسلمين باليرموك وكانوا تسعة وثلاثين الفا سوى

ستة الاف مع عكرمة ابن ابي جهل وقيل كانوا ستة وثلاثين الفا سوى من كان مع عكرمه
فيكونون جميعا اربعين الفا وكان فيهم الف صحابي منهم نحو مائة ممن شهد بدرا وكان الروم
في ما ئتي الف واربعين الفا مقاتل منهم ثمانون الف مقيد واربعون الف مسلسل للموت
واربعون الف مربوطون بالعمائم لئلا يفروا وثمانون الف راجل وكان قتال المسلمين لهم
على التساند كل امير على اصحابه لم يجمعهم احد حتى قدم خالد من العراق وكان القسيسون
والرهبان يحرضون الروم شهرا ثم خرجوا الى القتال الذي لم يكن بعده
قتال في جمادى الاخرة فلما احس المسلمون بخروجهم ارادوا الخروج متساندين كما
كانوا قبل ذلك فنعهم خالد وسار فيهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان هذا يوم من ايام الله
لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي اخلصوا فيه جهادكم وارضوا الله بعملكم فان هذا يوم له
ما بعده ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبيه وانتم متساندون فان ذلك لا يحل ولا ينبغي وان
من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم و بين هذا فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون انه رأى
قالوا هات فالرأي قال ان ابابكر لم يبعثنا الا وهو يرى انا سنتياسر ولو علم بالذي كان لما
جمعكم ان الذي انتم فيه اشد على المسلمين مما قد غشيهم وانفع للمشركين من امدادهم ولقد
علمت ان الدنيا قد فرقت بينكم فالله الله فقد افرد كل رجل منكم ببلد لا ينتقصه منه ان دان من
الامرا ولا يزيد عليه ان دانوا له ان تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم هلموا فان هؤلاء قد تهيئوا وان هذا يوم له ما بعده ان رددناهم الى
خندقهم اليوم لم نزل نردهم وان هزمونا لم نفلح بعده فهلموا فلنتناوب الامارة فليكن بعضنا
اليوم والاخر غدا والاخر بعد غد حتى تتأمر واكلكم ودعوني اتأمر اليوم فامروه وهم
يرون انها كخرجاتهم فخرجت الروم في تعبية لم يرا الراؤن مثلها قط وخرج خالد في تعبية لم
تعبها العرب قبل ذلك فخرج في ستة وثلاثين كردوسا فجعل القلب كراديس واقام فيه ابا
عبيدة وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنه وجعل الميسره
كراديس وعليها يزيد بن ابي سفيان وجعل القعقاع بن عمرو على كردوس وجعل على كل
كردوس رجلا من الشجعان وكان القاضي ابو الدردا والقاص ابو سفيان ابن حرب وعلى
الطلايع قباث بن اشيم وعلى الاقباض عبدالله ابن مسعود وقال رجل لخالد ما اكثر الروم
واقل المسلمين فقال خالد ما اكثر المسلمين واقل الروم انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان
والله لوددت ان الاشقر يعني فرسه برأ من توجيه وانهم اضعفوا في العدد وكان فرسه قد
حفي في مسيره فامر خالد عكرمة بن ابي جهل والقعقاع ابن عمرو فانشبا القتال والتحم الناس
وتطارد الفرسان وتقاتلوا فاذهم على ذلك قدم البريد من المدينه واسمه محمية بن زنيم
فسألوه الخبر فاخبرهم بسلامة وامداد مع انه انما جاء بخبر وفاة ابي بكر رضي الله عنه
واستخلاف عمر بن الخطاب وعزل خالد وولاية ابي عبيدة فبلغه خالدا وابا عبيدة سرا
وبينما هم كذلك اذ خرج فارس من فرسان الروم يقال له جرجة الى بين الصفين وطلب خالدا
فخرج اليه وامن كل منهما صاحبه فقال جرجة ياخالد اخبرني واصدقني ولا تكذبني فان
الحر لا يكذب ولا تخادعني فان الكريم لا يخادع المسترسل هل انزل الله على نبيكم سيفا من

السماء فاعطاكه فلاتسله على قوم الا هزمتهم قال لا قال فلم سميت سيف الله فقال ان الله بعث فينا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فكنت فيمن كذبه وقاتله ثم ان الله هدانى فتابعته فقال انت سيف الله سله الله على المشركين ودعالى بالنصر قال فاخبرنى الى م تدعو قال خالد الى الاسلام او الجزية او الحرب قال فما منزلة الذى يجيبكم ويدخل فيكم قال منزلتنا واحدة قال فهل له مثلكم من الاجر والذخر قال نعم وافضل لانا اتبعنا نبينا وهو حى يخبرنا بالغيب ونرى منه العجائب والآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا ان يسلم وانتم لم تروا مثلنا ولم تسمعوا مثلنا فمن دخل منكم بنية وصدق كان افضل منا فقلب جرجة فرسه وسار مع خالد واسلم وعلمه الاسلام واغتسل وصلى ركعتين ثم خرج مع خالد فقاتل الروم وحملت الروم حملة ازالوا المسلمين عن مواقفهم الى المحاميه وعليهم عكرمه ابن ابى جهل وعمه الحارث بن هشام رضى الله عنهما فقال عكرمة قاتلت مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم أفر اليوم ثم نادى من يبايع على الموت فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الازور فى اربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى اثبتوا جميعا جراحا فمنهم من برى ومنهم من مات وقاتل خالد وجرجة قتالا شديدا فقتل جرجة عند اخر النهار وصلى الناس الظهر والعصر ايماء وتضعضع الروم وحمل خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم فانهزم فرسانهم وتركوا الرجالة ولما راى المسلمون خيل الروم قد توجهت للهرب افرجوا لها فتفرقت وقتل الرجالة واقتحموا فى خندقهم فاقتحموه عليهم وهوى فيه المقترنون وغيرهم ثمانون الفا من المقترنين واربعون الفا مطلق سوى من قتل فى المعركة وتجلل الفيقار وجماعة من اشراف الروم برانيسهم وجلسوا فقتلوا متزملين ودخل خالد الخندق ثم نزل فى خيمة تذارق اخى هرقل فلما اصبحوا اتى خالد بعكرمه بن ابى جهل جريحا فوضع رأسه على فخذه وبعمر بن عكرمة فجعل رأسه على ساقه ومسح وجوههما وقطر فى حلوقهما الماء وكان مع المسلمين كثيرا من النسا فقاتلن فى ذلك اليوم قتالا كثيرا وفى السيره الحلبيه وكان ابو سفيان بن حرب فى ذلك اليوم يقاتل ويحرض المسلمين على القتال ويقول الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم الله واصيبت احدى عينيه فى ذلك اليوم فصار اعمى لانه اصيبت عينه الاخرى فى غزوة الطايف فجاء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم وسأله ان يدعو الله ويردها له فقال له ان شئت دعوت الله وان شئت خيرا منها فى الجنة فرمى بها وقال خير منها فى الجنة قال انس بن مالك رضى الله عنه رأيته فى خلافة عثمان رضى الله عنه وهو اعمى يقوده قايد فيدخل به على عثمان رضى الله عنه ولما انهزمت الروم كان هرقل بحمص فنادى بالرحيل عنها وجعلها بينه وبين المسلمين وامر عليها اميرا كما امر على دمشق وكان من اصيب من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو وعمه الحارث ابن هشام وسلمة بن هشام وعمرو بن سعيد وابان بن سعيد والطفيل بن عمرو وطليب ابن عمير وهشام بن العاص اخو عمرو بن العاص وعياش بن ابى ربيعه وسعيد بن الحارث ابن قيس بن عدى السهمى ونعيم بن النحام والنضير ابن الحارث العبدرى اخو النضر بن الحارث الذى قتل كافرا يوم بدر وابو الروم بن عمير العبدرى اخو مصعب بن عمير وقيل قتلوا يوم اجنادين اخرج ابن عساكر عن الزهرى ان عكرمة بن ابى جهل رضى الله عنه كان يوم اليرموك

اعظم الناس بلاء وانه كان يركب الاسنة ويقاتل قتالا شديدا حتى جرحت الاسنة صدره ووجهه فقالوا له اتق الله وارفق بنفسك فقال كنت انا وابى من اشد الناس على النبي صلى الله عليه وسلم وكنت اقاتل عن اللات والعزى فابذل نفسي لها فكيف استبقيها الآن عن الله ورسوله لا والله ابدا قال فلم يزدد الا اقداما حتى مات يومئذ ووجدوا به بضعا وسبعين ما بين ضربة وطعنة ورمية واخرج ابن المبارك والبيهقي ان عكرمة بن جهل ترجل يوم كذا يقاتل فقال خالد بن الوليد لا تفعل فأن قتلك على المؤمنين شديد فقال خل عني يا خالد فانه قد كان لك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقة وانى وابى كنا من اشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى وقاتل حتى قتل وكان عكرمة يعظم القرآن غاية التعظيم وذكر الامام الغزالي في كتاب اداب تلاوة القرآن من احياء علوم الدين ان عكرمة المذكور كان اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي وروى ابو نعيم وابن منده وابن عبد البر عن حبيب بن ابي ثابت ان الحارث بن هشام وابن اخيه عكرمة ابن ابي جهل وعياش بن ابي ربيعة اخو الحارث بن هشام لامه جرحوا يوم اليرموك فلما اثبتوا دعى الحارث بن هشام بماء ليشربه فنظر اليه عكرمة فقال ادفعه الى عكرمة فلما اخذه عكرمة نظر اليه عياش فقال ادفعه الى عياش فما وصل الى عياش حتى مات ولا وصل الى واحد منهم حتى ماتوا رضي الله عنهم وهذا شأنهم كلهم في هذا الايثار ومما يدل على ذلك ان مثل هذه القصة بعينها قد تكررت من كثير منهم فقد روى ابن المبارك عن ابي جهم ابن حذيفة العدوى قال انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شنة من ماء وآناء فقلت ان كان به رمق سقيته من الماء ومسحت به وجهه فاذا انا به ينشغ فقلت اسقيك فاشار اى نعم فاذا رجل يقول اه فاشار ابن عمى ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص اخو عمرو بن العاص رضي الله عنهما فأتيته فقلت اسقيك فسمع آخر يقول آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئت فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فأتيت ابن عمى فاذا هو قد مات رحمهم الله تعالى ورضي عنهم وهذا الذي ذكرناه في وقعة اليرموك هو اصح الاقوال وكذا كونها في سنة ثلاث عشرة هو اصح الاقوال وانها قبل فتح الشام وقيل انها بعد وقعة اجنادين وبعد فتح الشام وان وقعة اليرموك واجنادين كانا سنة خمس عشرة وقيل في وقعة اليرموك ان جيش الروم كان ستمائة الف وقيل الف الف وكان مع الروم من العرب المتنصرة ستون الفا من غسان ولخم وجذام وان القتال كان بين المسلمين ومتنصرة العرب فلما هزموا زحف الروم بجيوشهم ودام الحرب اياما كثيرة الى ان تمت الهزيمة على الروم وكان القتلى من الروم لا يحصى عددهم وقيل كانوا مائة الف وخمسة آلاف والاسرى كانوا اربعين الفا وان قتلى المسلمين اربعة آلاف ولما قسمت الغنائم اصاب الفارس اربعة وعشرين الف مثقال من الذهب الاحمر والراجل ثمانية آلاف وكذلك من الفضة واتبع خالد ابن الوليد المنهزمين من الروم الى قريب دمشق الشام ومعه كثير من المسلمين يقتلون ويأسرون فيهم وكانت وقعة اليرموك من اعظم وقايع الاسلام ومن المعجزات الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

* *
*

ذكر

﴿ ذكر وقعة اجنادين ﴾

الاكثرون على انها بعد اليرموك وقيل انما كانت قبل اليرموك وحاصلها ان الروم اجتمع كثير من جنودهم قيل انهم كانوا تسعين الفا باجنادين فسار لهم جيوش المسلمين ونازلوهم وكان على الروم تذارق اخو هرقل لابويه وقيل كان على الروم القيقلان واجنادين يروى بكسر الدال وفتحها بين الرمله وبيت جبرين من ارض فلسطين ولما نزلت الروم باجنادين واجتمعت المسلمون وعسكروا عليهم بعث القيقلان رجلا عربيا الى المسلمين يأتيه بخبرهم فدخل فيهم واقام يوما وليلة ثم عاد اليه فقال ماوراءك قال وجدت قوما رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار ولو سرق ابن ملكهم قطعوه ولو زنى رجموه لاقامة الحق فيهم فقال ان كنت صدقتني لبطن الارض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ثم انتشب القتال بين المسلمين والروم وكان قتالا شديدا قتل فيه من المشركين في المعركة ثلاثة آلاف وقيل ان قتلاهم بلغوا خمسين الفا وقتلى المسلمين اربعمائة وخمسه وسبعون واتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون ثم تحصن المنهزمون منهم في المدائن العظام كدمشق وحمص وايليا وقيساريه واستشهد رجال من المسلمين منهم الفضل بن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه وضرار ابن الخطاب الفهري وآخرون رحمهم الله ورضي عنهم وقتل تذارق اخو هرقل في وقعة اجنادين وقيل في وقعة اليرموك

﴿ ذكر فتح دمشق ﴾

لما انهزم الروم جاء الخبر لابي عبيدة انهم اجتمع لهم جيش بفحل بكسر الفاء وهو موضع بناحية الشام واتاه الخبر ايضا بان اهل دمشق جاءهم مدد من حمص فكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فجاءه الجواب يأمره فيه بان يبدأ بدمشق فانها حصن الشام وبيت ملكهم وان يشغل اهل فحل بخيل تكون بازائهم واذا فتح دمشق سار الى فحل فاذا فتحت سار هو وخالد الى حمص وترك شرحبيل ابن حسنه وعمرو ابن العاص بالاردن وفلسطين فامتثل ابو عبيدة امر عمر رضي الله عنه فارسل الى فحل طائفة من المسلمين فنزلوا قريبا منها وبثق الروم الماء حول فحل فوحلت الارض فنزل عليهم المسلمون فكان اول محصور بالشام اهل فحل ثم اهل دمشق وفلسطين وبعث ابو عبيدة جندا فنزلوا بين حمص ودمشق وارسل جندا آخر فكانوا بين دمشق وفلسطين وسار ابو عبيدة وخالد فقدموا على دمشق وعليها نسطاس فنزل ابو عبيدة على ناحية وخالد على ناحية وعمرو بن العاص على ناحية ويزيد ابن ابي سفيان على ناحية فحصرهم المسلمون سبعين ليلة حصارا شديدا وقاتلوهم بالزحف والمجانيق وجاءت خيول من هرقل مغيثة دمشق فمنعتها خيول المسلمين التي عند حمص فخذل اهل دمشق وطمع فيهم المسلمون واتخذ خالد بن الوليد حبالا كهيئة السلالم وادهاقا والدهق الحبل يرمى في انشوطة فتؤخذ به الدابة والانسان فلما امسى ذلك اليوم نهض هو ومن معه من جنده الذين قدم عليهم وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور وامثالهما فاثبتوا الحبال بالشرف وكان ذلك الموضع احصن موضع بدمشق واكثره ماء فصعد المسلمون ثم انحدر خالد واصحابه وترك بذلك الموضع من يحميه وامرهم بالتكبير فكبروا فاتاهم المسلمون الى الباب والى الحبال وانتهى

قوله وادهاقا الخ الدهق حبل يرمى في انشوطة فتؤخذ به والانسان

خالد الى من يليه فقتلهم وقصد الباب فقتل البوابين وثار اهل المدينة لايدرون ما الحال وتشاغل اهل كل ناحية بما يليهم وفتح خالد الباب وقتل من عنده من الروم فلما رأى الروم ذلك قصدوا الجهة الاخرى التى فيها ابو عبيدة وقصدوا ابا عبيدة و بذلوا الصلح فقبل منهم وفتحوا له الباب الذى من جهته وقالوا له ادخل وامنعنا من اهل ذلك الجانب ولم يعلم ابو عبيدة بما صنع خالد ودخل اهل كل باب بصلح مما يليهم غير الباب الذى دخل منه اصحاب خالد ودخل خالد عنوة فالتقى خالد وابو عبيدة فى وسط المدينة هذا قتلا ونهبا وهذا صفحا وتسكينا فامر ابو عبيدة خالدا ان يكف وقال انى صالحت القوم فقال خالد انى دخلتها عنوة فتنازعا فى ذلك ثم اجروا ناحية خالد مجرى الصلح وكان صلحهم على المقاسمة وقسموا معهم الجنود التى عند فحل وعند حمص وغيرهم ممن هو رده للمسلمين هذا هو الصحيح فى كيفية دخول خالد وابى عبيده وقيل ان خالدا ومن معه نقبوا جانبا من السور ودخلوا معه و يمكن ان جماعة منهم دخلوا بالحبال التى صنعها وجماعة آخرون نقبوا جانبا من السور واما ابو عبيدة و بقية الامراء فانهم دخلوا بالصلح الذى عقد مع ابى عبيده وقد تقدم ان خبر وفاة ابى بكر واستخلاف عمر وعزل خالد وتولية ابى عبيدة جاءهم وهم فى قتال اليرموك سنه ثلاث عشرة وفتح دمشق كان فى رجب سنة اربع عشرة فى خلافة عمر رضى الله عنه وقيل انما جاءهم خبر وفاة ابى بكر بعد فتح دمشق سنه ثلاث عشره و ان وفاة ابى بكر رضى الله عنه كان فى الليلة التى دخلوا فيها دمشق وكان ذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة والقائلون بان خبر وفاته انما جاء بعد فتح دمشق هم القائلون بان وقعة اليرموك كانت بعد فتح دمشق وانها سنة خمس عشرة والقول الاول اصح وانما عزل عمر رضى الله عنه خالدا لانه كان ينقم عليه قتل مالك بن نويره وقال ايضا ان خالدا فيه تبذير للمال يعطى الشاعر اذا مدحه و يعطى للمجاهد والفارس بين يديه فوق مايستحق ولا يبقى لفقراء المسلين ولا لضعفائهم شيأ وكان ذلك اجتهادا من عمر وماوقع من خالد كان ايضا باجتهاد وكل منهما ماجور ولا يريد الا الحق ولما جاء امر عمر رضى الله عنه بعزله امتثل امره وما زال ابو عبيدة يستشيره ولا يعمل الا برأيه ومشورته وكان كل منهما يعرف قدر صاحبه وما خص به من الفضايل رضى الله عنهم ولما فتحت دمشق ارسل ابو عبيده لعمر رضى الله عنهما بالفتح فكان لعمر واهل المدينة سرور كثير عند ورود خبر الفتح وكتب له عمر ان يرسل الجند الذى جاؤا من العراق مع خالد فارسلهم الى العراق وامر عليهم هاشم بن عتبة بن ابن وقاص و بقى خالد مع ابى عبيده وسيأتى ان شاء الله الكلام على بقية فتوحات العراق

﴿ ذكر غزوة فحل ﴾

بكسر الفاء و بالحاء المهملة لما فتحت دمشق سار ابو عبيده الى ﴿ فحل ﴾ واستخلف على دمشق يزيد ابن ابى سفيان و بعث خالدا على المقدمة وعلى الناس شرحبيل بن حسنه وكان على الجنبتين ابو عبيده وعمرو ابن العاص وعلى الخيل ضرار بن الازور وعلى الرجال

عياض بن غنم وتقدم ان الروم بثقوا الماء حول فحل فوحلت الارض فنازل المسلمون اهل فحل و بينهم و بين الروم تلك المياه و الاوحال وكتب المسلمون الى عمر رضي الله عنه واقاموا ينتظرون الجواب فاغترهم الروم فخرجوا عليهم وكان على الروم سقلار ابن الخارق فاتوهم والمسلمون حذرون وكان شرحبيل بن حسنه لايبيت ولا يصبح الاعلى تعبية فلما هجموا على المسلمين لم يناظروهم فاقتتلوا اشد القتال ليلتهم و يومهم واظلم الليل عليهم فانهزم الروم وهم حيارى وقد اصيب رئيسهم سقلار والذى يليه نسطوس وظفر المسلمون بهم وركبوهم ولم تعرف الروم مأخذهم فانتهت بهم الهزيمة الى الوحل فركبوه ولحقهم المسلمون فاخذوهم بحيث انهم صاروا لايمنعون يد لامس فوخزوهم بالرماح فكانت الهزيمة بفحل والقتل بالردغ فاصيب الروم وهم ثمانون الفا لم يفلت منهم الا الشريد وقدكان الله يصنع بالمسلمين خيرا وهم كارهون كرهو البثوق والوحل فكانت عونا لهم على عدوهم وغنموا اموالهم واقتسموها ثم سار ابو عبيدة وخالد ومن معهما الى الى حمص وسيأتى ذكر ذلك

﴿ ذكر فتح بلاد ساحل دمشق ﴾

لما استخلف ابو عبيدة يزيد ابن سفيان على دمشق وسار الى فحل بعث يزيد دحية الكلبي الى تدمر وابا الازهر القشيرى الى حوران فصالحوهما ووليا عليهما وسار يزيد الى مدينة صيدا وعرقه وجبيل و بيروت وهى سواحل دمشق وعلى مقدمته اخوه معاوية ففتحها فتحا يسيرا وجلا كثير من اهلها وتولى فتح عرق معاوية بنفسه فى ولاية اخيه يزيد ثم ان الروم غلبوا على بعض هذه السواحل فى آخر خلافة عمر واول ولاية عثمان فقصدهم معاوية ففتحها ثم رمها وشحنها بالمقاتلة واعطاهم القطائع ولما ولى عثمان الخلافة جمع لمعاوية الشام كله فوجه معاوية سفيان ابن نجيب الازدى الى طرابلس وهى ثلاث مدن مجتمعة ثم بنى فى مرج على اميال منها حصنا يسمى حصن سفيان فقطع المادة عن اهلها من البر والبحر وحاصرهم فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا فى احد الحصون الثلاثه وكتبوا الى ملك الروم يسألونه ان يمدهم او يبعث اليهم بمراكب يهربون فيها الى الروم فوجه اليهم بمراكب كثيرة وركبوا فيها ليلا وهربوا فلما اصبح سفيان وكان يبيت هو والمسلمون فى حصنه ثم يغدوا على العدو فوجد الحصن خاليا فدخله وكتب بالفتح الى معاوية فاسكنه معاوية جماعة كثيرة من اليهود وهو الذى فيه المينا اليوم ثم بناه عبدالملك ابن مروان وحصنه ثم نقض اهله ايام عبدالملك ففتحه ابنه الوليد فى زمانه

﴿ ذكر فتح بيسان وطبريه ﴾

لما قصد ابو عبيدة حمص من فحل ارسل شرحبيل بن حسنه ومن معه الى بيسان فقاتلوا اهلها فقتلوا منهم خلقا كثيرا ثم صالحهم من بقى مثل صلح دمشق فقبل ذلك منهم وكان ابو عبيدة قد بعث ابا الاعور السلمى الى طبريه يحاصرهم فصالحه اهلها على مثل صلح دمشق ايضا وان يشاطروا المسلمين المنازل فنزلها القواد وخيولها وكتبوا بالفتح الى عمر رضي الله عنه ولقرب الزمن فى تلك الغزوات وقرب بعضها من بعض اختلفوا فى تقدم بعضها على

بعض والامر فى ذلك سهل

﴿ ذكر الوقعة بمرج الروم ﴾

لما سار ابو عبيدة وخالد ومن معهما من فحل قاصدين حمص بلغ الخبر هرقل فبعث جيشا عليهم توزر البطريق فنزل بمرج الروم غرب دمشق ونزل ابو عبيده ايضا بمرج الروم ونازله يوم نزوله شنش الرومى فى مثل جيش توزر مددا لتوزر وعونا لاهل حمص فلما نزل اصبحت الارض من توزر بلاقع وكان خالد بازائه وابو عبيدة بازاء شنش وسار توزر يطلب دمشق فلما علم خالد بمسيره سار خلفه فى جمع من معه وبلغ يزيد بن ابى سفيان فعل توزر فخرج من دمشق واستقبله فاقتتلوا ولحق بهم خالد وهم يقتتلون فاخذهم من خلفهم ولم يفلت منهم الا الشريد وغنم المسلمون مامعهم فقسمه يزيد فى اصحابه واصحاب خالد وعاد يزيد الى دمشق ورجع خالد الى ابى عبيدة وقد قتل توزر وقاتل ابو عبيدة شنش فاقتتلوا بمرج الروم فقتلت الروم مقتلة عظيمة وقتل شنش وتبعهم المسلمون الى حمص فلما بلغ هرقل ذلك امر بطريق حمص بالمسير اليها وكان عنده وسار هو الى الرها وسار ابو عبيدة الى حمص

﴿ ذكر فتح حمص وبعلبك وغيرهما ﴾

لما فرغ امر مرج الروم سار ابو عبيدة والمسلمون الى حمص فنازلوها وقاتلوا اهلها فكانوا يغادونهم القتال ويراوحونهم فى كل يوم بارد ولقى المسلمون بردا شديدا ولقى الروم حصارا طويلا فصبر المسلمون والروم وكان هرقل قد ارسل الى حمص يعدهم المدد وامر اهل الجزيرة جميعها بالتجهز الى حمص فساروا نحو الشام ليمنعوا حمص عن المسلمين فسير سعد بن ابى وقاص من العراق السرايا الى هيت وحصروها وسار بعضهم الى قرقيسا فتفرق اهل الجزيرة وعادوا عن نجدة اهل حمص فكان اهلها يقولون تمسكوا بمدينتكم فانهم حفاة فاذا اصابهم البرد تقطعت اقدامهم فكانت اقدام الروم تسقط ولا يسقط للمسلمين اصبع فلما خرج الشتا قام شيخ من الروم فدعاهم الى مصالحة المسلمين فلم يجيبوه وقام اخر فلم يجيبوه فناجزهم المسلمون فكبروا تكبيرة فانهدم كثير من دور حمص * وزلزلت حيطانهم فتصدعت فكبروا ثانية فاصابهم اعظم من ذلك فخرج اهلها اليهم يطلبون الصلح ولا يعلم المسلمون بما حدث فيهم فاجابوهم وصالحوهم على مثل صلح دمشق وانزلها ابو عبيدة السمط بن الاسود الكندى فى بنى معاوية والاشعث بن ميناس فى السكون والمقداد فى بلى وانزلها غيرهم ايضا وبعث بالاخماس الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع عبدالله بن مسعود وكتب عمر الى ابى عبيدة ان اقم بمدينتك وادع اهل القوة من عرب الشام فانى غير تارك البعثة اليك ثم استخلف ابو عبيدة على حمص عبادة ابن الصامت وسار الى حماه فتلقاه اهلها مذعنين فصالحهم ابو عبيدة على الجزية لرؤسهم والخراج على ارضهم ومضى نحو شيزر فخرج اليه اهلها يسألونه الصلح على ماصالح عليه اهل حماه فصالحهم وسار الى معرة حمص وهى معرة النعمان نسبت معره الى النعمان بن بشير الانصارى رضى الله عنه فاذا عنوا له بالصلح على ماصالح اليه اهل حمص ثم اتى اللاذقية فقاتله اهلها وكان لها باب عظيم يفتحه جمع من الناس فعسكر المسلمون على

بعد منها ثم امر فحفر حفاير عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكبا ثم اظهروا انهم عابرون عنها ورحلوا فلما جنهم الليل عادوا واستتروا في تلك الحفاير واصبح اهل اللاذقيه وهم يرون ان المسلمون قد انصرفوا عنهم فاخرجوا اسرحهم وانتشروا بظاهر البلد فلم يرعهم الا والمسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينة وملكت عنوة وهرب قوم من النصارى ثم طلبوا الامان على ان يرجعوا الى ارضهم فقوطعوا على خراج يودونه قلوا او كثروا وتركت لهم كنيستهم وبنى المسلمون باللاذقية بها مسجدا جامعا بناه عبادة بن الصامت ثم وسع فيه بعد ولما فتح المسلمون اللاذقية جلا اهل جبله من الروم عنها فلما كان زمن معاوية بنى حصنا خارج الحصن الرومي وشحنه بالرجال وفتح المسلمون مع عبادة ابن الصامت انطرسوس وكان حصنا فجلا عنه اهله فبنى معاوية مدينة انطرسوس ومصرها واقطع بها القطائع المقاتلة وكذلك فعل ببانياس وفتح سلميه ايضا

﴿ ذكر فتح قنسرين ودخول هرقل القسطنطنية ﴾

ثم ارسل ابو عبيدة خالد بن الوليد الى قنسرين فلما نزل الحاضر زحف اليهم الروم وعليهم ميناس وكان من اعظم الروم بعد هرقل فاقتتلوا وقتل ميناس ومن معه مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها فاتوا على دم واحد وسار خالد حتى نزل على قنسرين فتحصنوا منه فقال المسلمون لهم لو كنتم في السحاب لحملنا الله اليكم او لانزلكم الينا فنظروا في امرهم ورأوا ما لقي اهل حمص فصالحوهم على مثل صلح حمص فابى خالد الا على خراب المدينة فاخربها فعند ذلك دخل هرقل القسطنطنية وسببه ان خالدا وعياضا ادربا الى هرقل من الشام وادرب عمر وابن مالك من الكوفة فخرج من ناحية قرقيسا وادرب عبدالله ابن المعتمر من ناحية الموصل ثم رجعوا فعندها دخل هرقل القسطنطنية فلما بلغ عمر صنيع خالد قال امر خالد نفسه يرحم الله ابابكر هو كان اعلم بالرجال مني وقد كان عزله والمثنى بن حارثة وقال اني لم اعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت ان يوكلوا اليهما ولما سار هرقل الى القسطنطنية خرج من الرها فنزل بشمشاط ثم ادرب منها الى القسطنطنية فلما اراد المسير من شمشاط علا على نشز ثم التفت الى الشام فقال السلام عليك ياسورية سلام لا اجتماع بعده ولا يعود اليك رومي ابدا الا خائفا حتى يولد المولود المشئوم وياليته لم يولد فما احلى فعله وامر فتنته على الروم ثم سار فدخل القسطنطنية واخذ اهل الحصون التي بين اسكندرونه وطرسوس معه لئلا يسير المسلمون في عمارة ما بين انطاكيه وبلاد الروم وشعث الحصون فكان المسلمون لا يجدون بها احدا وربما كمن عندها الروم فاصابوا من المتخلفين فاحتاط المسلمون لذلك

﴿ ذكر فتح حلب وانطاكيه وغيرهما من العواصم ﴾

لما فرغ ابو عبيدة من قنسرين سار الى حلب فبلغه ان اهل قنسرين نقضوا وغدروا فوجه اليهم السمط الكندي فحصرهم وفتحها واصاب فيها بقرا وغنما فقسم بعضه في جيشه وجعل بقيته في المغنم ووصل ابو عبيدة الى حاضر حلب وهو قريب منها فجمع

اصنافا من العرب المتنصرة فصالحهم ابو عبيدة على الجزية ثم اسلموا بعد ذلك واتى حلب فتحصن اهلها وحصرهم المسلمون فلم يلبثوا ان طلبوا الصلح والامان على انفسهم واولادهم ومدينتهم وكنايسهم وحصرهم فاعطوا ذلك واستثنى عليهم موضع المسجد ثم سار ابو عبيدة الى انطاكيه وقد تحصن بها كثير من الخلق من قنسرين وغيرها وحاصرها من جميع الجوانب ثم انهم صالحوه على الجلا او الجزية فجلا بعض واقام بعض فامنهم ثم نقضوا فوجه اليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الاول وكانت انطاكيه عظيمة الذكر عند المسلمين فلما فتحت كتب عمر الى ابي عبيدة ان رتب بانطاكيه جماعة من المسلمين واجعلهم بها مرابطه ولا تحبس عنهم العطا وبلغ ابا عبيدة ان جمعا من الروم بين معرة مصرين وحلب فسار اليهم فلقيهم فهزمهم وقتل عدة بطارقه وسبي وغنم وفتح معرة مصرين على مثل صلح حلب وجالت خيوله فبلغت بوقا وفتحت قرى الجومه وسرمين و تيزين وغلبوا على جميع ارض قنسرين وانطاكيه ثم اتى ابو عبيدة حلب وقد التاث اهلها فلم يزل بهم حتى ازعنوا وفتحوا المدينة وسار ابو عبيدة يريد قورس فلقيه راهب من رهبانها يهم يسأله الصالح فصالحه على مثل صلح انطاكيه و بث خيله فغلب على جميع ارض قورس وفتح تل عزاز ثم سار الى منبج وصالحه اهلها على مثل صلح انطاكيه وسير عياض بن غنم الى ناحية دلوك وعبان فصالحه اهلها على مثل صلح منبج وولى ابو عبيدة كل كورة فتحها عاملا وضم اليه جماعة وشحن النواحي المخوفه وسار الى بالس وبعث جيشا مع حبيب ابن مسلمه الى قاصرين فصالحهم اهلها على الجزية او الجلا فجلي اكثرهم الى بلد الروم وارض الجزيره وقرية جسر منبج واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية الى الفرات وعاد ابو عبيدة الى فلسطين وكان بجبل اللكام مدينة يقال لها جرجومه واهلها يقال لهم الجراجمه فسار اليهم حبيب بن مسلمه من انطاكية فافتتحها صلحا على ان يكونوا عونا للمسلمين وسير ابو عبيدة جيشا مع ميسرة بن مسروق العبسي فسلكوا درب بغراسي من اعمال انطاكيه الى بلاد الروم فلقي جمعا للروم معهم عرب من غسان وتنوخ واياد يريدون اللحاق بهرقل فاوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ولحق به مالك بن الحارث الاشتر النخعي مددا من قبل ابي عبيده وهو بانطاكيه فسلموا وعادوا وسير ابو عبيدة جيشا اخر الى مرعش مع خالد ابن الوليد ففتحها على جلا اهلها بالامان واخربها وسير جيشا اخر مع حبيب بن مسلمة الى حصن الحدث فملكه وكل هذه الفتوحات كانت من سنة ثلاث عشرة الى سنة خمس عشرة يتلو بعضها بعضا فى ازمان متقاربة وكان فيها ايضا فتح قيساريه وحصر غزة

﴿ ذكر فتح قيساريه وحصر غزه ﴾

فى سنة خمس عشرة على الصحيح كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى يزيد ابن ابى سفيان ان يرسل معاوية الى قيساريه وكتب عمر ايضا الى معاوية يامره بذلك فسار معاوية اليها فحصر اهلها فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردهم الى حصنهم ثم زاحفوه اخر ذلك

مستميتين

مستميتين فهزمهم وقتل فيهم مقتلة عظيمة وبلغت قتلاهم فى المعركة ثمانين الفا وكلها فى هزيمتهم مائة الف وفتحها وكان علقمة بن مجزز قد حصر القيقار بغزه وجعل يراسله فلم يشفه احد بما يريد فاتاه كأنه رسول علقمة فامر القيقار رجلا ان يقعد له فى الطريق اذا رجع فاذا مر به قتله ففطن علقمه فقال للقيقار ان معى نفرا يشركوننى فى الرأى فأنطلق فاتيك بهم فبعث القيقار الى ذلك الرجل ان لايعرض له فخرج علقمة من عنده فلم يعد فكان فعله هذا كما فعل عمرو بن العاص بالارطبون كما سيأتى ومجزز بجيم وزايين

﴿ ذكر فتح بيسان ووقعة اجنادين ﴾

لما انصرف ابو عبيدة وخالد رضى الله عنهما الى حمص نزل عمرو ابن العاص وشرحبيل رضى الله عنهما على اهل بيسان فافتحاها وصالحا اهل الاردن واجتمع عسكر الروم بغزه واجنادين وبيسان وسار عمرو وشرحبيل الى الارطبون ومن معه وكان الارطبون باجنادين واستخلف على الاردن ابا الاعور السلمى وكان الارطبون ادهى الروم وابعدها غورا وكان قد وضع جندا عظيما بايليا وجندا عظيما بالرمله فلما بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخبر قال قدرمينا ارطبون الروم بارطبون العرب يعنى عمرو بن العاص فانظروا عم تنفرج وكان معاوية قد شغل اهل قيسارية عن عمرو وكان عمرو قد جعل علقمة بن حكيم القراسى ومسروق العكى على قتال ايليا فشغلوا من به عنه وجعل ايضا ابا ايوب المالكى على من بالرمله من الروم فشغلهم عنه وتتابعت الامداد من عند عمر الى عمرو واقام عمرو على اجنادين لايقدر من الارطبون على شئ ولاتشفيه الرسل فسار اليه بنفسه فدخل عليه كانه رسول ففطن به الارطبون وقال لاشك ان هذا هو الامير اومن يأخذ الامير برأيه فامر انسانا ان يقعد على طريقه اذا رجع ليقتله وفطن عمرو لفعله فقال له قد سمعت منى وسمعت منك وقد وقع لك منى موقعا وانا واحد من عشرة بعثنا عمرو اليك فأرجع فأتيك بهم الآن فان راوا الذى عرضت على الآن فقدرأه الامير واهل العسكر وان لم يروه رددتهم الى مأمنهم فقال نعم ورد الرجل الذى امره بقتله فخرج عمرو من عنده ثم علم الرومى انها خدعة اختدعه بها فقال هذا ادهى الخلق وبلغت خديعته عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال لله در عمرو وعرف عمرو مأخذه اذا قاتله فقاتله باجنادين قتالا شديدا حتى كثرت القتلى بينهم وانهزم ارطبون الى ايليا ونزل عمرو اجنادين وافرج المسلمون الذين يحصرون بيت المقدس لارطبون فدخل بيت المقدس

﴿ ذكر فتح بيت المقدس ﴾

كان فتح بيت المقدس سنة خمس عشرة من الهجرة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل سنة ست عشرة فى ربيع الاول وسبب ذلك انه لما دخل ارطبون بيت المقدس فتح عمرو بن العاص غزة ثم فتح سبطية وفيها قبر يحيى ابن زكريا عليهما الصلاة والسلام وفتح نابلس بامان على الجزية وفتح مدينة لد ثم فتح تبق وعمواس وبيت جيرين ويافا وقيل فتحها معاوية وفتح عمرو مرج عيون فلما تم له ذلك ارسل الى ارطبون رجلا يتكلم بالرومية وقال له اسمع

مايقول وكتب معه كتابا فوصل الرسول ودفع الكتاب الى ارطبون وعنده وزراؤه فقال ارطبون لايفتح والله عمرو شيأ من فلسطين بعداجنادين فقالوا له من اين علمت هذا فقال صاحبها رجل صفته كذا وكذا وذكر صفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرجع الرسول الى عمرو بن العاص واخبره الخبر فكتب الى عمر بن الخطاب يقول له انى اعالج عدوا شدا وبلادا قدادخرت لك فرأيك فعلم عمر ان عمرا لم يقل ذلك الابشئ سمعه فسار عمر من المدينة وقيل ان الروم الذين كانوا ببيت المقدس طلبوا من المسلمين ان يروهم اميرهم فاروهم اباعبيدة وخالد ابن الوليد فقالوا لانسلم احدا من هذين مدينة بيت المقدس ولوحصرتمونا عشره سنين وانما نسلمها لرجل صفته كذا وكذا وذكروا صفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب ابوعبيدة وبقية الامرا بذلك لعمر بن الخطاب فقدم عليهم وكان ابو عبيدة رضي الله عنه لما حصر بيت المقدس اراد ان يصالحهم على مثل صلح اهل مدن الشام فقالوا لانصالحهم الاان يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب فكتب اليه بذلك فسار عن المدينة واتى بيت المقدس وفي تاريخ بن الوردي وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدقال لعمر رضي الله عنه انك ستفتح بيت المقدس بلاقتال فكان في مجيئه اظهار معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم في اخباره بالغيب فتحها بلاسيف كما اخبره به النبي صلى الله عليه وسلم ولماسار عمر من المدينة استخلف عليها على بن ابي طالب رضي الله عنه فقال له على اين تخرج بنفسك انك تريد عدوا كلبا فقال عمر ابادر بالجهاد قبل موت العباس رضي الله عنه انكم لوفقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض الحبل فمات العباس لست سنين من خلافة عثمان رضي الله عنه فانتقض الناس وسار عمر رضي الله عنه من المدينة وهو على بعيرله وعليه غرارتان في احداهما سويق وفي الاخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة للزاد ومعه جماعة من الصحابه وكان اذانزلوا منزلا لايبرح به حتى يصلي الصبح ثم يأخذ الجفنة يملأها سويقا ويصف التمر حولها ويقرب للمسلمين ويقول كلوا هنيئا مريئا فيأكل ويأكل المسلمون ثم يرحل فلم يزل كذلك في مسيره حتى قدم الشام وقيل انه لما قدم الجابيه كان على فرس وكان قدومه الى الشام اربع مرات الاولى على فرس والثانية على بعير والثالثة على بغل ورجع لاجل الطاعون والرابعة على حمار وكتب الى امراء الاجناد ان يوافوه بالجابيه ليوم سماه ويستخلفوا على اعمالهم فكان اول من لقيه يزيد بن سفيان وابوعبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل واخذ الحجارة ورماهم بها وقال ماسرع مارجعتم من رأيكم تستقبلوني في هذا الزى وانما شبعتم منذ سنتين وبالله لوفعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم فقالوا ياامير المؤمنين انها يلامعه وان علينا السلاح قال فنعم اذن والبلامع من السلاح مابرق فلما دخل الجابيه جاءه اهل بيت المقدس وقد هرب عنهم ارطبون الى مصر فصالحوه على الجزية وفتحوها له وروى ان الروم امتنعوا من فتح باب السور حتى يرواعمر ويجدوا فيه الصفة التي يجدونها في كتبهم فامر عمر بعيره فقدم اليه فاستوى الى ركوبه عليه وعليه مرقعة ليس عليه غيرها وعلى رأسه قطعه عباة قطوانيه وقد عصب بها رأسه وليس معه غير ابي عبيده رضي الله عنهما سائرا بين يديه حتى قرب من السور ووقف

بازاء السور فنظر اليه البطريق وهو خلف السور وزعق باعلى صوته هذا والله الذى نجد نعته وصفته فى كتبنا وهو الذى يكون فتح بلادنا على يديه بلا محاله ثم قال لاهل بيت المقدس ويحكم انزلوا اليه واعقدوا معه الامان والذمه ففتحوا الباب وخرجوا الى عمر يسألونه العهد والميثاق والذمة وعقد الجزيه فخر ساجدا لله على قتب بعيره ثم نزل اليهم وقال ارجعوا الى بلادكم ولكم العهد والذمة اذ سألتونا واقررتم بالجزية فرجع القوم ولم يغلقوا الابواب ورجع عمر الى معسكره وبات فيه ليلة فلما كان من الغد قام فدخل اليها ومعه المسلمون وعقد الجزيه ايضا لاهل الرملة وجعل علقمه بن حكيم على نصف فلسطين واسكنه الرملة وجعل علقمه بن مجزز على نصفها الاخر واسكنه بيت المقدس وضم اليه عمرو بن العاص وشرحبيل ولقياه بالجابيه راكبا فقبلا ركبته وضم كل واحد منهما محتضنها ثم سار الى بيت المقدس من الجابية فركب فرسه فرأى فيه عرجا فنزل عنه فأتى ببرذون فركبه فجعل يتجلجل به فنزل وضرب وجهه وقال لا اعلم من علمك هذه الخيلاء ثم لم يركب برذونا قبله ولا بعده وبقى ارطبون بمصر فلما ملك المسلمون مصر قتل ولما دخل عمر بيت المقدس كشف عن الصخرة وامر ببناء المسجد عليها واقام عشرة ايام ثم رجع الى المدينة وكان فى هذه السنة والتى بعدها كثير من الفتوحات بالعراق وسنذكرها ان شاء الله بعد تمام الكلام على فتوحات الشام ومصر

﴿ ذكر خبر حمص حين قصد هرقل من بها من المسلمين ﴾

فى سنة سبع عشره قصد الروم اباعبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بحمص وكان المهيج للروم اهل الجزيره فانهم ارسلوا الى ملك الروم وحثوه على ارسال الجنود الى الشام ووعدوا من انفسهم المعاونة ففعل ذلك فلما سمع المسلمون باجتماعهم عسكروا بفناء مدينة حمص واقبل خالد من قنسرين اليهم فأستشارهم ابو عبيدة فى المناجزة والتحصين الى مجئ الغياث فاشار خالد بالمناجزة واشار سائرهم بالتحصين ومكاتبة عمر فاطاعهم وكتب الى عمر ذلك فكتب عمر الى امراء الاجناد بالعراق ان يبعثوا جند الاعانة ابى عبيدة وكان عمر رضى الله عنه قد اتخذ فى كل مصر خيولا على قدر ذلك المصر من فضول اموال المسلمين عدة يكون ان كان بالكوفة من ذلك اربعة آلاف فرس وكان القيم عليها سلمان بن ربيعه الباهلى ونفر من اهل الكوفة وفى كل مصر من الامصار على قدره فان تأتهم اتية ركب الناس وساروا الى ان يتجهز بقية الناس فلما سمع عمر الخبر كتب الى سعد بن ابى وقاص بالعراق ان اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم فان اباعبيدة قد احيط به وكتب اليه ايضا سرح سهيل بن عدى الى الرقة وهى بلدة على الفرات بتشديد الراء والقاف المفتوحتين فان اهل الجزيره هم الذين استثاروا الروم على اهل حمص وامره ان يسرح عبد الله بن عتبان الى نصيبين ثم ليقصد حران والرها وان يسرح الوليد بن عقبه على عرب الجزيره من ربيعة وتنوخ وان يكون عياض ابن غنم على امراء الجزيره ان كانت حرب فمضى القعقاع من يومه على اربعة آلاف الى حمص وسار عياض بن غنم وامراء الجزيره كل امير الى كورته وسار عمر بن الخطاب رضى الله عنه من المدينة يريد حمص مغيثا لابى عبيدة ولما بلغ اهل الجزيرة الذين اعانوا الروم على اهل

حمص خبر الجنود الاسلامية فارقوا هرقل ورجعوا الى بلادهم وزحف ابو عبيدة الى الروم فانهزموا وقدم القعقاع من العراق بعد الوقعة بثلاث فكتبوا الى عمر بالفتح وبقدوم المدد اليهم فكتب اليهم ان اشركوهم فى الغنيمة فانهم نفروا اليكم وانفرق لهم عدوكم وقال جزاالله اهل الكوفة خيرا يكفون حوزتهم ويمدون اهل الامصار فلما فرغوا رجعوا و بلغ عمر فى مسيره هذا الى الجابيه فوافاه خبر انهزام الروم فكتب الجواب لابى عبيدة ورجع من الجابيه واصحب معه خالدبن الوليد ومن معه ولما قدم سهيل بن عدى على الرقه سرح الوليدبن عقبة الى عرب الجزيره فقبض اهل الرقه عن هرقل وساروا مع سهيل بن عدى الى اياد ابن نزار فانهم ادخلوا ارض الروم فكتب عمر الى هرقل بلغنى ان حيا من احيا العرب تركوا دارنا واتوا دارك فوالله لتخرجنهم اولنخرجن النصارى اليك فاخرجهم هرقل وتفرق منهم اربعة آلاف فيما يلى الشام والجزيره

﴿ ذكر فتح الجزيرة وارمينيه ﴾

الجزيره بلاد تشتمل على ديار بكر ومضر وربيعه بين دجلة والفرات اليها ينسب الامام الجزرى وارمينيه كورة كانت للروم لما ارسل سعد العساكر الى الجزيره ارفض به اهل الجزيره عن الروم وساروا الى كورهم حين سمعوا بارسال العساكر من الكوفة فنزل عليهم سهيل ابن عدى وحاصرهم حتى صالحوه ونازل عبدالله بن عتبان الموصل ونصيبين فصالحوه كصنع اهل الرقه وخرج الوليدبن عقبة فقدم على عرب الجزيره فينهض معه مسلمهم وكافرهم الا ايادبن نزار فانهم دخلوا ارض الروم فكتب الوليد بذلك الى عمر فكتب عمر الى هرقل كما تقدم ولما اخذوا الرقه ونصيبين ضم عياض اليه سهيلا وعبدالله بن عتبان وسار بالناس الى حران فلما وصل اجابه اهلها الى الجزيرة فقبل منهم ثم ان عياض اسرح سهيلا وعبدالله الى الرها فاجابوهما الى الجزية واجروا كل ما اخذوه من الجزيرة عنوة مجرى الذمه فكانت الجزيره اسهل البلدان فتحا ورجع سهيل وعبدالله الى الكوفة وكتب ابو عبيدة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد انصرافه من الجابية يسأله ان يضم اليه عياض بن غنم اذ أخذ خالدبن الوليد معه الى المدينه فصرفه اليه فاستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيره وحربها والوليدبن عقبه على عربها وابى الوليدبن عقبة ان يقبل من تغلب الجزيه وقال ليس الا الاسلام فكتب اليه عمر انما ذلك بجزيرة العرب لايقبل منهم الا الاسلام فدعهم على ان لاينصروا وليدا ولايمنعوا احدا منهم من الاسلام وكان فى تغلب عز وامتناع فهم بهم الوليد فخاف عمر ان يسطوا عليهم فعزله وآمر عليهم فرات ابن حيان وهند بن عمر الجلبى والصحيح الذى عليه الاكثر ان فتح الجزيرة معدود من فتح اهل الشام وانه سنة سبع عشرة وقيل انه من فتح العراق وانه سنة تسع عشرة وانما اخذ عمر خالدا معه وعزله عن امارة الاجناد لانه رأى منه تبذيرا وسرفا فى الاموال اعطى مرة للاشعث بن قيس عشرة آلاف وله عطايا كثيرة فلما قدم المدينة شكا خالد عمر على الناس وقال له انك فى امرى غير مجمل فقال له عمر من اين

هـذا الثرا فقال من الغنايم والسهمان مازاد على ستين الفا فهو لك فقوم عمر ماله فزاد عشرين الفا فجعلها فى بيت المال ثم قال ياخالد والله انك على لكريم وانك الى حبيب وكتب الى الامصار انى لم اعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فخموه وفتنوا به فخفت ان يوكلوا اليه فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع وان لايكونوا بعرض فتنة وعوضه مما اخذه منه وكان خالدا بن خال عمر رضى الله عنهما لان ام عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيره وخالد بن الوليد ابن المغيره وكان فى قلنسوة خالد التى يقاتل فيها شعرات من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستنصر بها و ببركته صلى الله عليه وسلم فلا يزال منصورا وكان يقول اعتمرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة اعتمرها فحلق شعره فاستبق الناس الى شعره فسبقت الى الناصية فاخذتها فاتخذت قلنسوه فجعلتها فى مقدم القلنسوه فما واجهته فى وجه الا وفتح له وسماه النبى صلى الله عليه وسلم سيفا من سيوف الله يوم غزوه موته لما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه بالمدينة بما وقع فى تلك الغزوة يوم وقوعها فذكر لهم استشهاد زيد بن حارثه وجعفر ابن ابى طالب وعبدالله بن رواحه وقال ثم اخذ الراية سيفا من سيوف الله خالد ابن الوليد ففتح الله عليه ومناقبه كثيرة وله ترجمة واسعة توفى رضى الله عنه فى خلافة عمر رضى الله عنه بحمص وقيل بالمدينة سنة احدى وعشرين من الهجرة ولما حضرت خالدا الوفاة قال لقد شهدت مائة زحف اوزهاءها ومافى بدنى موضع شبر الا وفيه ضربة اوطعنة اورمية وهاانا اموت على فراشى كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء ومامن عمل عندى ارجى من لااله الا الله وانا متترس بها وفى سنة ثمانية عشر وقع بالشام الطاعون المسمى طاعون عمواس مات فيه خمسة وعشرون الفا ومات فيه ابو عبيدة واستخلف معاذ ابن جبل فطعن ايضا فيه ومات فاستخلف عمر على الناس عمرو بن العاص وطعن فيه يزيد بن ابى سفيان فاستعمل عمر بن الخطاب اخاه معاوية ابن ابى سفيان على دمشق وخراجها واستعمل شرحبيل بن حسنه على جند الاردن وخراجها ولما حصل ذلك الطاعون قام ابو عبيدة خطيبا فى الناس فقال ايها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ووعدة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان اباعبيدة سأل الله ان يقسم له منه حظه فطعن فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل فقام خطيبا بعده فقال ايها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ووعدة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان معاذا يسال الله ان يقسم لآل معاذ حظهم فطعن ابنه عبدالرحمن فمات ثم قال فدعا به لنفسه فطعن فى راحته فلقد كان يقبلها ثم يقول ما احب ان لى بما فيك شيأ من الدنيا فلما مات واستخلف عمرو بن العاص خرج بالناس الى الجبال ورفعه الله عنهم وكان الناس قد اصابهم من الموت مالم يروا مثله قط وطمع فيهم العدو وطال مكث ذلك الطاعون فانه مكث شهورا وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قدم الى الشام فى مدة ذلك الطاعون فلما كان بسرغ وهو موضع قرب الشام بين المغيثه وتبوك لقيه امرا الاجناد فيهم ابو عبيدة بن الجراح فاخبروه بالوبا وشدته وكان معه كثير من المهاجرين والانصار لانه خرج بهم غازيا فجمع المهاجرين الاولين والانصار فاستشارهم فاختلفوا عليه فمنهم القائل خرجت لوجه الله فلا يصدك عنه هذا ومنهم القائل انه بلاء وفناء فلا نرى ان تقدم عليه فقال لهم قوموا

سنة ٢١ هجـ توفى خالد وحضر مائة زحوف

استخلاف معاويه بدل الخيبر

ثم احضر مهاجرة الفتح من قريش فاستشارهم فلم يختلفوا عليه واشاروا بالعود فنادى عمر فى الناس انى مصبح على ظهر فقال ابو عبيدة افرارا من قدر الله فقال لو غيرك قالها يا ابا عبيدة اى لانتقمت منه نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ارأيت لو كان لك ابل فهبطت واديا له عدوتان احداهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعيت المخصبة رعيتها بقدر منه وان رعيت المجدبة رعيتها بقدر منه وكان عبد الرحمن بن عوف غايبا فحضر فاخبر انه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم حديثا فى ذلك وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم بهذا الوبا ببلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع ببلد وانتم به فلا تخرجوا فرارا منه فكان ذلك الحديث موافقا لما رأه عمر رضى الله عنه فانصرف بالناس الى المدينة ومات فى ذلك الطاعون كثير من الصحابة منهم الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو رضى الله عنهما ولما فرغ الطاعون كتب امرآء الاجناد الى عمر رضى الله عنه بما فى ايديهم من المواريث فسار عمر الى الشام واستخلف على المدينة على بن ابى طالب رضى الله عنه فلما قدم الشام قسم المواريث والارزاق وسد فروج الشام ومصالحها واخذ يدورها ورجع الى المدينة فى ذى القعدة ولما كان بالشام وحضرت الصلاة قال له الناس لو امرت بلالا فأذن فامره فاذن فما بقى احد ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وبلالا يؤذن الا بكى حتى بل لحيته وعمر اشدهم بكاء وبكى من لم يدركه بكائهم لذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ ذكر فتح مصر والاسكندرية ﴾

كان ابتداء الامر وانتهاؤه فى ذلك من سنة ثمانية عشر الى سنة عشرين وقيل ان فتوح مصر كان فى سنة ست عشرة لان عمرو بن العاص رضى الله عنه حمل الطعام لاهل المدينة عام الرمادة التى اشتد القحط فيه فى بحر القلزم من مصر الى المدينة وعام الرمادة كان سنة ثمانية عشر وقال الجلال السيوطى فى كتابه المسمى بحسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة لما كانت سنة ثمان عشرة وقدم عمر بن الخطاب الجابيه قام اليه عمرو بن العاص رضى الله عنه فخلا به فقال يا امير المؤمنين ائذن لى ان اسير الى مصر وحرضه عليها وقال انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهى اكثر الارض اموالا واعجزهم عن القتال والحرب فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين وكره ذلك فلم يزل عمرو بن العاص يعظم امرها عند عمر ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن عمر بن الخطاب لذلك فاذن له فى المسير وسبب قوة رجاء عمرو بن العاص فى ان الله يفتح مصر على يديه قصة وقعت له فى الجاهلية ذكرها السيوطى ايضا فى حسن المحاضرة ولنذكرها وان كان فيها طول تتميما للفائدة قال اخرج ابن عبد الحكم عن خالد بن يزيد انه بلغه ان عمرو بن العاص قدم الى بيت المقدس بتجارة فى نفر من قريش واذاهم بشماس من شمامسة الروم من اهل الاسكندرية قدم للصلاة فى بيت المقدس فخرج فى بعض جبالها يسيح وكان عمرو بن العاص يرعى ابله وابل اصحابه وكانت رعية الابل نوبا بينهم فبينما عمرو يرعى ابله اذ مر به ذلك الشماس وقد اصابه عطش شديد فى يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاه فسقاه عمرو من قربة له فشرب حتى روى

ثم نام الشماس فى مكانه وكان الى جانب الشماس حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة فبصر بها عمرو فنزع لها سهما فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر الى حية عظيمة قد نجاه الله منها فقال لعمرو ماهذه فاخبره عمرو انه رماها بسهم فقتلها فاقبل الى عمرو فقبل رأسه وقال قد احيانى الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فما اقدمك هذه البلاد قال قدمت مع اصحاب لى نطلب الفضل من تجارتنا فقال له الشماس وكم ترجو ان تصيب من تجارتك قال رجائى ان اصيب ما اشترى به بعيرا فانى لا املك الا بعيرين فأملى ان اصيب بعيرا اخر فيكون لى ثلاثة ابعرة فقال له الشماس ارأيت دية احدكم بينكم كم هى قال مائة من الابل فقال له الشماس لسنا اصحاب ابل نحن اصحاب دنانير قال عمرو تكون الف دينار فقال له الشماس انى رجل غريب فى هذه البلاد وانما قدمت اصلى فى كنيسة بيت القدس وقد قضيت ذلك وانا اريد الرجوع الى بلادى فهل لك ان تتبعنى الى بلادى ولك عهد الله وميثاقه ان اعطيك ديتين لان الله تعالى احيانى بك مرتين فقال له عمرو اين بلادك قال مصر فى مدينة يقال لها الاسكندرية فقال له عمرو لا اعرفها ولم ادخلها قط فقال له الشماس لو دخلتها لعلمت انك لم تدخل قط مثلها فقال له عمرو تفى لى بما تقول وعليك بذلك العهد والميثاق فقال الشماس نعم لك الله على بالعهد والميثاق انى افى لك واردك الى اصحابك فقال عمرو وكم يكون مكثى فى ذلك قال شهرا تنطلق معى ذاهبا عشرا وتقيم عندنا عشرا وترجع فى عشر ولك على ان احفظك ذاهبا وابعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو انظرنى حتى اشاور اصحابى فانطلق عمرو الى اصحابه فاخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لا تخرجوا واقيموا حتى ارجع اليكم ولكم على العهد ان اعطيكم شطر ذلك على ان يصحبنى منكم رجل أنس به فقالوا نعم وبعثوا معه رجلا منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس الى مصر حتى انتهى الى الاسكندرية فرأى عمرو من عمارتها وكثرة اهلها ومابها من الاموال والخير ما اعجبه ذلك وقال ما رأيت مثل مصر قط وكثرة مافيها من الاموال ونظر الى الاسكندرية وعمارتها وجودة بنائها وكثرة اهلها ومابها من الاموال فازداد تعجبا ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيها ملوكهم واشرافهم ولهم اكرة من ذهب مكللة يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها باكمامهم وفيما اخبروا عن تلك الاكرة على ما وضعها من مضى منهم ان من وقعت الاكرة فى كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم فلما قدم عمرو الاسكندرية اكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج البسه اياه وجلس عمرو والشماس مع الناس فى ذلك المجلس حيث يترامون بالاكرة وهم يتلقونها باكمامهم فرمى بها رجل منهم فاقبلت تهوى حتى وقعت فى كم عمرو فتعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه الاكرة قط الا هذه المرة اترى هذا الاعرابى يملكنا هذا لا يكون ابدا وان ذلك الشماس مشى فى اهل الاسكندرية واعلمهم ان عمرا احياه مرتين وانه قد ضمن له الفى دينار وسألهم ان يجمعوا له ذلك فيما بينهم ففعلوا ودفعوها الى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا وزودهما واكرمهما حتى رجع هو ومن معه الى اصحابه فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها ورأى منها ما علم انها افضل البلاد واكثرها مالا فلما رجع عمرو الى اصحابه

دفع اليهم فيما بينهم الف دينار وامسك لنفسه الفا قال عمرو فكان ذلك المال اول مال تأثلته
فلما اكرمه الله بالاسلام وفتح على يديه كثيرا من ارض الشام مالت نفسه الى فتح مصر ورجا
ان يحقق له وقوع الاكره في كمه مع ما صح من قول النبي صلى الله عليه وسلم لتفتح عليكم بعدي
مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لكم منهم صهرا وذمة فرغب عمر بن الخطاب في ان يسيره اليها
حتى وافقه على ذلك فعقد له على اربعة الاف رجل كلهم من عك ويقال على ثلاثة الاف وخمسمائة
فقال عمر سر وانا مستخير الله في مسيرك وسيأتي كتابي اليك سريعا ان شاء الله تعالى فان
ادركك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها اوشيأ من ارضها فانصرف
وان انت دخلتها قبل ان يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره فسار عمرو
ابن العاص من جوف الليل ولم يشعر به احد من الناس واستخار عمر الله فكانه تخوف على
المسلمين في وجههم فكتب الى عمرو بن العاص ان ينصرف بمن معه من المسلمين فادرك
الكتاب عمرا وهو برفح فتخوف عمرو بن العاص ان هو اخذ الكتاب وفتحه ان يجد فيه
الانصراف كما عهد اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية
فيما بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل له انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين
فقال عمرو الستم تعلمون ان هذه القرية من مصر قالوا بلى فقال ان امير المؤمنين عهد الي
وامرني ان لحقني كتابه ولم ادخل مصر ان ارجع وان لم يلحقني كتابه حتى دخلنا ارض
مصر فسيروا وامضوا على بركة الله فتقدم عمرو بن العاص فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو
توجه الى الفسطاط فكان يجهز على عمرو الجيوش فكان اول موضع قوتل فيه الفرما قاتله
الروم قتالا شديدا نحوا من شهر ثم فتح الله على يديه فهزم الروم وكان بالاسكندرية اسقف
للقبط يقال له ابو ميامين فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص كتب الى القبط يعلمهم انه لايكون
للروم دولة وان ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقي عمرو فيقال ان القبط الذين كانوا بالفرما
كانوا يومئذ لعمرو اعوانا ثم توجه عمرو لايدافع الا بالامر الخفيف حتى نزل القواصر فنزل
ومن معه فقال بعض القبط لبعض الا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جموع الروم
وانما هم في قلة من الناس فأجابه رجل آخر منهم ان هؤلاء القوم لايتوجهون الى احد
الا ظهروا عليه حتى يقتلوا آخرهم فتقدم عمرو لايدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى بلبيس
فقاتلوه بها نحوا من شهر حتى فتح الله عليه ثم مضى لايدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى ام
دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا وابطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستمده فأمده بأربعة
آلاف تمام ثمانية آلاف فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن فحاصرهم بالقصر الذي
يقال له باب اليون حينا وقاتلهم قتالا شديدا يصبحهم ويمسيهم فلما ابطأ عليه الفتح كتب
الى عمر بن الخطاب يستمده فأمده عمر بأربعة آلاف رجل على كل الف رجل وكتب اليه
اني قد امددتك بأربعة آلاف رجل منهم رجال مقام الالف الزبير بن العوام والمقداد بن
الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد واعلم انه صار معك اثنا عشر الفا ولا تغلب
اثنا عشر الفا من قلة وكان الروم قد خندقوا حول حصنهم وجعلوا للخندق ابوابا وجعلوا
سكك الحديد موتدة بأفنية الابواب فلما قدم المدد الى عمرو ابن العاص اتى الى القصر ووضع

عليه

عليه المجنيق وكان على القصر رجل من الروم يقال له الاعرج واليا عليه وكان تحت يد
المقوقس ودخل عمرو الى صاحب الحصن كأنه رسول فتناظر معه فى شئ مما هم فيه فقال
اخرج واستشير اصحابى وكان صاحب الحصن اوصى الذى كان على الباب اذا مر به
عمرو راجعا ان يلقى عليه صخرة فيقتله فمر عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال
قد دخلت فانظر كيف تخرج فرجع عمرو الى صاحب الحصن فقال انى اريد ان آتيك بنفر
من اصحابى حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعت فقال العلج فى نفسه قتل جماعة احب الى من
قتل واحد فارسل الى الذى امره بقتل عمرو ان لا يتعرض له رجاء ان يأتى بأصحابه فيقتلهم
وخرج عمرو فلما ابطأ عليه الفتح قال الزبير انى اهب نفسى لله ارجو ان يفتح الله بذلك على
المسلمين فوضع سلما الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد وامرهم اذا سمعوا تكبيره
ان يجيبوا جميعا فما شعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر معه السيف وتحامل الناس على
السلم حتى نهاهم عمرو خوفا ان ينكسر فلما اقتحم الزبير وتبعه من تبعه وكبر وكبر من معه واجابهم المسلمون
من خارج لم يشك اهل الحصن ان العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا فعمد الزبير واصحابه الى
باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن فخاف المقوقس على نفسه فحينئذ طلب الصلح من
عمرو ابن العاص على ان يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل منهم فاجابه عمرو الى
ذلك وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة اشهر وقال بن عبد الحكم شهرا قال ان
المسلمين لما حصروا باب اليون شهرا كان به جماعة من الروم واكابر القبط ورؤسائهم
وعليهم المقوقس فلما راوا حرص المسلمين على فتح الحصن ورغبتهم فيه خافوا ان يظهروا
فتنحى المقوقس وجماعة من اكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلى ودونهم جماعة
يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيره وامروا بقطع الجسر وتخلف الاعرج فى الحصن بعد المقوقس
فلما خاف فتح الحصن ركب هو واهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن
ثم لحقوا بالمقوقس فى الجزيره فارسل المقوقس الى عمرو ابن العاص انكم قوم ولجتم فى بلادنا
والححتم على قتالنا وطال مقامكم فى ارضنا وانما انتم عصبة يسيره وقد اظلكم الروم
وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد احاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى فى ايدينا
فارسلوا الينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله ان يأتى الامر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب
وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل ان تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه
ولعلكم ان تندموا ان كان الامر مخالفا لطلبتكم ورجائكم فابعث الينا رجالا من اصحابكم
نعاملهم على ما رضى نحن وهم به عن شئ فلما اتى الى عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم
عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال اترون انهم يقتلون الرسل ويحبسونهم
يستحلون ذلك فى دينهم وانما فعل عمرو ذلك لاجل ان يروا حال المسلمين وما هم فيه ثم رد عليهم
عمرو مع رسله انه ليس بينى وبينك الا احدى ثلاث خصال اما ان دخلتم فى الاسلام
فكنتم اخواننا وكان لكم ما لنا وان ابيتم فاعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون
واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فلما جاءت رسل المقوقس
اليه قال كيف رأيتموهم قالوا رأينا قوما الموت احب اليهم من الحياة والتواضع احب اليهم

من الرفعة ليس لاحدهم رغبة فى الدنيا ولانهمة وانما جلوسهم على التراب وا كلهم على ركبهم واميرهم كواحد منهم مايعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد يغسلون اطرافهم بالماء ويتخشعون فى صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس والذى يحلف به لو ان هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ولا يقوى على قتال هؤلاء احد ولئن لم تغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم اذا امكنتهم الارض وقدروا على الخروج من موضعهم فرد اليهم المقوقس رسله ان ابعثوا الينا رسلا منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ما عسى ان يكون فيه صلاح لنا ولكم فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر احدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة اشبار وهو احد الشجعان المشهورين والفصحا المتكلمين وامره عمرو ان يكون متكلم القوم وان لا يجيبهم الى شئ دعوه اليه الا احدى هذه الخصال الثلاث فان امير المؤمنين امرنى ان لا اقبل شيأ سوى خصلة من هذه الثلاث خصال وكان عبادة ابن الصامت رضى الله عنه اسود فلما دخلوا على المقوقس تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده فقال نحوا عنى هذا الاسود وقدموا غيره يكلمنى فقالوا ان هذا الاسود افضلنا رايا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانا نرجع جيعا الى قوله ورأيه وقد امره الامير دوننا بما امره به فقال المقوقس لعبادة تقدم يا اسود وكلمنى برفق فانى اهاب سوادك وان اشتد على كلامك ازددت لك هيبة فتقدم اليه عبادة فقال قد سمعت مقالتك وان فيمن خلفت من اصحابى الف رجل اسود كلهم اشد سوادا منى وافظع منظرا ولو رأيتهم لكنت اهيب لهم منى وانا قد وليت وادبر شبابى وانى مع ذلك بحمد الله ما اهاب مائة رجل من عدوى ولو استقبلونى جيعا وكذلك اصحابى وذلك لاننا انما رغبتنا وبغيتنا الجهاد فى الله تعالى واتباع رضوان الله وليس غزونا عدونا من حارب الله رغبة فى الدنيا ولا طلبا للاستكثار منها الا ان الله قد احل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا وما يبالى احدنا اكان له قنطار من الذهب ام كان لا يملك الا درهما لان غاية احدنا من الدنيا اكلة يأكلها فيسد بها جوعته وشملة يلتحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب انفقه فى طاعة الله واقتصر على هذا لان نعيم الدنيا ورخاها ليس برخا انما النعيم والرخا فى الآخرة وبذلك امرنا ربنا وامر به نبينا وعهد الينا ان لا تكون همة احدنا من الدنيا الا فيما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله فى رضا ربه وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لاهيب عندى من منظره وان هذا واصحابه اخرجهم الله لخراب البلاد وما اظن ملكهم الا سيغلب على الارض كلها ثم اقبل المقوقس على عبادة فقال ايها الرجل قد سمعت مقالتك وما ذكرته عنك وعن اصحابك ولعمرى ما بلغتم ما بلغتم الا بما ذكرته ولا ظهرتم على ما ظهرتم عليه الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة من لا يبالى احدهم من لقى ولا من قاتل وانا لنعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد اقمتم بين اظهرنا شهرا وانتم فى ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرأف عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم ونحن تطيب انفسنا ان نصالحكم على ان نفرض لكل رجل منكم دينارين ولاميركم مائة دينار ولخليفتكم

الف دينار

الف دينار فتقبضونها وتنصرفوا الى بلادكم قبل ان يغشاكم مالاقوة لكم به فقال عبادة ابن الصامت رضي الله عنه ياهذا لاتغرن نفسك ولا اصحابك اما ما تخوفونا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وانا لانقوى عليهم فلعمري ماهذا بالذي تخوفونا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه ان كان ماقلتم حقا فذلك والله ارغب مايكون في قتالهم واشد لحرصنا عليهم لان ذلك اعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا عن آخرنا الان ذلك امكن لنا في رضوانه وجنته ومامن شيء قر لاعيننا ولا احب الينا من ذلك وانا منكم حينئذ على احدى الحسنيين اما ان تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم او غنيمة الآخرة ان ظفرتم بنا وانها لاحب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله تعالى قال لنا في كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومامن رجل الا وهو يدعو ربه صباحا ومساء ان يرزقه الشهادة وان لايرده الى بلده ولا الى اهله وولده وليس لاحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه اهله وولده وانما همنا ماامامنا واما انا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في اوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا لانفسنا منها اكثر مما نحن فيه فانظر الذي تريد فبينه لنا فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم ولا نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث فاختر ايها شئت ولاتطامع نفسك في الباطل بذلك امرني الامير وبها امره امير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا من قبل اما ان اجبتم الى الاسلام الذي هو الدين الذي لايقبل الله غيره وهو دين انبيائه ورسله وملائكته امرنا الله ان نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان اخانا في دين الله فان قبلت ذلك انت واصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل اذاكم ولا التعرض لكم وان ابيتم الا الجزية فادوا الينا الجزية عن يد وانتم صاغرون نعاملكم على شيء نرضى به نحن وانتم في كل عام ابدا مابقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناواكم وعرض لكم في شيء من ارضكم ودمائكم واموالكم ونقوم بذلك عنكم اذ كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد الله علينا وان ابيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا او نصيب منكم ما نريد هذا ديننا الذي ندين الله به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظروا لانفسكم فقال له المقوقس هذا مما لايكون ابدا ماتريدون الا ان تأخذونا لكم عبيدا ماكانت الدنيا فقال له عبادة هو ذاك فاختر ماشئت فقال له المقوقس افلا تجيبونا الى خصلة غير هذه الثلاث فرفع عبادة يديه فقال لا ورب السما ورب هذه الارض ورب كل شيء مالكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لانفسكم فالتفت المقوقس عند ذلك الى اصحابه فقال قد فرغ القول فما تقولون فقالوا او يرضى احد بهذا الذل اما ما ارادوا من دخولنا في دينهم فهذا لايكون ابدا ان نترك دين المسيح بن مريم وندخل في دين لا نعرفه واما ما ارادوا من ان يسبونا ويجعلونا عبيدا ابدا فالموت ايسر من ذلك لو رضوا منا ان نضعف لهم ما اعطيناهم مرارا كان اهون علينا فقال المقوقس لعبادة قد ابى القوم فما ترى فراجع صاحبك على ان نعطيكم في مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون فقام عبادة واصحابه فقال المقوقس لمن حوله عند ذلك اطيعوني واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله

مالكم بهم طاقة وان لم تجيبوا اليهم طائعين لتجيبونهم الى ماهو اعظم منها كارهين فقالوا اى خصلة نجيبهم اليها قال أذن اخبركم اما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به واما قتالهم فانا اعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولابد من الثلاث قالوا فنكون لهم عبيدا ابدا قال نعم تكونون عبيدا مسلطنين فى بلادكم آمنين على انفسكم واموالكم وذراريكم خير لكم من ان تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيدا تباعوا وتمزقوا فى البلاد مستعبدين ابدا انتم واهلوكم وذراريكم قالوا فالموت اهون علينا وامروا بقطع الجسر بين الفسطاط والجزيره وبالقصر من الروم والقبط جمع كثير فالح المسلمون عند ذلك بالقتال على من فى القصر حتى ظفروا بهم وامكن الله منهم فقتل منهم خلق كثير واسر من اسر وانحازت السفن كلها الى الجزيره وصار المسلمون قد احدق بهم الماء من كل وجه لا يقدرون على ان ينفذوا ويتقدموا نحو الصعيد ولا الى غير ذلك من المداين والقرى والمقوقس يقول لاصحابه الم اعلمكم هذا واخافه عليكم ما تنظرون فوالله لتجيبونهم الى ما ارادوا طوعا او لتجيبونهم الى ماهو اعظم منه كرها فاطيعونى قبل ان تندموا فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال اذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه وارسل المقوقس الى عمرو بن العاص رضى الله عنه انى لم ازل حريصا على اجابتك الى خصلة من تلك الخصال التى ارسلت الى بها فأبى ذلك من حضرنى من الروم والقبط فلم يكن لى ان افتات عليهم وقد عرفوا نصحى لهم وحبى صلاحهم ورجعوا الى قولى فاعطنى امانا اجتمع انا وانت فى نفر من اصحابى ونفر من اصحابك فان استقام الامر بيننا تم ذلك لنا جميعا وان ابيتم رجعنا الى ما كنا عليه فاستشار عمرو اصحابه فى ذلك السؤال فقالوا لا نجيبهم الى شئ من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير كلها فيئا لنا وغنيمة كما صار القصر وما فيه فقال عمرو قد علمتم ما عهد الى امير المؤمنين فى عهده فان اجابوا الى خصلة من الخصال الثلاث التى عهد الى فيها اجبتهم اليها وقبلت منهم مع ماقد حال من الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على ان يفرض على جميع من بمصر اعلاها واسفلها من القبط دينارين دينارين عن كل نفس شريفهم ووضيعهم من بلغ الحلم منهم ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النساء شئ وعلى ان للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين او اكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام وان لهم ارضهم واموالهم لا يعرض لهم فى شئ منها فشرط هذا كله على القبط خاصة واحصوا عدد القبط يومئذ خاصه من بلغ منهم الجزية افرض عليهم الدينارين رفع ذلك عرفا وهم بالأيمان المؤكدة فكان جميع من احصى يومئذ بمصر فيما احصوا وكتبوا اكثر من ستة آلاف الف وذلك ستة ملايين فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر الف الف دينار اى اثناعشر مليونا من الدنانير كل سنة وقيل بلغت غلتهم ثمانية آلاف الف وشرط المقوقس للروم ان يتخيروا فمن احب منهم ان يقيم على مثل هذا اقام على هذا لازما له مفترضا عليه ممن اقام بالاسكندرية وما حولها من ارض مصر كلها ومن اراد الخروج منها الى ارض الروم خرج على ان للمقوقس الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب الى ملك الروم يعلمه مافعل

فان قبل

فان قبل ذلك ورضيه جاز عليهم والا كانوا جيعا على ما كانوا عليه وكتبوا به كتابا وكتب المقوقس الى ملك الروم يعلمه على وجه الامر كله فكتب اليه ملك الروم يقبح رأيه ويعجزه و يرد عليه مافعل و يقول فى كتابه انما اتاك من العرب اثنا عشر الفا و بمصر من بها من كثرة عدد القبط مالايحصى فان كان القبط كرهوا القتال واحبوا اداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم و بالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة الف معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ماقد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت ان تكون انت ومن معك من الروم فى حال القبط اذ لاتقاتلهم انت ومن معك من الروم حتى تموت اوتظفر عليهم فانهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة فناهضهم القتال ولايكون لك رأى غير ذلك وكتب ملك الروم مثل ذلك الى جماعة الروم فقال المقوقس لما اتاه كتاب ملك الروم والله انهم على قلتهم وضعفهم اقوى واشد منا على كثرتنا وقوتنا ان الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا وذلك انهم قوم الموت احب اليهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل و يتمنى ان لايرجع الى اهله ولابلده ولا ولده و يرون ان لهم اجرا عظيما فيمن قتلوا امنا و يقولون انهم ان قتلوا ادخلوا الجنة وليس لهم رغبة فى الدنيا ولا لذة الا على قدر بلغة العيش من الطعام واللباس ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم واعلموا معشر الروم والله انى لا اخرج مما دخلت فيه وصالحت العرب عليه و انى لأعلم انكم سترجعون غدا الى قولى ورأيى وتتمنون ان لوكنتم اطعتمونى وذلك انى قد عاينت ورأيت وعرفت مالم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه و يحكم امايرضى احدكم ان يكون امنا فى دهره على نفسه وماله وولده بدينارين فى السنة ثم اقبل المقوقس على عمرو بن العاص فقال له ان الملك قد كره مافعلت وعجزنى وكتب الى والى جماعة الروم ان لا نرضى بمصالحتك وامرهم بقتالك حتى يظفروا بك اوتظفر بهم ولم اكن لاخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه وانما سلطانى على نفسى ومن اطاعنى وقد تم الصلح فيمابينك و بينهم ولم يأت من قبلهم نقض وانا متم لك على نفسى والقبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه وعاهدتهم واما الروم فانامنهم برئ وانا اطلب منك ان تعطينى ثلاث خصال قال له عمرو وما هن قال لا تنقضن بالقبط وادخلنى معهم والزمنى مالزمهم وقد اجتمعت كلمتى وكلمتهم على ماعاهدتك فهم متمون لك على ماتحب واماالثانية فان سألك الروم بعداليوم ان تصالحهم فلاتصالحهم حتى تجعلهم فيئا وعبيدا فانهم اهل لذلك فانى نصحتهم فاستغشونى ونظرت اليهم فاتهمونى واماالثالثة فاطلب اليك ان انا مت ان تأمرهم ان يدفنونى فى ابى حنش بالاسكندرية فأنعم له عمرو بن العاص و اجابه الى ماطلب على ان يضمنوا له الجسرين جيعا و يقيموا له الانزال والضيافة والاسواق والجسور مابين الفسطاط الى الاسكندرية ففعلوا وصارت لهم القبط اعوانا كما جاء فى الحديث واستعدت الروم وجاشت وقدم عليهم من ارض الروم جمع عظيم ثم التقوا بسلطيس فاقتتلوا بها قتالا شديدا ثم هزمهم الله ثم التقوا بالكريون فاقتتلوا بها بضعة عشر يوما وكان عبدالله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ وردان

مولى عمرو وصلى عمرو يومئذ صلاة الخوف ثم فتح الله يومئذ على المسلمين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الاسكندريه فتحصن بها الروم وكانت عليهم حصون مبنية لاترام حصن دون حصن فنزل المسلمون مابين حلوه الى قصر فارس الى ماورا ذلك ومعهم روساء القبط يمدونهم بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفه ورسل ملك الروم تختلف الى الاسكندرية فى المراكب بمادة الروم وكان ملك الروم يقول لئن ظفرت العرب على الاسكندريه ان ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم لانه ليس للروم كنايس اعظم من كنايس الاسكندرية وانما كان عيد الروم حين غلبت العرب على الشام بالاسكندرية فقال الملك لئن غلبوا على الاسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكها فامر بجهازه ومصلحته لخروجه الى الاسكندرية حتى يباشر قتالها بنفسه اعظاما لها وامر ان لايتخلف احد من الروم وقال مابقى للروم بعد الاسكندرية حرمة فلما فرغ من جهازه صرعه الله فاماته وكفى الله المسلمين مؤنته وكان موته سنة تسع عشرة وقال الليث بن سعد مات هرقل سنة عشرين فكسر الله بموته شوكة الروم فرجع كثير ممن قد توجه الى الاسكندريه وانتشرت العرب عند ذلك والحت القتال على اهل الاسكندريه فقاتلوهم قتالا شديدا وحاصروا الاسكندريه تسعة اشهر بعد موت هرقل وخمسة قبل ذلك وفتحت يوم الجمعة شهر المحرم سنة عشرين وقال بن عبد الحكم اقام عمرو بن العاص محاصرا الاسكندرية اشهرا ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ماابطأ بفتحها الالما احدثوا وكتب الى عمرو بن العاص امابعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم مذسنتين وماذاك الالما احدثتم واحببتم من الدنيا مااحب عدوكم وان الله تبارك وتعالى لاينصر قوما الابصدق نياتهم وقد كنت وجهت اليك اربعة نفر واعلمتك ان الرجل منهم مقام الف رجل على ماكنت اعرف الاان يكون غيرهم ماغيرهم فاذا اتاك كتابى فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم فى الصبر والنية وقدم اولئك الاربعة فى صدور الناس وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة ابن الصامت ومسلمة بن مخلد وامر الناس جميعا ان تكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة فيها ووقت الاجابه وليعج الناس الى الله ويسألوه النصر على عدوهم ففعلوا ففتح الله عليهم قال بن عبد الحكم حدثنى ابى قال لما ابطأ على عمرو بن العاص فتح الاسكندريه استلقى على ظهره ثم جلس فقال انى فكرت فى هذا الامر فانه لايصلح اخره الامن اصلح اوله يريد الانصار فدعا عبادة بن الصامت فعقدله ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك ثم روى ابن عبد الحكم عن الامام مالك ان ذلك كان سنة عشرين ولما هزم الله الروم وفتحت الاسكندرية وهرب الروم فى البر والبحر خلف عمرو بن العاص بالاسكندرية الف رجل من اصحابه ومضى عمرو ومن معه فى طلب من هرب من الروم فى البر ورجع من كان هرب من الروم فى البحر الى الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين الامن هرب منهم وبلغ عمرو بن العاص فكر راجعا ففتحها واقام بها وكتب الى عمر بن الخطاب ان الله قد فتح علينا الاسكندرية عنوة بغير عقد ولاعهد فكتب اليه عمر بن الخطاب يأمره ان لايجاوزها وبقبح رأيه فى تباعه من هرب والذى قتلوا من المسلمين من حين حصار الاسكندرية الى ان فتحت عنوة اثنان

وعشرون رجلا ولما فتحت بعث عمرو بن العاص معاوية ابن خديج وافدا الى عمر بن الخطاب مبشراله بالفتح فقال معاوية ابن خديج لعمرو بن العاص الاتكتب معي كتابا فقال عمرو وماتصنع بالكتاب الست رجلا عربيا تبلغ الرساله ومارأيت وماحضرت فلما قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه واخبره بفتح الاسكندرية خرعمر ساجدا وقال الحمد لله وقيل بل كتب عمرو بن العاص مع الرسول كتابا لعمر بن الخطاب وقال فيه امابعد فانى فتحت مدينة لااصف مافيها غيرانى اصبت فيها اربعة الاف منيه وهى المكان الصلب المرتفع باربعة الاف حمام واربعين الف يهودى واربعمايه ملهى للملوك قال بن عبد الحكم لما فتح عمرو بن العاص الاسكندريه وجدفيهااثنى عشرالف بقال يبعون البقل الاخضر ورحل منها سبعون الف يهودى فى الليلة التى خافوافيها دخول عمرو بن العاص قيل ان سبب فتح الاسكندرية ان رجلاكان يقال له ابن بسامه كان بوابا فسأل عمرو بن العاص ان يؤمنه على نفسه وارضه واهل بيته ويفتح له الباب فاجابه عمرو الى ذلك ففتح له الباب فدخل وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتى الف من الرجال فلحق بارض الروم اهل القوة وركبوا السفن وكان بها مايةمركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون الفا مع ماقدروا عليه من المال والمتاع والاهل وبقى من بقى من الاسارى ممن بلغ الخراج فاحصى يومئذ ستمائة الف سوى النسا والصبيان فاختلف الناس على عمرو فى قسمتهم وكان اكثر الناس يريدون قسمتها فقال عمرو لااقدر اقسمها حتى اكتب الى امير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشانها ويعلمه ان المسلمين طلبوا قسمتها فكتب اليه عمرلا تقسمها وذرهم يكون خراجهم فيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو واحصى اهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر صلحا كلها بفريضة دينار بن دينار بن على كل رجل لايزاد على كل واحد فى جزية اكثر من دينار بن الا انه يلزم بقدر مايتوسع فيه من الارض والزرع الاالاسكندرية فانهم كانوايؤدون الخراج والجزية على قدرما يرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغيرعهد ولاعقد ولم يكن لهم صلح ولاذمة واخرج بن عبد الحكم عن يزيدبن ابى حبيب قال كانت قرى من قرى مصر قاتلت ونقضوا فسبوا منها قرية يقال لها بلهيت وقرية يقال لها الخيس وقرية يقال لها سلطيس وقرطس وعرق سباياهم بالمدينة وغيرها فردهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى قراهم وصيرهم وجماعة القبط اهل ذمة واخرج عن يحيى ابن ايوب ان اهل سلطيس وحصيل و بلهيت ظاهروا الروم على المسلمين فى جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم وقالوا هؤلاء لنا فئ مع الاسكندرية فكتب عمرو بن العاص بذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه ان يجعل الاسكندريه وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين و يضربون عليهم الخراج و يكون خراجهم وماصالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولايجعلوا فيئا ولاعبيدا ففعلوا ذلك واخرج ابن عبد الحكم عن هشام ابن ابى رقية اللخمى ان عمرو بن العاص رضى الله عنه لما فتح مصر قال لقبط مصر من كتمنى كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من اهل الصعيد يقال له بطرسا ذكروا لعمرو ان عنده كنزا فارسل اليه فسأله فانكر وجحد فحبسه فى السجن وعمرو يسأل عنه

هل يسمعونه يسأل عن احد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب فى الطور فارسل عمرو الى بطرس فنزع خاتمه من يده فكتب عمرو الى ذلك الراهب ان ابعث الى بما عندك وختمه بخاتم بطرس فجاءه رسوله بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجدفيها صحيفة مكتوبا فيها مالكم تحت الفاسقية الكبيرة فارسل عمروا الى الفاسقية فحبس عنها الماء ثم قلع منها البلاط الذى تحتها فوجدفيها اثنين وخمسين اردبا ذهبا مضروبة فضرب عمرو رأس بطرس عند باب المسجد فاخرج القبط كنوزهم شفقة ان يسعى على احد منهم فيقتل كما قتل بطرس ثم ذكر الجلال السيوطى فى حسن المحاضره اختلاف العلماء فى ان مصر فتحت صلحا او عنوة فنقل عن الليث بن سعد عن يزيد بن ابى حبيب ان مصر كلها صلح الا الاسكندرية فانها فتحت عنوة ونقل عن عون بن حطان انه كان بقريات من مصر منهن ام دنين عهد واخرج عن يحيى بن ايوب وخالد بن حميد قال فتح الله ارض مصر كلها بصلح غير الاسكندريه وثلاث قريات ظاهروا الروم على المسلمين سلطيس وهصيل وبلهيت ونقل عن ابن هبيره ان مصر فتحت عنوة واخرج عن عبد الرحمن بن زياد قال سمعت اشياخنا يقولون ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد واخرج عن ابى العاليه انه سمع عمرو بن العاص رضى الله عنه يقول لقد قعدت مقعدى هذا ومالاحد من قبط مصر على عهد ولا عقد الا اهل انطابلس فان لهم عهدا يوفى لهم به وزاد فى رواية عن ابن لهيعه ان عمرا قال ان شئت قتلت وان شئت خمست وان شئت بعت وفى رواية عن ربيعة بن عبد الرحمن بن عمرو بن العاص ان عمر بن الخطاب حبس درها وصرها ان يخرج منه شئ نظرا للاسلام واهله واخرج عن زيد ابن اسلم قال كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه و بين احد ممن عاهده فلم يوجد فيه لاهل مصر عهد واخرج عن الصلت بن ابى عاصم انه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد واخرج نحو ذلك عن ابى سلمة ابن عبد الرحمن وعراك بن مالك وسالم بن عبد الله بن عمر واخرج ابن عبد الحكم ومحمد بن الربيع الجيزى من طرق عن سفيان بن وهب الخولانى قال لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير ابن العوام فقال ياعمرو اقسمها فقال عمرو بن العاص لا اقسمها فقال الزبير والله لتقسمنها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال عمرو لم اكن لاحدث حدثا حتى اكتب بذلك الى امير المؤمنين فكتب اليه عمر بن الخطاب اقرها حتى يغدوا منها حبل الحبله يعنى ولد الولد وروى بن عبد الحكم عن بن شهاب قال كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة و بعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميعا ذمة وحملهم على ذلك فمضى ذلك فيهم الى اليوم قال القضاعى ان فتح مصر كان يوم الجمعة فى شهر محرم سنة عشرين وانهم ساروا الى الاسكندريه فى شهر ربيع الاول سنة عشرين وقيل فى جمادى الاخرة وان عمرو بن العاص رضى الله عنه قفل من الاسكندريه بعد فتحها والمقام بها فى ذى القعدة سنة عشرين وقال الليث بن سعد اقام عمرو بالاسكندريه فى حصارها وفتحها ستة اشهر ثم انتقل الى الفسطاط فاتخذها دارا واخرج ابن عبد الحكم عن يزيد ابن ابى حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها و بناءها هم ان يسكنها فكتب الى عمر بن

الخطاب

الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني و بين المسلمين ماء قال نعم ياامير المؤمنين اذاجرى النيل فكتب عمر الى عمرو لااحب ان تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني و بينهم في شتاء ولاصيف فتحول عمرو من الاسكندريه الى الفسطاط واخرج بن عبدالحكم ايضا عن يزيد بن ابي حبيب ان عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن ابي وقاص وهو نازل بمدائن كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندريه ان لاتجعلوا بيني و بينكم ماء متى اردت ان اركب اليكم راحلتي حتى اقدم اليكم قدمت فتحول سعد من مداين كسرى الى الكوفه وتحول صاحب البصره من المكان الذى كان فيه فنزل البصره وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط قال بن عبد الحكم ان عمرو ابن العاص لما كان بمصر كان له فسطاط فلما اراد التوجه الى الاسكندريه امر بنزع فسطاطه فاذا فيه يمام قدفرخ فقال لقد تحرم بنا امر به فاقره كما هو حتى يطير الفراخ واوصى به صاحب القصر فلما قفل المسلمون من الاسكندريه قالوا اين ننزل قال الفسطاط يعني فسطاطه الذى خلفه وكان مضروبا في موضع الدار الذى يعرف اليوم بدار الحصا فلذلك سميت مصر الفسطاط قال القضاعي لما رجع عمرو بن العاص من الاسكندريه ونزل موضع الفسطاط انضمت القبايل بعضها الى بعض وتنافسوا في المواضع فولى عليهم امرآء فكانوا هم الذين انزلوا الناس وفصلوا بين القبايل وقال بن قتيبه ان العرب تقول لكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط قال ابن فضل الله في المسالك مسجد عمرو بن العاص مسجد عظيم بمدينة الفسطاط بناه عمرو موضع فسطاطه وما جاوره وموضع فسطاطه حيث المحراب والمنبر وبني عمرو بن العاص دارا لعمر بن الخطاب وكتب له انا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع فكتب الى عمر أنى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر وامره ان يجعلها سوقا للمسلمين قال بن لهيعة هي دار البركة فجعلت سوقا فكان يباع فيها الرقيق وبنى خارجة بن حذافه غرفة عالية فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك امابعد فقد بلغني ان خارجة ابن حذافه بنى غرفه واراد ان يطلع على عورات جيرانه فاذا اتاك كتابي هذا فاهدمها ان شاء الله والسلام فلما جاءه الكتاب هدمها وسأل المقوقس عمرو بن العاص ان يبيعه سفح الجبل المقطم بسبعين الف دينار فعجب عمرو من ذلك فكتب في ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر سله لم اعطاك به ما اعطاك وهي لاتزرع وهي لايستنبط بها ماء ولاينتفع بها فسأله فقال انا لنجد صفتها في الكتب ان فيها غراس الجنة وفي رواية انا لنجد في كتابنا ان مابين هذا الجبل وحيث نزلتم ينبت فيه شجر الجنة فكتب بقوله الى عمر بن الخطاب فقال صدق فاجعلها مقبرة للمسلمين وفي رواية انالانعلم غراس الجنة الاللمؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشئ فكان اول من دفن فيها رجل من معافر يقال له عامر فقيل عمرت وروى عمرو بن العاص عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذافتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير اجناد الارض فقال ابو بكر رضي الله عنه ولم يارسول الله قال لانهم وازواجهم في رباط الى يوم القيامة ثم قال عمرو بن العاص فاحمدوا الله

معاشر المسلمين على ماأولاكم ولما فتح عمرو مصر اتى اهلها اليه حين دخل بؤنه من اشهر العجم
فقالوا له ايها الامير ان لنيلنا هذا سنة لايجرى الا بها فقال لهم وماذاك قالوا اذا كان لثلثى عشرة
ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين ابويها فارضينا ابويها وجعلنا عليها
من الحلى والثياب افضل مايكون ثم القيناها فى هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لايكون فى الاسلام
وان الاسلام يهدم ماقبله فاقاموا بؤنه وابيب ومسرى لايجرى النيل قليلا ولا كثيرا
حتى هموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر قد اصبت
ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك ببطاقة فالقها فى داخل النيل اذا اتاك كتابى
فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر امير المؤمنين الى نيل مصر
اما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الواحد القهار الذى يجريك
فنسأل الواحد القهار ان يجريك فالقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم
وقد تهيأ اهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لايقوم بمصلحتهم فيها الا النيل فاصبحوا
يوم الصليب وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا وقد زالت تلك السنة السوء عن اهل مصر
وعن يزيد بن ابى حبيب ان موسى عليه السلام دعا على فرعون فحبس الله عنهم النيل
حتى ارادوا الجلا حتى طلبوا موسى ان يدعو الله رجا ان يؤمنوا فدعا الله فاصبحوا
وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا فاستجاب الله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام

﴿ ذكر فتوحات العراق بعد مسير خالد بن الوليد الى الشام ﴾

لما اراد خالد بن الوليد المسير الى الشام بامر ابى بكر رضى الله عنه اخذ معه بعض الجند
كما تقدم واستخلف على من بقى بالعراق المثنى بن حارثة الشيبانى وهو صحابى من نسل ذهل بن شيبان
وينتهى نسبه الى ربيعة بن نزار وفد المثنى على النبى صلى الله عليه وسلم
سنة تسع مع وفد قومه وسيره ابوبكر الصديق رضى الله عنه فى صدر خلافته
الى العراق قبل مسير خالد بن الوليد الى العراق وهو الذى اطمع ابابكر والمسلمين
فى الفرس وهون امر الفرس عندهم وكان شهما شجاعا ميمون النقيبة حسن الراى ابلى
فى قتال الفرس بلاء لم يبلغه احد وكان استخلاف خالد له على جيش العراق بامر من ابى بكر
رضى الله عنه فلما توجه خالد الى الشام واستخلفه على الجند اقام بالحيرة وذلك سنة ثلاث عشرة
وكان الفرس قد هلك ملكهم كسرى كما تقدم ثم استقام امرهم على تملك شهر زان ابن ازدشير
ابن شهريار بن سابور فوجه الى المثنى بن حارثة جيشا عظيما عليهم هرمز جاذويه فخرج المثنى
من الحيرة نحوه فأقام ببابل فاقبل هرمز نحوه وكتب ملكهم كسرى الذى ملكوه عليهم الى المثنى
كتابا انى قد بعثت اليكم جندا من وحش اهل فارس انما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست
اقاتلكم الا بهم فكتب اليه المثنى انما انت احد رجلين اما باغ فذلك شر لك وخير لنا واما كاذب
فاعظم الكاذبين عند الله فضيحة وعند الناس الملوك واما الذى يدلنا عليه الراى فانكم انما
اضطررتم بهم فالحمد لله الذى رد كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير فجزع الفرس من كتابه فالتقى
المثنى وهرمز ببابل فاقتتلوا قتالا شديدا وكان معهم فيل يفرق الناس فانتدب له المثنى ومعه

ناس فقتلوه وانهزم الفرس وتبعهم المسلمون الى المدائن يقتلونهم ومات ملكهم كسرى شهر زان لما انهزم هرمز واختلف الفرس وبقى مادون دجله بيد المثنى ثم اجتمعت الفرس وملكوا دخت زنان ابنة كسرى فلم ينفذ لها امر فخلعوها وملكوا سابور بن شهر زان وقام بتدبير امره الفراخزاد ابن البنذوان فقتل وثارت بينهم فتنة وحصروا الملك سابور ثم قتلوه وملكوا ازرميد اخت بنت كسرى وتشاغلوا بتلك الفتنة وابطأ على المثنى خبر ابى بكر رضى الله عنه فاستخلف على المسلمين بشير بن الخصاصيه وهو صحابى من نسل سدوس ابن شيبان والخصاصية جدته نسب اليها وهى من الازد وابو يزيد ابن سعيد قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مع وفد الازد وكان اسمه زحما فسماه النبى صلى الله عليه وسلم بشيرا وكان سير المثنى الى ابى بكر رضى الله عنهما ليخبره خبر المشركين ويستأذنه فى الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين فانهم انشط الى القتال من غيرهم فقدم المدينة وابو بكر رضى الله عنه مريض قد اشفى فاخبره الخبر فاستدعى عمر وقال انى لارجوا ان اموت يومى هذا فاذا انامت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة عن امر دينكم ووصية ربكم فقد رأيتنى متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وماصنعت وما اصيب الخلق بمثله واذا فتح الله على اهل الشام فاردد اهل العراق الى العراق فانهم اهله وولاة امره واهل الجرأة عليهم ومات ابو بكر رضى الله عنه ليلا فدفنه عمر رضى الله عنه وندب الناس مع المثنى وكان الانتداب الى فارس اثقل الوجوه على المسلمين واكرهها اليهم لشدة سلطانهم وقوة شوكتهم وقهرهم الامم فكان عمر رضى الله عنه يبايع الناس ثلاثة ايام وفى الرابع ندب الناس الى العراق فكان اول منتدبه ابو عبيد ابن مسعود الثقفى وهو صحابى اسلم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وهو والد المختار وانتدب ايضا سعد بن عبيد الانصارى وسليط بن قيس الانصارى وكانا ممن شهد بدرا وتتابع الناس وتكلم المثنى فقال ايها الناس لايعظمن عليكم هذا الوجه فانا قد فتحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شق السواد ونلنا منهم واجترأنا عليهم ولنا ان شاء الله مابعدها فاجتمع الناس فقيل لعمر امر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين والانصار قال لا والله لا افعل وانما رفعهم الله بسبقهم ومسارعتهم الى العدو فاذا فعل فعلهم قوم وتثاقلوا كان الذين ينفرون خفافا وثقالا ويسبقون الى الرفع اولى بالرياسه فهم والله لا أومر عليهم الا اولهم انتدابا ثم دعا اباعبيد وسعدا وسليطا وقال لهما لو سبقتماه لوليتكما ولادركتما بها مالكما من السابقه فامر اباعبيد وقال له اسمع من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشركهم فى الامر ولايمنعنى ان أومر سليطا الا سرعته الى الحرب وفى التسرع الى الحرب ضياع الاعراب فانه لايصلحها الا الرجل المكيث واوصاه بجنده فكان بعث ابى عبيد اول جيش سيره عمر رضى الله عنه ثم بعده سير يعلى بن اميه الى اليمن وامره باجلاء اهل نجران بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لايجتمع بجزيرة العرب دينان واعتذر عمر فى عزله المثنى عن الامارة بقوله انى لم اعزله وخالد بن الوليد عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت ان يوكلوا اليهما فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع وان لايكونوا بعرض فتنة

﴿ ذكر خبر النمارق ﴾

فسار ابو عبيد الثقفي وسعد بن عبيد وسليط بن قيس الانصاريان ومن معهم والمثنى ابن حارثة وامره عمر بالتقدم الى ان يقوم عليه اصحابه و امرهم باستنفار من حسن اسلامه من اهل الردة ففعلوا ذلك وسار المثنى فقدم الحيره وكان الفرس تشاغلوا عن المسلمين بما وقع بينهم ثم ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بشرط ان تملك رستم بن الفرخزاد عشر سنين ثم يكون الملك فى ال كسرى ان وجدوا من غلمانهم والا ففى نسائهم فدعت بوران مرازبة فارس وامرتهم ان يسمعوا لرستم و يطيعوا وتوجته فدانت له فارس قبل قدوم ابى عبيد ثم قدم المثنى الى الحيره فى عشر وقدم بعده ابو عبيد بشهر فكتب رستم الى الدهاقين ان يثوروا بالمسلمين و بعث فى كل رستاق رجلا يثور باهله ووعدهم يوما و بعث جندا لمصادمة المثنى و بلغ المثنى الخبر فعجل فخرج من الحيره ونزل خفان ونزل جيش الفرس النمارق فسار اليه ابو عبيد واقتتلوا بالنمارق قتالا شديدا فهزم الله اهل فارس واسر رئيس جيشهم واسمه جابان ولحق المنهزمون كسكر و بها نرسى بن خالة الملك فسار اليهم ابو عبيد واقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم الفرس وهرب نرسى وغلب المسلمون على عسكره وارضه وجمعوا الغنائم ولما بلغ بوران ورستم هزيمة جابان بعث الجالينوس بجيش فنزل بباقشياثا فسار اليه ابو عبيد فهزمه وهرب الجالينوس وغلب ابو عبيد على تلك البلاد ثم ارتحل حتى قدم الحيره وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لابى عبيد انك تقدم على ارض المكر والخديعه والخيانه والجبريه تقدم على قوم تجروا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون و احذر لسانك ولا تفشين سرك فان صاحب السر مايضبطه متحصن لايؤتى من وجه يكرهه واذا ضيعه كان بمضيعة فكان ابو عبيد شديد الحذر والتحفظ حسن التدبير محافظا على ما اوصاه به عمر رضى الله عنه

﴿ ذكر وقعة قس الناطف و يقال لها الجسر واستشهاد ابى عبيد رضى الله عنه ﴾

ولما رجع الجالينوس الى رستم منهزما ومن معه من جنده قال رستم اى العجم اشد على العرب قالوا بهمن جاذويه المعروف بذى الحاجب فوجهه ومعه فيله ورد الجالينوس معه وقال لبهمن ان انهزم الجالينوس ثانية فاضرب عنقه فاقبل بهمن جاذويه فنزل بقس الناطف واقبل ابو عبيد فنزل بالمروحة فرأت دومة امرأة ابى عبيد فى منامها ان رجلا نزل من السماء باناء فيه شراب فشرب ابو عبيد ومعه نفر فاخبرت بها ابا عبيد فقال هذه الشهادة ان شاء الله تعالى وعهد الى الناس فقال ان قتلت فعلى الناس فلان فان قتل فعليهم فلان حتى امر الذين شربوا من الاناء وكلهم من قومه ثقيف ثم قال فان قتل فلان فعلى الناس المثنى بن حارثة ثم عبر على الجسر بجيوشه الى قس الناطف فالتقى مع بهمن وجيوشه واقتتلوا قتالا شديدا واشتد الامر بالمسلمين فترجل ابو عبيد والناس ثم مشوا اليهم ثم صافحوهم بالسيوف فجعلت الفيله لا تحمل على جماعة الا دفعتهم فنادى ابو عبيد احتوشوا الفيله وقطعوا بطانها واقلبوا عنها اهلها ووثب هو على الفيل الابيض فقطع بطانه ووقع الذى

عليه وفعل القوم مثل ذلك فما تركوا فيلا الاحطوا رحله وقتلوا اصحابه و اهوى الفيل لابي عبيد فضربه ابو عبيد بالسيف وخبطه الفيل بيده فوقع فوطئه الفيل وقام عليه فلما بصر به الناس تحت الفيل خشعت انفس بعضهم ثم اخذ اللوا الذى امر به بعده فقاتل الفيل حتى تنحى عن ابي عبيد فاخذه المسلمون فاحرزوه ثم قتل الفيل الامير الذى بعد ابي عبيد وتتابع سبعة انفس من ثقيف كلهم يأخذ اللواء و يقاتل حتى يموت ثم اخذ اللوا المثنى بن حارثة فهرب عنه الناس فلما رأ عبدالله بن مرشد الثقفي ما لقى ابو عبيد وما يصنع الناس بادرهم الى الجسر فقطعه وقال ايها الناس موتوا على ما مات عليه امراءكم اوتظفروا وحاز المشركون المسلمين الى الجسر فتواثب بعضهم الى الفرات فغرق من لم يصبر واسرعوا فيمن صبر وحمى المثنى وفرسان من المسلمين الناس وقال انادونكم فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا ولا تغرقوا نفوسكم وقاتل عروة ابن زيد الخيل وابو محجن الثقفي قتالا شديدا وقاتل ابو زبيد الطائي قتالا شديدا حمية للعرب وكان نصرانيا قدم الحيره لبعض امره ونادى المثنى من عبرنجا وامر بعقد الجسر فعبر الناس وكان اخر من قتل سليط بن قيس وعبر المثنى فلما عبر ارفض عنه اهل المدينة و بقى المثنى فى قلة وكان قدجرح واثبت فيه حلق من درعه وكان جملة من مات من المسلمين اربعة الاف بين قتيل وغريق وقتل من الفرس ستة الاف واراد بهمن جاذويه العبور خلف المسلمين فاتاه الخبر باختلاف الفرس وانهم قدثاروا برستم ونقضوا الذى بينهم و بينه وانهم صاروا فريقين الفهلوح على رستم واهل فارس على الفيرزان فرجع بهمن الى المداين

﴿ ذكر وقعة البويب ﴾

لما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقعة ابي عبيد بالجسر ندب الناس الى المثنى وكان ممن ندب بجيله وامرهم الى جرير بن عبدالله البجلي فاجتمع كثير منهم فامرهم عمر بالتوجه الى العراق فابوا الا الشام فعزم عليهم عمر التوجه الى العراق و ينفلهم ربع الخمس فاجابوا وسيرهم الى المثنى وكتب الى اهل الردة فلم يأته احد الابعثه الى المثنى و بعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب فتوافوا اليه فى جمع عظيم وجاءه انس بن هلال النمرى فى جمع عظيم من النمر نصارى وقالوا نقاتل مع قومنا و بلغ الخبر رستم والفيرزان فجمعوا جموعهم من ورا الفرات واجتمع المسلمون بالبويب وكان على جيش الفرس مهران الهمداني فارسل الى المثنى يقول اما ان تعبر الينا واما ان نعبر اليك فقال المثنى اعبروا فعبر مهران فنزل على شاطئ الفرات وعبى المثنى اصحابه وكان فى رمضان فامرهم بالافطار ليقووا على عدوهم فافطروا واقبل الفرس فى ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ولهم زجل فقال المثنى لاصحابه ان الذى تسمعون فشل فالزموا الصمت ودنوا من المسلمين وطاف المثنى فى صفوفه يحرضهم وقال انى مكبر ثلاث فتهيؤا ثم احملوا فى الرابعه فلما كبر اول تكبيره اعجلتهم فارس وخالطوهم فلما طال القتال واشتد قال المثنى لانس بن هلال النمرى انك امرء عربي وان لم تكن على ديننا فاذا حملت على مهران فاحمل معى فاجابه فحمل المثنى على مهران فازاله حتى دخل

في ميمنته ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنبتان تقتتل ولا يستطيعون ان يفزعوا لنصر اميرهم لا المسلمون ولا المشركون وافنى المثنى قلب المشركين فلما راوه قد ازال القلب وثب مجنبتا المسلمين على مجنبتي المشركين وجعلوا يردون الاعاجم على ادبارهم حتى هزموا الفرس وسبقهم المثنى الى الجسر واخذ طريق الاعاجم فافترقوا مصعدين ومنحدرين واخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثثا بقيت عظام القتلى دهرا طويلا وكانوا يحرزون القتلى مائة الف وسمي ذلك اليوم الاعشار احصى مائه رجل من المسلمين قتل كل رجل منهم عشرة من الفرس وتبعهم المسلمون الى الليل ومن الغد الى الليل وغنم المسلمون غنائم كثيرة واعطى بجيله ربع الخمس كما شرط لهم عمر رضي الله عنه

﴿ ذكر خبر الخنافس وسوق بغداد ﴾

سوق الخنافس يجتمع بها تجار مداين كسرى والسواد وقضاعه وربيعه يخفرونهم فركب المثنى واغار على الخنافس يوم سوقها فانتهب السوق ومافيها وسلب الخضرا ثم رجع الى الانبار فتحصن اهلها منه فلما عرفوه نزلوا اليه واتوه بالاعلاق والزاد واخذ منهم الادلا على سوق بغداد وهو موضع المدينة التي اختطها المنصور فيما بعد وصبحهم في اسواقهم فوضع السيف فيهم واخذ ما شاء ثم رجع الى الانبار وشن الغارات بخيول اصحابه على الاطراف وبعث خيلا على احيا تغلب بصفين فاغاروا عليهم وقتلوا المقاتله وسبوا الذريه واستاقوا الاموال واغاروا على قوم من تغلب والنمر بشاطي دجله ففروا وادركوهم بتكريت فاصابوا ماشاؤا من النعم

﴿ ذكر الخبر الذي هيج امر القادسيه وتملك يزدجر ﴾

لما رأى اهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد قالوا لرستم والفيرزان وهما على اهل فارس لم يبرح بكما الاختلاف حتى رهنتما اهل فارس واطمعتما فيهم عدوهم ولم يبلغ من امركما ان نقركما على هذا الرأي وان تعرضاها للهلكه ما بعد بغداد وساباط وتكريت الا المداين والله لتجتمعان او لنبدأن بكما ثم نهلك وقد اشتفينا منكما ولم يبق امن ولد كسرى من الذكور الاغلام عمره احد وعشرون سنة يدعى يزدجر فملكوه واجتمعوا عليه فاطمأنت فارس واستوثقوا وتبارى المراز به في طاعته ومعونته فجندوا جنودا كثيرة فبلغ ذلك المثنى والمسلمين فكتبوا الى عمر ابن الخطاب ثم بلغهم ان اهل السواد كفروا وصار من له عهد كمن لا عهد له فلما وصل الكتاب الى عمر رضي الله عنه قال والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب فلم يدع رأسا ولا ذا رأى وشرف وبسطة ولا خطيبا ولا شاعرا الا ورماهم به فرماهم بوجوه الناس وغررهم وكتب عمر الى المثنى ومن معه يأمره بالخروج من بين العجم والتفرق في المياه التي تلي العجم وان لا يدعوا في ربيعة ومضر وحلفائهم احدا من اهل النجدات ولا فارسا الا احضروه اما طوعا او كرها ففعلوا ذلك وكان ذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشره وارسل عمر في الحجه عند مخرجه الى الحج الى عماله على العرب ان لا يدعوا من له نجدة او فرس او سلاح او رأى الا وجهوه اليه فاما من كان على النصف ما بين المدينة والعراق فجاء اليه بالمدينة لما عاد من الحج واما من كان

اقرب الى العراق فانضم الى المثنى بن حارثة وجاءت امداد العرب الى عمرو لما اجتمع الناس استخلف على المدينة عليا رضى الله عنه وخرج من المدينة حتى نزل على ماء يدعى ضرار فعسكر به فى ابتدا سنة اربع عشرة ولا يدرى الناس ماذا يريد ايسير ام يقيم فسأله عثمان عن سبب حركته فاحضر الناس فاعلمهم الخبر واستشارهم فى المسير الى العراق فقال العامة سر وسر بنا معك فدخل معهم فى رأيهم وقال اغدوا واستعدوا فانى سائر الا ان يجئ رأى هو امثل من هذا ثم جمع وجوه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسل يطلب حضور على رضى الله عنه من المدينة فحضر فاجتمع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف ثم استشارهم فاتفقوا على ان يبعث رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرميه بالجنود فان كان الذى يشتهى فهو الفتح والا اعاد رجلا وبعث اخر ففى ذلك غبن العدو فجمع عمر بقية الناس وقال لهم انى كنت عزمت على المسير حتى صرفنى ذوو الرأى منكم وقد رأيت انى اقيم وابعث رجلا فاشيروا على برجل وكان سعد بن ابى وقاص بعثه لصدقات هوازن وكتب اليه بانتخاب ذوى الرأى والنجده والسلاح فجاء كتابه وعمر يستشير الناس فيمن يبعثه يقول سعد فى كتابه قد انتخبت لك الف فارس كلهم ذو نجدة ورأى وصاحب حيطة يحفظ حريم قومه اليهم انتهت احسابهم ورأيهم فلما وصل كتابه لعمر قالوا الله قد وجدته يا امير المؤمنين قال من هو قالوا اسعد بن مالك وهو سعد بن ابى وقاص فانتهى الى قولهم فارسل اليه وطلبه واقره على حرب العراق واوصاه بوصايا كثيرة وسرحه فيمن اجتمع اليه من نفر المسلمين وهم اربعة الاف ثم امده بالفين من اهل اليمن والفين من اهل نجد وكان المثنى فى ثمانية الاف وكان سعد بن ابى وقاص من بنى زهرة ابن كلاب وهم رهط آمنة ام النبى صلى الله عليه وسلم فهو سعد بن مالك ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وآمنة ام النبى صلى الله عليه وسلم بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة ابن كلاب فيلتقى نسبه مع آمنه فى عبدمناف بن زهرة ومع النبى صلى الله عليه وسلم فى كلاب ابن مره وكان سعد رضى الله عنه من السابقين فى الاسلام ومن العشرة المبشرين بالجنة ومن الشجعان المشهورين وهو اول من اراق دما فى سبيل الله واول من رمى بسهم فى سبيل الله شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابلى يوم احد بلاء عظيما وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض وشهد له بالجنة ودعا له ان الله يجيب دعوته فكان مجاب الدعوة ومناقبه كثيرة رضى الله عنه وبه فتح الله العراق ولما طعن عمر رضى الله عنه جعله من الستة اصحاب الشورى المستحقين للخلافه ومما اوصاه به عمر رضى الله عنه لما جعله اميرا على جيوش العراق انه قال له لا يغرنك من الله ان قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمحو بالسئ السئ ولكنه يمحو السئ بالحسن وليس بين الله وبين احد نسب الا طاعته فالناس فى ذات الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافيه ويذكرون ما عندهم بالطاعة فانظر الامر الذى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه ووصاه بالصبر وسار سعد والمثنى قبله

وصار ينتظر قدومه فمات المثنى قبل قدوم سعد من جراحات كانت به انتقضت عليه ولما وصل سعد رتب الجيوش ولم يزل عمر رضي الله عنه يمده بالرجال حتى استكمل عنده ستة وثلاثون الفا واوصى المثنى قبل موته اخاه المعنى بن حارثة ان يبلغ سعدا اذا قدم ان يقاتلوا الفرس على حدود ارضهم على ادنى حجر من ارض العرب ولا يقاتلوهم في عقر دارهم فان يظهر الله المسلمين فلهم ماوراهم وان كانت الاخرى رجعوا الى فئة ثم يكونوا اعلم بسبيلهم واجرأ على ارضهم الى ان يرد الله الكره عليهم فلما بلغ سعد ذلك ترحم على المثنى ومن معه وكان مع سعد تسعة وتسعون من اهل بدر وثلثمائة و بضعة عشر ممن كانت لهم صحبة فيما بين بيعة الرضوان الى مافوق ذلك وثلاثمائة ممن شهد وافتح مكة وسبعمائة من ابناء الصحابة وقدم على سعد كتاب عمر بمثل رأى المثنى روى الطبرانى ان عمر رضي الله عنه كتب الى سعد بن ابى وقاص قد وجهت اليك او امددتك بألفي رجل عمرو بن معدى كرب وطليحة بن خويلد فشاورهما في الحرب ولا تولهما واما قال ولا تولهما لما يعلم فيهما من شدة الاقدام بالعسكر وعدم التأني وكان كل منهما يعد بألف فارس لشجاعتهما وشدتهما وسيأتي ذكر شئ مما كان منهما مما يدل على ذلك وكان ملك العرب عامل كسرى بالحيره قبيصه بن اياس الطائى فلما سمع بمجئ سعد سأل عنه وعنده عبد الله بن سنان الاسدى فاخبره ان سعدا رجل من قريش فقال قبيصه والله لاحاد به القتال فان قريشا عبيد من غلب والله لا يخرجون من بلادهم الا بخفين فغضب عبد الله بن سنان من قوله وامهله حتى دخل قبته فقتله ولحق بسعد فاسلم وسار سعد بالجيوش حتى نزل القادسيه وهي قريب من موضع الكوفه وكتب عمر بن الخطاب لسعد رضي الله عنهما انكم اذا لقيتم العدو وهزمتموهم فمتى لاعب احد منكم احدا من العجم بامان او باشارة او بلسان كان عندهم امانا فاجروا لهم ذلك مجرى الامان والوفا فان الخطا بالوفا بقية وان الخطا بالغدر هلكة فيها وهنكم وقوة عدوكم وكان سعد قد جعل على مقدمة جيشه زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الحويه التميمى وهو صحابى وفد على النبى صلى الله عليه وسلم واسلم فلما نزل زهره في المقدمة وامسى بعث سرية في ثلاثين معروفين بالنجده وامرهم بالغارة على الحيره فلما جاوزوا السليحين سمعوا جلبه فكثوا حتى حاذوهم واذا اخت ازادمرد ابن ازاد به مرزبان الحيره تزف الى صاحب الصنين وهو من اشراف العجم فحمل بكير بن عبد الله الليثى امير السريه على شيرزاد بن ازادبه فدق صلبه وطارت الخيل على وجوهها واخذوا الاثقال وابنة ازادبه في ثلاثين امراه من الدهاقين ومائة من التوابع ومعهم مالايدرى قيمته فاستاق ذلك ورجع به واتى به سعدا فقسم ذلك على المسلين ومكث سعد بالقادسيه شهرا لم يأته احد من الفرس وخيله تغير بالاطراف وتأتى بغنائم كثيرة حتى اخصب المسلون ووصف بعض من كان مع سعد قوم سعد الذين كانوا معه في الجيش للحجاج ابن يوسف بقوله مارأينا قط ازهد في دنيا منهم ولا اشد بغضا لها وكانوا ابرارا اتقيا ليس فيهم جبان ولا غدار فاستغاث اهل السواد الى يزدجر واعلموه ان العرب قد نزلوا القادسيه ولايبق على ضلهم شئ وقد اخربوا ما بينهم و بين الفرات ونهبوا الدواب والاطعمه وان ابطا الغياث اعطيناهم بايدينا وكتب له بذلك الذى لهم الضياع وهيجوه على ارسال الجنود

فارسل

فارسل يزدجرد الى رستم وقال له انى اريد ان اوجهك فى هذا الوجه فانت رجل فارس اليوم وقد ترى ماحل بالفرس مما لم يأتهم مثله فاظهر له الاجابة ثم قال له دعنى فان العرب لا تزال تهاب العجم مالم تضربهم بى ولعل الدولة ان تثبت بى اذا لم احضر الحرب فيكون الله قد كفى ونكون قد اصبنا المكيدة والرأى فى الحرب انفع من بعض الظفر والاناة خير من العجلة وقتال جيش بعد جيش امثل من هزيمة بمرة واشد على عدونا فابى عليه واعاد رستم كلامه وقال قد اضطر فى تضييع الرأى الى اعظام نفسى وتزكيتها ولو اجد من ذلك بدا لم اتكلم به فانشدك الله فى نفسك وملكك ودعنى اقم بعسكرى واسرح الجالينوس فان تكن لنا فذلك والا بعثنا غيره حتى اذا لم نجد بدا صبرنا لهم وقد وهناهم ونحن حامون فانى لا ازال مرجوا فى اهل فارس مالم اهزم فابى الا ان يسير فخرج حتى ضرب عسكره بساباط وعلى مقدمته الجالينوس فى اربعين الفا وخرج هو فى ستين الفا وفى ساقته عشرون الفا وجاءت الاخبار الى سعد بذلك فكتب الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر لا يكربنك ماياتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه وابعث اليه رجالا من اهل المناظرة والرأى والجلد يدعونه الى الله فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم فارسل سعد نفرا ممن هم كذلك وامرهم ان ياتوا يزدجرد فخرجوا من العسكر وتركوا رستم واستأذنوا على يزدجرد فاذن لهم فدخلوا وقد احضر وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع ويقوله لهم واجتمع الناس ينظرون اليهم وتحتهم خيول كلها صهال وعليهم البرود وبايديهم السياط واحضر الترجمان وقال له سلهم ماجاءكم ومادعاكم الى غزونا والولوع ببلادنا من اجل انا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا فقال النعمان ابن مقرن لاصحابه ان شئتم تكلمت عنكم ومن شاء أثرته فقالوا بل تكلم فقال ان الله رحمنا فارسل الينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة الاوقاربه منها فرقة وتباعد عنه منها فرقة ثم امر ان نبتدأ الى من خالفه من العرب فبدأنا بهم فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتبط وطامع فازداد فعرفنا جميعا فضل ماجاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق ثم امرنا ان نبتدأ بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح فان ابيتم فامر من الشر هو اهون من آخر شر منه الجزية فان ابيتم فالمناجزة فان اجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله واقمنا على ان تحكموا باحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وان بذلتم الجزية قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم فتكلم يزدجرد وقال انى لا اعلم امة فى الارض كانت اشقى ولا اقل عددا ولا اسوأ ذات بين منكم قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى فيكفونا امركم ولا تطمعوا ان تقدموا لفارس فان كان غرور لحقكم فلا يغرنكم منا وان كان الجهد فرضنا لكم قوتا الى خصبكم واكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم فقام المغيرة بن زرارة الاسدى وقال ايها الملك ان هؤلاء رؤس العرب ووجوههم وهم اشراف يستحيون من الاشراف وانما يكرم الاشراف ويعظم حقهم الاشراف وليس كل ماارسلوا به قالوه ولا كل ماتكلمت به اجابوك عنه فجاوبنى لاكون الذى ابلغك وهم يشهدون على ذلك فاما ماذكرت من سوء الحال فهى على ماوصفت واشد ثم ذكر من سوء عيش العرب وارسال الله النبى صلى الله عليه وسلم

اليهم نحو قول النعمان وقتال من حاقهم او الجزية ثم قال له اختر ان شئت الجزية عن يد وانت صاغر وان شئت فالسيف او تسلم فتنجي نفسك فقال لولا ان الرسل لا تقتل لقتلتكم لا شئ لكم عندي ثم استدعى بوقر من تراب فقال احملوه على اشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن ثم قال ارسل سعدا ارجعوا الى صاحبكم فاعلموه انى مرسل اليه رستم حتى يدفنه و يدفنكم معه فى خندق القادسية ثم اورده بلادكم حتى اشغلكم بانفسكم بأشد مما نالكم من سابور فقام عاصم ابن عمرو الكناني الليثى ليأخذ التراب وقال انا اشرفهم انا سيد هؤلاء فحمله على عنقه وخرج الى راحلته فاخذ التراب وركبها وقال لسعد لما جاءه ابشر لقد اعطانا الله اقاليد ملكهم واشتد ذلك على جلساء الملك وقال الملك لرستم ما كنت ارى ان فى العرب مثل هؤلاء ما انتم باحسن جوابا منهم ولقد صدقني القوم لقد وعدوا امرا ليدركنه او ليموتن عليه على انى وجدت افضلهم احمقهم حيث حمل التراب على رأسه فقال رستم ايها الملك انه اعقلهم وتطير الى ذلك وابصرها دون اصحابه وخرج رستم من عند الملك غضبان كئيبا وبعث فى اثر الوفد وقال لئن ادركهم الرسول تلافينا ارضنا وان اعجزوه سلبكم الله ارضكم فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم فقال ذهب القوم بارضكم من غير مثال وكان منجما كاهنا واغار سواد بن مالك التميمي بعد مسير الوفد الى يزدجرد على النجاف والفراض فاستاق ثلاثمائة دابة من بين بغل وحمار وثور واوقروها سمكا وصبح العسكر فقسمه سعد بين الناس ويسمون ذلك اليوم يوم الحيتان وبعث سعد سرية اخرى فاصابوا ابلا لبني تغلب والنمر واستاقوها ومن فيها فنحر سعد الابل وقسمها فى الناس فاخصبوا واغار عمرو ابن الحارث على النهرين فاستاق مواشي كثيرة وعاد وسار رستم من ساباط وجمع آلة الحرب وقال رستم للملك يشجعه بذلك ان فتح الله علينا توجهنا الى ملكهم فى دارهم حتى نشغلهم فى اهلهم وبلادهم الى ان يقبلوا المثال ولما فصل رستم عن ساباط كتب الى اخيه البنذوان اما بعد فرموا حصونكم واعدوا واستعدوا فكأنكم بالعرب قد قارعوكم عن ارضكم وابنائكم وقد كان من رأيي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحوسا فان السمكة قد كدرت الماء وان النعام حسنت والزهرة قد حسنت واعتدل الميزان وذهب بهرام ولا ارى هؤلاء القوم الا سيظهرون علينا ويستولون على ما يلينا وان اشد ما رأيت ان الملك قال لتسيرن اولأسيرن بنفسي ولقي جابان رستم على قنطرة ساباط وكانا منجمين فشكا اليه وقال له الا ترى ما ارى فقال له رستم اما انا فأقاد بخشاش وزمام ولا اجد بدا من الانقياد ثم سار فنزل بكوثى فاتى برجل من العرب فقال ما جاء بكم وماذا تطلبون فقال جئنا نطلب موعود الله بملك ارضكم وابنائكم ان ابيتم ان تسلموا قال رستم فان قتلتم قبل ذلك قال من قتل منا دخل الجنة ومن بقي منا انجزه الله ما وعده فنحن على يقين فقال رستم قد وضعنا اذن فى ايديكم فقال اعمالكم وضعتكم فاسلمكم الله بها فلا يغرنك من ترى حولك فانك لست تحاول الانس وانما تحاول القدر فضرب عنقه ثم سار فنزل البرس فغصب اصحابه الناس ابناءهم واموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمور فضج اهلها الى رستم فقال يامعشر فارس والله لقد صدق العربي والله ما اسلمنا الا اعمالنا والله ان العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب احسن سيرة منكم ان الله كان ينصركم على العدو ويمكن لكم فى البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء

والاحسان

والاحسان فاذا تغيرتم فلا ارى الله الا مغيرا مابكم ومالنا بأمن من ان ينزع الله سلطانه منكم واتى ببعض من يشكي منه فضرب عنقه ثم سار حتى نزل الحيرة ودعا اهلها وتهددهم وهم بهم فقال له ابن بقيلة لاتجمع علينا ان تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن انفسنا ولما نزل رستم بالنجف رأى في منامه كأن ملكا نزل من السماء ومعه النبي صلى الله عليه وسلم وعمر فاخذ الملك سلاح اهل فارس فختمه ثم دفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم الى عمر فاصبح رستم حزينا وارسل سعد السرايا ورستم بالنجف والجالينوس بين النجف والسليحين فطافت في السواد فبعث سوادا وحيضة في مائة فاغاروا على النهرين وبلغ رستم الخبر فارسل اليهم رستم خيلا وسمع سعد ان خيله قد وغلت فارسل عاصم بن عمرو وجابر الاسدى في آثارهم فلقيهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليخلصوا ما بايديهم فلما رآه الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم وارسل سعد عمرو بن معدى كرب وطليحة الاسدى طليعة فسروا في عشرة فلم يسيروا الا فرسخا وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم وسرحهم على الطفوف قد ملؤها فرجع عمرو ومن معه وابى طليحة الا التقدم فقالوا له انت رجل في نفسك غدر ولن تفلح بعد قتل عكاشة بن محصن فارجع معنا فأبى فرجعوا الى سعد فاخبروه بقرب القوم ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه ويتوسم فهتك اطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه ثم هتك على آخر بيته وحل فرسه ثم فعل بآخر كذلك ثم خرج يعدو به فرسه ونذر به الناس فركبوا في طلبه فاصبح وقد لحقه فارس من الجند فقتله طليحة ثم آخر فقتله ثم لحق به ثالث فرأى مصرع صاحبيه وهما ابنا عمه فازداد فلحق طليحة فكر عليه طليحة واسره ولحق الناس فرأوا فارسي الجند قد قتلا واسر الثالث وقد شارف طليحة عسكره فاحجموا عنه ودخل طليحة على سعد ومعه الفارسي واخبره الخبر فسأل الترجمان الفارسي عن ذلك فطلب الأمان فآمنه سعد فقال اخبركم عن صاحبكم هذا قبل ان اخبركم عمن قبلي باشرت الحروب منذ انا غلام الى الآن وسمعت بالابطال ولم اسمع بمثل هذا ان رجلا قطع فرسخين الى عسكر فيه سبعون الفا يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة فلم يرض ان يخرج كما دخل حتى سلب فرسان الجند وهتك عليهم البيوت فلما ادركناه قتل الاول وهو يعد بألف فارس ثم الثاني وهو نظيره ثم ادركته انا وخلفت من بعدي من يعدلني وانا الثائر بالقتيلين فرأيت الموت واستؤسرت ثم اخبره عن الفرس واسلم ولزم طليحة وكان من اهل البلاء بالقادسية وسماه سعد مسلما ثم سار رستم وقدم الجالينوس وذهمن ذو الحاجب فنزل الجالينوس بحيال زهرة بن الحوية ونزل ذو الحاجب بطيزناباذ ونزل رستم بالخرارة ثم سار رستم فنزل بالقادسية وكان بين مسيره من المدائن ووصوله القادسية اربعة اشهر لايقدم لاجل ان يطاول المسلمين رجاء ان يضجروا بمكانهم فينصرفوا وكان قصده ان يطاولهم اكثر من ذلك لولا ان الملك يستعجله وينهضه وكان عمر قد كتب الى سعد يأمره بالصبر والمطاولة ايضا فاستعد للمطاولة ولم يتضرر بها وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلا منها فيل سابور الابيض وكانت الفيلة تألفه فجعل في القلب ثمانية عشر فيلا وفي المجنبتين خمسة عشر فيلا

فلما اصبح رستم من تلك الليلة ركب وسار حتى اتى على منقطع عسكر المسلمين ثم صعد حتى انتهى الى القنطرة فتأمل المسلمين ووقف على موضع يشرف منه عليهم ووقف على القنطرة وارسل الى زهرة فوافقه فاداره على ان يصالحه و يجعل له جعلا على ان ينصرفوا عنه من غير ان يصرح له بذلك بل يقول له كنتم جيراننا وكنا نحسن اليكم ونحفظكم و يخبره عن صنيعهم مع العرب فقال له زهرة ليس امرنا امر أولئك انا لم نأتكم لطلب الدنيا انما طلبنا وهمتنا الآخرة وقد كنا كما ذكرت الى ان بعث الله فينا رسولا فدعانا الى ربه فاجبناه فقال الله لرسوله انى سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني فانا منتقم بهم منهم وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به وهو دين الحق لا يرغب عنه احد الا ذل ولا يعتصم به احد الا عز فقال له رستم ماهو قال اما عموده الذى لا يصلح الا به فشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال واى شئ ايضا قال و اخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله والناس بنو آدم وحواء اخوة لاب وام قال ما احسن هذا ثم قال رستم ارأيت ان اجبت الى هذا ومعى قومى كيف يكون امركم اترجعون قال إى والله قال صدقتنى اما ان اهل فارس منذ ولى أزدشير لم يدعوا احدا يخرج من عمله من السفلة وكانوا يقولون اذا خرجوا من اعمالهم تعدوا طورهم وعادوا اشرافهم فقال زهرة نحن خير الناس للناس فلا نستطيع ان نكون كما تقولون بل نطيع الله فى السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا فانصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فأنفوا فارسل الى سعد ان ابعث الينا رجلا نكلمه ويكلمنا فدعا سعد جماعة ليرسلهم فقال له ربعى ابن عامر متى تأتهم جميعا يروا انا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل فارسله وحده فسار اليهم فحبسوه على القنطرة واعلم رستم بمجيئه فاظهر زينته وجلس على سرير من ذهب و بسط البسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب واقبل ربعى على فرسه وسيفه فى خرقة ورمحه مشدود بعصب وقد فلما انتهى الى البسط قيل له انزل فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شقهما و ادخل الحبل فيهما فلم ينهوه واروه التهاون وعليه درع واخذ عباءة بعيره فتدرعها وشدها على وسطه فقالوا ضع سلاحك فقال لم آتكم لأضع سلاحى بأمركم انتم دعوتمونى فاخبروا رستم فقال ائذنوا له فاقبل توكأ على رمحه و يقارب خطوه فلم يدع لهم نمرقا ولا بساطا الا افسده وهتكه برمحه فلما دنى من رستم جلس على الارض وركز رمحه على البسط فقيل له ماحملك على هذا قال انا لا نستحب القعود على زينتكم فقال له ترجمان رستم ماجاء بكم قال الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الاسلام فارسلنا بدينه الى خلقه من قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وارضه دوننا ومن ابى قاتلناه حتى نفضى الى الجنة او الظفر فقال رستم قد سمعنا قولكم فهل لكم ان تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه قال نعم و ان مماسن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نمكن الاعداء اكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر فى امرك واختر واحدة من ثلاث بعد الاجل اما الاسلام وندعك وارضك او الجزية فنقبل ونكف عنك وان احتجت الينا نصرناك او المنابذة فى اليوم الرابع الا ان تبدأ بنا انا كفيل بذلك عن

اصحابى

اصحابي قال اسيدهم بث قال لا لكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجيز ادناهم على اعلاهم فخلا رستم رؤساء قومه فقال هل رأيتم كلاما قط اعز واوضح من كلام هذا الرجل فقالوا معاذالله ان نميل الى دين هذا الكلب اما ترى الى ثيابه فقال ويحكم لا تنظروا الى ثيابه ولكن انظروا الى الرأى والكلام والسيرة ان العرب تستخف باللباس وتصون الاحساب ليسوا مثلكم فلما كان من الغد ارسل رستم الى سعد ابعث الينا ذلك الرجل فبعث اليهم حذيفة بن محصن فاقبل فى نحو من ذلك الزى ولم ينزل عن فرسه ووقف على رستم راكبا قال له انزل قال لا افعل فقال له ماجاء بك ولم يجئ الاول قال له ان اميرنا يحب ان يعدل بيننا فى الشدة والرخا وهذه نوبتى فقال ماجاء بكم فاجابه مثل الاول فقال رستم المواعدة الى يوم ماقال نعم الا من امس فرده واقبل على اصحابه وقال ويحكم اما ترون ماارى جاءنا الاول بالامس فغلبنا على ارضنا وحقر مانعظم واقام فرسه على زرجنا وجاء هذا اليوم فوقف علينا وهو فى يمن الطاير يقوم على ارضنا دوننا فلما كان الغد ارسل الى سعد ابعث الينا رجلا فبعث المغيرة بن شعبة فاقبل اليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة لا يوصل الى صاحبهم حتى يمشى عليها فاقبل المغيرة حتى جلس موضع رستم على سريره فوثبوا عليه وانزلوه ومعكوه فقال قد كانت تبلغنا عنكم الاحلام ولا ارى قوما اسفه منكم انا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضا فظننت انكم تواسون قومكم كما نتواسى وكان احسن من الذى صنعتم ان تخبرونى ان بعضكم ارباب بعض فان هذا الامر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه احد وانى لم آتكم ولكن دعوتمونى اليوم علمت انكم مغلوبون وان ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول فقالت السفلة صدق والله العربى وقالت الدهاقين والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون اليه قاتل الله اولنا حيث كانوا يصغرون امر هذه الامة ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظم امرهم وقال لم نزل متمكنين فى البلاد ظاهرين على الاعداء اشرافا فى الامم فليس لاحد مثل عزنا وسلطاننا ننصر عليهم ولا ينصرون علينا الا اليوم واليومين والشهر للذنوب فاذا انتقم الله ورضى علينا رد لنا الكرة على عدونا ولم يكن فى الامم امة اصغر عندنا امرا منكم كنتم اهل قشف ومعيشة سيئة لا نراكم شيأ وكنتم تقصدوننا اذا قحطت بلادكم فنأمر لكم بشئ من التمر والشعير ثم نردكم وقد علمت انه لم يحملكم على ما صنعتم الا الجهد فى بلادكم فانا آمر لاميركم بكسوة وبغل والف درهم وآمر لكل واحد منكم بوقر تمر وتنصرفون عنا فانى لست اشتهى ان اقتلكم فتكلم المغيرة فحمد الله واثنى عليه قال ان الله خالق كل شئ ورازقه فمن صنع شيأ فانما هو يصنعه واما الذى ذكرت به نفسك واهل بلادك فنحن نعرفه فالله صنعه بكم ووضعه فيكم وهو له دونكم واما الذى ذكرت فينا من سوء الحال والضيق والاختلاف فنحن نعرفه ونسا نكره والله ابتلانا به والدنيا دول ولم يزل اهل الشدايد يتوقعون الرخا حتى يصيروا اليه ولم يزل اهل الرخا يتوقعون الشدايد حتى تنزل بهم ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم يقصر عما اوتيتم واسلمكم ضعف الشكر الى تغير الحال ولو كنا فيما ابتلينا به اهلا لكان عظيم ما ابتلينا به مستجلبا من الله رحمة ورأفة علينا ان الله تبارك وتعالى بعث فينا

رسولا ثم ذكر مثل ماتقدم من ذكر الاسلام والجزية والقتال وقال له وان عيالنا قدذاقوا الطعام بلادكم فقالوا لاصبر لنا عنه وقال رستم اذن تموتون دونها فقال المغيرة يدخل من قتل منا الجنة ومن قتل منكم النار ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم فاستشاط رستم غضبا ثم حلف أن لا يرتفع الصبح غدا حتى نقتلكم اجمعين وانصرف المغيرة وخلص رستم باهل فارس وقال اين هؤلاء منكم هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا ام كاذبين والله لئن كان بلغ من عقلهم وصونهم لسرهم ان لا يختلفوا فما قوم ابلغ لما ارادوا منهم ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء فلجوا وتجلدوا فارسل رستم رسوله خلف المغيرة وقال له اذا قطع القنطرة فاعلمه أن عينه تنفقأ غدا فاعلمه الرسول بذلك فقال المغيرة بشرتني بخير وأجر ولولا أن اجاهد بعد هذا اليوم اشباهكم من المشركين لتمنيت أن الاخرى ذهبت فرجع الى رستم فاخبره فقال اطيعوني ياهل فارس انى لأرى فيكم نقمة لاتستطيعون ردها ثم ارسل اليه سعد بقية ذوى الرأى فساروا وكانوا ثلاثة فقالوا لرستم ان اميرنا يدعوك الى ماهو خير لنا ولك والعافية ان تقبل مادعاك اليه ونرجع الى ارضنا وترجع الى ارضك ودارکم لكم وامركم فيكم وما اصبتم كان زيادة لكم دوننا وكنا عونا لكم على احد ان ارادكم فاتق الله ولايكونن هلاك قومك على يديك وليس بينك وبين ان تغبط بهذا الامر الا ان تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك فقال لهم ان الامثال اوضح من كثير من الكلام انكم كنتم اهل جهد وقشف لاتتصعون ولاتمتنعون فلم نسيء جواركم وكنا نميركم ونحسن اليكم فلما طعمتم طعامنا وشربتم شرابنا وصفتم لقومكم ذلك ووعدتموهم ثم اتيتمونا وانما مثلكم ومثلنا كمثل رجل كان له كرم فرأى فيه ثعلبا فقال وما ثعلب فانطلق الثعلب فدعا الثعالب الى ذلك الكرم فلما اجتمعوا اليه سد صاحب الكرم النقب الذى كن يدخلن منه فقتلهن فقد علمت ان الذى حملكم على هذا الحرص والجهد فارجعوا ونحن نميركم لانى لا اشتهى ان أقتلكم ومثلكم ايضا كالذباب يرى العسل فيقول من يوصلني اليه وله درهمان فاذا دخل غرق ونشب فيقول من يخرجني وله اربعة دراهم وقال ايضا ان رجلا وضع سلة وجعل طعاما فيها فاتى الجرذان فخرقوا السلة فدخلوا فيها فاراد سدها فقالوا له لا تفعل اذن تخرقه ولكن انقب بحياله ثم اجعل قصبة مجوفة فاذا دخلها الجرذان وخرجن منها فاقتل كل ماخرج منها وقد سددت عليهم ان يقتحموا القصبة ولايخرج منها احد الاقتل فادعا كم الى ماصنعتم ولاارى عددا ولاعدة قال فتكلم القوم وذكروا سوء حالهم وما من الله به عليهم من ارسال رسوله واختلافهم اولا ثم اجتماعهم على الاسلام وما امرهم به من الجهاد وقالوا واما ماضربت لنا من الامثال فليس كذلك ولكن انما مثلكم كمثل رجل غرس ارضا واختار لها اشجارا واجرى اليها الانهار وزينها بالقصور واقام فيها فلا حين يسكنون قصورها ويقومون على جناتها فخلا الفلاحون فى القصور على مالا يحب فاطال امهالهم فلم يستحيوا فدعا اليها غيرهم واخرجهم منها فان ذهبوا عنها تخطفهم الناس وان اقاموا فيها صاروا خولا لهؤلاء فيسومونهم الخسف ابدا والله لو لم يكن ما نقول حقا ولم يكن الا الدنيا لما صبرنا عن الذى نحن فيه من لذيذ عيشكم ورأينا من زبرجكم ولقارعناكم عليه فقال رستم اتعبرون الينا ام نعبر اليكم فقالوا اعبروا الينا ورجعوا من عنده عشيا وارسل

سعد الى الناس ان يقفوا مواقفهم وارسل اليهم شأنكم والعبور فارسوا القنطرة فقال لا ولا كرامة اما شئ غلبنا كم عليه فلا نرده عليكم فباتوا يسكرون (اى يسدون) لعتيق حتى الصباح بالتراب والقصب والبرادع حتى جعلوه طريقا واستتم بعد ما ارتفع النهار ورأى رستم من الليل كأن ملكا نزل من السماء فاخذ قسى اصحابه فختم عليها ثم صعد بها الى السماء فاستيقظ مهموما واستدعى خاصته فقصها عليهم وقال ان الله ليعظنا لو اتعظنا ولما ركب رستم ليغير كان عليه درعان ومغفر واخذ سلاحه ووثب فاذا هو على فرسه ولم يضع رجله فى الركاب وقال غدا ندقهم دقا فقال له رجل ان شاء الله فقال وان لم يشأ ثم قال انما ضغا الثعلب حين مات الاسد يعنى كسرى وانى اخشى ان تكون هذه سنة القرود وانما قال هذه الاشياء توهينا للمسلمين عند الفرس والا فالمهوور عنده اخوف من المسلمين وقد اظهر ذلك الى من يثق به

﴿ ذكر يوم ارماث ﴾

لما عبر الفرس العتيق (اسم نهر مطلقا ويسمى به نهر هناك) وجلس رستم على سريره وضرب عليه طياره وعبا فى القلب ثمانية عشر فيلا عليها صناديق ورجال وفى المجنبتين ثمانية او سبعة افيال واقام الجالينوس بينه وبين ميمنته والبيرزان بينه وبين ميسرته وكان الملك يزدجرد قد وضع بينه وبين رستم رجالا على كل دعوة (اى وطيعة) رجلا اولهم على باب ايوانه وآخرهم مع رستم فكلما فعل رستم شيأ قال الذى معه للذى يليه كان كذا وكذا ثم يقول الثانى ذلك للذى يليه وهكذا الى ان ينتهى الى يزدجرد فى اسرع وقت واخذ المسلمون مصافهم وكان اميرهم سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه اصابه دماميل وعرق النساء فلا يستطيع الجلوس انما هو مكب على وجهه فى صدره وسادة على سطح القصر يشرف على الناس والصف فى اصل حائطه ولو تعداه الصف فواق ناقة لاخذ برمته وما نقص ذلك من شجاعة سعد رضى الله عنه وعابه بعض من كان يبغضه فقال

* نقاتل حتى انزل الله نصره ✲ وسعد بباب القادسية معصم *
* فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ✲ ونسوة سعد ليس فيهن ايم *

فبلغت ابياته سعدا وكان مجاب الدعوة فقال اللهم ان كان هذا كاذبا وقال الذى قاله رياء وسمعة فاقطع عنى لسانه فبينما هو واقف فى الصف يومئذ اتاه سهم غرب فاصابه فكان سبب الاعتقال لسانه فما تكلم بكلمة حتى لحق بالله تعالى ونزل سعد الى الناس فاعتذر اليهم واراهم ما به من القروح فى فخذيه واليتيه فعذره الناس وعلموا حاله ولما عجز عن الركوب استخلف خالد بن عرفطة على الناس فاختلف عليه فاخذ نفرا ممن شغب عليه فحبسهم فى القصر منهم ابو محجن الثقفى وقيدهم وقيل بل كان حبس ابى محجن بسبب شرب الخمر واعلم الناس انه قد استخلف خالد ابن عرفطة فسمعوا واطاعوا وخطب الناس يومئذ وهو يوم الاثنين من المحرم سنة اربع عشرة وحثهم على الجهاد وذكرهم ما وعدهم الله من فتح البلاد وما نال من كان قبلهم من

المسلمين من الفرس وكذلك فعل امير كل قوم وارسل سعد نفرا من ذوى الرأى والنجدة منهم المغيرة وحذيفة وعاصم وطليحة وقيس الاسدى وغالب وعمرو بن معدى كرب وامثالهم ومن الشعراء الشماخ والحطيئة واوس بن مغراة وعبيدة بن الطيب وغيرهم وامرهم بتحريض الناس على القتال ففعلوا وكان صف المسلمين مع حائط قديس والخندق فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق وقد تقدم ان جيش رستم كان مائة وعشرين الفا وجيش المسلمين كان بضعة وثلاثين الفا وكان مع الفرس ثلاثون الف مسلسل وامر سعد الناس بقرأة سورة الجهاد وهي الانفال فلما قرئت هشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها فلما فرغ القراء منها قال سعد الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر فاذا صليتم فانى مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا فاذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم فاذا كبرت الثالثة فكبروا وينشط فرسانكم الناس فاذا كبرت الرابعة فازحفوا اجمعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما كبر سعد الثانية برز اهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج اليهم من الفرس امثالهم فاعتوروا الطعن والضرب وبرز غالب بن عبدالله الاسدى وانشد ابياتا فخرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب وكان متوجا فاسره غالب فجاء به سعدا ورجع وبرز عاصم بن عمرو التميمى وطارد فارسا فانهزم فتبعه عاصم حتى خالط صفهم فحموه فاسر عاصم رجلا على بغل وعاد به واذا هو خباز الملك ومعه من طعام الملك وخبيصه فأتى به سعد فنفله اهل موقفه وخرج فارس فطلب البراز فبرز اليه عمرو بن معدى كرب فاخذه وجلد به الارض فذبحه واخذ سواريه ومنطقته وحملت الفيلة على المسلمين ففرقت بين الكتائب فنفرت الخيل وكانت الفرس قد قصدت بجيلة بسبعة عشر فيلا فنفرت خيل بجيلة فكادت بجيلة تهلك لنفار خيلها عنها وعمن معها وارسل سعد الى بنى اسد ان دافعوا عن بجيلة وعمن معها من الناس فخرج طليحة بن خويلد وحمال بن مالك فى كتائبهما فباشروا الفيلة وخرج الى طليحة فيل عظيم منهم فقتله طليحة وقام الاشعث بن قيس فى كندة فقال معشر كندة لله در بنى اسد اى فر يفرون واى هز يهزون عن مواقفهم اغنى كل قوم مايليهم وانتم تنتظرون من يكفيكم اشهد مااحسنتم اسوة قومكم من العرب فنهد ونهدوا معه فازالوا الذين بازائهم فلما رأى الفرس مايلقى الناس والفيلة من اسد رموهم بحدهم وحملوا عليهم وفيهم ذو الحاجب والجالينوس والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد فاجتمعت حلبة فارس على اسد ومعهم تلك الفيلة فثبتوا لهم وكبر سعد الرابعة وزحف اليهم المسلمون ورحا الحرب تدور على اسد وحملت الفيلة على الميمنة والميسرة فكانت الخيول تحيد عنها فارسل سعد الى عاصم بن عمرو التميمى فقال يامعشر بنى تميم اما عندكم لهذه الفيلة من حيلة قالوا بلى والله ثم نادى فى رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة فقال يامعشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال يامعشر الثقافة استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها (الوضين ما يربط به القتب) وخرج يحميهم ورحا الحرب تدور على اسد وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد واقبل اصحاب عاصم على الفيلة فاخذوا باذناب توابيتها فقطعوا وضنها وارتفع عواؤهم فما بقى لهم فيل الا عوى وقتل اصحابها ونفس عن اسد وردوا فارسا عنهم الى مواقفهم

واقتتلوا

واقتتلوا حتى غربت الشمس ثم حتى ذهبت هدأة من الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء واصيب من اسد تلك العشية خمسمائة وكانوا ردأ للناس وكان عاصم حامية للناس وهذا اليوم الاول وهو يوم ارماث

ذكر يوم اغواث

ولما اصبح القوم وكل سعد بالقتلى والجرحى من ينقلهم فسلم الجرحى الى النساء يقمن عليهم واما القتلى فدفنوا هنالك على شرف وهو واد بين العذيب وعين شمس فلما نقل سعد القتلى والجرحى طلعت نواصي الخيل من الشام وكان فتح دمشق قبل القادسية بشهر فقدم كتاب عمر على ابى عبيدة بن الجراح بارسال اهل العراق بجيشهم والامير عليهم هاشم بن عتبة بن ابى وقاص وكان من الصحابة المشهورين وكان له صحبة اسلم عام الفتح رضى الله عنه وعلى مقدمته القعقاع ابن عمرو التميمى وله صحبة روى عنه انه قال شهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجل القعقاع فقدم على الناس صبيحة هذا اليوم وهو يوم اغواث وقد عهد الى اصحابه ان يتقطعوا اعشارا وهم الف كلما بلغ عشرة مدى البصر سرحوا عشرة وقدم اصحابه فى عشرة فاتى الناس فسلم عليهم وبشرهم بالجنود وحرضهم على القتال وقال اصنعوا كما اصنع وطلب البراز فقالوا فيه (اى القعقاع) يقول ابو بكر رضى الله عنه لا يهزم جيش فيهم مثل هذا فخرج اليه ذو الحاجب فعرفه القعقاع فنادى بالثار بابى عبيد وسليط واصحاب الجسر وتضاربا فقتله القعقاع وجعلت خيله ترد الى الليل وتنشط الناس وكأن لم يكن بالامس مصيبة وفرحوا بقتل ذى الحاجب وانكسرت الاعاجم بذلك وطلب القعقاع البراز فخرج اليه الفيرزان والبندوان فانضم الى القعقاع الحارث بن ظبيان بن الحارث احد بنى تيم اللات فتبارزوا فقتل القعقاع الفيرزان وقتل الحارث البندوان ونادى القعقاع يا معشر المسلمين باشروهم بالسيوف فانما يحصد الناس بها فاقتتلوا حتى المساء فلم ير اهل فارس فى هذا اليوم ما يعجبهم واكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا فى هذا اليوم على فيل لان توابيتها كانت قد تكسرت بالامس فاستأنفوا عملها فلم يفرغوا منه حتى كان الغد وكان القعقاع كلما طلعت قطعة من اصحابه كبر وكبر المسلمون ويحمل ويحملون وحمل بنو عم القعقاع عشرة عشرة على ابل قد البسوها وهى مجللة مبرقعة واطافت بهم خيولهم تحميهم وامرهم القعقاع ان يحملوها على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة ففعلوا بهم هذا اليوم وهو يوم اغواث كما فعل فارس يوم ارماث فجعلت خيل الفرس تفر منها وركبتها خيول المسلمين فلما رأى الناس ذلك سروا بهم فلقى الفرس من الابل اعظم مما لقى المسلمون من الفيلة وحمل رجل من تميم على رستم يريد قتله فقتل دونه وخرج رجل من فارس يبارز فبرز اليه الاعرف ابن الاعلم العقيلى فقتله ثم برز اليه آخر فقتله واحاطت به فوارس منهم فصرعوه واخذوا سلاحه فغبر فى وجوههم التراب حتى رجع الى اصحابه وحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة كلما طلعت قطعة حمل حملة واصاب فيها وقتل فكان آخرهم بزرجمهر الهمدانى وبارز الاعور بن قطبة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما

صاحبه وقاتلت الفرسان الى نصف النهار فلما اعتدل النهار تزاحف الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل فكانت ليله ارماث تدعى الهدأة وليلة اغوات تدعى السواد ولم يزل المسلمون يرون يوم اغوات الظفر وقتلوا عامة اعلامهم وجالت فيه خيل القلب وثبت رجلهم فلولا ان خيلهم عادت أخذ رستم اخذا وبات الناس على مابات عليه القوم ليلة ارماث وقد ذكرنا ان ابا محجن الثقفي كان قد حبس بالقصر وقيد فلما كان يوم اغوات قال لسلمى زوج سعد بن ابى وقاص هل لك ان تخلين عنى وتعيريني البلقا وهى فرس سعد فلله على ان سلمني الله ان ارجع اليك حتى اضع رجلى فى قيدى فأبت فلم يزل بها حتى رضيت ان تطلقه فاطلقته واعطته البلقا فرس سعد فركبها وخرج للقتال ولم يعلم به احد فلما كان بحيال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة الفرس ثم رجع خلف المسلمين وحمل على ميمنة الفرس فكان يقصف الناس قصفا منكرا وتعجب الناس منه وهم لايعرفون من هو فقال بعضهم هو من بعض اصحاب هاشم اوهاشم بنفسه وكان سعد يقول لولامحبس ابى محجن لقلت هذا ابو محجن وهذه البلقا وقال بعض الناس هذا الخضر وقال بعضهم لولا ان الملائكة لا تباشر الحرب لقلنا انه ملك فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال اقبل ابو محجن ودخل القصر واعاد رجليه فى القيد فقالت له سلمى فى اى شئ حبسك سعد فقال والله ماحبسني بحرام اكلته ولا شربته ولكنني كنت صاحب شراب فى الجاهلية وانا امرء شاعر يدب الشعر على لسانى فقلت

* اذا مت فادفنى الى اصل كرمة * تروى عظامى بعد موتى عروقها *
* ولا تدفننى فى الفلاة فاننى * اخاف اذا مامت ان لا اذوقها *

فلذلك حبسنى فلما اصبحت سلمى اتت سعدا فصالحته وكانت مغاصبة له واخبرته بخبر ابى محجن فاطلقه فقال اذهب فما انا مؤاخذك بشئ تقوله حتى تفعله فقال لاجرم لا اجيب لسانى الى قبيح ابدا وكان عدد قتلى المسلمين وجرحاهم يوم اغوات العين من جريح وميت ومن المشركين عشرة آلاف فجعل المسلمون ينقلون قتلاهم الى المقابر والجرحى الى النساء وكان النساء والصبيان يحفرون القبور وكان على الشهداء حاجب بن زيد واما قتلى المشركين فبين الصفين وكان ذلك مماقوى المسلمين وبات القعقاع تلك الليل يسرب اصحابه الى المكان الذى فارقهم فيه وقال اذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة فان جاء هاشم فذاك والاجددتم للناس رجاء وجدا لايشعر به احد واصبح الناس على مواقفهم فلما ذر قرن الشمس اقبل اصحاب القعقاع فعبى اصحابه وكان المشركون قد باتوا يعملون توابيت الفيلة حتى اعادوها واصبحوا على مواقفهم واقبلت الرجالة مع الفيلة يحمونها ان تقطع وضنها ومع الرجالة فرسان يحمونهم فلم تنفر الخيل منهم كما كانت بالامس لأن الفيل اذا كان وحده كان اوحش واذا اطافوا به كان اونس فلما انتشب القتال كبر المسلمون وتقدموا وكثر الطعن والضرب واقبل هاشم والحرب قائم فعبى اصحابه سبعين سبعين وحمل حتى خالط القلب واشتد القتال وحمل عمرو ابن معدى كرب وضرب فى الفرس حتى ستره الغبار وحمل اصحابه فأفرج المشركون عنه بعد ماصرعوه وان سيفه لفى يده يصادمهم وقد طعن فرسه فاخذ برجل فرس العجمى فلم

يطق الجرى فنزل عنه صاحبه وفر الى اصحابه وركبه عمرو وبرز فارس فبرز اليه رجل من المسلمين يقال له بشر ابن علقمة وكان قصيرا فترجل الفارسي اليه فاحتمله وجلس على صدره ثم اخذ سيفه ليذبحه ومقود فرسه مشدود فى منطقته فلما سل سيفه نفر الفرس بجذبه المقود فقلبه عنه وتبعه المسلم فقتله واخذ سلبه فباعه باثنى عشر الفا فلما رأى سعد الفيول قد فرقت بين الكتائب وعادت لفعلها ارسل الى القعقاع وعاصم بن عمرو اكفيانى الابيض وكانت كلها آلفة له وكان بازائهما وقال لحمال والربيل اكفيانى الاجرب وكان بازائهما فاخذ القعقاع وعاصم رمحين وتقدما فى خيل ورجل وفعل حمال والربيل بمثل فعلهما فحمل القعقاع وعاصم فوضعا رمحيهما فى عين الفيل الابيض فنفض رأسه فطرح سائسه ودلى مشفره فضرب به القعقاع فرمى به ووقع لجنبه وقتلوا من كان عليه وحمل حمال والربيل الاسديان على الفيل الآخر فطعنه حمال فى عينه فأقعى ثم استوى وضرب به الربيل فابان مشفره وبصر به سائسه فبقر انف الربيل وجبينه بالطبرزين فافلت الربيل جريحا وبقى الفيل جريحا متحيرا بين الصفين كلما جاء صف المسلمين وخزوه واذا اتى صف المشركين نخسوه وولى الفيل وكان يدعى الاجرب وقد عور حمال عينه فالقى نفسه فى العتيق فاتبعته الفيلة فخرقت صف الاعاجم فعبرت فى اثره فاتت المدائن فى توابيتها وهلك من فيها فلما ذهبت الفيلة وخلص المسلمون والفرس ومال الظل تزاحف المسلمون فاجتلدوا حتى أمسوا فاشتد القتال وصبر الفريقان وجاء الليل وكانت تسمى تلك الليلة ليلة الهرير لتركهم الكلام وانما كانوا يهرون هريرا وارسل سعد طليحة الاسدى وعمرو بن معدى كرب ليلة الهرير الى مخاضة اسفل العسكر ليقوموا عليها حرسا خشية ان يأتى القوم منها فلما اتياها قال طليحة لو خضنا واتينا الاعاجم من خلفهم قال عمرو بل نعبر اسفل فافترقا واخذ طليحة وراء العسكر وكبر ثلاث تكبيرات ثم ذهب وقد ارتاع اهل فارس وتعجب المسلمون وطلبه الاعاجم فلم يدركوه واما عمرو فانه اغار اسفل المخاضة ورجع وخرج جماعة من فرسان المسلمين وطاردوا جماعة من الفرس فاذاهم لايشدون ولا يريدون غير الزحف فقدم المسلمون صفوفهم وزاحفوهم بغير اذن سعد وكان اول من زاحفهم القعقاع فقال سعد اللهم اغفرها له وانصره فقد اذنت له ان لم يستأذنى ثم حملت اسد فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت النخع فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت بجيلة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت كندة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم زحف الرؤساء ورحا الحرب تدور على القعقاع وكان سعد قال لهم اذا كبرت ثلاثا فاحملوا فكبر فى اثناء تلك الحملة تكبيرتين فلما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا وخالطوا القوم واستقبلوا الليل استقبالا بعدما صلوا العشاء وكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ﴿ جمع قين وهو الحداد ﴾ ليلتهم الى الصباح وافرغ الله الصبر عليهم افراغا وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها ورأى العرب والعجم امرا لم يروا مثله قط وانقطعت الاخبار والاصوات عن سعد ورستم واقبل سعد على الدعاء فلما كان عند الصبح انتمى الناس فاستدل بذلك على انهم الاعلون واصبح الناس ليلة الهرير وتسمى ليلة القادسية من بين تلك الليالى وهم حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها فسار القعقاع فى الناس

الهرير حكاية زئير الاسد

اي الذي رفع من موضعه

فقال ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة فاحملوا فان النصر مع الصبر فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح فلما رأت ذلك القبائل قام فيها رؤساؤهم وقالوا لا يكونن هؤلاء أجد في امر الله منكم ولا هؤلاء يعني الفرس اجرأ على الموت منكم فحملوا فيما يليهم وخالطوا من بازائهم فاقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة فكان اول من زال الفيرزان والهرمزان فتأخرا وثبتا حتى انتهيا وانفرج القلب وركد عليهم النقع وهبت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق وهي دبور ومال الغبار عليهم وانتهى القعقاع ومن معه الى السرير فعثروا به وقد قام رستم عنه حين اطارت الريح الطيارة الى بغال قد قدمت عليه بمال فهي واقفة فاستظل في ظل بغل وحمله وضرب هلال بن علقمة الحمل الذي تحته رستم فقطع حباله ووقع عليه احد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فازال عن ظهره فقارا فرآه هلال فضربه ضربة فنفحت مسكا ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه واقتحمه هلال عليه واخذ برجليه ثم خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله ثم القاه بين ارجل البغال ثم صعد السرير وقال قتلت رستم ورب الكعبة لي الي فاطافوا به وكبروا فنفله سعد سلبه ولم يظفر بقلنسوته ولو ظفر بها لكانت قيمتها مائة الف وقيل ان هلالا لما قصد رستم رماه رستم بنشابة اثبت قدمه بالركاب فحمل عليه هلال فضربه فقتله ثم احتز رأسه وعلقه ونادى قتلت رستم فانهزم قلب المشركين وقام الجالينوس على الردم (بالدال) ونادى الفرس الى العبور وكانت الهزيمة عليهم واما المقترنون فانهم جشعوا فتهافتوا في العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم فما افلت منهم مخبر وهم ثلاثون الفا واخذ ضرار بن الخطاب العلم الاكبر الذي كان للفرس فعوض منه ثلاثون الفا وكانت قيمته الف الف ومائتي الف وقتل من الفرس في المعركة عشرة آلاف سوى من قتلوا في الايام قبله وقتل من المسلمين قبل ليلة الهرير الفان وخمسمائة وقتل ليلة الهرير ويوم القادسية ستة آلاف وجمعت الاسلاب والاموال فجمع شيء لم يجمع قبله ولا بعده مثله وامر سعد القعقاع وشرحبيل باتباع المنهزمين حتى بلغا مقدار الخرارة من القادسية وخرج زهرة بن الحوية التميمي في آثارهم في ثلثمائة فارس ثم ادركه الناس فلحق المنهزمين والجالينوس يجمعهم فقتله زهرة واخذ سلبه وقتلوا ما بين الخرارة الى السيلحين الى النجف وعادوا من اثر المنهزمين ومعهم الاسرى فرؤي شاب من النخع وهو يسوق ثمانين رجلا أسيرا من الفرس واستكثر سعد سلب الجالينوس فكتب فيه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب عمر الى سعد تعمد الى مثل زهرة بن الحوية وقد صلي بمثل ما صلي به تفسد قلبه وقد بقي عليك من حربك ما بقي أمض له سلبه وفضله على اصحابه عند عطائه بخمسمائة فلما تبع المسلمون الفرس كان الرجل يشير الى الفارس فيأتيه فيقتله وربما اخذ سلاحه فقتله به وربما امر رجلين فيقتل احدهما صاحبه ولحق سلمان ابن ربيعة الباهلي وعبد الرحمن بن ربيعة بطائفة من الفرس قد نصبوا راية وقالوا لا نبرح حتى نموت فقتلهم سلمان ومن معه وكان قد ثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة من الفرس استحيوا من الفرار فقصدهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين لكل كتيبة منها رئيس وكان قتال اهل الكتائب من الفرس على وجهين منهم من هرب ومنهم من ثبت حتى قتل وكان ممن هرب من امراء الكتائب الهرمزان ثم تراجع الناس من طلب المنهزمين وقد قتل مؤذنهم فتشاح

المسلمون

المسلمون في الاذان حتى كادوا يقتتلون واقرع سعد بينهم فخرج سهم رجل منهم وفضل اهل البلاء من اهل القادسية عند العطاء بخمسمائة خمسمائة وهم خمسة وعشرون رجلا واما اهل الايام قبلها فانهم فرض لهم على ثلاثة آلاف فضلوا على اهل القادسية فقيل لسعد لو الحقت بهم اهل القادسية فقال لم اكن لالحق بهم من لم يدركهم وقيل له لو فضلت من بعدت داره على من قاتلهم بفنائه قال كيف افضل عليهم وهم شجن العدو وهل فعل المهاجرون بالانصار هذا وكانت العرب تتوقع وقعة العرب واهل فارس بالقادسية فيما بين العذيب الى عدن ابين وفيما بين الابلة وايلة يرون ان ثبات ملكهم وزواله بها وكانت في كل بلدة مصيخة اليها تنظر ما يكون من امرها فلما كانت وقعة القادسية سارت بها الجن فاتت بها اناسا من الانس فسبقت اخبار الانس وكتب سعد الى عمر بالفتح وبعدة من قتلوا وبعدة من اصيب من المسلمين وسمى من يعرف مع سعد بن عميلة الفزاري وكان عمر يسأل الركبان من حين يصبح الى انتصاف النهار عن اهل القادسية ثم يرجع الى اهله ومنزله قال فلما لقي البشير سأله من اين فاخبره قال يا عبدالله حدثني قال هزم الله المشركين وعمر يخب معه يسأله والآخر يخبره وهو يسير على ناقته لا يعرفه حتى دخل المدينة واذا الناس يسلمون عليه بامرة المؤمنين قال البشير هلا اخبرتني رحمك الله انك امير المؤمنين فقال عمر لا بأس عليك يا اخي واقام المسلمون بالقادسية في انتظار قدوم البشير وامر عمر الناس ان يقوموا على اقباضهم ويصلحوا احوالهم ويتابع اليهم اهل الشام ممن شهد اليرموك ودمشق ممدين لهم والصحيح ان وقعة القادسية كانت سنة اربع عشرة كما تقدم وقيل كانت سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة والله سبحانه وتعالى اعلم

ذكر الوقايع بعد فتح القادسية الى ان فتحت مداين كسرى

لما فرغ سعد رضي الله عنه من امر القادسية اقام بها بعد الفتح شهرين وكاتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما يفعل فكتب اليه عمر يأمره بالسير الى المداين وان يخلف النساء والعيال بالعتيق وان يجعل معهم جندا كثيفا وان يشركهم في كل مغنم ماداموا يخلفون المسلمين في عيالهم ففعل ذلك وسار من القادسية لايام بقين من شوال فلما وصلت مقدمة المسلمين ٢ برس لقوا حدا من الفرس فقاتلهم المسلمون فهزم الله الفرس وقتل المسلمون كثيرا منهم وانحاز المهزمون الى بابل وكان بها كثير من جندهم وعليهم الفيرزان فقصدهم المسلمون فقاتلوهم وقتلوا كثيرا منهم وهزموا الباقين فانطلقوا على وجوههم فسار الهرمزان نحو الاهواز فاخذ ما فيها من الاموال لكسرى وسار الى نهاوند فاخذ ما فيها من الاموال كلها وكان بها كنوز لكسرى وسار النخيرخان ومهران الرازي الى المداين وقطعا الجسر فاقام سعد ببابل وارسل زهرة بن الحوية الى نهرشير قبالة المدينة العتيقة من المداين الغربية فتلقاه دهقان ساباط للصلح فارسله الى سعد فصالحه على تأدية الجزية فوصل سعد والمسلمون الى نهرشير ليحاصر المداين فرأوا الايوان من بعد فقال ضرار بن الخطاب الله اكبر ابيض كسرى هذا ما وعد الله ورسوله وكبر الناس معه فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ثم نزلوا على المدينة محاصرين لها وكان نزولهم عليها في ذي الحجة فحاصروها شهرين ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ودنوا اليهم بالدبابات وارسل سعد الخيول

٢ بلدة بين الكوفة والحلة

فأغارت على من ليس له عهد فاصابوا مائة الف فلاح فارسل سعد الى عمر بالخبر فكتب له عمر ان من جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو فى امان ومن هرب فادركتموه فشأنكم به فخلى سعد عنهم وارسل الى الدهاقين ودعاهم الى الاسلام او الجزية ولهم الذمة فتراجعوا فلم يبق غربى دجلة الى ارض العرب سوادى الا آمن واغتبط بملك الاسلام واشتد الحصار باهل المداين الغربية حتى اكلوا السنانير والكلاب وصبروا من شدة الحصار على امر عظيم فبيناهم يحاصرونهم اذ اشرف عليهم رسول الملك فقال الملك يقول لكم هل لكم الى المصالحة على ان لنا مايلينا من دجلة الى جبلنا ولكم مايليكم من دجلة الى جبلكم وماشبعتم لااشبع الله بطونكم فقال له ابو مفزر الاسود مقالة انطقه الله بها ولا يدرى ماقال لهم لاهو ولا من كان معه فرجع الرجل فقطعوا دجلة الى المداين الشرقية التى فيها الايوان فقال لابى مفزر من كان معه ماقلت له فقال والذى بعث محمدا بالحق ماادرى وانا ارجو ان اكون نطقت بالذى هو خير وسأله سعد والناس عما قال فلم يعلم فنادى سعد فى الناس فنهدوا اليهم فاظهر على المدينة احد ولا خرج رجل الا رجل ينادى يطلب الامان فأمنوه فقال لهم مابقى بالمدينة من يمنعكم فدخلوا فما وجدوا فيها شيأ ولا احدا الا اسارى وذلك الرجل فسألوه لاى شئ هربوا فقال بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتموه انه لايكون بيننا وبينكم صلح ابدا حتى نأكل عسل افريدون بأترج كوثى فقال الملك ياويلتاه ان الملائكة تتكلم على السنتهم ترد علينا فساروا الى المدينة القصوى فدخل المسلمون المدينة الغربية وانزلهم سعد المنازل

﴿ ذكر فتح المداين التى فيها ايوان كسرى ﴾

لما دخل المسلمون المداين الغربية كان البحر بينهم وبين المداين الشرقية التى فيها الايوان وليس للمسلمين سفن يعبرون فيها ورأى سعد رؤيا ان خيول المسلمين اقتحمت دجلة فعبرت فعزم سعد لتأويل الرؤيا فجمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان عدوكم قد اعتصم بهذا البحر فلا تخلصون اليهم معه ويخلصون اليكم اذا شاؤا فى سفنهم فيناوشونكم وليس وراءكم شئ تخافون ان تؤتوا منه قد كفاكم اهل الايام وعطلوا ثغورهم وقد رأيت من الرأى ان تجاهدوا العدو قبل ان تحصدكم الدنيا الا انى قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم فقالوا جميعا عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل فندب الناس الى العبور وقال من يبدأ ويحمى لنا الفراض (وهى فرضة النهر ومن البحر محيط السفن) حتى تلاحق به الناس لكى لايمنعوهم من العبور فانتدب له عاصم ابن عمرو وذوو البأس فى ستمائة من اهل النجدات فاستعمل عليهم عاصما فتقدمهم عاصم فى ستين فارسا وجعلهم على خيل ذكور واناث ليكون اساساً لسباحة الخيل ثم اقتحموا دجلة فلما رآهم الاعاجم وماصنعوا اخرجوا الخيل التى تقدمت مثلها فاقتحموا عليها دجلة فلقوا عاصما وقد دنا من الفراض فقال عاصم الرماح الرماح اشرعوا وتوخوا العيون فالتقوا فاطعنوا وتوخى المسلمون عيونهم فولوا ولحقهم المسلمون فقتلوا اكثرهم ومن نجا منهم صار اعور من الطعن وتلاقوا الستمائة بالستين غير متعبين ولما رأى سعد عاصما على الفراض قد منعها اذن الناس فى الاقتحام وقال قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل

والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن عدوه ولاقوة الا بالله العلي العظيم وتلاحق الناس في دجلة وانهم يتحدثون كما يتحدثون في البر وطبقوا دجلة حتى ما يرى من الشاطئ شئ وكان الذي يساير سعدا سلمان الفارسي رضي الله عنهما فعامت بهم خيولهم وسعد يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن عدوه ان لم يكن في الجيش بغي او ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان الاسلام جديد ذللت لهم البحور كما ذلل لهم البر اما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه افواجا كما دخلوا فيه افواجا فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيأ الا ان مالك بن عامر العنبري سقط منه قدح فذهبت به جرية الماء فقال الذي يسايره معيرا له اصابه القدر فطاح فقال والله اني لعلى حالة ما كان الله ليسلبني قدحي من بين العسكر فلما عبروا القته الريح الى الشاطئ فتناوله بعض الناس وعرفه صاحبه فأخذه صاحبه ولم يغرق منهم احد غير ان رجلا من بارق يدعى عرقدة زال عن ظهر فرس له اشقر وكاد يغرق فثني القعقاع عنان فرسه اليه فأخذه بيده فأخرجه سالما وخرج الناس سالمين وخيلها تنفض اعرافها فلما رأى الفرس ذلك واتاهم امر لم يكن في حسابهم خرجوا هاربين نحو حلوان وكان يزدجرد قد قدم عياله الى حلوان قبل ذلك وخلف مهران والنخيرجان وكان على بيت المال بالنهروان وخرجوا معهم بما قدروا عليه من الثياب والمتاع والآنية والفصوص والالطاف ما لا يدرى قيمته وخلفوا ما كانوا اعدوا للحصار من البقر والغنم والاطعمة وكان في بيت المال ثلاثة آلاف الف الف الف ثلاث مرات اخذ منها رستم عند مسيره الى القادسية النصف وبقي النصف ولما دخلوا المداين نزل سعد القصر الابيض وجاء جماعة من الفرس وعقدوا ذمة على تأدية الجزية وبعث سعد جماعة الى الاطراف من كل جهة يغيرون ويؤمنون من اراد الامان واتخذ سعد ايوان كسرى مصلى ولم يغير ما فيها ولما دخل سعد الايوان قرأ كم تركوا من جنات وعيون الى قوله قوما آخرين وصلى فيه صلاة الفتح ثمان ركعات ولم يكن بالمداين اعجب من عبور الماء وكان يدعى يوم الجراثيم لا يعيا احد الا شخصت له جرثومة من الارض يستريح عليها لما يبلغ الماء حزام فرسه

﴿ ذكر ما جمع من غنائم اهل المداين وقسمتها ﴾

اجتمع عند سعد بعد دخوله المداين من الغنائم والاموال ما لا يحصى ورأوا بالمداين قبابا مملوءة سلالا مختومة برصاص فحسبوه طعاما فاذا فيه آنية الذهب والفضة وكان الرجل يطوف ليبيع الذهب بالفضة متماثلين ورأوا كافورا كثيرا فحسبوه ملحا فعجنوا به فوجدوه مرا وادرك الطلب مع زهرة جماعة من الفرس على جسر النهروان فازدحموا عليه فوقع منهم بغل في الماء فعجلوا وكبوا عليه فقال بعض المسلمين ان لهذا البغل لشأنا فجالدهم المسلمون عليه حتى اخذوه واذا هو يحمل عليه حلية كسرى ووشاحه ودرعه التي فيها الجوهر وكان يجلس فيها للمباهاة ولحق الكلج ببغلين معهما فارسان فقتلهما واخذ البغلين فاذا عليهما سفطان فيهما تاج كسرى مرصعا وعلى البغل الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس من الديباج

المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر وغير الديباج منسوجا منظوما وادرك القعقاع فارسيا فقتله واخذ منه عيبتين في احداهما خمسة اسياف وفي الاخرى ستة اسياف وأدراع منها درع كسرى ومغافره ودرع هرقل ودرع خاقان ملك الترك ودرع النعمان ودرع داهر ملك الهند استلبها الفرس ايام غزاهم خاقان وهرقل وداهر وايام هرب النعمان من كسرى وكذا الاسياف فاحضر القعقاع الجميع عند سعد فخيره بين الاسياف فاختار سيف هرقل واعطاه درع بهرام ونفل سائرها الا سيف كسرى والنعمان بعث بهما الى عمر بن الخطاب لتسمع العرب بذلك وبعثوا بتاج كسرى وحليته وثيابه الى عمر ليراه المسلمون وادرك عصمة بن خالد الضبي رجلين معهما حماران فقتل احدهما وهرب الآخر واخذ الحمارين فاذا على احدهما سفطان في احدهما فرس من ذهب بسرج من فضة وعلى ثفره ولبانه الياقوت والزمرد المنظوم على الفضة ولجام كذلك وفارس من فضة مكلل بالجوهر وفي الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب وبطان من ذهب ولها زمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالياقوت وعليها رجل من ذهب مكلل بالجواهر كان كسرى يضعهما على اسطوانتي التاج واقبل رجل بحق الى صاحب الاقباض فقال هو والذي معه ما رأينا مثل هذا ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه فقالوا هل اخذت منه شيأ فقال والله لولا الله ما اتيتكم به فقالوا من انت فقال والله لا اخبركم فتحمدوني ولكن احمد الله وارضى بثوابه فاتبعوه رجلا فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد قيس وقال سعد والله ان الجيش لذو أمانة ولولا ما سبق لاهل بدر لقلت انهم على فضل اهل بدر لقد تتبعت منهم هناة ما احسبها من هؤلاء وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما والله الذي لا اله الا هو ما اطلعنا على احد من اهل القادسية انه يريد الدنيا مع الآخرة فلقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كأمانتهم وهم طليحة وعمرو بن معدي كرب وقيس بن المكشوح وقال عمر رضي الله عنه لما قدم عليه بسيف كسرى ومنطقته وزبرجده ان قوما ادوا هذا لذوو امانة فقال علي رضي الله عنه انك عففت فعفت الرعية فلما جمعت الغنائم قسم سعد الفيء بين الناس بعد ما خمسه وكانوا ستين الفا فاصاب الفارس اثنا عشر الفا وكلهم كان فارسا ليس فيهم راجل ونفل من الاخماس في اهل البلاء وقسم المنازل بين الناس واحضر العيالات فانزلهم الدور فاقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلولا وحلوان وتكريت والموصل ثم تحولوا الى الكوفة وارسل سعد من الخمس كل شيء اراد ان يعجب منه العرب وما كان يعجبهم ان يقع وكان من جملة ما غنموه بساط كسرى ويقال له القطيف وهو من اعجب ما كان لملك الفرس وهو بساط واحد طوله ستون ذراعا وعرضه ستون ذراعا كانت الاكاسرة تعده للشتاء اذا ذهبت الرياحين شربوا عليه فكأنهم في رياض فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار ارضها مذهبة وخلاف ذلك فصوص كالدر وفي حافاته كالارض المزروعة والارض المبقلة بالنبات في الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وثمره الجوهر واشباه ذلك واراد سعد اخراج خمس القطيف فلم تعتدل قسمته فقال للمسلمين هل تطيب انفسكم على اربعة اخماسه فنبعث به الى عمر يضعه حيث يشاء فانا لا نراه ينقسم وهو بيننا قليل وهو يقع من اهل المدينة موقعا فقالوا نعم فبعث به الى عمر فلما قدم خمس الغنائم على عمر رضي الله عنه

قسمه

قسمه في مواضعه ثم قال اشيروا على في هذا القطيف فمن بين مشير بابقائه ذخيرة للملة وآخر مفوض اليه فاشار على رضي الله عنه بقسمته بين المسلمين وقال ان تبقه على هذا اليوم لم تعدم في غد من يستحق به ماليس له فقال صدقتني اذ نصحتني فقطعه بينهم فاصاب عليا قطعة منه قال ابن الاثير فباعها بعشرين الفا وفي السيرة الحلبية بعشرين الف دينار وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة ابن مالك الكناني حين اراد التعرض للنبي صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر الى المدينة كيف بك اذا لبست سواري كسرى ومنطقته وتاجه فاتى بذلك كله لعمر بن الخطاب مع جملة ماأتي به من خمس الغنائم دعا سراقة بن مالك والبسه اياهما وكان سراقة رجلا ازب اي كثير شعر الساعدين فقال عمر ارفع يديك وقل الله اكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز الذي كان يقول انا رب الناس و لبسهما سراقة رجلا اعرابيا من مدلج ورفع عمر صوته ثم اركب سراقة وطيف به في المدينة اظهارا لمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بذلك قبل وقوعه ولم يأخذ عمر رضي الله عنه شيأ من تلك الغنائم التي قسمها بين الناس وكان يقرأ قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية و يقول اللهم انه لاطاقة لنا ان نحب الا مازينته فوفقني ان انفقه في حقه وكان رضي الله عنه يبكي و يقول ان الله زوى الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه وفتحها لي فاخاف ان اكون مستدرجا وروى البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق ان عمر رضي الله عنه قال اللهم انا لانستطيع الا ان نفرح بما زينته لنا اللهم اني اسألك ان انفقه في حقه ورواه الدار قطني بابسط من هذا فقال ان عمر بن الخطاب اتي بمال من المشرق فقال له نفل كسرى فامر به فصب وغطي ثم دعا الناس فاجتمعوا ثم امر به وكشف عنه فاذا هو حلي وجواهر ومتاع فبكى عمر رضي الله عنه وحمد الله عزوجل فقالوا له ما يبكيك ياامير المؤمنين هذه غنائم غنمها الله لنا ونزعها من اهلها فقال مافتح الله من هذا على قوم الاسفكوا دماءهم واستحلوا حرمهم قال زيد بن اسلم فبقي من ذلك المال مناطق وخواتم فرفع فقال عبد الله بن ارقم لعمر رضي الله عنه حتى متى تحبسه لاتقسمه فقال اذا رأيتني فارغا فآذني به فلما رآه فارغا بسط شيأ في حش نخله ثم جاءبه في مكتل فصب فكأنه استكثره ثم قال اللهم انت قلت زين للناس حب الشهوات فتلا الآية حتى فرغ منها ثم قال لانستطيع الا ان نحب مازينت لنا فقني شره وارزقني ان انفقه في حقه فما قام حتى مابقي منه شيء

﴿ ذكر وقعة جلولا وفتح حلوان في سنة ست عشرة ايضا ﴾

لما انتهى الفرس الى جلولا بعد الهرب من المداين احتفروا خندقا واجتمعوا على مهران الرازي وتقدم يزدجرد الى حلوان واحاطوا خندقهم بحسك الحديد الاطرقهم فبلغ ذلك سعدا فارسل الى عمر فكتب اليه عمر ان سرح هاشم بن عتبة الى جلولا واجعل على مقدمته القعقاع ابن عمرو وان هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل وليكن الجند اثني عشر الفا فيهم وجوه المهاجرين والانصار واعلام العرب ففعل ذلك سعد وسار هاشم من المداين فربساباط فصالحه دهقانها على ان يفرش له جريب الارض دراهم ففعل وصالحه ثم مضى حتى قدم جلولا فحاصرهم في خنادقهم واحاط بهم وطاولهم الفرس وجعلوا لايخرجون الا اذا

ارادوا وزاحفهم المسلمون نحو ثمانين يوما كل ذلك ينصر المسلمون عليهم وجعلت الامداد ترد من يزدجرد الى مهران وامد سعد المسلمين وخرجت الفرس وقد احتفلوا فاقتتلوا فارسل الله عليهم الريح حتى اظلمت عليهم البلاد فتحاجزوا فسقط فرسانهم فى الخندق فجعلوا فيه طرقا مما يليهم ليصعد منه خيلهم فافسدوا حصنهم وبلغ ذلك المسلمين فنهضوا اليهم وقاتلوهم قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله ولا ليلة الهرير الا انه كان اعجل وانتهى القعقاع ابن عمرو من الوجه الذى زحف فيه الى باب خندقهم فاخذبه وامر مناديا فنادى يامعشر المسلمين هذا اميركم قد دخل الخندق واخذ به فأقبلوا اليه ولايمنعكم من بينكم وبينه من دخوله وانما امر بذلك ليقوى المسلمين فحملوا ولايشكون بأن هاشما فى الخندق فاذاهم بالقعقاع بن عمرو وقد اخذبه فانهزم المشركون عن المجال يمنة ويسرة فهلكوا فيما اعدوا من الحسك فعقرت دوابهم وعادوا رجالة واتبعهم المسلمو فلم يفلت منهم الا القليل وقتل يومئذ منهم مائة الف فجللت القتلى المجال ومابين يديه وماخلفه فسميت جلولا بما جللها من قتلاهم فهى جلولا الوقيعة فسار القعقاع بن عمرو فى الطلب حتى بلغ خانقين ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الرى وقدم القعقاع حلوان فنزلها فى جند ولما سار يزدجرد من حلوان استخلف عليها خسرسنوم وكان الزينبى دهقان حلوان فلما قرب القعقاع من حلوان خرج عليه خسرسنوم والزينبى معهما فقتل الزينبى وهرب خسرسنوم واستولى المسلمون على حلوان وبقى القعقاع بها الى ان تحول سعد الى الكوفة فلحقه القعقاع واستخلف على حلوان قباذ وكان اصله خراسانيا وكتبوا الى عمر بالفتح وبنزول القعقاع حلوان واستأذنوه فى اتباعهم فابى وقال لوددت ان بين السواد وبين الجبل سدا لايخلصون الينا ولانخلص اليهم حسبنا من الريف السواد انى آثرت سلامة المسلمين على الانفال وادرك القعقاع فى اتباعه الفرس مهران بخانقين فقتله وادرك الفيرزان فنزل وتوغل فى الجبل فتحامى واصاب القعقاع سبايا فارسلهن الى هاشم فقسمهن فاتخذن سرارى فولدن وممن ينسب الى ذلك السبى ام الشعبى وقسمت الغنيمة واصاب كل واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب وقيل ان الغنيمة كانت ثلاثين ألف ألف وبعث سعد الاخماس الى عمر رضى الله عنه بعد ان قسم الاربعة الاخماس على الغانمين فلما قدم الخمس على عمر رضى الله عنه قال والله لا يجنه سقف حتى اقسمه فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن الارقم يحرسانه فى المسجد فلما اصبح جاء فى الناس فكشف عنه فلما نظر الى ياقوته وزبرجده وجواهره بكى فقال له عبد الرحمن بن عوف مايبكيك ياامير المؤمنين فوالله ان هذا لموطن شكر فقال عمر والله ماذلك يبكينى وبالله مااعطى الله هذا قوما الا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا الا القى الله بأسهم بينهم ومنع عمر من قسمة السواد لتعذر ذلك بسبب الآجام والغياض وتبعيض المياه وماكان لبيوت النار وسكك البرد وماكان لكسرى ومن جاء معه وماكان لمن قتل وخاف ايضا الفتنة بين المسلمين فلم يقسمه ومنع من بيعه لانه لم يقسم واقروها حبيسا يولونها من أجمعوا عليه بالرضا وكانوا لايجمعون الا على الامراء فلا يحل بيع شئ من ارض السواد مابين حلوان والقادسية واشترى جرير أرضا على شاطئ الفرات فرد عمر ذلك الشراء وكرهه

﴿ ذكر اتخاذ البصرة والكوفة مصرا من الامصار ﴾

اختلف

اختلف في السنة التي اتخذت البصرة فيها مصرا فقيل سنة ست عشرة بعد فتح جلولا ارسل سعد عتبة بن غزوان رضي الله عنه بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاتخذها مصرا وخرج عليه اهل الابلة فقاتلهم عتبة فهزمهم واجتمع اهل دستميسان فقتلهم عتبة فهزمهم واخذ مرز بانها اسيرا وكان من سبي ميسان يسار ابو الحسن البصري وارطبان جد عبدالله بن عون بن ارطبان وقيل ان اتخاذ عتبة البصرة مصرا كان في سنة اربع عشرة وقيل خمس عشرة واما الكوفة فاتخذها سعد مصرا سنة خمس عشرة دلهم على موضعها ابن بقيلة قال لسعد الا ادلك على ارض الله ارتفعت عن البقة وانحدرت عن الفلاة فدله على موضعها فتحول سعد من المداين اليها وسبب ذلك ان العرب استوخمت المداين وبعث سعد ناسا يستطيبون لهم ارضا ينزلونها فاستطابوا الكوفة وهواها فتحول اليها سعد ومن معه سنة سبع عشرة

﴿ ذكر فتح تكريت والموصل في سنة ست عشرة ايضا ﴾

كان ذلك بعد فتح جلولا وسبب ذلك ان الانطاق سار من الموصل الى تكريت وخندق عليه يحمي ارضه ومعه الروم واياد وتغلب والنمر والشهارجة فبلغ ذلك سعدا فكتب الى عمر فكتب اليه عمر ان سرح اليه عبدالله بن المعتم واستعمل على مقدمته ربعي ابن الافكل وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة فسار عبدالله الى تكريت ونزل على الانطاق فحصره ومن معه اربعين يوما فتزاحفوا اربعة وعشرين زحفا وارسل عبدالله بن المعتم الى العرب الذين مع الانطاق يدعوهم الى نصرته وكانوا لايخفون عليه شيأ ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم تركوا امراءهم ونقلوا امتاعهم الى السفن فارسلت تغلب واياد والنمر الى عبد الله بالخبر وسألوه الامان واعلموه انهم معه فارسل اليهم ان كنتم صادقين فاسلموا فاجابوه واسلموا فارسل اليهم عبدالله اذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا انا اخذنا ابواب الخندق فخذوا الابواب التي تلي دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ونهد عبدالله والمسلمون وكبروا وكبرت تغلب واياد والنمر واخذوا الابواب فظن الروم ان المسلمين قد اتوهم من خلفهم مما يلي دجلة فقصدوا الابواب التي عليها المسلمون واخذتهم سيوف المسلمين وسيوف الربعيين الذين اسلموا تلك الليلة فلم يفلت من اهل الخندق الا من اسلم من تغلب واياد والنمر وارسل عبدالله بن المعتم ربعي بن الافكل الى الحصنين نينوى والموصل وقال اسبق الخبر وسرح معه تغلب واياد والنمر فقدمهم ابن الافكل الى الحصنين فسبقوا الخبر واظهروا الظفر والغنيمة وبشروهم ووقفوا بالابواب واقبل ابن الافكل فاقتحم عليهم الحصنين وكلبوا ابوابهما فنادوا بالاجابة الى الصلح وصاروا ذمة وقسموا الغنيمة فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف درهم وسهم الراجل الف درهم وبعثوا بالاخماس الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وولي حرب الموصل ربعي ابن الافكل والخراج عرفجة بن هرثمة ثم فتحت بقية اعمال الموصل وجميع معاقل الاكراد وصار الجميع للمسلمين

﴿ ذكر فتح ماسبذان في سنة ست عشرة ايضا ﴾

لما انقضى فتح جلولا بلغ سعدا ان آذين بن هرمز ان قد جمع جمعا وخرج بهم الى السهل

فارسل اليهم ضرار بن الخطاب فى جيش فالتقوا بسهل ماسبذان فاقتتلوا فاسرع المسلمون القتل فى المشركين واخذ ضرار آدين اسيرا فضرب رقبته ثم خرج فى الطلب حتى انتهى الى السيروان واخذ ماسبذان عنوة فهرب اهلها فى الجبال فدعاهم فاستجابوا له واقام بها حتى تحول سعد الى الكوفة فارسل اليه فنزل الكوفة واستخلف على ماسبذان ابن الهذيل الاسدى فكانت احد فروج الكوفة

﴿ ذكر فتح قرقيسا فى سنة ست عشرة ايضا ﴾

لما انقضى ايضا فتح جلولا ارسل سعد عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف فى جند نحو هيت فنازل من بها وقد خندقوا عليهم فلما رأى اعتصامهم بخندقهم ترك الاخبية على حالها وخلف عليهم الحارث بن يزيد يحاصرهم وخرج فى نصف الناس فجاء قرقيسا على غرة فاخذها عنوة فاجابوا الى الجزية ثم ان الحارث بن يزيد راسل اهل هيت فاجابوا الى الجزية وكانت ثغور الكوفة اربعة حلوان وعليها القعقاع وماسبذان وعليها ضرار ابن الخطاب وقرقيسا وعليها عمر بن مالك والموصل وعليها عبد الله بن المعتم وكان بها خلفاؤهم اذا غابوا عنها

﴿ ذكر غزوة فارس من البحرين فى سنة سبع عشرة ﴾

لما كان العلاء بن الحضرمى على البحرين فى خلافة ابى بكر ثم فى خلافة عمر رضى الله عنهما ندب الناس لغزو فارس فى البحر وقد كان عمر نهاه عن الغزو فى البحر خوف الغرق فخالفه وندب الناس الى قتال فارس فاجابوه ففرقهم اجنادا على احدها الجارود بن المعلى وعلى الآخر سوار بن همام وعلى الآخر خليد بن المنذر بن ساوى وخليد على جميع الناس وحملهم فى البحر الى فارس بغير اذن عمر فعبرت الجنود من البحرين الى فارس فخرجوا الى اصطخر وبازائهم اهل فارس وعليهم الهربذ فقاتلوهم قتالا شديدا بمكان يدعى طاوس فقتل سوار والجارود وقتل من اهل فارس مقتلة عظيمة ثم اراد المسلمون الرجوع الى البصرة فلم يجدوا الى الرجوع سبيلا واخذت الفرس منهم طرقهم فعسكروا وامتنعوا ولما بلغ عمر رضى الله عنه صنيع العلاء ارسل الى عتبة بن غزوان يأمره بانفاذ جند كثيف الى المسلمين بفارس قبل ان يهلكوا وقال فانى القى فى روعى كذا وكذا نحو الذى كان فارسل عتبة جيشا كثيفا اثنى عشر الفا مقاتلا وعليهم ابو سبرة بن ابى رهم احد بنى عامر بن لؤى فسار بالناس على الساحل لايعرض له احد حتى التقى ابو سبرة وخليد وكان اهل اصطخر حيث اخذوا الطريق على المسلمين جمعوا اهل فارس اليهم من كل وجهة فالتقوا هم وابو سبرة بعد طاوس وقد توافت الى المسلمين امدادهم فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين واصاب المسلمون منهم ماشاؤا وهى الغزوة التى شرفت بها نابتة البصرة وكانوا افضل نوابت الامصار ثم انكفؤا بما اصابوا فرجعوا الى البصرة سالمين

﴿ ذكر الخبر عن فتح الاهواز ومناذر ونهرتيرى ﴾

فى سنة سبع عشرة فتحت الاهواز ومناذر ونهرتيرى وقيل سنة عشرين وكان السبب فى

هذا الفتح انه لما انهزم الهرمزان يوم القادسية وهو احد البيوتات السبعة فى اهل فارس قصد خورستان فلكها وقاتل بها من ارادهم فكان الهرمزان يغير على اهل ميسان ودستميسان من مناذر ونهرتيرى فاستمد عتبة بن غزوان سعدا فامده بجيوش والتقوا هم والهرمزان بين نهرتيرى و بين دلب وتوجه بعض جيوشهم لاخذ مناذر ونهرتيرى فبينما الهرمزان يقاتل الذين التقى معهم جاءه الخبر بأخذ مناذر ونهرتيرى فكسر ذلك قلب الهرمزان ومن معه فهزمه الله و اياهم وقتل المسلمون منهم ماشاؤا واصابوا ماشاؤا واتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ دجيل واخذوا مادونه وعسكروا بحيال سوق الاهواز وعبر الهرمزان جسر سوق الاهواز واقام وصار دجيل بين الهرمزان والمسلمين فلما رأى الهرمزان ما لا طاقة له به طلب الصلح فاستأمروا عتبة فاجاب الى ذلك على الاهواز كلها ماخلا نهرتيرى ومناذر وما غلب المسلمون عليه من سوق الاهواز فانه لايرد عليهم ثم وقع اختلاف بين المسلمين والهرمزان فى حدود الارض فغار بهم الهرمزان ومنع ماقبله واستعان بالاكراد فكتب عتبة بذلك الى عمر فكتب اليه عمر يأمره بقصده وامده بجند فالتقوا مع الهرمزان عند جسر سوق الاهواز ممايلي السوق فانهزم الهرمزان وسار الى رامهرمز وفتح المسلمون سوق الاهواز واتسعت اهم البلاد الى تستر ثم لم يزل القتال بينهم و بين الهرمزان الى ان طلب الصلح فاجاب عمر الى ذلك وان يكون ما اخذه المسلمون بأيديهم واصطلحوا على ذلك واقام الهرمزان والمسلمون يمنعونه اذا قصده الاكراد و يجبى اليهم

﴿ ذكر فتح رامهرمز وتستر واسر الهرمزان ﴾

كان فتح رامهرمز وتستر والسوس فى سنة سبع عشرة وكان سبب فتحها ان يزدجرد لم يزل وهو يعرو يثير اهل فارس أسفا على ماخرج من ملكهم فتحركوا وتكاتبوا هم واهل الاهواز وتعاقدوا على النصرة فكتب الامراء بذلك الى سعد فكتب الى عمر فكتب اليه عمر ان ابعث الى الاهواز جندا كثيفا مع النعمان ابن مقرن وعجل ولينزلوا بازاء الهرمزان ويتحققوا امره وكتب الى ابى موسى الاشعرى وكان على البصرة ان ابعث الى الاهواز جندا كثيفا وأمر عليهم سعد بن عدى اخاسهيل وابعث معه البراء بن مالك ومجزأة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم وعلى اهل الكوفة والبصرة جميعا ابو سبرة بن ابى رهم فخرج النعمان بن مقرن فى اهل الكوفة فسار الى الاهواز وسار نحو الهرمزان وهو برامهرمز فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان اليه بادره بالشدة ورجا أن يقتطعه ومعه اهل فارس فالتقى النعمان والهرمزان باربك فاقتتلوا قتالا شديدا ثم ان الله عزوجل هزم الهرمزان فترك رامهرمز ولحق بتستر وسار النعمان الى رامهرمز ونزلها وصعد الى ايذج فصالحه تيرويه على ايذج ورجع الى رامهرمز فاقام بها ووصل اهل البصرة فنزلوا سوق الاهواز وهم يريدون رامهرمز فاتاهم خبر الوقعة وهم بسوق الاهواز واتاهم الخبر ان الهرمزان نزل بتستر فساروا نحوه وسار ايضا النعمان وغيره من الامراء فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان وجنوده من اهل فارس والجبال والاهواز وعليهم الخنادق وامد عمر المسلمين ايضا بأبى موسى وجعله على اهل

البصرة وعلى الجميع ابو سبرة فحاصروهم اشهرا واكثروا فيهم القتل وزاحفهم المشركون ايام تستر ثمانين زحفا يكون لهم مرة وعليهم مرة فلما كان في آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون للبراء بن مالك وهو اخو انس بن مالك رضي الله عنهما يابراء اقسم على ربك ليهزمنهم وكان مجاب الدعوة فقال اللهم اهزمهم لنا واستشهدني فهزموهم حتى ادخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم ثم دخلوا مدينتهم واحاط بها المسلمون فبيناهم على ذلك وقد ضاقت المدينة بهم وطالت حربهم خرج رجل الى النعمان يستأمنه على أن يدله على مدخل يدخلون منه ورمى في ناحية ابي موسى بسهم ان امنتموني دللتكم على مكان تأتون المدينة منه فأمنوه في نشابة فرمى اليهم بأخرى وقال انهدوا من قبل مخرج الماء فانكم تقتحمونها فندب الناس اليه فانتدب له عامر ابن عبد قيس وبشر كثير ونهدوا لذلك المكان ليلا وقد ندب النعمان اصحابه ليسيروا مع الرجل الذي يدلهم على المدخل الى المدينة فانتدب له بشر كثير فالتقوا هم واهل البصرة على ذلك المخرج فدخلوا في السرب والناس من خارج فلما دخلوا المدينة كبروا فيها وكبر المسلمون من خارج وفتحت الابواب فاجتلدوا فيها فأناموا كل مقاتل وقصد الهرمزان القلعة فتحصن بها واطاف به الذين دخلوا فنزل اليهم على حكم عمر فاوثقوه واقتسموا ما افاء الله عليهم فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف وسهم الراجل الفا وجاء صاحب الرمية والرجل الذي خرج بنفسه فامنوهما ومن اغلق بابه معهما وقتل من المسلمين بشر كثير وممن قتله الهرمزان بنفسه مجزاة ابن ثور والبراء بن مالك وخرج ابو سبرة بنفسه في اثر المنهزمين الى السوس ونزل عليها ومعه النعمان ابن مقرن وابو موسى وكتبوا الى عمر فكتب الى ابي موسى برده الى البصرة فانصرف اليها من على السوس وسار زر بن عبد الله الفقيمي الى جنديسابور فنزل اليها وارسل ابو سبرة وفدا الى عمر ابن الخطاب فيهم انس بن مالك والاحنف بن قيس ومعهم الهرمزان فقدموا به المدينة والبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب وتاجه وكان مكللا بالياقوت والبسوه حليته ليراه عمر والمسلمون فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل جلس في المسجد لوفد من الكوفة فوجدوه في المسجد متوسدا برنسه وكان قد لبسه للوفد فلما قاموا عنه توسده ونام فجلسوا دونه وهو نائم والدرة في يده فقال الهرمزان اين عمر قالوا هوذا فقال اين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب قال فينبغي ان يكون نبيا قالوا بل يعمل بعمل الانبياء فاستيقظ عمر بجلبة الناس فاستوى جالسا ثم نظر الى الهرمزان فقال الهرمزان قالوا نعم فقال الحمد لله الذي اذل بالاسلام هذا وغيره اشباهه فامر بنزع ما عليه فنزعوه والبسوه ثوبا صفيقا فقال له عمر ياهرمزان كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة امر الله فقال ياعمر انا واياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان الآن معكم غلبتمونا ثم قال له ماحجتك وما عذرك في انتقاضك مرة بعد اخرى فقال اخاف ان تقتلني قبل ان اخبرك قال لا تخف ذلك واستسقى ماء فاتى به في قدح غليظ فقال لو مت عطشا لم استطع ان اشرب في مثل هذا فاتى به في اناء يرضاه فقال اني اخاف ان اقتل وانا اشرب فقال عمر لا بأس عليك حتى تشربه فاكفأه فقال عمر اعيدوا عليه ولا تجمعوا بين القتل والعطش فقال لا حاجة لي في الماء انما اردت ان استأمن به فقال له عمر اني قاتلك فقال قد امنتني فقال كذبت

قال انس صدق يا امير المؤمنين قد امنته قال عمر يا انس انا اؤمن قاتل مجزاة بن ثور والبراء بن مالك والله لتأتين بمخرج اولاعاقبنك قال انك يا امير المؤمنين قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني ولا بأس عليك حتى تشربه وقال لعمر من حوله مثل ماقال انس فاقبل على الهرمزان وقال خدعتني والله لا انخدع الا ان تسلم فاسلم ففرض له فيمن فرض لهم الفين وانزله المدينة وكان المترجم بينهما المغيرة بن شعبة لانه كان يفقه بالفارسية الى ان جاء المترجم

﴿ ذكر فتح السوس ﴾

لما نزل ابو سبرة على السوس كان بها شهريار اخو الهرمزان فاحاط المسلمون بها وناوشوهم القتال مرات وحاصروهم ثم اقتحموا الباب ودخلوا عليهم فالقى المشركون بايديهم ونادوا الصلح الصلح فاجابهم الى ذلك المسلمون بعد مادخلوها عنوة واقتسموا مااصابوا وقيل في فتح السوس ان يزدجرد سار بعد وقعة جلولا فنزل اصطخر ومعه سياه في سبعين من عظماء الفرس فوجهه الى السوس والهرمزان الى تستر ونزل سياه بين رامهرمز وتستر ودعا من معه من عظماء الفرس وقال لهم قد علمتم انا كنا نتحدث ان هؤلاء القوم سيغلبون على هذه المملكة وتروث دوابهم في ايوانات اصطخر ويشدون خيولهم في شجرها وقد غلبوا على مارأيتم فانظروا لانفسكم فقالوا رأينا رأيك قال ارى ان تدخلوا في دينهم ووجهوا شيرويه في عشرة من الاساورة الى ابي موسى فشرط عليهم ان يقاتلوا معه العجم ولا يقاتلوا العرب وان قاتلهم احد من العرب منعهم منهم وينزلوا حيث شاؤا ويلحقوا باشرف العطاء ويعقد لهم ذلك عمر على ان يسلموا فاعطاهم عمر ماسألوا فاسلموا وشهدوا مع المسلمين حصار تستر ومضى سياه الى حصن قد حاصره المسلمون في زي العجم فالقا نفسه الى جانب الحصن ونضح ثيابه بالدم فرآه اهل الحصن صريعاً فظنوه رجلا منهم ففتحوا له باب الحصن ليدخلوه اليهم فوثب وقاتلهم حتى خلوا عن الحصن وهربوا فملكه

﴿ ذكر مصالحة جنديسابور ﴾

ثم سار بعض المسلمين عن السوس فنزل بجنديسابور وزر بن عبدالله محاصرهم فاقاموا عليها يقاتلونهم فرمي الى من بها من عسكر المسلمين بالأمان فلم يفجاء المسلمين الا وقد فتحت ابوابها واخرجوا اسواقهم فسألهم المسلمون فقالوا رميتم لنا بالامان فقبلناه واقررنا بالجزية فقال المسلمون مافعلنا وسأل المسلمون بعضهم من فعل ذلك فاذاهو عبد يدعى مكنفا كان اصله منها فعل هذا فقالوا هو عبد فقال اهلها لانعرف العبد من الحر وقد قبلنا الجزية ومابدلنا فان شئتم فاغدروا فكتبوا الى عمر فاجاز امانهم فامنوهم وانصرفوا عنهم

﴿ ذكر مسير المسلمين الى كرمان وغيرها ﴾

قيل في سنة سبع عشرة اذن عمر للمسلمين في الانسياح في بلاد فارس وانتهى في ذلك الى رأي الاحنف ابن قيس حيث قال له يا امير المؤمنين نهيتنا عن الانسياح في البلاد وان فارس لا يزالون يقاتلوننا مادام ملكهم فيهم فلا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا في الانسياح فنسيح في بلادهم

وتزيل ملكهم فهنالك ينقطع رجاء اهل فارس فقال عمر صدقتني والله وأذن في الانسياح فامر اباموسى ان يسير من البصرة الى منقطع ذمة البصرة فيكون هناك حتى يأتيه امره وبعث بألوية من ولى مع سهيل بن عدى فدفع لواء خراسان الى الاحنف بن قيس ولواء ازدشير وسابور الى مجاشع بن مسعود السلمى ولواء اصطخر الى عثمان بن ابى العاص الثقفى ولواء افسا ودرابجرد الى سارية بن زنيم الكنانى ولواء كرمان الى سهيل بن عدى ولواء سجستان الى عاصم بن عمرو ولواء مكران الى الحكم بن عمير التغلبى فخرجوا ولم يتهيأ مسيرهم فى ذلك الوقت وأمدهم بنفر من اهل الكوفة وسيأتى الكلام على تفصيل ذلك

﴿ ذكر وقعة نهاوند ﴾

قيل انها كانت سنة ثمان عشرة وقيل سنة تسع عشرة وقيل سنة احدى وعشرين وكان الذى هيج امر نهاوند ان المسلمين لما خلصوا امن جند العلاء من بلاد فارس وفتحوا الاهواز كاتبت الفرس ملكهم وهو يزدجرد فحركوه وكاتب الملوك بين الباب والسند وخراسان وحلوان فتحركوا وتكاتبوا واجتمعوا الى نهاوند ولما وصل اوائلهم بلغ سعدا الخبر فكتب الى عمر وثار بسعد قوم سعوا به وتعصبوا عليه ولم يشغلهم مانزل بالناس وكان جماعة خالفوا سعدا وصاروا يشكون منه فمن تحرك فى امره الجراح بن سنان الاسدى فى نفر فقال لهم عمر والله مايمنعني مانزل بكم من النظر فيما لديكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس فى الاستعداد للفرس وكان محمد بن مسلمة صاحب العمال يقتص آثار من شكى زمان عمر فطاف بسعد على اهل الكوفة يسأل عنه فما سأل عنه جماعة الا اثنوا عليه خيرا سوى من مالأ الجراح الاسدى فانهم سكتوا ولم يقولوا سوأ ولا يسوغ لهم حتى انتهوا الى بنى عبس فسألهم فقال اسامة ابن قتادة اللهم انه لا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية ولا يغزو فى السرية فقال سعد اللهم ان كان قالها رياء وكذبا وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن فعمى واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها فاذا عثر عليها قال دعوة سعد الرجل المبارك ثم دعا سعد على اولئك النفر فقال اللهم ان كانوا خرجوا اشرا وبطرا ورياء فاجهد بلادهم فجهدوا وقطع الجراح بن سنان بالسيوف يوم بادر الحسن بن على رضى الله عنهما ليغتاله بساباط وشدخ قبيصة بالحجارة وقتل اربد بالوجئ ونعال السيوف وكان سعد رضى الله عنه مجاب الدعوة لان النبى صلى الله عليه وسلم دعا له بذلك وكان من العشرة المبشرين بالجنة ومن السابقين للاسلام ومن اخوال النبى صلى الله عليه وسلم وهو اول رجل رمى بسهم فى سبيل الله واول رجل اهرق دما من المشركين فى سبيل الله وجمع له النبى صلى الله عليه وسلم ابويه فقال فداك ابى وامى ثم ان محمد بن مسلمة رجع المدينة بسعد وبالقوم الذين شكوا منه فقدموا على عمر فاخبروه الخبر فقال كيف تصلى ياسعد قال اطيل الاوليين واخفف الاخريين فقال هكذا الظن بك يا ابا اسحاق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بينا فاراد عمر رضى الله عنه الاحتياط وقطع النزاع لئلا يطول الشر ويتسع الامر فقال من خليفتك ياسعد على الكوفة فقال عبدالله بن عبدالله بن عتبان فأقره

وامر

وامر سعدا بالبقاء معه في المدينة ولما طعن عمر رضي الله عنه جعله من الستة اصحاب الشورى
الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وقال ان تولوا سعدا فأهل
هو والا فليستعن به الوالي فاني لم اعزله عن ضعف ولا خيانة هكذا كان سبب نهاوند فابتداء
البعث كان في زمن سعد واما الوقعة فهي في زمان عبد الله بن عبد الله بن عتبان فنفرت
الاعاجم بكتاب يزدجرد فاجتمعوا بنهاوند على الفيرزان في خمسين الفا ومائة الف مقاتل وكان
سعد كتب الى عمر بالخبر ثم شافهه به لما قدم عليه وقال له ان اهل الكوفة يستأذنونك
في الانسياح وأن يبدؤهم بالشدة ليكون اهيب لهم على عدوهم فجمع عمر الناس واستشارهم
وقال لهم هذا يوم له ما بعده وقد هممت ان اسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه فانزل منزلا
وسطا بين هذين المصرين ثم استنفرهم واكون لهم ردأ حتى يفتح الله عليهم او يقضي ما احب
فان فتح الله عليهم صببتهم في بلدانهم فقال طلحة بن عبيد الله يا امير المؤمنين قد احكمتك الامور
وعجمتك البلابل واحتنكتك التجارب وانت وشأنك ورأيك لا ينبو في يديك ولا يكل
عليك اليك هذا الامر فرنا نطع وادعنا نجب واحملنا نركب وقدنا ننقد فانك ولي هذا الامر
وقد بلوت وجربت واحتربت فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك الاعن خيار هم
ثم جلس فعاد عمر فقام عثمان فقال ارى يا امير المؤمنين ان تكتب الى اهل الشام فيسيروا
من شامهم والى اهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير انت بأهل الحرمين الى الكوفة والبصرة
فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فانك اذا سرت قل عندك ما قد تكاثر من عدد القوم وكنت
اعز عزاء واكثر يا امير المؤمنين انك لا تستبقي بعد نفسك من العرب باقية ولا تمتع من الدنيا
بعزيز ولا تلوذ منها بحريز ان هذا يوم له ما بعده من الايام فاشهده برأيك واعوانك ولا تغب
عنه وجلس فعاد عمر فقام علي بن ابي طالب فقال اما بعد يا امير المؤمنين فانك ان اشخصت
اهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان اشخصت اهل اليمن من يمنهم سارت
الحبشة الى ذراريهم وانك ان اشخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من اطرافها
واقطارها حتى يكون ما تدع وراءك اهم اليك مما بين يديك من العورات والعيال اقرر هؤلاء
في امصارهم واكتب الى اهل البصرة فليتفرقوا ثلاث فرق فرقة في حرمهم وذراريهم
وفرقة في اهل عهدهم حتى لا ينتقضوا ولتسر فرقة الى اخوانهم بالكوفة مددا لهم ان الاعاجم
ان ينظروا اليك غدا قالوا هذا امير العرب واصلها فكان ذلك اشد لكلبهم عليك واما ما ذكرت
من مسير القوم فان الله هو اكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغيير ما يكره واما عددهم فانا لم نكن
نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر فقال عمر هذا هو الرأي كنت احب ان اتابع عليه
فاشيروا علي برجل اوليه ذلك الثغر وليكن عراقيا فقالوا انت اعلم بجندك وقد وفدوا عليك
فقال والله لأولين رجلا يكون اول الأسنة اذا لقيها غدا فقيل من هو فقال النعمان بن مقرن
المزني فقالوا هو لها وكان النعمان يومئذ معه جمع من اهل الكوفة قد اقتحموا جند سابور
والسوس فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى ماه لتجتمع الجيوش عليه فاذا اجتمعوا اليه سار بهم
الى الفيرزان ومن معه وكتب عمر الى عبد الله بن عبد الله بن عتبان ليستنفر الناس مع النعمان
ويجتمعوا عليه بماه فندب الناس فكان اسرعهم الى ذلك الرواد ليبلوا في الدين

وليدركوا حظا فخرج الناس وعليهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن اخو النعمان بن مقرن حتى قدموا على النعمان وكتب عمر الى الجند الذين كانوا بالاهواز ليشغلوا فارسا عن المسلمين وعليهم المقترب وحرملة وزرفاقاموا بتخوم اصبهان وفارس وقطعوا امداد فارس عن اهل نهاوند واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة ابن اليمان وعبدالله بن عمر وجرير بن عبدالله البجلي والمغيرة بن شعبة وغيرهم فارسل النعمان طليحة بن خويلد الاسدي وعمرو بن معد كرب وعمرو بن ثنى وهو ابن ابى سلمى ليأتوه بخبر القوم فخرجوا وساروا يوما الى الليل فرجع اليه عمرو بن ثنى فقالوا مارجعك فقال لم اكن فى ارض العجم وقتلت ارض جاهلها وقتل ارضا عالمها ومضى طليحة وعمرو بن معدى كرب فلما كان آخر الليل رجع عمرو فقالوا امارجعك قال سرنا يوما وليلة ولم نرشيأ فرجعت ومضى طليحة حتى انتهى الى نهاوند وبين موضع المسلمين الذين هم به ونهاوند بضعة وعشرون فرسخا فقال الناس ارتد طليحة الثانية فعلم كلام القوم ورجع فلما رأوه كبروا فقال ماشأنكم فاعلموه بالذى خافوا عليه فقال والله لولم يكن دين الا العربى ما كنت لاحرز العجم الطماطم هذه العرب العادية فاعلم النعمان انه ليس بينهم وبين نهاوند شئ يكرهه ولا احد فرحل النعمان وعبى اصحابه وهم ثلاثون الفا فجعل على مقدمته اخاه نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن وعلى المجردة القعقاع ابن عمرو وعلى الساقة مجاشع بن مسعود وقد توافت اليه امداد المدينة فيهم المغيرة بن شعبة فانتهوا الى اسبيذهان والفرس وقوف على تعبئتهم واميرهم الفيرزان وعلى مجنبتيه الزردق وبهمن جادويه الذى جعل مكان ذى الحاجب وقد توافى اليهم الامداد بنهاوند كل من غاب عن القادسية ليسوا بدونهم فلما رآهم النعمان كبر وكبر معه الناس فتزلزلت الاعاجم وحطت العرب الاثقال وضرب فسطاط النعمان فابتدر اشراف الكوفة فضربوا فساطيطهم ونشب القتال بعد حط الاثقال فاقتتلوا يوم الاربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم سجال وانهم انجحزوا فى خنادقهم يوم الجمعة وحاصرهم المسلمون واقاموا عليهم ماشاء الله والفرس بالخيار لايخرجون الا اذا ارادوا الخروج فخاف المسلمون ان يطول امرهم حتى اذا كان ذات يوم فى جمعة من الجمع اجتمع اهل الرأى من المسلمين وقالوا نراهم علينا بالخيار واتوا النعمان فى ذلك فوافوه وهو يروى فى الذى رووا فيه فأخبروه فبعث الى من بقى من اهل النجدات والرأى فاحضرهم فتكلم النعمان فقال قد ترون المشركين واعتصامهم بخنادقهم ومدنهم وانهم لايخرجون الينا الا اذا شاؤا ولا يقدر المسلمون على اخراجهم وقد ترون الذى فيه المسلمون من التضايق فالرأى الذى به نستخرجهم الى المناجزة وترك التطويل فتكلم عمرو بن غنم وكان اكبر الناس وكانوا يتكلمون على الاسنان فقال التحصن عليهم اشد من المطاولة عليكم فدعهم وقاتل من اتاك منهم فردوا عليه رأيه وتكلم عمرو بن معدى كرب فقال ناهدهم وكايدهم ولا تخفهم فردوا جميعا عليه رأيه وقالوا انما يناطح بنا الجدران وهى اعوان علينا وقال طليحة أرى ان تبعث خيلا لينشبوا القتال فاذا اختلطوا بهم رجعوا الينا استطرادا فانا لم نستطرد لهم فى طول ماقاتلناهم فاذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضى الله فيهم وفينا ما احب فأمر القعقاع

ابن

ابن عمرو وكان على المجردة فانشب القتال فأخرجهم من خنادقهم كانهم جبال حديد وقد تواثقوا ان لايفروا وقد قرن بعضهم بعضا كل سبعة فى قران والقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا فلما خرجوا نكص ثم نكص واغتنمها الاعاجم ففعلوا كما ظن طليحة وقالوا هى هى فلم يبق احد الا من يقوم على الابواب وركبوهم ولحق القعقاع بالناس وانقطع الفرس عن حصنهم بعض الانقطاع والمسلمون على تعبية فى يوم جمعة صدر النهار وقد عهد النعمان الى الناس عهده وامرهم ان يلزموا الارض ولايقاتلوا حتى يأذن لهم ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمى واقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى افشوا فيهم الجراح وشكا الناس وقالوا للنعمان الاترى مانحن فيه ماتنتظر بهم أيذن للناس فى قتالهم فقال رويدا رويدا وانتظر النعمان بالقتال احب الساعات كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى العدو فيها وذلك عند الزوال فلما كان قريبا من تلك الساعة ركب فرسه وسار فى الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر وقال لهم انى مكبر ثلاثا فاذا كبرت الثالثة فانى حامل فاحملوا وان قتلت فالامر بعد حذيفة بن اليمان فان قتل ففلان حتى عد سبعة آخرهم المغيرة ثم قال اللهم اعزز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان اول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك وبل بل قال اللهم انى اسألك أن تقر عينى اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام واقبضنى شهيدا فبكى الناس ورجع الى موقفه وكبر ثلاثا والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال وحمل النعمان والناس معه وانقضت رايته انقضاض العقاب والنعمان معم ببياض القبا والقلنسوة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون بوقعة كانت اشد منها وما كان يسمع الا وقع الحديد وصبر لهم المسلمون صبرا عظيما وانهزم الاعاجم وقتل منهم مابين الزوال والاعتام ماطبق ارض المعركة دما زلق الناس والدواب فلما اقر الله عين النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيدا رمى بسهم فى خاصرته فقتله وزلق به فرسه فصرع فجاءه اخوه نعيم بثوب واخذ الراية وناولها حذيفة فاخذها وتقدم موضع النعمان وترك نعيما مكانه وقال لهم المغيرة اكتموا مصاب اميركم حتى تنظروا مايصنع الله فينا وفيهم لئلا يهن الناس فاقتتلوا فلما اظلم الليل عليهم انهزم المشركون وذهبوا وتبعهم المسلمون وعمى الله على المشركين قصدهم فتركوه واخذوا نحو اللهب الذى كانوا دونه فوقعوا فيه فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعضهم فى قياد واحد فيقتلون جميعا وجعل يعقرهم حسك الحديد فمات منهم فى اللهب مائة الف او يزيدون سوى من قتل فى المعركة وقيل قتل فى اللهب ثمانون الفا سوى من قتل فى الطلب ولم يفلت الا الشريد ونجا الفيرزان من الصرعى فهرب نحو همذان فتابعه نعيم بن مقرن وقدم القعقاع قدامه فادركه بثنية همذان وهى اذ ذاك مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلا فحبسه الدواب على اجله فلما لم يجد طريقا نزل عن دابته وصعد الجبل فتبعه القعقاع راجلا فأدركه فقتل المسلمون الفيرزان على الثنية وقالوا ان لله جنودا من عسل واستاقوا العسل وما معه من الاحمال وسميت الثنية ثنية العسل ودخل المشركون همذان والمسلمون فى آثارهم فنزلوا عليها واخذوا ماحولها فلما رأى ذلك خسرشنوم استأمنهم ولما تم الظفر

المسلمين جعلوا يسألون عن اميرهم النعمان بن مقرن فقال لهم اخوه معقل هذا اميركم قد اقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة فاتبعوا حذيفة ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة واحتووا على ما فيها من الامتعة والاموال والاسلاب والاثاث واتاهم الهربذ صاحب بيت النار على امان فقال لحذيفة اتؤمنني ومن شئت على ان اخرج لك ذخيرة لكسرى تركت عندي لنوائب الزمان قال نعم فاحضر جوهرا نفيسا في سفطين فارسلهما حذيفة مع الاخماس الى عمر وكان حذيفة قد نفل منها وارسل الباقي مع السائب بن الاقرع الثقفي وكان كاتبا حاسبا ارسله عمر اليهم وقال له ان فتح الله عليكم فاقسم على المسلمين فيئهم وخذ الخمس وان قتل هذا الجيش فاذهب فبطن الارض خير من ظهرها قال السائب فلما فتح الله على المسلمين واحضر الفارسي السفطين اللذين كانا عنده فاذا فيهما اللؤلؤ والزبرجد والياقوت فلما فرغت من القسمة احتملتهما معي وقدمت على عمر وكان عمر رضي الله عنه قد قدر الوقعة فبات يتململ ويخرج ويتوقع الاخبار فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه فرجع الى المدينة ليلا فمر به راكب فسأله من اين اقبل فقال من نهاوند واخبره بالفتح وقتل النعمان فلما اصبح الرجل تحدث بهذا بعد ثلاث من الوقعة فبلغ الخبر عمر فسأله فاخبره فقال ذاك بريد الجن ثم قدم البريد بعد ذلك فاخبره بما يسره ولم يخبره بقتل النعمان قال السائب فخرج عمر من الغد يتوقع الاخبار قال فاتيت فقال ما وراءك فقلت خيرا يا امير المؤمنين فتح الله عليك واعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه فوق كتده فلما رأيت ذلك ومالقي قلت يا امير المؤمنين ما اصيب بعده رجل يعرف وجهه فقال اولئك المستضعفون من المسلمين ولكن الذي اكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وانسابهم وما يصنع اولئك بمعرفة عمر ثم اخبرته بالسفطين فقال ادخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما والحق بجندك قال ففعلت وخرجت سريعا الى الكوفة وبات عمر فلما اصبح بعث في اثري رسولا فما ادركني حتى دخلت الكوفة فانخت بعيري واناخ بعيره على عرقوب بعيري فقال الحق بامير المؤمنين فقد بعثني في طلبك فلم اقدر عليك الا الآن قال فركبت معه فقدمت على عمر فلما رآني قال الي ومالي وللسائب قلت ولماذا قال ويحك والله ما هو الا ان نمت الليلة التي خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبني الى السفطين يشتعلان نارا يقولون لنكوينك بهما فاقول اني سأقسمهما بين المسلمين فخذهما عني فبعهما في اعطية المسلمين وارزاقهم قال فخرجت بهما فوضعتهما في مسجد الكوفة فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بالفي الف درهم ثم خرج بهما الى ارض الاعاجم فباعهما باربعة آلاف الف فما زال اكثر اهل الكوفة مالا وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الراجل الفين وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح لانه لم يكن بعده للفرس اجتماع وملك المسلمون بلادهم ولم يزل يزدجرد امره في انتكاس ونقصان وكلما اخذت منه مدينة انتقل الى اخرى الى ان قتل في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة احدى وثلاثين وسيأتي تفصيل ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر فتح الدينور والصيمرة وغيرهما ﴾

لما انصرف ابو موسى من نهاوند وكان قد جاء مددا على بعث اهل البصرة مر بالدينور

فاقام

فاقام عليها خمسة ايام وصالحه اهلها على الجزية ومضى فصالحه اهل شيروان على مثل صلحهم و بعث السائب بن الاقرع الثقفي الى الصيرة مدينة مهرجا نقذف ففتحها صلحا

﴿ ذكر فتح همذان والماهين وغيرهما ﴾

لما انهزم المشركون دخل من سلم منهم همذان وحاصرهم نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو فلما رأى ذلك خشرشنوم استأمنهم وقبل منهم الجزية على ان يصمن منهم همذان ودستبي وان لا يؤتى المسلمون منهم فاجابوه الى ذلك وامنوه ومن معه من الفرس واقبل كل من كان هرب منهم و بلغ الخبر الماهين بفتح همذان وملكها فاقتدوا بخشرشنوم وكاتبوا حذيفة فاجابهم الى ماطلبوا واجمعوا على القبول

﴿ ذكر فتح اصبهان ﴾

بعث عمر رضي الله عنه اليها عبدالله بن عبدالله بن عتبان وكان شجاعا من اشراف الصحابة ومن وجوه الانصار وامده بابي موسى وكان على جند اصبهان الاسبيدان وعلى مقدمته شهريار بن جاذويه شيخ كبير في جمع عظيم فاقتتلوا برستاق اصبهان قتالا شديدا ودعا الشيخ الى البراز فبرز له عبدالله بن ورقاء الرياحي فقتله وانهزم اهل اصبهان وسمى ذلك الرستاق رستاق الشيخ الى هذا اليوم وصالحهم الاسبيدان على رستاق الشيخ وهو اول رستاق اخذ من اصبهان ثم سار عبدالله الى مدينة جي وهي مدينة اصبهان والملك باصبهان الفاذوسفان فنزل بالناس على جي وحاصرها وقاتلها ثم صالحه الفاذوسفان على اصبهان و على ان من اقام الجزية اقام على ماله و ان يجرى من اخذت ارضه عنوة مجراهم ومن ابى وذهب كانت لكم ارضه فخرج الناس من جي ودخلوا في الذمة الا ثلاثين رجلا من اهل اصبهان فلحقوا بكرمان ثم قدم كتاب عمر الى عبدالله يأمره بالمسير الى سهيل بن عدى ليكون معه على قتال من بكرمان فسار واستخلف على اصبهان السائب بن الاقرع ولحق بسهيل ونازلوا كرمان حتى فتحوها وسيأتى ذكر ذلك في فتوحات سنة ثلاثة وعشرين

﴿ ذكر فتح زويلة ﴾

في سنة احدى وعشرين بعث عمرو بن العاص من مصر عقبة بن نافع الفهرى بجيش فافتتح زويلة صلحا ومابين برقة وزويلة فصار سلما للمسلمين

﴿ ذكر فتح همذان ثانيا ﴾

قد تقدم مسير نعيم بن مقرن الى همذان وفتحها على يده و يد القعقاع ابن عمرو فلما رجعا عنها كفر اهلها فرجع اليهم نعيم بن مقرن في سنة اثنين وعشرين وحاصرهم ثم سألوا الصلح ففعل وقبل منهم الجزية وقيل ان ذلك كان سنة اربع وعشرين بعد مقتل عمر رضي الله عنه لستة اشهر وان نعيما خرج اليهم في جيش كثيف وقاتلهم قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند فانهزم الفرس هزيمة قبيحة وقتل منهم مقتلة كثيرة لا يحصون وقيل ان

المغيرة بن شعبة حين كان عاملا على الكوفة ارسل جرير بن عبدالله البجلي الى همذان فقاتله اهلها واصيبت عين جرير بسهم فقال احتسبها عندالله الذى زين بها وجهي ونورلي بها ما شاء ثم سلبنيها فى سبيله ثم فتحها على مثل صلح نهاوند وغلب على ارضها قسرا وقيل كان فتحها على يد المغيرة بنفسه وكان جرير على مقدمته وقيل فتحها قرظة بن كعب الانصارى

ذكر فتح قزوين و زنجان

لما سير المغيرة جريرا الى همذان ففتحها سير البراء ابن عازب فى جيش الى قزوين فسار البراء حتى اتى ابهر وهو حصن فقاتلوه ثم طلبوا الامان فأمنهم وصالحهم ثم غزا قزوين فلما بلغ اهلها الخبر ارسلوا الى الديلم يطلبون النصرة فوعدوهم ووصل المسلمون اليهم فخرجوا لقتالهم والديلم وقوف على الجبال لايمدون يدا فلما رأى ذلك اهل قزوين طلبوا الصلح على صلح ابهر ثم غزا البراء الديلم حتى ادوا اليه الاتاوة وغزا جيلان والطيلسان وفتح زنجان عنوة ولما ولى الوليد بن عقبة الكوفة غزا ايضا الديلم وجيلان وموقان والبر والطيلسان ثم انصرف

ذكر فتح الرى

فى سنة اثنتين وعشرين غزا نعيم بن مقرن الرى وخرج من الرى الزينبى ابو الفرخان فلقى نعيما طالبا الصلح ومسالما له ومخالفا لملك الرى وهو سياوخش بن مهران بن بهرام فاستمد ملك الرى اهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان فامدوه خوفا من المسلمين فالتقوا مع المسلمين فى سفح جبل الرى الى جنب مدينتها فاقتتلوا به وكان الزينبى قال لنعيم ان القوم كثير وانت فى قلة فابعث معى خيلا ادخل بهم مدينتهم من مدخل لايشعرون به وناهدهم انت فانهم اذا خرجنا عليهم لم يثبتوا لك فبعث معه نعيم خيلا من الليل عليهم ابن اخيه المنذر بن عمرو فادخلهم الزينبى المدينة ولايشعر القوم وبيتهم نعيم بياتا فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا وصبروا حتى سمعوا التكبير من ورائهم فانهزموا فقتلوا مقتلة عظيمة وافاء الله على المسلمين بالرى نحوا مما فى المداين وصالحه الزينبى على الرى ومرزبه عليهم نعيم وراسله المصمغان فى الصلح على شئ يفتدى به منه على دنباوند فاجابه الى ذلك وقيل ان فتح الرى كان سنة احدى وعشرين

ذكر فتح قومس وجرجان وطبرستان

لما ارسل نعيم الى عمر بالبشارة والاخماس الرى كتب اليه عمر يأمره بارسال اخيه سويد بن مقرن ومعه هند بن عمر والجلى وغيره الى قومس فسار سويد نحو قومس فلم يقم له احد فاخذها سلما وعسكر بها وكاتبه الذين لجؤا الى طبرستان منهم و اهل المفاوز فاجابهم الى الصلح والجزية ثم سار الى جرجان فعسكر بها فكاتبوه وصالحوه على الجزية وقيل ان ذلك كان سنة ثلاثين فى خلافة عثمان رضي الله عنه

* * *

ذكر

﴿ ذكر فتح طرابلس الغرب و برقة ﴾

في سنة اثنتين وعشرين سار عمرو بن العاص من مصر الى برقة فصالحه اهلها على الجزية ثم سار الى طرابلس الغرب فحاصرها شهرا فلم يظفر بها وكان قد نزل شرقيها فخرج رجل من المسلمين من بني مدلج يتصيد في سبعة نفر وسلكوا غربي المدينة فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فاخذوا على جانب البحر ولم يكن السور متصلا بالبحر والبلد فدخلوا المدينة من ذلك الجانب وكبروا فلما سمع الروم التكبير في البلد ظنوا ان المسلمين دخلوها فلم يكن لهم ملجأ الا سفنهم ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في المدينة وسمعوا الصياح فاقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد فلم يفلت من الروم الا القليل بما خف معهم في مراكبهم وكان اهل حصن سبرة قد تحصنوا لما نزل عمرو على طرابلس فلما امتنع عليه فتح طرابلس امنوا واطمأنوا فلما فتحت طرابلس سير عمرو جندا الى سبرة فصبحوها وقد فتح اهلها الباب واخرجوا مواشيهم لتسرح لانهم لم يكن لديهم خبر فتح طرابلس فوقع المسلمون عليهم ودخلوا الحصن مكابرة وغنموا ما فيه وعادوا الى عمرو ثم عاد عمرو الى برقة وقد اجتمع بها قوم من البربر فصالحوه على ثلاثة عشر الف دينار يؤدونها جزية وشرطوا ان يبيعوا من ارادوا من اولادهم في جزيتهم

﴿ ذكر فتح اذربيجان ﴾

لما افتتح نعيم الري بعث سماك بن خرشة الانصاري وليس بابي دجانة ممدا لبكير بن عبد الله باذربيجان وكان بكير قد سار اليها بامر عمر رضي الله عنه فامر عمر نعيما ان يمد بكيرا بسماك بن خرشة وكان بكير حين بعث اليها سار حتى اذا طلع بجبال جرميدان طلع عليهم اسفنديار بن فرخزاد فاقتتلوا فانهزم الفرس واخذ بكير اسفنديار اسيرا فقال له اسفنديار الصلح احب اليك ام الحرب فقال بل الصلح فقال امسكني عندك فان اهل اذربيجان ان لم اصالح عليهم او اجئ اليهم لم يقوموا لك وجلوا الى الجبال التي حولها ومن كان على التحصن تحصن فامسكه عنده وصارت البلاد اليه الا ما كان من حصن وقدم عليه سماك بن خرشة ممدا واسفنديار في امان وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وكتب بكير الى عمر يستأذنه في التقدم فاذن له ان يتقدم نحو الباب وان يستخلف على ما افتتحه فاستخلف عليه عتبة بن فرقد فاقر عتبة سماك بن خرشة على عمل بكير الذي كان افتتحه وجمع عمر اذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وكان بهرام بن فرخزاد قصد طريق عتبة واقام به في عسكره حتى قدم عتبة فاقتتلوا فانهزم بهرام فلما بلغ خبره اسفنديار وهو في الاسر عند بكير قال الآن تم الصلح وطفئت الحرب فصالحه واجاب الى ذلك اهل اذربيجان كلهم وعادت اذربيجان سلما وكتب بذلك بكير وعتبة الى عمر وبعثا بالخمس

﴿ ذكر فتح الباب ﴾

الباب مدينة عظيمة بناها كسرى في هذه السنة اعني سنة اثنتين وعشرين امر عمر رضي الله

عنه سراقة بن عمرو وكان يدعى ذاالنور بالمسير الى الباب وجعل على مقدمته عبدالرحمن بن ربيعة الباهلى وكان له صحبة وكان ايضا يدعى ذاالنور وجعل على احد مجنبتيه حذيفة بن سعيد الغفارى وعلى الاخرى بكير بن عبدالله الليثى وكان بكير سبقه الى الباب وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلى فسار سراقة فلما خرج من اذربيجان قدم بكير الى الباب وكان الملك بها يومئذ شهريار وهو من ولد شهريار الذى افسد بنى اسرائيل واغزى الشام بهم فلما اطل عبدالرحمن بن ربيعة على الباب كاتبه شهريار واستأمنه على ان يأتيه ففعل فاتاه فقال انى بازاء عدو كلب وامم مختلفة ليست لهم احساب ولا ينبغى لذى الحسب والعقل ان يعينهم على ذى الحسب ولست من القبح ولا الارمن فى شىء وانكم قد غلبتم على بلادى وامتى فانا منكم ويدى مع ايديكم وجزيتى اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلا تسومونا الجزية فتوهنونا بعدوكم فسيره عبدالرحمن الى سراقة فلقيه بمثل ذلك فاجابه بقبول ذلك منه ثم قال له سراقة لابد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو فاجابه الى ذلك وكتب سراقة فى ذلك الى عمر فاجازه عمر واستحسنه

﴿ ذكر فتح موقان ﴾

لما فرغ سراقة من الباب ارسل بكير بن عبدالله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن اسيد وسلمان بن ربيعة الى اهل تلك الجبال المحيطة بارمينية فوجه بكيرا الى موقان وحبيبا الى تفليس وحذيفة الى جبال اللان وسلمان الى الوجه الآخر وكتب سراقة الى عمر بفتح الباب وبارسال هؤلاء النفر الى الجهات المذكورة فأتى عمر امر لم يظن ان يستتم له بغير مؤنة لانه فرج عظيم وجند عظيم فلما استوسقوا واستحلوا الاسلام مات سراقة واستخلف عبدالرحمن بن ربيعة ولم يفتح احد من اولئك القواد الا بكير فانه فض اهل موقان ثم تراجعوا على الجزية عن كل حالم دينار ولما بلغ عمر موت سراقة واستخلافه عبدالرحمن بن ربيعة اقر عبدالرحمن على فرج الباب وامره بغزو الترك

﴿ ذكر غزو الترك ﴾

لما امر عمر عبدالرحمن بن ربيعة بغزو الترك وكانوا فى بلنجر باقصى ولاية الباب وهم امم كثيرة فخرج عبدالرحمن بالناس حتى قطع الباب فقال له شهريار ما تريد ان تصنع قال اريد غزو الترك فى بلنجر قال انا لنرضى منهم ان يدعونا من دون الباب قال عبدالرحمن لكنا لا نرضى حتى نغزوهم فى ديارهم وبالله ان معنا اقواما لو يأذن لهم اميرنا فى الامعان لبلغت بهم الروم قال وما هم قال اقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا فى هذا الامر بنية ولا يزال هذا الامر لهم دائما ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم فغزا بلنجر غزاة فى زمن عمر فقالوا ما اجترأ علينا الا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت فهربوا منه وتحصنوا فرجع بالغنيمة والظفر وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتى فرسخ من بلنجر وعادوا ولم يقتل منهم احد ثم غزاهم ايام عثمان بن عفان غزوات فظفر كما كان يظفر حتى تبدل اهل الكوفة وظهر فيهم الاختلال فغزا عبدالرحمن بن ربيعة بعد ذلك الترك فتذامرت عليه

واجتمعوا

واجتمعوا فى القيافى فرمى رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه اصحابه فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا واشتد قتالهم ونادى مناد من الجو صبرا عبد الرحمن وموعدكم الجنة فقاتل عبد الرحمن حتى قتل وانكشف اصحابه واخذ الراية اخوه سلمان بن ربيعة فقاتل بها ونادى مناد من الجو صبرا آل سلمان فقال سلمان اوترى جزعا وخرج سلمان بالناس ومعه ابو هريرة الدوسى على جيلان فقطعوها الى جرجان ولم يمنعهم ذلك من انجاء جسد عبد الرحمن فهم يستسقون به الى الآن

﴿ ذكر فتح خراسان ﴾

كان فتح خراسان فى سنة ثلاث وعشرين على الصحيح وسبب ذلك ان يزدجرد سار الى الرى بعد هزيمة اهل جلولا وانتهى اليها وعليها ابان جاذويه فوثب على يزدجرد فاخذه فقال يزدجرد يا ابان تغدر بى قال لا ولكن قد تركت ملكك فصار فى يد غيرك فاحببت ان اكتب ما كان لى من شئ واخذ خاتم يزدجرد واكتتب صكاكا بكل ما اعجبه ثم ختم عليها ورد الخاتم الى يزدجرد فسار يزدجرد من الرى الى اصبهان ثم منها الى كرمان والنار التى يعبدونها معهم ثم قصد خراسان فأتى مرو فنزلها وبنى للنار بيتا واطمأن وامن من ان يؤتى وانه من بقى من الاعاجم وكاتب الهرمزان واثار اهل فارس فنكثوا واثار اهل الجبال والفيرزان فنكثوا فاذن عمر للمسلمين فدخلوا بلاد الفرس وكتب للاحنف بن قيس بالمسير الى خراسان وكان قبل ذلك قد عقد له لواء عليها مع الالوية التى عقدها فسار بجيش كثيف فدخلها من الطبسين فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدى ثم سار نحو مرو الشاهجان فارسل الى نيسابور مطرف بن عبد الله بن الشخير والى سرخس الحارث بن حسان فلما دنا الاحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد الى مرو الروذ حتى نزلها ونزل الاحنف مرو الشاهجان وكتب يزدجرد وهو بمرو الروذ الى خاقان والى ملك الصغد والى ملك الصين يستمدهم وخرج الاحنف من مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلى بعد ما لحقت به امداد الكوفة وسار نحو مرو الروذ فلما سمع يزدجرد سار عنها الى بلخ ونزل الاحنف مرو الروذ وقدم اهل الكوفة الى يزدجرد واتبعهم الاحنف فالتقى اهل الكوفة ويزدجرد ببلخ فانهزم يزدجرد وعبر النهر ولحق الاحنف باهل الكوفة وقد فتح الله عليهم فبلخ من فتوحهم وتتابع اهل خراسان فمنهم من هرب ومنهم من بقى على الصلح فيما بين نيسابور الى طخارستان وعاد الاحنف الى مرو الروذ واستخلف على طخارستان ربعى بن عامر وكتب الاحنف الى عمر بالفتح فقال عمر وددت ان بيننا وبينها بحرا من نار فقال على ولم يا امير المؤمنين قال لان اهلها ينتقضون منها ثلاث مرات فيجتاحون فى الثالثة فكان ذلك باهلها احب الى من ان يكون بالمسلمين وكتب عمر الى الاحنف ان يقتصر على مادون النهر ولا يجوزه ولما عبر يزدجرد النهر مهزوما انجده خاقان من الترك واهل فرغانة والصغد فرجع يزدجرد وخاقان الى خراسان فنزل بلخ ورجع اهل الكوفة الى الاحنف بمرو الروذ ونزل المشركون عليه بمرو ايضا وكان الاحنف لما بلغه خبر عبور يزدجرد وخاقان النهر اليه خرج ليلا يستمع هل يسمع برأى ينتفع به فمر برجلين ينقيان

علقوا أحدهما يقول لصاحبه لو اسندنا الامير الى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقا وكان الجبل فى ظهورنا فلا يأتون من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجوت ان ينصرنا الله عليهم فرجع فلما اصبح جمع الناس ورحل بهم الى سفح الجبل وكان معه من اهل البصرة عشرة آلاف ومن اهل الكوفة نحو منهم واقبلت الترك ومن معها فنزلت وجعلوا يغادونهم القتال ويراوحونهم وفى الليل يتنحون عنهم فخرج الاحنف ليلة طليعة لاصحابه حتى اذا كان قريبا من عسكر خاقان وقف فلما كان فى وجه الصبح خرج فارس الترك بطوقه فضرب بطبله ثم وقف قريبا من العسكر موقفا يقفه مثله فحمل عليه الاحنف فتقاتلا فطعنه الاحنف فقتله واخذ طوق التركى ووقف فخرج آخر من الترك ففعل مثل فعل صاحبه فحمل عليه الاحنف فتقاتلا فطعنه فقتله واخذ طوقه ووقف ثم خرج الثالث من الترك ففعل مثل فعل الرجلين فحمل عليه الاحنف فقتله ثم انصرف الاحنف الى عسكره وكانت عادة الترك انهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم اكفاء كلهم يضرب بطبله ثم يخرجون بعد خروج الثالث فلما خرجوا تلك الليلة بعد الثالث فاتوا على فرسانهم مقتولين فتشاءم خاقان وتطير فقال قد طال مقامنا واصيب فرساننا ما لنا فى قتال هؤلاء القوم خير فرجعوا وارتفع النهار للمسلمين ولم يروا منهم احدا واتاهم الخبر بانصراف خاقان والترك الى بلخ وقد كان يزدجرد ترك خاقان مقابل المسلمين بمرو الروذ وانصرف الى مرو الشاهجان فتحصن حارثة بن النعمان ومن معه فحصرهم واستخرج يزدجرد خزائنه من موضعها وخاقان مقيم ببلخ فلما جمع يزدجرد خزائنه وكانت كبيرة عظيمة واراد ان يلحق بخاقان قال له اهل فارس اى شىء تريد ان تصنع قال اريد اللحاق بخاقان فاكون معه او بالصين قالوا ان هذا رأى سوء ارجع بنا الى هؤلاء القوم فنصالحهم فانهم اوفياء واهل دين وان عدوا يلينا فى بلادنا احب الينا مملكة من عدو يلينا فى بلاده ولا دين لهم ولا ندرى ما وفاؤهم فابى عليهم فقالوا دع خزائننا نردها الى بلادنا ومن يلينا لا تخرجها من بلادنا فابى فاعتزلوه وقاتلوه واخذوا الخزائن واستولوا عليها وانهزم منهم ولحق بخاقان وعبر النهر من بلخ الى فرغانة واقام يزدجرد ببلد الترك فلم يزل مقيما بها زمن عمر كله الى ان كفر اهل خراسان زمن عثمان وكان يكاتبهم ويكاتبونه وسيرد ذكر ذلك فى موضعه ثم اقبل اهل فارس بعد رحيل يزدجرد على الاحنف فصالحوه ودفعوا اليه تلك الخزائن والاموال وتراجعوا الى بلدانهم واموالهم على افضل ما كانوا عليه زمن الاكاسرة واغتبطوا بملك المسلمين واصاب الفارس يوم يزدجرد كسهمه يوم القادسية وسار الاحنف الى بلخ فنزلها بعد عبور خاقان النهر منها ونزل اهل الكوفة فى كورها الاربع ثم رجع الى مرو الروذ فنزلها وكتب بفتح خاقان ويزدجرد الى عمر ولما عبر خاقان ويزدجرد النهر لقوا رسول يزدجرد الذى ارسله الى ملك الصين فاخبرهما ان ملك الصين قال له صف لى هؤلاء القوم الذين اخرجوكم من بلادكم فانى اراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ امثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم الا بخير فيهم وشر فيكم فقلت سلنى عما احببت فقال ايوفون بالعهد قلت نعم قال وما يقولون لكم قبل القتال قال قلت يدعوننا الى واحدة من ثلاث اما دينهم فان اجبنا اجرونا مجراهم او الجزية والمنعة او المنابذة قال فكيف طاعتهم امراءهم قلت اطوع

قوم

قوم وارشدهم قال فمايحلون ومايحرمون فاخبرته قال هل يحلون ماحرم عليهم او يحرمون ماحلل لهم قلت لاقال ان هؤلاء القوم لايزالون على ظفرحتى يحلوا حرامهم و يحرموا حلالهم ثم قال اخبرني عن لباسهم فاخبرته وعن مطاياهم فقلت الخيل العراب ووصفتهاله قال نعمت الحصون ووصفت له الابل و بروكها وقيامها بحملها فقال هذه صفة دواب طوال الاعناق وكتب معه الى يزدجرد انه لم يمنعني ان ابعث اليك بجند اوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بمايحق على ولكن هؤلاء القوم الذين وصفهم لى رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلالهم سربهم ازالوني ماداموا على وصفهم فسالمهم وارض منهم بالمسالمة ولا تهيجهم مالم يهيجوك فاقام يزدجرد بفرغانة ومعه آل كسرى بعهد من خاقان ولما وصل خبر الفتح الى عمر بن الخطاب جمع الناس وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح وحمدالله تعالى فى خطبته على انجاز وعده ثم قال الاوان ملك المجوسية قدهلك فليس يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم الاوان الله اورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وابناءهم لينظر كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم فانى لااخاف على هذه الامة ان تؤتى الا من قبلكم

﴿ ذكر فتح شهرزور والصامغان ﴾

استعمل عمر رضي الله عنه عزرة بن قيس على حلوان فحاول عزرة فتح شهرزور فلم يقدر عليها فغزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت وصالح اهل الصامغان ودارا باذ على الجزية والخراج وقتل خلقا كثيرا من الاكراد وكتب الى عمر ان فتوحى قد بلغ اذربيجان فولاه اياها وولى هرثمة بن عرفجة الموصل ولم تزل شهرزور واعمالها مضمومة الى الموصل حتى افردت عنها آخر خلافة الرشيد

﴿ ذكر غزو معاوية بلاد الروم ﴾

فى هذه السنة اعنى سنة اثنتين وعشرين غزا معاوية بلاد الروم ودخلها فى عشرة آلاف من المسلمين فاثخن فيهم وغنم و رجع سالما

﴿ ذكر الخبر عن فتح توج ﴾

لماخرج اهل البصرة الذين توجهوا الى فارس امراء عليها وكان فيهم سارية بن زنيم الكناني فساروا واهل فارس مجتمعون بتوج فلم يقصدهم المسلمون بل توجه كل امير الى الجهة التى امر عليها وبلغ ذلك اهل فارس فتفرقوا الى بلدانهم كما افترق المسلمون فكانت تلك هزيمتهم وتشتت امورهم فقصد مجاشع بن مسعود السلمى سابور واردشير فالتقى هو والفرس بتوج فاقتتلوا ماشاء الله ثم انهزم الفرس وقتلهم المسلمون كيف شاؤا كل قتلة وغنموا مافى عسكرهم وحصروا توج فافتتحوها وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا مافيها وكان ذلك فى افتتاح سنة ثلاث وعشرين وهذه توج الاخيرة والاولى هى التى استنقذتها جنود العلاء ابن الحضرمى ايام طاوس ثم دعوا الى الجزية فرجعوا واقروا بها وارسل مجاشع بن مسعود السلمى بالبشارة والاخماس الى عمر رضي الله عنه

﴿ ذكر فتح اصطخر وجور وغيرهما ﴾

فى سنة ثلاث وعشرين قصد عثمان بن ابى العاص الثقفى اصطخر وكان عمر رضى الله عنه عقد له لواء اصطخر لما عقد الالوية لمن اذن لهم فى الانسياح الى بلاد فارس فالتقى عثمان هو واهل اصطخر بجور فاقتتلوا وانهزم الفرس وفتح المسلمون جور ثم اصطخر وقتلوا ماشاء الله ثم فر منهم من فر فدعاهم عثمان الى الجزية والذمة فأجابه الهربذ اليها فتراجعوا وكان عثمان قد جمع الغنائم لما هزمهم فبعث بخمسها الى عمر وقسم الباقى فى الناس وفتح عثمان كيزرون والنوبندجان وغلب على ارضها وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز وارجان وفتح سينيز على الجزية والخراج وقصد عثمان ايضا جنابا ففتحها ولقيه جمع الفرس ساحية جهرم فهزمهم وفتحها ثم ان شهرك خلع الطاعة فى آخر خلافة عمر واول خلافة عثمان فوجه اليه عثمان بن ابى العاص اتته واتته الامداد من البصرة واميرهم عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد فالتقوا بارض فارس فقال شهرك لابنه وهما فى المعركة وبينهما وبين قرية شهرك ثلاثة فراسخ وتسمى القرية ايضا شهرك يابنى اين يكون غداؤنا ههنا ام بشهرك قال له ياابت ان تركونا فلايكون غداؤنا ههنا ولا بشهرك ولايكون الا فى المنزل وماأراهم يتركوننا فما فرغا من كلامهما حتى نشب المسلمون الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل شهرك وابنه وخلق عظيم والذى قتل شهرك الحكم بن ابى العاص اخو عثمان وقيل قتله سوار بن همام العبدى حمل عليه فطعنه فقتله وحمل بن شهرك على سوار فقتله وحوصر الفرس بمدينة سابور فصالح عليها ملكها ارزنبان وكان فى جيوش المسلمين ابو صفرة والد المهلب قيل ان عبد الله بن معمر امير الامداد التى جاءت لهذا الجيش من البصرة بلغه ان ارزنبان يريد الغدر به فقال له احب ان تتخذ لاصحابى طعاما وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها فى الجفنة التى تلينى فانى احب ان اتمشش العظام ففعل وجعل يأخذ العظم الذى لايكسر الا بالفؤوس فيكسره بيده ويأخذ مخه وكان من اشد الناس فقام ارزنبان وقبل قدمه وقال هذا مقام العائذ بك واعطاه عهدا

﴿ ذكر فتح فساودار ابجرد ﴾

قد تقدم ان عمر رضى الله عنه لما عقد الالوية لمن اذن لهم فى الانسياح فى بلاد فارس عقد لواء لسارية بن زنيم الكنانى على فساودار ابجرد فى سنة ثلاث وعشرين فسار حتى انتهى اليهم فنزل عليهم وحاصرهم ماشاء الله ثم انهم استمدوا وتجمعوا وتجمعت اليهم اكراد فارس فدهم المسلمين أمر عظيم وجمع كثير واتاهم الفرس من كل جانب فرأى عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم فى ساعة من النهار فنادى من الغد الصلاة جامعة حتى اذا كان فى الساعة التى رأى فيها ماراى خرج اليهم وكان بن زنيم والمسلمون بصحراء ان اقاموا فيها احيط بهم وان استندوا الى جبل من خلفهم لم يؤتوا الا من وجه واحد فقام عمر على المنبر فقال ياايها الناس انى رأيت هذين الجمعين واخبر بحالهما وصاح عمر وهو يخطب ياسارية بن زنيم الجبل ياسارية الجبل ثم اقبل على الناس فقال ان لله جنودا ولعل بعضها ان تبلغهم فسمع سارية

ومن معه الصوت فلجؤوا الى الجبل ثم قاتلوهم فهزمهم الله تعالى كذا فى الكامل لابن الاثير وهذه القصة رواها كثير من أئمة الحديث بأسانيد صحيحة منهم البيهقى وابونعيم وابن مردوية واللالكاى وابن الاعرابى والخطيب بالفاظ متعددة والمعانى متقاربة فمنها رواية لابن عمر قال وجه عمر جيشا ورأس عليهم رجلا يدعى سارية فبينما عمر يخطب جعل ينادى ياسارية الجبل ثلاثا ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال ياامير المؤمنين هزمنا فبينا نحن كذلك اذ سمعنا صوتا ينادى ياسارية الجبل ثلاثا فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى قال قيل لعمر انك تصيح بذلك وذلك الجبل الذى كان سارية عنده بنها وند من ارض العجم وفى رواية لابن عمر ايضا كان عمر يخطب يوم الجمعة فعرض فى خطبته ان قال ياسارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال لهم على رضى الله عنه ليخرجن مما قال فلما فرغ سألوه فقال وقع فى خلدى ان المشركين هزموا اخواننا وانهم يمرون بجبل فان عدلوا اليه قاتلوا من وجه واحد وان جازوا هلكوا فخرج منى ماتزعمون انكم سمعتموه فجاء البشير بعد شهر فذكر انهم سمعوا صوت عمر فى ذلك اليوم قال فعدلنا الى الجبل ففتح الله علينا وفى رواية عن عمرو بن الحارث قال بينا عمر يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة فقال ياسارية الجبل مرتين اوثلاثا ثم اقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين لقد جن انه لمجنون فدخل عليه عبدالرحمن بن عوف وكان يطمئن اليه فقال انك لتجعل لهم على نفسك مقالا بينا انت تخطب اذ انت تصيح ياسارية الجبل اى شئ هذا قال انى والله ماملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين ايديهم ومن خلفهم فلم املك ان قلت ياسارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلبثوا الى ان جاء رسول سارية بكتابه وفيه ان القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى اذا حضرت الجمعة سمعنا مناديا ينادى ياسارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم فقال اولئك الذين طعنوا عليه دعوا هذا الرجل فانه مصنوع له انتهى واصاب المسلمون فى مغانمهم مع سارية سفطا فيه جوهر فاستوهبه منهم سارية وبعث به الى عمر فقدم الرسول على عمر وهو يطعم الطعام فأمره فجلس واكل فلما انصرف عمر تبعه الرسول فظنه عمر انه لم يشبع فأمره فدخل بيته فلما جلس اتى عمر بغدائه خبز وزيت وملح جريش فاكلا فلما فرغا قال الرجل انا رسول سارية ياامير المؤمنين قال مرحبا واهلا ثم ادناه حتى مس ركبته وسأله عن المسلمين فاخبره بقصة السفط فنظر اليه وصاح به لاولا كرامة حتى يقدم على ذلك الجند فيقسمه بينهم فطرده فقال ياامير المؤمنين انى قد انضيت جملى واستقرضت فى جائزتى فاعطنى ما اتبلغ به فمازال به حتى ابدله بعيرا من ابل الصدقة وجعل بعيره فى ابل الصدقة ورجع الرسول مغضوبا عليه محروما وسأل اهل المدينة الرسول هل سمعوا شيأ يوم الوقعة قال نعم سمعنا ياسارية الجبل الجبل وقد كدنا نهلك فلجأنا اليه ففتح الله علينا

﴿ ذكر فتح كرمان ﴾

كان سهيل بن عدى قد عقد له عمر لواء على كرمان مع الالوية التى عقدها فامره فى هذه السنة اعنى سنة ثلاث وعشرين بالمسير الى كرمان فسار ولحقه عبدالله بن عبدالله بن عتبان

وحشد لهم اهل كرمان واستعانوا عليهم بالقفص فاقتتلوا فى ادانى ارضهم ففض الله تعالى المشركين واخذ المسلمون عليهم الطريق وقتل النسير بن عمرو العجلى مرزبانها فدخل النسير من قبل طريق القرى اليوم الى جيرفت وعبدالله بن عبدالله من مفازة سير فاصابوا ما ارادوا من بعير او شاة فقوموا الابل والغنم فتحاصوها بالاثمان لعظم البخت على العرب وكرهوا ان يزيدوا وكتبوا الى عمر بذلك فجاءهم اذا رأيتم ان فى البخت فضلا فزيدوا

﴿ ذكر فتح سجستان ﴾

كان عاصم بن عمرو قد عقد له عمر لواء على سجستان مع الالوية التى عقدها فامره فى هذه السنة بالمسير اليها فسار ولحقه عبدالله بن عمير فاستقبلهم اهلها فالتقوا هم واهل سجستان فى ادانى ارضهم فهزمهم المسلمون ثم اتبعوهم حتى حصروهم بزرنج ومخروا ارض سجستان ثم انهم طلبوا الصلح على زرنج وما اختاروا من الارضين فاعطوا وكانوا قد اشترطوا فى صلحهم ان فدفدها حمى فكان المسلمون يتجنبونها خشية ان يصيبوا منها شيأ فيخفروا فتم اهل سجستان على الخراج وكانت سجستان اعظم من خراسان وابعد فروجا يقاتلون القندهار والترك واما كثيرة

﴿ ذكر فتح مكران بضم الميم وسكون الكاف ﴾

كان الحكم بن عمرو التغلبى قد عقد له عمر لواء على مكران مع الالوية التى عقدها فامره فى هذه السنة بالمسير اليها فسار حتى انتهى اليها ولحقه شهاب بن المخارق وسهيل بن عدى وعبدالله بن عبدالله بن عتبان فانتهوا الى دوين النهر واهل مكران على شاطئه فاستمد ملكهم ملك السند فامده بجيش كثيف فالتقوا مع المسلمين فانهزموا وقتل منهم فى المعركة مقتلة عظيمة واتبعهم المسلمون يقتلونهم اياما حتى انتهوا الى النهر ورجع المسلمون الى مكران فاقاموا بها وكتب الحكم الى عمر بالفتح وبعث اليه بالاخماس مع صحار العبدى فلما قدم المدينة سأله عمر عن مكران فقال يا امير المؤمنين هى ارض سهلها جبل وماؤها وشل وتمرها دقل وعدوها بطل وخيرها قليل وشرها طويل والكثير فيها قليل والقليل فيها ضائع وما وراءها شر منها فقال اسجاع انت ام مخبر لا والله لا يغزوها جيش لى ابدا وكتب الى سهيل والحكم بن عمرو ان لا يجوزن مكران احد من جنودهما وامرهما ببيع الفيلة التى غنمها المسلمون ببلاد الاسلام وقسم اثمانها على الغانمين

﴿ ذكر فتح بيروذ والاهواز ﴾

لما فصلت الخيول الى الكور اجتمع ببيروذ جمع عظيم من الاكراد وغيرهم وكان عمر قد عهد الى ابى موسى ان يسير الى اقصى ذمة البصرة حتى لا يؤتى المسلمون من خلفهم وخشى ان يهلك بعض جنوده او يخلفوا فى اعقابهم فاجتمع الاكراد ببيروذ وابطأ ابوموسى حتى تجمعوا ثم سار فنزل بهم ببيروذ فالتقوا فى رمضان بين نهرتيرى ومناذر فقام المهاجر بن

زياد وقد تحنط واستقبل القوم وعزم ابوموسى على الناس فأفطروا وتقدم المهاجر وقاتل قتالا شديدا حتى قتل ووهن الله المشركين حتى تحصنوا فى قلة وذله واشتد جزع الربيع بن زياد على اخيه المهاجر وعظم عليه فقده فرق له ابوموسى فاستخلفه عليهم فى جند وخرج ابوموسى حتى بلغ اصبهان واجتمع بها بالمسلمين الذين يحاصرون جيا فلما فتحت رجع ابوموسى الى البصرة وفتح الربيع بن زياد الحارثى بيروذ من نهرتيرى وغنم مامعهم

﴿ ذكر خبر سلمة بن قيس الاشجعى والاكراد ﴾

كان عمر رضى الله عنه اذا اجتمع اليه جيش من المسلمين امر عليهم اميرا من اهل العلم والفقه فاجتمع اليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الاشجعى فقال سر باسم الله قاتل فى سبيل الله من كفر بالله فاذا لقيتم عدوكم فادعوهم الى الاسلام فان اجابوا واقاموا بدارهم فعليهم الزكاة وليس لهم من الفئ نصيب وان ساروا معكم فلهم مثل الذى لكم وعليهم مثل الذى عليكم وان ابوا فادعوهم الى الجزية فان اجابوا فاقبلوا منهم وان ابوا فقاتلوهم وان تحصنوا منكم وسألوكم ان ينزلوا على حكم الله ورسوله اوذمة الله ورسوله فلا تجيبوهم فانكم لاتدرون اتصيبون حكم الله ورسوله وذمتهما املا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا ولا تمثلوا فساروا حتى لقوا عددا من الاكراد المشركين فدعوهم الى الاسلام اوالجزية فلم يجيبوا فقاتلوهم فهزموهم وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فقسمه بينهم ورأى سلمة جوهرا فى سفط فاسترضى عنه المسلمين وبعث به الى عمر فقدم الرسول بالبشارة وبالسفط على عمر فسأله عن امور الناس وهو يخبره حتى اخبره بالسفط فغضب غضبا شديدا وامر به فوجئ به فى عنقه ثم قال ان تفرق الناس قبل ان تقدم عليهم ويقسمه سلمة فيهم لاسوءنك فسار حتى قدم على سلمة فباعه وقسمه فى الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون الفا وفى هذه السنة غزا معاوية الروم وفتح عسقلان صلحا الى هنا انتهت الفتوحات التى كانت فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستشهد عمر رضى الله عنه لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر واربعة ايام وقصة استشهاده مشهورة لاحاجة الى الاطالة بذكرها اخرج ابو يعلى عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل آنفا فقلت ياجبريل حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب فقال لوحدثتك بفضائل عمر منذ لبث نوح فى قومه مانفدت فضائل عمر وان عمر حسنة من حسنات ابى بكر رضى الله عنهما وربما ان العقول القاصرة تستبعد كثرة هذه الفضائل لعمر رضى الله عنه لكن من كان ذا بصيرة وامعن فكره فيما خص الله به عمر من الفضائل فى نفسه وفيما اجراه الله على يديه وما حصل للاسلام واهله بسببه من كونه اعز الله به الاسلام فى ابتدائه ومن كثرة الفتوحات التى فتحها الله على يديه حتى كثر العلم واتسع الاسلام وكثر المسلمون يتضح له ان كل خير وقع لاهل الاسلام منذ خلافة عمر رضى الله عنه الى يوم القيمة كله من فضائل عمر رضى الله عنه ومن حسناته ويكتب الله له مثل اجورهم وذلك شئ كثير لايمكن ضبطه ولا احصاؤه ولو مكث العبد منذ لبث نوح فى

قومه واخرج عبدالله بن الامام احمد فى زوائد المسند عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لارجو لامتى فى حبهم لابى بكر وعمر ما ارجو لهم فى قولى لا اله الا الله واخرج ابوذر الهروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معى وانا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان وهذا مثل ماقال صلى الله عليه وسلم فى حق على رضى الله عنه وادر الحق معه حيث دار فكل من عمر وعلى رضى الله عنهما كان مع الحق ولهذا كان على رضى الله عنه مع الخلفاء الثلاثة قبله فى زمن خلافتهم ولم ينازع احدا منهم لعلمه بأنهم كانوا مع الحق فكان هو معهم فلما جاءت نوبة خلافته ونوزع فى ذلك قاتل من نازعه فلا يصح ان ينسب اليه ان سكوته فى زمن الخلفاء الثلاثة كان تقية حاشاه الله من المحابات فى دين الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ذكر الفتوحات فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ﴾

كانت البيعة لعثمان رضى الله عنه فى اوائل المحرم سنة اربع وعشرين فعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وولاها سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه عملا بقول عمر رضى الله عنه اوصى الخليفة بعدى ان يستعمل سعدا فانى لم اعزله عن سوء ولاخيانة فكان اول عامل بعثه عثمان رضى الله عنه

﴿ ذكر خلاف اهل الاسكندرية ﴾

فى سنة خمس وعشرين خالف اهل الاسكندرية ونقضوا صلحهم وكان سبب ذلك ان الروم عظم عليهم فتح المسلمين الاسكندرية وظنوا انهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم الى نقض الصلح فاجابوهم الى ذلك فسار اليهم من القسطنطينية جيش كثير وعليهم منويل الخصى فأرسوا بها واتفق معهم من بها من الروم ولم يوافقهم المقوقس بل ثبت على صلحه فلما بلغ الخبر الى عمرو بن العاص سار اليهم وسار الروم اليه فالتقوا واقتتلوا اقتتالا شديدا فانهزم الروم وتبعهم المسلمون الى ان ادخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم فى البلد مقتلة عظيمة منهم منويل الخصى وكان الروم لما خرجوا من الاسكندرية قد اخذوا اموال اهل تلك القرى من وافقهم ومن خالفهم فلما ظفر بهم المسلمون جاء اهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص ان الروم اخذوا دوابنا واموالنا ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة فرد عليهم ماعرفوا من اموالهم بعد اقامة البينة وهدم عمرو سور الاسكندرية وتركها بغير سور وفى هذه السنة بلغ سعد بن ابى وقاص عن اهل الرى عزم على نقض العهد فارسل اليهم واصلحهم وغزا الديلم ثم انصرف

﴿ ذكر صلح اهل ارمينية واذربيجان ﴾

فى هذه السنة نقضت اهل اذربيجان فامر عثمان رضى الله عنه الوليد بن عقبة بن ابى معيط ان يغزوهم وكان على الكوفة لان سعد بن ابى وقاص اختصم مع عبدالله بن مسعود فاستحسن عثمان رضى الله عنه ان يعزل سعدا قطعا للنزاع فعزله وولاها الوليد فغزاهم

الوليد

الوليد وعلى مقدمته عبد الله بن شبيل الاحمسي فاغار على اهل موقان والبير والطيلسان ففتح وغنم وسبي فطلب اهل كور اذربيجان الصلح فصالحهم على ثمان مائة الف درهم وقبض المال وبث السرايا وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي الى اهل ارمينية في اثني عشر الفا فسار في ارمينية يقتل ويسبي ويغنم ثم انصرف وقد ملأ يديه حتى اتى الوليد فعاد الوليد وقد ظفر وغنم وجعل طريقه على الموصل ثم اتى الحديثة فنزلها فاتاه بها كتاب عثمان فيه ان معاوية ابن ابي سفيان كتب الي يخبرني ان الروم قد اجلبت على المسلمين في جموع كثيرة وقد رأيت ان يمدهم اخوانهم من اهل الكوفة فابعث اليهم رجلا له نجدة وبأس في ثمانية آلاف او تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام فقام الوليد في الناس واعلمهم الحال وندبهم مع سلمان ابن ربيعة الباهلي فانتدب معه ثمانية آلاف فمضوا حتى دخلوا مع اهل الشام الى ارض الروم فشنوا الغارات على ارض الروم فاصاب الناس ماشاؤا من الغنائم وافتتحوا حصونا كثيرة وقيل ان الذي امد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص وكان على الكوفة بعد عزل الوليد وكان سبب ذلك ان عثمان كتب الى معاوية ان يغزي حبيب بن مسلمة في اهل الشام ارمينية وهي غير التي باذربيجان بالعراق فوجهه اليها فاتى قالي قلا فحصرها وضيق على من بها فطلبوا الامان على الجلاء او الجزية فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم واقام حبيب بها فيمن معه شهرا ثم بلغه ان بطريق ارميناقس وهي البلاد التي صارت بعد بيد اولاد السلطان قلج ارسلان السلجوقي وهي ملاطيه وسيواس واقصرا وقونيه وما والاها من البلاد الى خليج القسطنطينية قد توجه نحوه في ثمانين الفا من الروم واسم القس المذكور الموريان فكتب حبيب الى معاوية يخبره فكتب معاوية الى عثمان فارسل عثمان الى سعيد بن العاص يأمره بامداد حبيب فامده بسلمان في ستة آلاف واجمع حبيب على تبييت الروم فسمعته امرأته ام عبد الله بنت يزيد الكلبية فقالت اين موعدك فقال سرادق الموريان ثم بيتهم فقتل من وقف له ثم اتى السرادق فوجد امرأته قد سبقته اليه فكانت اول امرأة من العرب ضرب عليها حجاب سرادق ولما انهزمت الروم عاد حبيب الى قالي قلا ثم سار منها ونزل مربالا فاتاه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم بامان البطريق المذكور فاجراه عليه وحمل اليه البطريق ما عليه من المال ونزل حبيب خلاط ثم سار منها فلقيه صاحب مكس وهي من البسفرجان فقاطعه على بلاده ثم سار منها الى ازدشاط وهي القرية التي يكون منها القرمز الذي يصبغ به فنزل على نهر ديل وسرح الخيول اليها فحصرها فتحصن اهلها فنصب عليهم منجنيقا فطلبوا الامان فاجابهم اليه وبث السرايا فبلغت خيله ذات اللجم وانما سميت ذات اللجم لان المسلمين اخذوا لجم خيولهم فكبسهم الروم قبل ان يلجموها ثم الجموها فقاتلوهم فظفروا بهم ووجه سرية الى سراج طير وبغروند فصالحه بطريقهما على اتاوة فقدم عليه بطريق البسفرجان فصالحه على جميع بلاده واتى السيسجان فحاربه اهلها فهزمهم وغلب على حصونهم وسار الى جرزان فاتاه رسول بطريقها يطلب الصلح فصالحه وسار الى تفليس فصالحه اهلها وهي من جرزان وفتح عدة حصون تجاورها صلحا وسار سلمان بن ربيعة الباهلي الى اران ففتح البيلقان صلحا على ان امنهم على دمائهم واموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية والخراج ثم اتى

سلمان مدينة برذعة فعسكر على الثرثور نهر بينه و بينها نحو فرسخ فقاتله اهلها اياما وشن الغارات فى قراها فصالحوه على مثل صلح البيلقان ودخلها ووجه خيله ففتحت رساتيق الولاية ودعا اكراد البلاشجان الى الاسلام فقاتلوه فظفربهم فاقر بعضهم على الجزية وادى بعضهم الصدقة وهم قليل ووجه سرية الى شمكور ففتحوها وسار سلمان الى مجمع ارس والكر ففتحه وصالحه صاحب سكر وغيرها على الاتاوة وصالحه ملك شروان وسائر ملوك الجبال واهل مسقط والشابران ومدينة الباب وهى غير التى فى العراق وهذه بقرب حلب

﴿ ذكر غزوة معاوية الروم ﴾

فى هذه السنة سنة ٢٥ غزا معاوية الروم فبلغ عمورية وهى المسماة بروسا فوجد الحصون التى بين انطاكية وطرسوس خالية فجعل عندها جماعة كثيرة من اهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته ثم اغزى بعد ذلك يزيد بن الحر العبسى الصائفة وامره ففعل مثل ذلك ولما خرج هدم الحصون الى انطاكية

﴿ ذكر غزوة افريقية ﴾

فى هذه السنة سير عمرو بن العاص عبدالله بن سعد بن ابى سرح الى اطراف افريقية غازيا بامر عثمان وكان عبدالله من جند مصر فلما سار اليها امده عمرو بالجنود فغنم هو وجنده فلما عاد عبدالله كتب الى عثمان يستأذنه فى غزو افريقية فاذن له فى ذلك

﴿ ذكر غزوة كابل ﴾

فى هذه السنة ارسل عثمان رضى الله عنه عبدالله بن عامر الى كابل وهى عمالة سجستان فبلغها فى قول فكانت اعظم من خراسان حتى مات معاوية فامتنع اهلها

﴿ ذكر فتح افريقية ﴾

كان ذلك فى سنة ست وعشرين قد تقدم ان عبدالله بن ابى سرح استأذن عثمان رضى الله عنه فى غزو افريقية فاذن له وقال له ان فتح الله عليك فلك من الفئ خمس الخمس نفلا وامر عثمان عبدالله بن نافع بن عبد القيس وعبدالله بن نافع بن الحارث على جند وسرحهما وامرهما بالاجتماع مع عبدالله بن ابى سرح على صاحب افريقية فخرجوا حتى قطعوا ارض مصر ووطؤا ارض افريقية وكانوا فى جيش كثير عدتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين فصالحهم اهلها على مال يؤدونه ولم يقدموا على دخول افريقية والتوغل فيها لكثرة اهلها ثم ان عثمان ولى عبدالله بن ابى سرح مصر فارسل الى عثمان يستأذنه فى غزو افريقية والاستكثار من الجموع فاستشار عثمان من عنده من الصحابة فاشار اكثرهم بذلك فجهز اليه العساكر من المدينة وفيهم جماعة من اعيان الصحابة منهم عبدالله بن عباس وغيره فسار بهم عبدالله ابن ابى سرح الى افريقية فلما وصلوا الى برقة لقيهم عبدالله بن نافع فيمن معه من المسلمين وكانوا بها وساروا الى طرابلس الغرب فنهبوا من عندها من الروم وساروا نحو افريقية

وبث السرايا فى كل ناحية وكان ملكهم اسمه جرجير وملكه من طرابلس الى طنجة وكان
هرقل ملك الروم قد ولاه افريقية فهو يحمل الخراج اليه كل سنة فلما بلغه خبر المسلمين تجهز
وجمع العساكر واهل البلاد فبلغ عسكره مائة ألف وعشرين ألف فارس والتقى
هو والمسلمون بمكان بينه وبين مدينة سبيطلة يوم وليلة وهذه المدينة كانت
ذلك الوقت دار الملك فاقاموا هناك يقتتلون كل يوم وراسله عبدالله بن ابى سرح يدعوه
الى الاسلام او الجزية فامتنع منهما وتكبر عن قبول احدهما وانقطع خبر المسلمين عن عثمان
فسير عبدالله بن الزبير فى جماعة اليهم ليأتيه بأخبارهم فسار مجدا ووصل اليهم واقام معهم
ولما وصل كثر الصياح والتكبير فى المسلمين فسأل جرجير عن الخبر فقيل قد اتاهم عسكر ففت
ذلك فى عضده ورأى عبدالله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة الى الظهر فاذا اذن الظهر
عاد كل فريق الى خيامه وشهد القتال من الغد فلم ير ابن ابى سرح معهم فسأل عنه فقيل انه سمع
منادى جرجير يقول من قتل عبدالله ابن ابى سرح فله مائة الف دينار وازوجه ابنتى وهو
يخاف على جيش المسلمين ان قتل فحضر عنده عبدالله بن الزبير وقال له تأمر مناديا ينادى من
اتانى برأس جرجير نفلته مائة الف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده ففعل ذلك فصار
جرجير يخاف اشد من عبدالله ثم ان عبدالله بن الزبير قال لعبدالله بن ابى سرح ان امرنا يطول
مع هؤلاء وهم فى امداد متصلة وبلاد هى لهم ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم وقد رأيت
ان نترك غدا جماعة صالحة من ابطال المسلمين فى خيامهم متأهبين ونقاتل نحن الروم فى باقى
العسكر الى ان يضجروا ويملوا فاذا رجعوا الى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان فى الخيام
من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونقصدهم على غرة فلعل الله ينصرنا عليهم
فاحضر جماعة من اعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك فلما كان الغد فعل عبدالله
ما اتفقوا عليه واقام جميع شجعان المسلمين فى خيامهم وخيولهم عندهم مسرجة ومضى الباقون
فقاتلوا الروم الى الظهر قتالا شديدا فلما اذن بالظهر هم الروم بالانصراف على العادة فلم يمكنهم
ابن الزبير والح عليهم بالقتال حتى اتعبهم ثم عاد عنهم هو والمسلمون فكل من الطائفتين القى
سلاحه ووقع تعبا فعند ذلك اخذ عبدالله بن الزبير من كان مستريحا من شجعان المسلمين وقصد
الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس
سلاحهم حتى غشيهم المسلمون وقتل جرجير قتله عبدالله بن الزبير وانهزم الروم وقتل منهم
مقتلة عظيمة واخذت ابنة الملك جرجير سبية واعطيت لعبدالله بن الزبير مع مائة الف ونازل
عبدالله بن ابى سرح المدينة فحصرها حتى فتحها ورأى فيها من الاموال ما لم يكن فى غيرها فكان
سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل الف ولما فتح عبدالله مدينة سبيطلة بث جيوشه
فى البلاد فبلغت قفصة فسبوا وغنموا وسير عسكرا الى حصن الاجم وقد احتمى به اهل تلك
البلاد فحصره وفتحه بالامان فصالحه اهل افريقية على الفى الف وخمسمائة الف دينار وارسل
الى عثمان بالبشارة بفتح افريقية ثم عاد عبدالله بن ابى سرح الى مصر وكان مقامه بافريقية سنة
وثلاثة اشهر ولم يفقد من المسلمين سوى ثلاثة منهم ابو ذؤيب الهذلى الشاعر فدفن هناك

* *
*

﴿ ذكر انتقاض افريقية وفتحها ثانية ﴾

كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدى اليه كل ملك من ملوك النصارى الخراج من مصر وافريقية واندلس وغير ذلك فلما صار ملك افريقية للمسلمين ارسل هرقل بعد مدة الى اهلها بطريقا وامر أن يأخذ منهم مثل ما اخذ المسلمون فنزل البطريق فى قرطاجنة وجمع النصارى الذين فى افريقية واخبرهم بما امره الملك فأبوا عليه وقالوا نحن نؤدى ما كان يؤخذ منا وقد كان ينبغى له ان يسامحنا لما ناله المسلمون منا وكان قد قام بأمر افريقية بعد قتل جرجير رجل آخر من الروم فطرده البطريق بعد فتن كثيرة وتغلب الروم على افريقية فسار ذلك الرجل الى الشام وبه معاوية وقد استقر له الامر بعد قتل على رضى الله عنه فوصف له افريقية وطلب ان يرسل معه جيشا فسير معه معاوية بن حديج ٣ السكونى فوصل الى افريقية وهى نار تضطرم ومعه عسكر عظيم فنزل عند قونية وارسل البطاربق اليه ثلاثين الف مقاتل فلما سمع بهم معاوية بن حديج سير اليهم جيشا من المسلمين فقاتلوهم فانهزمت الروم وحصر حصن جلولا فلم يقدر عليه فانهدم الحصن فملكه المسلمون وغنموا ما فيه وبث السرايا فسكن الناس واطاعوا وعاد الى مصر

﴿ ذكر غزوة الاندلس ﴾

لما فتحت افريقية فى خلافة عثمان رضى الله عنه امر عثمان رضى الله عنه عبد الله بن نافع ابن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس ان يسيرا الى الاندلس فأتاها من قبل البحر وكتب عثمان الى من انتدب معهما اما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس فخرجوا ومعهم البربر ففتح الله على المسلمين فتوحات كثيرة من اراضى افريقية وزاد فى سلطان المسلمين مثل افريقية واما الاندلس فلم تفتح الا فى خلافة الوليد بن عبد الملك كما يأتى ان شاء الله

﴿ ذكر غزوة قنسرين ﴾

وفى سنة سبع وعشرين غزا معاوية قنسرين فقتل وسبى وغنم ورجع وفى سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس على يد معاوية

﴿ ذكر فتح قبرس فى خلافة عثمان رضى الله عنه غزاها معاوية سنة ٢٨ ﴾

وكان معه جماعة من الصحابة منهم ابو ذر وابو الدرداء وعبادة بن الصامت ومعه زوجته ام حرام وكان معاوية قد استأذن عمر رضى الله عنه ان يغزو فى البحر فلم يأذن له خوفا على المسلمين من ركوب البحر فلما كانت خلافة عثمان رضى الله عنه استأذن والح عليه فاذن له وقال لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم بل خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله واعنه ففعل وسار المسلمون من الشام الى قبرس وسار عبد الله بن ابى سرح من مصر فاجتمعوا عليها فصالحهم اهلها على جزية سبعة آلاف دينار كل سنة بعد قتل وسبى كثير فى قبرس ويؤدون مثلها لملك الروم وفى هذه الغزوة ماتت ام حرام بنت ملحان الانصارية القتها بغلتها بجزيرة قبرس فاندقت عنقها فماتت تصديقا للنبى صلى الله عليه وسلم حيث اخبرها انها فى اول من يغزو فى البحر كما فى صحيح البخارى

﴿ ذكر انتقاض اهل فارس ﴾

فى سنة تسع وعشرين انتقض اهل فارس فسار اليهم عبيدالله بن معمر فالتقوا على باب اصطخر فقتل عبيدالله وانهزم المسلمون وبلغ الخبر عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وكان على البصرة بعد عزل ابى موسى وكان لعبد الله بن عامر صحبة فاستنفر اهل البصرة وسار بالناس الى فارس فالتقوا باصطخر واشتد القتال فانهزم الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحت اصطخر عنوة واتى دارا بجرد وقد غدر اهلها ففتحها وسار الى مدينة جور فانتقضت اصطخر فلم يرجع وتمم السير الى جور وحاصرها الى ان فتحها وكان سبب فتحها ان بعض المسلمين قام يصلى ذات ليلة والى جانبه جراب له فيه خبز ولحم فجاء كلب فجره وعدا به حتى دخل المدينة من مدخل لها خفى فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة فلما فرغ منها ابن عامر عاد الى اصطخر وفتحها عنوة بعد ان حاصرها واشتد القتال عليها ورميت بالمجانيق وقتل بها خلقا كثيرا من الاعاجم وافنى اكثر اهل البيوتات ووجوه الاساورة وكانوا قد لجؤا اليها

﴿ ذكر غزوة سعيد بن العاص طبرستان ﴾

فى سنة ثلاثين غزا سعيد بن العاص طبرستان وكان على الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة وكان اهل طبرستان فى خلافة عمر صالحوا سويد بن مقرن على مال بذلوه ثم انقضوا فغزاهم سعيد بن العاص ومعه الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعبدالله بن عمرو ابن العاص وحذيفة بن اليمان واناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وخرج ابن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيدا ونزل نيسابور ونزل سعيد قومس واتى جرجان فصالحوه على مائتى الف ثم اتى طميسة فقاتله اهلها وضرب سعيد يوما رجلا بالسيف على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه فسألوه الامان فاعطاهم وفتح ايضا نامية وفى هذه السنة غزا حذيفة الباب مددا لعبدالرحمن بن ربيعة وفى هذه الغزوة رأى حذيفة اختلافا كثيرا بين الناس فى القرآن فلما رجع اشار على عثمان بجمع القرآن فى المصاحف ففعل وقصة ذلك مشهورة لاحاجة لذكرها

﴿ ذكر غزوة الصوارى ﴾

فى سنة احدى وثلاثين غزا معاوية الصوارى وسببها ان المسلمين لما اصابوا من اهل افريقية وقتلوهم وسبوهم خرج قسطنطين بن هرقل فى جمع له لم تجمع الروم مثله منذ كان الاسلام فخرجوا فى خمسمائة مركب اوستمائة وخرج المسلمون وعلى اهل الشام معاوية بن ابى سفيان وعلى اهل مصر عبدالله بن ابى سرح على طريق البحر وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم فأرسى المسلمون والروم وسكنت الريح فقال المسلمون الامان بيننا وبينكم فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرؤن القرآن ويصلون ويدعون والروم يضربون بالنواقيس وقربوا من الغد سفنهم وقرب المسلمون سفنهم فربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيوف والخناجر وقتل من المسلمين بشر كثير وقتل من الروم مالا يحصى وصبر الفريقان صبرا لم يصبروا فى

موطن قط مثله ثم انزل الله نصره على المسلمين فانهزم قسطنطين جريحا ولم ينج من الروم الا الشريد وسار قسطنطين الى صقلية فسأله اهلها عن حاله فاخبرهم فقالوا اهلكت النصرانية وافنيت رجالها ولو اتانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم ثم ادخلوه الحمام وقتلوه وتركوا من كان معه واذنوا لهم فى المسير الى القسطنطينية

﴿ ذكر مقتل يزدجرد بن شهريار ملك الفرس ﴾

فى سنة احدى وثلاثين كان مقتل يزدجرد واختلف فى كيفية قتله اختلافا كثيرا وكان قد هرب من فارس الى خراسان ولم يزل المسلمون يتبعونه ويقفون اثره من مدينة الى مدينة وهو يهرب ثم بيته جماعة من الترك فقتلوه وقيل نام عند رجل ينقر الارحاء فقتله وقيل غير ذلك وكان ملكه عشرين سنة منها اربع سنين فى دعة وست عشرة فى تعب من محاربة العرب اياه وغلبتهم عليه وكان آخر من ملك من آل ازدشير بن بابك وصفا الملك بعده للعرب

﴿ ذكر مسير عبد الله بن عامر الى خراسان وفتحها ﴾

لما قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه نقض اهل خراسان وغدروا فلما افتتح ابن عامر فارس قام اليه حبيب بن اوس التميمى فقال له ايها الامير ان الارض بين يديك ولم يفتح منها الا القليل فسر فان الله ناصرك قال اولم نؤمر بالمسير وقيل ان الاحنف بن قيس قال له ان عدوك منك هارب ولك هائب والبلاد واسعة فسر فان الله ناصرك ومعز دينه فسار الى كرمان واستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمى وله صحبة وامره بمحاربة اهلها وكانوا قد نكثوا ايضا واستعمل على سجستان الربيع بن زياد الحارثى وكانوا ايضا قد نقضوا الصلح وغدروا ثم سار ابن عامر الى نيسابور وجعل على مقدمته الاحنف بن قيس فأتى الطبسين وهما حصنان وهما بابا خراسان فصالحه اهلها على ستمائة الف درهم وبعث سرية الى رستاق زام من اعمال نيسابور ففتحه عنوة وفتح باخرز من اعمال نيسابور ايضا وفتح جوين من اعمال نيسابور ايضا ووجه الاسود بن كلثوم العدوى الى بيهق من اعمالها ايضا فقصد قصبته ودخل حيطان البلد من ثلمة كانت فيه ودخلت معه طائفة من المسلمين فاخذ العدو عليهم تلك الثلمة فقاتل الاسود حتى قتل هو وطائفة ممن معه وقام بامر الناس بعده اخوه ادهم بن كلثوم فظفر وفتح بيهق وكان الاسود يدعو الله ان يحشره فى بطون السباع والطير فلم يواره اخوه ودفن من استشهد من اصحابه وافتتح ابن عامر فى هذه الغزوة بشت من نيسابور وهذه بشت بالشين المعجمة وليست ببست التى بالسين المهملة فان تلك من بلاد الداون وهذه من خراسان من نيسابور وافتتح ايضا خواف واسفراين وارغيان ثم قصد نيسابور بعد ما استولى على اعمالها وافتتحها فحصر اهلها اشهرا وكان على كل ربع منها مرزبان للفرس يحفظه فطلب صاحب ربع من تلك الارباع الامارة على ان يدخل المسلمين المدينة فاجيب الى ذلك فادخلهم ليلا ففتحوا الباب وتحصن مرزبانها الاكبر فى حصنها ومعه جماعة وطلب الامان والصلح على جميع نيسابور فصالحه على الف الف درهم وولى نيسابور قيس بن الهيثم السلمى وسير جيشا الى نسا وابيورد ففتحوها صلحا وسير

سرية

سرية اخرى الى سرخس مع عبدالله بن خازم السلمى فقاتلوا اهلها ثم طلبوا الامان والصلح على امان مائة رجل فاجيبوا الى ذلك فصالحهم مرزبانها على ذلك وسمى مائة رجل ولم يذكر نفسه فقتله عبدالله ودخل سرخس عنوة واتى مرزبان طوس الى ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة درهم وسير جيشا الى هراة عليهم عبدالله بن حازم فبلغ مرزبان هراة ذلك فسار الى ابن عامر فصالحه عن هراة وبادغيس وبوشنج وقيل بل سار ابن عامر فى الجيش الى هراة فقاتله اهلها ثم صالحه مرزبانها على الف الف درهم ولما غلب ابن عامر على هذه البلاد ارسل اليه مرزبان مرو فصالحه على الفى الف ومائتى الف درهم وارسل ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلى الى مرزبانها وكانت مرو كلها صلحا الا قرية منها يقال لها سنج فانها اخذت عنوة ووجه ابن عامر الاحنف بن قيس الى طخارستان فمر برستاق يعرف بعد ذلك برستاق الاحنف ويدعى سوانجرد فحصر اهلها فصالحوه على ثلثمائة الف درهم فقال الاحنف اصالحكم على ان يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه ويقيم فيكم حتى ينصرف فرضوا بذلك ومضى الاحنف الى مروالروذ فقاتله اهلها فقتلهم وهزمهم وحصرهم وكان مرزبانها من اقارب باذان صاحب اليمن فكتب الى الاحنف انه دعانى الى الصلح اسلام باذان فصالحه على ستمائة الف وسير الاحنف سرية فاستولت على رستاق بغ واستاقت منه مواشى ثم صالحه اهلها وجمع له اهل طخارستان فاجتمع اهل الجوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم فى خلق كثير فالتقوا واقتتلوا وحمل ملك الصغانيان على الاحنف فانتزع الاحنف الرمح من يده وقاتل قتالا شديدا فانهزم المشركون وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا كيف شاؤا وعاد الى مروالروذ ولحق بعض العدو بالجوزجان فوجه اليهم الاحنف الاقرع بن حابس التميمى فى خيل وقال يابنى تميم تحابوا وتباذلوا تعدل اموركم وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم فسار الاقرع فلقى العدو بالجوزجان وكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا المشركين وفتحوا الجوزجان عنوة وفتح الاحنف الطالقان صلحا وفتح الفارياب ثم سار الاحنف الى بلخ وهى مدينة طخارستان فصالحه اهلها على اربعمائة الف وقيل سبعمائة الف واستعمل على بلخ أسيد بفتح الهمزة بن المتشمس ثم سار الى خوارزم وهى على نهر جيحون فلم يقدر عليها فاستشار اصحابه فقال له حضين بالضاد المعجمة بن المنذر وقال عمرو بن معدى كرب

* اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع *

فعاد الى بلخ وقد قبض أسيد صلحها ولما تم لابن عامر هذا الفتح قال له الناس مافتح لاحد مافتح عليك فارس وكرمان وسجستان وخراسان فقال لاحرم لاجعلن شكرى لله تعالى على ذلك ان اخرج محرما من موقفى هذا فاحرم بعمرة من نيسابور وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم فسار قيس بعد شخوصه فى ارض طخارستان فلم يأت بلدا منها الا صالحه اهلها واذعنوا له حتى اتى سمنجان فامتنعوا عليه فحصرهم حتى فتحها عنوة

﴿ ذكر فتح كرمان ﴾

لما سار ابن عامر عن كرمان الى خراسان واستعمل مجاشع بن مسعود السلمى على كرمان امره

ان يفتحها وكان اهلها قد نكثوا وغدروا ففتح هميد عنوة واستبقى اهلها واعطاهم امانا وبنى بها قصرا يعرف بقصر مجاشع واتى السيرجان وهى مدينة كرمان فاقام عليها اياما يسيرة واهلها متحصنون وفتحها عنوة فجلا كثير من اهلها عنها وفتح جيرفت عنوة وسار فى كرمان فدوخ اهلها واتى القفص وقد تجمع له خلق كثير من الاعاجم الذين جلوا فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم وهرب كثير من اهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بمكران وبعضهم بسجستان فأقطعت العرب منازلهم واراضيهم فعمروها واحتفروا لها القنى فى مواضع منها وادوا العشر

﴿ ذكر فتح سجستان وكابل وغيرهما ﴾

قد تقدم ذكر فتح سجستان ايام عمر بن الخطاب ثم ان اهلها نقضوا بعده فلما توجه ابن عامر الى خراسان سير اليها من كرمان الربيع بن زياد الحارثى فقطع المفازة حتى اتى حصن زالق فاغار على اهله يوم مهرجان واخذ الدهقان فافتدى نفسه بان غرز عنزة وغمرها ذهبا وفضة وصالحه على صلح فارس ثم اتى بلدة يقال لها كركويه فصالحه اهلها وسار الى زرنج فنزل على مدينة روشت بقرب زرنج فقاتله اهلها واصيب رجال من المسلمين ثم انهزم المشركون وقتل منهم مقتلة عظيمة واتى الربيع ناشروذ ففتحها ثم اتى شروان فغلب عليها وسار منها الى زرنج منازلها وقاتله اهلها فهزمهم وحصرهم فارسل اليه مرزبانها ليصالحه واستأمنه على نفسه ليحضر عنده فامنه وجلس له الربيع على جسد من اجساد القتلى واتكأ على آخر وامر اصحابه ففعلوا امثله فلما رآهم المرزبان هاله ذلك فصالحه على الف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب ودخل المسلمون المدينة ثم سار منها واتى القرية التى بها مربط فرس رستم الشديد فقاتله اهلها فظفر بهم ثم عاد الى زرنج واقام بها نحو سنة وعاد الى ابن عامر واستخلف عليها عاملا فاخرج اهلها العامل وامتنعوا فكانت ولاية الربيع سنة ونصفا وسبى فيها اربعين الف رأس وكان كاتبه الحسن البصرى فاستعمل ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة ابن حبيب بن عبد شمس على سجستان فسار اليها فحصر زرنج فصالحه مرزبانها على الفى الف درهم والفى وصيف وغلب عبد الرحمن على ما بين زرنج والكش من ناحية الهند وغلب من ناحية الرخج على ما بينه وبين الداون فلما انتهى الى بلد الداون حصرهم فى جبل الزور ثم صالحهم ودخل على الزور وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده واخذ الياقوتتين ثم قال للمرزبان دونك الذهب والجوهر وانما اردت ان اعلمك انه لا يضر ولا ينفع وفتح كابل وزابلستان وهى ولاية غزنة ثم عاد الى زرنج فاقام بها ثم استخلف عليها امير بن احمر اليشكرى وانصرف فاخرج اهلها امير بن احمر وامتنعوا

﴿ غزوة مضيق القسطنطينية ﴾

فى سنة اثنتين وثلاثين غزا معاوية بن ابى سفيان مضيق القسطنطينية فقتل وسبى وغنم ورجع

﴿ ذكر غزوة بلنجر ﴾

لما تتابعت الغزوات على الخزر والترك تذامروا وقالوا كنا لا يقرن بنا احد حتى جاءت هذه

الامة القليلة فصرنا لانقوم لهـا فقـال بعضهم ان هؤلاء لايموتون وما اصيب منهم احد في غزوهم وكان المسلمون غزوهم قبل ذلك فلم يقتل منهم احد فلهذا ظنوا انهم لايموتون فقـال بعضهم افلا تجربون فكمنـوا لهم في الغيـاض فرباالكمين نفرمن الجند فرموهم منها فقتلوهم فتواعـد رؤسهم على حربهم ثم اتعدوا يوما وكان عثمان قد كتب الى عبدالرحمن بن ربيعـة وهو على الباب ان الرعية قد ابطرها البطنة فلا تقتحم بالمسلمين فانى اخشى ان يقتلوا فلم يرجع عبدالرحمن عن مقصده فغزا نحو بلنجر وكان الترك قد اجتمعت مع الخزر فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وقتل عبدالرحمن وكان يقال له ذو النون وهو اسم سيفه فأخذ اهل بلنجر جسده فجعلوه في تابوت فهم يستسقون به فلما قتل وقتل كثير ممن معه انهزم الناس وافترقوا فرقتين فرقـة نحو الباب فلقوا سلمان بن ربيعه اخا عبد الرحمن كان قد سيره سعيد بن العاص مددا للمسلمين بأمر عثمان فما لقوه نجوا معه وفرقة نحو جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وابو هريرة

﴿ ذكر خروج الترك مع ملكهم قارن ﴾

في سنـة ثمان وثلاثين خرجت جمـوع من الترك من ناحيـة خراسان في اربعين الفا عليهم قارن من ملوكهم فانتهى الى الطبسين واجتمع له اهل بادغيس وهراة وقهستان وكان على خراسان ومئذ قيس بن الهيثم السلمى استخلفه عليها ابن عامر عند خروجه الى مكة محرما فدوخ جهتها وافتى معه ابن عمه عبدالله بن خازم فقال لابن عامر اكتب لى على خراسان عهدا اذا خرج منها فافعل فلما اقبلت جموع الترك قال قيس لابن خازم ما ترى قال ارى ان تخرج من البلاد فان عهد ابن عامر عندى بولايتها فترك منازعته وذهب الى ابن عامر وقيل اشار عليه ان يخرج الى ابن عامر يستمده فلما خرج اشهر عهد ابن عامر له بالولاية عند مغيب قيس وسار ابن خازم للقاء الترك في اربعة آلاف وأمر الناس ان يحملوا الودك فلما قرب من قارن أمر الناس ان يدرج كل رجل منهم على زج رمحه خرقة او قطنا ثم يكثروا دهنه ثم سار حتى امسى فقدم مقدمته ستمائة ثم اتبعهم وأمر الناس فاشعلوا النـار في اطراف الرماح فانتهت مقدمته الى معسكر قارن نصف الليل فناوشوهم وهاج الناس على دهش وكانوا آمنين من البيات ودنا ابن خازم منهم فرأوا النيران يمنة ويسرة تتقدم وتتأخر وتخفض وترفع فهالهم ذلك ومقدمة ابن خازم يقاتلونهم ثم غشيهم ابن خازم واكثروا القتل في المشركين وقتل ملكهم قارن فانهزم المشركون واتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤا واصابوا سبيا كثيرا وكتب ابن خازم بالفتح الى ابن عامر فرضى واقره على خراسان

﴿ غزوة حصن المرأة ﴾

في سنة ثلاث وثلاثين غزا معاوية حصن المرأة من ارض الروم بناحية ملاطية فقتل وسبى وغنم ورجع وفي هذه السنة كانت غزوة عبدالله بن سعد بن ابى سرح افريقية الثانيـة حين نقض اهلها العهد

﴿ ذكر انتقاض اهل قبرس وغزوهم فى سنة ٣٣ ﴾

وفى هذه السنة نقض اهل قبرس واعانوا الروم على الغزو فى البحر بمراكب اعطوهم اياها فغزا معاوية اهل قبرس وفتحها عنوة وقتل وسبى ثم أقرهم على صلحهم و بعث اليهم اثنى عشر الفا فبنوا المساجد و بنى مدينة وفى تاريخ جنابى ان فى سنة خمس وثلاثين ركب البحر امير مصر عبدالله بن ابى سرح من الاسكندرية بقصد غزو القسطنطينية فاستقبلهم ملك الروم فى الف مركب وكان المسلمون فى مائة مركب فالتقوا باسكلة فكه مغرب انطاكية فرأى ملك الروم رؤيا عبرت له بتعبير مستخرج من الالفاظ التى رآها فجمعت وخرج منها حروف ترجمتها لاتطلب الغلبة فلم يعمل بمقتضى ذلك بل استهان بالمسلمين وقاتلهم ففتح الله النصر للمسلمين وولى الكفار هاربين فنهم من غرق فى البحر ومنهم من أخذه السيف ومنهم من اسر وغنم المسلمون كثيرا من مراكبهم ورجعوا الى جزيرة رودس وشنوا عليها الغارة وفتحوها فى اسرع زمان وضربوا على من فيها الجزية واعطوهم الامان

﴿ ذكر فتح رودس فى سنة ٣٥ ﴾

وفى تاريخ ابن الاثير ان فتح رودس كان فى سنة ثلاث وخمسين فى خلافة معاوية فتحها جنادة بن ابى امية الازدى وسيأتى ذكر ذلك ولعله فتح ثان بعد هذا الفتح انتهت الفتوحات التى كانت فى خلافة عثمان رضى الله عنه ثم وقع الاختلاف بين المسلمين فى شان الامراء الى ان قتل عثمان رضى الله عنه شهيدا وقصته مشهورة لاحاجة لنا الى ذكرها وكان استشهاده لثمانى عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة الا اثنى عشر يوما وقيل الا ثمانية ايام وقيل بل قتل ايام التشريق وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمانيا وثمانين وقيل تسعين ثم بويع على رضى الله عنه ووقع الاختلاف بين الصحابة رضى الله عنهم فى قتلة عثمان وكانوا مجتهدين فى طلب الحق فنهم من اصاب ومنهم من اخطأ فالمصيب له اجران والمخطئ له اجر واحد فيجب الامساك عما جرى بينهم وتأويله باحسن التأويل وحمله على احسن المحامل واستمر الحال الى ان استشهد على رضى الله عنه سبع عشرة خلت من رمضان سنة اربعين وعمره ثلاث وستون سنة ومدة خلافته خمس سنين الا ثلاثة اشهر ثم بويع ابنه الحسن رضى الله عنه واستمر ستة اشهر ثم نزل عن الخلافة لمعاوية رضى الله عنه حقنا لدماء المسلمين وتحقيقا لقول النبى صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان اجماع الصحابة على خلافة معاوية رضى الله عنه سنة احدى واربعين فى ربيع الاول وقيل الآخر وفى هذه السنة استعمل عمرو بن العاص وكان على مصر عقبة بن نافع بن عبد قيس على افريقية فانتهى الى لواتة ومزاتة فاطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنته فقتل وسبى ثم افتتح فى سنة اثنين واربعين غدامس فقتل وسبى وفتح فى سنة ثلاث واربعين كورا من كور السودان وافتتح ودان وهى من برقة وافتتح عامة بلاد البربر وهو الذى اختط القيروان سنة خمسين وفى سنة اثنين

واربعين

واربعين ايضا غزا المسلمون اللان وغزوا الروم ايضا وهزموهم هزيمة منكرة وقتلوا جماعة من بطارقتهم وفي سنة ثلاث واربعين غزا بسر بن ابي ارطاة الروم وشتى بارضهم حتى بلغ القسطنطينية وفيها اعاد معاوية عبدالله بن عامر على ولاية البصرة وجعل اليه ولاية خراسان وسجستان فاستعمل ابن عامر عبدالرحمن بن سمرة على سجستان فأتاها وعلى شرطته عباد ابن الحصين الحبطي فكان يغزو البلد قد كفر اهله فيفتحه حتى بلغ كابل فحصرها اشهرا ونصب عليها مجانيق فثلم سورها ثلمة عظيمة فبات عليها عباد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين حتى اصبح فلم يقدروا على سدها وخرجوا من الغد يقاتلون فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة ثم سار الى بست ففتحها عنوة وسار الى زران فهرب اهلها وغلب عليها ثم سار الى خشك فصالحه اهلها ثم اتى الرخج فقاتلوه فظفر بهم وفتحها ثم سار الى زابلستان وهي غزنة واعمالها فقاتله اهلها وقد كانوا نكثوا ففتحها وعاد الى كابل وقد نكث اهلها ففتحها واستعمل ابن عامر على ثغر السند عبدالله بن سوار العبدي فغزا القيقان فاصاب مغنما ثم غزاهم مرة أخرى فاستنجدوا بالترك فقتلوه وكان كريما لم يوقد احد في عسكره نارا فرأى ذات ليلة نارا فقال ماهذه قالوا امرأة نفساء يعمل لها الخبيص فامر ان يطعم الناس الخبيص ثلاثة ايام

﴿ ذكر غزوة السند ﴾

وفي سنة اربع واربعين دخل المسلمون مع عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم وشتوا بها وغزا بسر بن ابي ارطاة في البحر وغزا المهلب بن ابي صفرة ثغر السند فاتى بنة والاهواز بين الملتان وكابل فلقيه العدو وقاتله ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارسا من الترك فقاتلوه فقتلوا جميعا وفي سنة ست واربعين غزا الروم مالك بن عبدالله وشتى في ارض الروم وقيل بل كان عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وقيل بل كان مالك بن هبيرة السكوني وفي سنة سبع واربعين كان مشتى مالك بن هبيرة بارض الروم غازيا ومشتى عبدالرحمن القيني بانطاكية وفيها سار الحكم بن عمرو الغفاري وكان على خراسان الى جبال الغور فغزا من بها وكانوا قد ارتدوا فاخذهم بالسيف عنوة وفتحها واصاب منها مغانم كثيرة وسبايا وكان المهلب بن ابي صفرة مع الحكم بخراسان وغزا معه بعض جبال الترك فغنموا واخذ الترك عليهم الشعاب والطرق فعيي الحكم بالامر فولي المهلب الحرب فلم يزل يحتال حتى اسر عظيما من عظماء الترك فقال له اما ان تخرجنا من هذا المضيق اولاقتلنك فقال له اوقد النار حيال طريق من هذه الطرق وسير الاثقال نحوه فانهم يستجمعون فيه ويخلون ماسواه من الطرق فبادرهم الى طريق اخرى فما يدركونكم حتى تخرجوا منه ففعل ذلك فسلم الناس بما معهم من الغنائم وفي سنة ثمان واربعين كان على غزو المسلمين الروم في الشتاء عبدالرحمن القيني وفي الصيف عبدالله بن قيس الفزاري وغزا مالك بن هبيرة السكوني البحر وغزا عقبة بن عامر الجهني باهل مصر البحر وغزا يزيد بن شجرة الرهاوي باهل الشام في البحر

﴿ ذكر غزوة القسطنطينية ﴾

في سنة تسع واربعين وقيل ثمان واربعين سير معاوية جيشا كثيفا الى بلاد الروم للغزو وجعل

عليهم سفيان بن عوف الازدي وكان في الجيش عبدالله بن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو ايوب الانصاري و يزيد بن معاوية فاوغلوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية واقتتل المسلمون والروم قتالا شديدا واستشهد ابو ايوب رضي الله عنه ودفن بالقرب من سورها وفي سنة خمسين اغزا معاوية بسر بن ارطاة وسفيان بن عوف الازدي ارض الروم واغزا فضالة ابن عبيدالله الانصاري في البحر وفي هذه السنة استعمل معاوية عقبة بن نافع الفهري على افريقية وكان مقيما ببرقه وزويلة منذ فتحها ايام عمرو بن العاص وله في تلك البلاد جهاد وفتوح فلما استعمله معاوية سير اليه عشرة آلاف فارس فدخل افريقية وانضاف اليه من اسلم من البربر فكثر جمعه ووضع السيف في اهل البلاد لانهم كانوا اذا دخل اليهم امير اطاعوا واظهر بعضهم الاسلام فاذا عاد الامير عنهم نكثوا وارتد من اسلم ثم رأى ان يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين واهلهم واموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من اهل البلاد فقصد موضع القيروان وكانت اجمة مشتبكة بها شيء كثير من انواع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك فدعا الله تعالى وكان مستجاب الدعوة ومن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نادى ايتها الحيات والسباع انا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنا فانا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم الى الدواب تحمل اولادها وتنتقل ورأى ذلك كثير من قبائل البربر فاسلموا وقطع الاشجار وامر ببناء المدينة فبنيت وبنى المسجد الجامع وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم حتى كان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع وكان في اثناء عمارة المدينة المذكورة يغزو و يرسل السرايا فتغير وتنهب ودخل كثير من البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وامنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها وفي سنة احدى وخمسين كان على غزو المسلمين فضالة بن عبيدة فشتى بالروم وفي الصيف بسر بن ابي ارطاه وفي السنة المذكورة غزا بلخ الربيع بن زياد والحارث وكان على خراسان ففتحها صلحا وكانت قد نقضت بعد ما صالحهم الاحنف بن قيس وفتح الربيع ايضا قهستان عنوة وقتل من ناحيتها من الاتراك وبقي منهم نيزك طرخان فقتله قتيبة بن مسلم في ولايته وفي سنة اثنين وخمسين كان على غزو المسلمين الروم سفيان بن عوف وبسر بن ابي ارطاه في الشتاء وفي الصيف محمد بن عبدالله الثقفي وفي سنة ثلاث وخمسين كان على الجيش في الشتاء عبدالرحمن ابن ام الحكم الثقفي بالروم وفي هذه السنة فتحت رودس جزيرة في البحر فتحها جنادة بن ابي امية الازدي ونزلها المسلمون وهم على حذر من الروم وكانوا اشد شيء على الروم يعترضونهم في البحر ويأخذون سفنهم وكان معاوية يكثر لهم العطا وكان العدو قد خافهم فلما توفي معاوية اقفلهم ابنه يزيد واخذ الجزية والخراج من اهلها وفي سنة اربع وخمسين كان على جيش المسلمين في غزوهم الروم محمد بن مالك شتاء ومعن بن يزيد السلمي صيفا وفي هذه السنة فتح المسلمون جزيرة ارواد قريب القسطنطينية ومقدمهم جنادة بن ابي امية وفي هذه السنة ايضا استعمل معاوية على خراسان عبيدالله بن زياد فسار الى خراسان فقطع النهر الى جبال بخارى على الابل في جيش وفتح رامني ونسف و بيكند وهي من بخارى وغنم غنائم كثيرة ولما لقي الترك وهزمهم كان مع ملكهم زوجته فعجلوها عن لبس خفيها فلبست احدهما وبقي الآخر

فاخذه

فاخذه المسلمون فقوم بمائتى الف درهم وفى سنة خمس وخمسين كان على جيش المسلمين فى الغزو شتاء عمرو بن محرز وقيل عبدالله بن قيس الفزارى وفى سنة ست وخمسين كان على جيش المسلمين فى غزو الروم جنادة بن ابى امية وغزا فى البحر يزيد بن شجرة وفى البر عياض بن الحارث وفى هذه السنة استعمل معاوية على خراج خراسان وحربها سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما قدم خراسان قطع جيحون الى سمرقند والصغد وهزم الكفار وفتح ترمذ صلحا وفى سنة سبع وخمسين كان على جيش المسلمين بارض الروم عبدالله بن قيس شتاء وفى سنة ثمان وخمسين كان على جيش المسلمين بارض الروم مالك بن عبدالله الخثعمى وفى البحر عمرو بن يزيد الجهنى وقيل جنادة بن ابى امية وفى سنة تسع وخمسين كان على جيش المسلمين عمرو بن مرة الجهنى بارض الروم فى البر وفى البحر جنادة بن ابى امية وقيل لم يكن فى البحر غزوة هذه السنة وفى هذه السنة غزا المسلمون حصن كمخ من بلاد الروم ومعهم عمير بن الحباب السلمى فصعد عمير السور ولم يزل يقاتل عليه وحده حتى كشف الروم فصعد المسلمون فكان الفتح بعمير وبذلك كان يفتخر وفى سنة ستين كانت غزوة لمالك بن عبيدالله فى سورية وفى السنة المذكورة توفى معاوية رضى الله عنه وفى سنة احدى وستين استعمل يزيد على خراسان سلم بن زياد فقدم خراسان وعبر نهر جيحون وكان معه المهلب بن ابى صفرة وكان مما يلى خوارزم مدينة يجتمع فيها كثير من ملوكهم وكان المسلمون يطالبون امراءهم غزو تلك المدينة فيأبون عليهم فالح المهلب على سلم وسأله التوجه الى تلك المدينة فوجهه فى ستة آلاف فحاصرهم فطلبوا ان يصالحهم على ان يفدوا انفسهم فاجابهم الى ذلك وصالحوه على نيف وعشرين الف الف وكان فى صلحهم ان يأخذ منهم عروضا فكان يأخذ الرأس والدابة والمتاع بنصف ثمنه فبلغت قيمة ما اخذ منهم خمسين الف الف وغزا سلم سمرقند ووجه جيشا الى خجندة فهزموا واستعمل سلم اخاه يزيد على سجستان فغدر اهل كابل فنكثوا واسروا اباعبيدة بن زياد فسار اليهم يزيد بن زياد فى جيش فاقتتلوا وانهزم المسلمون وقتل منهم كثير فلما بلغ الخبر سلم بن زياد سير طلحة ابن عبدالله الخزاعى وهو طلحة الطلحات ففدى اباعبيدة بن زياد بخمسمائة الف درهم وسار طلحة من كابل الى سجستان واليا عليها فجبى المال واعطى زواره ومات بسجستان وفيه يقول القائل رحم الله اعظما دفنوها بسجستان ان طلحة الطلحات

﴿ ذكر غزو عقبة بن نافع بلاد السوس وكثير من وقائع افريقية ﴾

فى سنة ثنتين وستين ترك بالقيروان عقبة بن نافع جندا مع الذرارى والاموال واستخلف بها زهير بن قيس البلوى واحضر اولاده فقال انى قد بعت نفسى من الله عز وجل فلا ازال اجاهد من كفر بالله واوصى بما يفعل بعده ثم سار فى عسكر عظيم حتى دخل مدينة باغايه وقد اجتمع بها خلق كثير من الروم فقاتلوه قتالا شديدا وانهزموا عنه وقتل فيهم قتلا ذريعا وغنم منهم غنائم كثيرة ودخل المنهزمون المدينة وحاصرهم عقبة ثم كره المقام عليهم فسار الى بلاد الزاب وهى بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها العظمى واسمها أربة فامتنع بها من هناك من الروم والنصارى وهرب بعضهم الى الجبال فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة من النصارى عدة

دفعات ثم انهزم النصارى وقتل كثير من فرسانهم ورحل الى تاهرت فلما بلغ الروم خبره استعانوا بالبربر فاجابوهم ونصروهم فاجتمعوا فى جمع كثير واقتتلوا اقتتالا شديدا واشتد الامر على المسلمين لكثرة العدو ثم ان الله تعالى نصرهم فانهزمت الروم والبربر واخذهم السيف وكثر فيهم القتل وغنم المسلمون اموالهم وسلاحهم ثم سار حتى نزل على طنجة فلقيه بطريق من الروم اسمه بليان فأهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه ثم سأله عن الاندلس فعظم الامر عليه فسأله عن البربر فقال هم كثيرون لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم بالسوس الادنى وهم كفار لم يدخلوا فى النصرانية ولهم بأس شديد فسار عقبة اليهم نحو السوس الاقصى وهو مغرب طنجة فانتهى الى اوائل البربر فلقوه فى جمع كثير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث خيله فى كل مكان هربوا اليه وسار هو حتى وصل الى السوس الاقصى وقد اجتمع له البربر فى عالم لا يحصى فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وقتل المسلمون فيهم حتى ملوا وغنموا منهم وسبوا سبيا كثيرا وسار حتى بلغ ماليان ورأى البحر المحيط فقال يارب لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهدا فى سبيلك ثم عاد فنفر الروم والبربر عن طريقه خوفا منه واجتاز بمكان يعرف اليوم بماء الفرس فنزله ولم يكن به ماء فلحق الناس عطش كثير واشرفوا على الهلاك فصلى عقبة ركعتين ودعا فبحث فرس له الارض بيديه فكشف له عن صفاة فانفجر الماء فنادى عقبة فى الناس فحفروا احسا كثيرة وشربوا فسمى ماء الفرس فلما وصل الى مدينة طبنة وبينها وبين القيروان ثمانية ايام امر اصحابه ان يتقدموا فوجا فوجا ثقة منه بما نال من الله وانه لم يبق احد يخشاه وسار الى تهوذا لينظر اليها فى نفر يسير فلما رآه الروم فى قلة طمعوا فيه واغلقوا باب الحصن وشتموه وقاتلوه وهو يدعوهم الى الاسلام فلم يقبلوا منه ثم ارسل الروم الى كسيلة بن كرم البربرى ليسرع لقتال عقبة فبادر الى ذلك وكان كسيلة المذكور قد اسلم فى مدة امارة ابى المهاجر افريقية قبل عقبة وحسن اسلامه وهو من اكابر البربر وصحب ابا المهاجر فلما ولى عقبة عرفه ابو المهاجر محل كسيلة وأمره بأكرامه فلم يقبل عقبة واستخف بكسيلة واتى عقبة مرة بغنم فأمر كسيلة بذبحها وسلخها مع السلاخين فقال كسيلة هؤلاء فتيانى وغلمانى يكفوننى المؤنة فشتمه وأمره بسلخها فقبح ابو المهاجر ذلك عند عقبة فلم يرجع فقال له اوثق الرجل فانى اخاف عليك منه فتهاون به عقبة فاضمر كسيلة الغدر فلما كان الآن ورأى الروم قلة من مع عقبة ارسلوا الى كسيلة واعلموه حاله وكان فى عسكر عقبة وقد اضمر الغدر واعلم الروم بذلك واطمعهم فلما راسلوه اظهر ما كان يضمره وجمع اهله وبنى عمه وقصد عقبة فقال ابو المهاجر عاجله قبل ان يقوى جمعه فزحف عقبة الى كسيلة فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه فلما كثر جمعه قاتل عقبة فهزمه فكسر عقبة والمسلمون اجفان سيوفهم وتقدموا الى البربر وقاتلوهم فقتل المسلمون جميعهم لم يفلت منهم احد واسر محمد بن اوس الانصارى فى نفر يسير فخلصهم صاحب قفصة وبعث بهم الى القيروان فعزم زهير بن قيس البلوى على القتال وكان خليفة عقبة بالقيروان فخالفه جيش الصنعانى وعاد الى مصر فتبعه اكثر الناس فاضطر زهير الى العود معهم فسار الى برقة واقام بها واما كسيلة فاجتمع اليه جمع من اهل افريقية وقصد افريقية وبها اصحاب الانفال والذرارى من المسلمين فطلبوا الأمان من كسيلة فأمنهم ودخل

القيروان

القيروان واستولى على افريقية واقام بها وحصلت الفتنة بين عبد الملك بن مروان وعبدالله بن الزبير فلما قوى امر عبدالملك انفذ الجيوش الى افريقية وكتب الى زهير بن قيس البلوى بولاية افريقية فسار سنة تسع وستين الى افريقية بالجيوش فبلغ خبره الى كسيلة فاحتفل وجمع وحشد البربر والروم واحضر اشراف اصحابه وقال قد رأيت ان ارحل الى ممش فا نزلها فان بالقيروان خلقا كثيرا من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ونخاف ان قاتلنا زهيرا ان يثبت هؤلاء من ورائنا فاذا نزلنا ممش امناهم وقاتلنا زهيرا فان ظفرنا بهم تبعناهم الى طرابلس وقطعنا اثرهم من افريقية وان ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا فأجابوه الى ذلك ورحل الى ممش وبلغ ذلك زهيرا فلم يدخل القيروان بل اقام ظاهرها ثلاثة ايام حتى اراح واستراح ثم رحل فى طلب كسيلة فلما قاربه نزل وعبى اصحابه وركب اليه فالتقى العسكران واشتد القتال وكثر القتل فى الفريقين حتى ايس الناس من الحياة فلم يزالوا كذلك اكثر النهار ثم نصر الله المسلمين وانهزم كسيلة واصحابه وقتل هو وجماعة من اعيان اصحابه بممش وتبع المسلمون الروم والبربر فقتلوا من ادركوا منهم فأكثروا وفى هذه الوقعة ذهب رجال البربر والروم وملوكهم واشرافهم وعاد زهير الى القيروان ثم ان زهيرا رأى بافريقية ملكا عظيما فأبى ان يقيم وقال انما قدمت للجهاد فاخاف ان اميل الى الدنيا فاهلك وكان عابدا زاهدا فترك بالقيروان عسكرا وهم آمنون لخلو البلاد من عدو اوذى شوكة ورحل فى جمع كثير يريد مصر وكان قد بلغ الروم بالقسطنطنية مسير زهير من برقة الى افريقية لقتال كسيلة فاغتنموا خلوها فخرجوا اليها فى مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية واغاروا على برقة فأصابوا منها سبيا كثيرا وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم زهير من افريقية الى برقة فاخبر الخبر فأمر العسكر بالسرعة والجد فى قتالهم ورحل هو ومن معه وكان الروم خلقا كثيرا فلما رآه المسلمون استغاثوا به فلم يمكنه الرجوع فباشر القتال واشتد الامر وعظم الخطب وتكاثر الروم عليهم فقتلوا زهيرا واصحابه ولم ينج منهم احد وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية ولما سمع عبدالملك بن مروان بقتل زهير عظم عليه واشتد وكان مشغولا بما كان بينه وبين ابن الزبير فلما قتل ابن الزبير واجتمع المسلمون عليه جهز جيشا كثيرا ثم سيرهم الى افريقية واستعمل عليهم وعلى افريقية حسان بن النعمان الغسانى ولم يدخل افريقية قط جيش مثله فلما ورد القيروان تجهز منها وسار الى قرطاجنة وكان صاحبها اعظم ملوك افريقية ولم يكن المسلمون قط حاربوها فلما وصل اليها رأى بها من الروم والبربر مالا يحصى كثرة فقاتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيرا فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب فركبوا فى مراكبهم وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم الى الاندلس فدخل حسان قرطاجنة بالسيف فسبى ونهب وقتلهم قتلا ذريعا وارسل الجيوش فيما حولها فأسرعوا اليه خوفا فامرهم فهدموا من قرطاجنة ماقدروا عليه ثم بلغه ان الروم والبربر قد اجتمعوا له فى صطفورة وبنزرت وهما مدينتان فسار اليهم وقاتلهم ولقى منهم شدة وقوة فصبر لهم المسلمون فانهزمت الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ولم يترك حسان موضعا من بلادهم الا وطئه وخافه اهل افريقية خوفا شديدا ولجأ المنهزمون من الروم الى مدينة باجة فتحصنوا بها

وتحصن البربر بمدينة بونة فعاد حسان الى القيروان لان الجراح قد كثرت فى اصحابه فأقام بها حتى صحوا فلما صلح الناس قال حسان دلونى على اعظم من بقى من ملوك افريقية فدلوه على امرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة وكانت تخبرهم بأشياء من الغيب ولهذا سميت الكاهنة وكانت بربرية وهى بجبل اوراس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة فسأل اهل افريقية عنها فعظموا محلها وقالوا له ان قتلتها لم تختلف البربر بعد عليك فسار اليها فلما قاربها هدمت حصن باغايه ظنا منها انه يريد الحصون فلم يعرج حسان على ذلك وسار اليها فالتقوا على نهر نيني واقتتلوا اشد قتال رآه الناس فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير واسر منهم كثير وانهزم حسان ثم انها اطلقت الاسرى سوى خالد بن يزيد القيسى وكان شريفا شجاعا فاتخذته ولدا فسار حسان حتى فارق افريقية واقام وكتب الى عبد الملك بالمقام الى ان يأتيه امره فأقام بعمل برقة خمس سنين فسمى ذلك المكان قصور حسان الى الآن وملكت الكاهنة افريقية كلها واساءت السيرة فى اهلها وعسفتهم وظلمتهم ثم سير اليه عبد الملك الجنود والاموال وامره بالمسير الى افريقية وقتال الكاهنة فارسل حسان رسوله سرا الى خالد بن يزيد وهو عند الكاهنة بكتاب ليتعلم منه الامور فكتب اليه خالد جوابه فى رقعة يعرفه تفرق البربر ويأمره بالسرعة وجعل الرقعة فى خبزة وعاد الرسول فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تقول ذهب ملكهم فيما يأكل الناس فطلب الرسول فلم يوجد فوصل الى حسان وقد احترق الكتاب بالنار فعاد الى خالد وكتب اليه بما كتب اولا واودعه قربوس السرج فوصل الى حسان فسار فلما علمت الكاهنة بمسيره اليها قالت العرب يريدون البلاد والذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعى ولا ارى الا ان اخرب افريقية حتى ييأسوا منها وفرقت اصحابها ليخربوا البلاد فخربوها وهدموا الحصون ونهبوا الاموال وهذا هو الخراب الاول لافريقية فلما قرب حسان من البلاد لقيه جمع من اهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة ويشكون اليه منها فسره ذلك فسار الى قابس فلقيه اهلها بالاموال والطاعة وكانوا قبل ذلك يتحصنون من الامرا وجعل فيها عاملا وسار الى قفصة ليتقرب الطريق فأطاعه من بها واستولى عليها وعلى قسطيلية ونفزاوه وبلغ الكاهنة قدومه فاحضرت ولدين لها وخالد بن يزيد وقالت لهم انى مقتولة فامضوا الى حسان وخذوا لانفسكم منه امانا فساروا اليه وبقوا معه وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل حتى ظن الناس انه الفنا ثم نصر الله المسلمين وانهزم البربر وقتلوا قتلا ذريعا وانهزمت الكاهنة ثم ادركت فقتلت ثم ان البربر استأمنوا الى حسان فأمنهم وشرط عليهم ان يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر الفا يجاهدون العدو فأجابوه الى ذلك فجعل على هذا العسكر ابنى الكاهنة ثم فشى الاسلام فى البربر وعاد حسان الى القيروان واقام لاينازعه احد الى ان توفى عبد الملك سنة ست وثمانين فلما ولى ابنه الوليد ولى افريقية عمه عبد الله بن مروان وعزل حسان ثم استعمل الوليد على افريقية موسى بن نصير سنة تسع وثمانين وسيأتى الكلام على غزواته

* *
*

ذكر

﴿ ذكر صلح عبد الملك بن مروان لملك الروم ﴾

كانت الصوائف تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية لحدوث الفتن بين المسلمين والصوائف الجيوش التي كانت تجهز في أوان الصيف لسد الثغور وحرب الكفار واستمر ذلك من صدر الاسلام الى اواخر الدولة العباسية ولما اشتدت الفتنة بين ابن الزبير وعبد الملك احتدمت الروم سنة سبعين واستجاشوا على من بالشام من المسلمين فصالح عبد الملك ملكهم على ان يؤدي اليه كل جمعة الف دينار خوفا منه على المسلمين وفي سنة ثلاث وسبعين خرج الروم من ناحية ارمينية في ستين الفا وكان على ارمينية محمد بن مروان من قبل اخيه عبد الملك فقاتلهم وهزمهم واكثر القتل فيهم وفي سنة اربع وسبعين استعمل عبد الملك على خراسان امية بن عبد الله بن خالد بن أسيد فلما وصل امية الى كرمان استعمل ابنه عبد الله على سجستان فلما قدمها غزا ملك الترك رتبيل وكان رتبيل هائبا للمسلمين فلما وصل عبد الله الى بست ارسل رتبيل يطلب الصلح و بذل الف الف و بعث اليه بهدايا ورقيق فابى عبد الله قبول ذلك وقال ان ملأ لي هذا الرواق ذهبا والا فلا صلح وكان غرا ٣ فخلى له رتبيل البلاد حتى اوغل فيها واخذ عليه الشعاب والمضايق فطلب ان يخلي عنه وعن المسلمين ولا يأخذ منه شيأ فأبى رتبيل وقال بل يأخذ ثلاثمائة الف درهم صلحا و يكتب لنا كتابا ولا يغزو بلادنا ما كنت اميرا ولا يحرق ولا يخرب ففعل ذلك و بلغ ذلك عبد الملك فعزله وفي هذه السنة غزا محمد بن مروان صائفة وكانت الروم خرجت من قبل مرعش وكذا في السنة التي بعدها وفي سنة خمس وسبعين كان على ثغر السند مجاعة بن سعد التميمي من قبل الحجاج فغزا وفتح اماكن من قندابيل وفي سنة ست وسبعين غزا محمد بن مروان الروم من ناحية ملاطية وفي سنة سبع وسبعين غزا الصائفة الوليد بن عبد الملك وفي سنة ثمان وسبعين ولى الحجاج عبيد الله بن ابي بكرة سجستان وكان رتبيل ملك الترك مصالحا وكان يؤدي الخراج وربما امتنع منه فبعث الحجاج الى عبيد الله بن ابي بكرة يأمره بمناجزته وان لا يرجع حتى يستبيح بلاده و يهدم قلاعه و يقيد رجاله فسار عبيد الله في اهل البصرة واهل الكوفة وكان على اهل الكوفة شريح بن هاني كان من اصحاب علي رضي الله عنه ومضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل فاصاب من الغنائم ماشاء وهدم حصونا وغلب على ارض من اراضيهم واصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم ارضا بعد ارض حتى امعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا فاخذوا على المسلمين العقاب والشعاب فسقط في ايدي المسلمين فظنوا ان قد هلكوا فصالحهم عبيد الله على سبعمائة الف درهم يوصلها الى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من ارضه فلقيه شريح فقال له انكم لا تصالحون على شئ الا حسبه السلطان من اعطياتكم وقد بلغت من العمر طويلا وقد كنت اطلب الشهادة منذ زمان وان فاتتني اليوم الشهادة ما ادركها حتى اموت ثم قال شريح يا اهل الاسلام تعاونوا على عدوكم فقال له عبيد الله بن ابي بكرة انك شيخ قد خرفت فقال له شريح انما حسبك ان يقال بستان عبيد الله وحمام عبيد الله يا اهل الاسلام من اراد منكم الشهادة فالي فاتبعه ناس من المتطوعة وفرسان الناس و اهل الحفائظ

فقاتلوا حتى اصيبوا الا قليلا وقاتل شريح حتى قتل فى اناس من اصحابه ونجا من نجا فخرجوا من بلاد رتبيل وفى هذه السنة اصاب اهل الروم اهل انطاكية وظفروا بهم وفى سنة ثمان وسبعين عزل عبدالملك امية بن عبدالله عن خراسان وضمها لاعمال الحجاج فولى على خراسان المهلب بن ابى صفرة

﴿ ذكر غزوة المهلب ماوراء النهر حين كان واليا على خراسان ﴾

فى سنة ثمانين قطع المهلب نهر بلخ ونزل على كش فأتاه ابن عم ملك الختل ودعاه الى غزو الختل وكان اسم ملكهم الشبل فوجه المهلب مع ابن عم الملك ابنه يزيد بن المهلب فنزل يزيد ناحية ونزل ابن عم الملك ناحية فبيته الشبل واخذه فقتله فحصر يزيد قلعة الشبل فصالحوه على فدية حملت اليه ورجع يزيد عنهم ووجه المهلب ابنه حبيبا فوافى صاحب بخارا فى اربعين الفا فنزل جماعة من العدو قرية فسار اليهم حبيب فى اربعة آلاف فقتلهم واحرق القرية فسميت المحترقة ورجع حبيب الى ابيه واقام المهلب بكش سنتين فقيل له لو تقدمت الى ماوراء ذلك فقال ليت حظى من هذه الغزوة سلامة هذا الجند وصالح المهلب اهل كش على فدية يأخذها منهم واتاه كتاب ابن الاشعث بخلع الحجاج ويدعوه الى مساعدته فبعث بكتابه الى الحجاج واقام بكش

﴿ ذكر تسيير الجنود الى رتبيل مع عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث ﴾

قد تقدم ذكر حال المسلمين حين دخل بهم ابن ابى بكرة بلاد رتبيل ثم استأذن الحجاج عبد الملك فى تسيير الجنود نحو رتبيل فاذن له عبدالملك فاخذ الحجاج فى تجهيز الجيش فجعل على اهل الكوفة عشرين الفا وعلى اهل البصرة عشرين الفا وجد فى ذلك واعطى الناس اعطياتهم كملا وانفق فيهم الفى الف سوى اعطياتهم وانجدهم بالخيل الرائقة والسلاح الكامل واعطى كل رجل يوصف بشجاعة وغناء وكان يسمى جيش الطواويس لحسنه فلما فرغ من امر الجند بعث عليهم عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث بأمر من عبدالملك وكان الحجاج يبغض عبدالرحمن المذكور فسيره على ذلك الجيش طاعة لامر عبدالملك فسار بهم حتى قدم سجستان وبلغ الخبر رتبيل فأرسل يعتذر ويبذل الخراج فلم يقبل منه فسار اليه ودخل بلاده وترك له رتبيل ارضا ارضا ورستاقا رستاقا وحصنا حصنا وعبدالرحمن يحوى ذلك وكلما حوى بلدا بعث اليه عاملا وجعل معه اعوانا وجعل الارصاد على العقاب والشعاب ووضع المسالح بكل مكان مخوف حتى اذا جاز من ارض عظيمة وملأ الناس ايديهم من الغنائم العظيمة منع الناس من الوغول فى ارض رتبيل وقال نكتفى بما اصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ويجترئ المسلمون على طرقها وفى العام المقبل نأخذ ماوراءها ان شاء الله تعالى ثم كتب الى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يريد ان يعمل فلما اتى كتابه الى الحجاج كتب جوابه ان كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح الى الموادعة قد صانع عدوا قليلا ذليلا قد اصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا وغناؤهم عظيما

واحبدت

واحببت ان تكف عن ذلك العدو وتستحي النفس بمن أصيب من المسلمين فامض لما امرتك به من الوغول في ارضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ثم أردفه كتابا آخر نحو ذلك وفيه امابعد فمر من قبلك من المسلمين فليحربوا وليقيموا بها فانها دارهم حتى يفتحها الله عليهم ثم كتب كتابا ثالثا بذلك ويقول له ان مضيت لما امرتك به والا فأخوك اسحاق بن محمد امير الناس فدعا عبدالرحمن الناس وقال لهم ايها الناس اني لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم في كل مايحيط به نفعكم ناظر وقد كان رأيي فيما بيني وبين عدوي بما رضيه ذوو احلامكم واولو التجربة منكم وكتبت بذلك الى اميركم الحجاج فاتاني كتابه يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في ارض العدو وهي البلاد التي هلك فيها اخوانكم بالامس وانما انا رجل منكم امضي اذ مضيتم وآبى اذا ابيتم فثار اليه الناس وقالوا بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع فكان اول من تكلم ابو الطفيل عامر بن واثلة الكناني وله صحبة رضي الله عنه فقال بعد حمد الله امابعد فان الحجاج يرى بكم مارأى القائل الاول احمل عبدك على الفرس فان هلك هلك وان نجا فلك وان الحجاج مايبالي ان يخاطر بكم فيقحمكم بلايا كثيرة ويغشى اللهوب واللصوب ٣ فان ظفرتم وغنمتم اكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة في سلطانه وان ظفر عدوكم كنتم انتم الاعداء البغضاء الذين لا يبالي عنتهم ولا يبقي عليهم اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الأمير عبدالرحمن فاني اشهدكم اني اول خالع فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله وقام عبدالمؤمن بن شبث بن ربعي فقال عباد الله انكم ان اطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم مابقيتم وجمركم تجمير فرعون الجنود (التجمير حبس الجيش في ارض العدو من غير رجوع) فانه بلغني انه اول من جمر البعوث ولن تعاينوا الأحبة او يموت اكثركم فيما ارى فبايعوا اميركم وانصرفوا الى عدوكم الحجاج فانفوه عن بلادكم فوثب الناس الى عبدالرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من ارض العراق وعلى النصرة لعبد الرحمن ولم يذكروا عبدالملك وجعل عبدالرحمن على بست عياض بن هميان الشيباني وعلى زرنج عبدالله بن عامر التيمي وصالح رتبيل على ان ابن الاشعث ان ظهر فلا خراج عليه ابدا مابقي وان هزم فاراد منعه رجع الى العراق وجعل عبدالرحمن على مقدمته عطية بن عمرو العنبري وجعل على كرمان حريثة بن عمرو التميمي فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم الى بعض وقالوا اذا خلعنا الحجاج عامل عبدالملك فقد خلعنا عبدالملك فاجتمعوا الى عبدالرحمن فكان اول الناس خلع عبدالملك تيحان بن ابجر من بني تيم الله بن ثعلبة قام فقال ايها الناس اني خلعت اباذبان (كنية عبدالملك) كخلع قميصي فخلعه الناس الا قليلا منهم وبايعوا عبد الرحمن وكانت بيعته تبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى جهاد اهل الضلالة وخلعهم وجهاد المحلين فلما بلغ الحجاج خلعه كتب الى عبدالملك يخبر عبدالرحمن ويسأله أن يعجل بعثه بجنود اليه ولما بلغ المهلب خبر عبدالرحمن كتب الى الحجاج من خراسان امابعد فان اهل العراق قد اقبلوا اليك وهم مثل السيل ليس يرده شئ حتى ينتهي الى قراره وان لاهل العراق شدة في اول مخرجهم وصبابة الى ابنائهم ونسائهم فاتركهم حتى يسقطوا الى اهاليهم ويشموا اولادهم ثم واقفهم عندها فان الله ناصرك عليهم فلما قرأ كتابه شتمه وسبه وقال مالي نظر وانما نظر الى ابن عمه يعني

٣ قوله اللهوب جمع لهب مهواة ما بين كل جبلين وقوله اللصوب هي الشعب الضيقة في الجبل اه مؤلف

عبدالرحمن لان كلا من المهلب وعبدالرحمن من قحطان ثم بعد وقوع بعض الوقائع بين الحجاج
وعبد الرحمن نظر فى كتاب المهلب فاستصوب ماقاله وقال لله دره اى صاحب حرب هو
ولما وصل كتاب الحجاج لعبد الملك هاله ودعا خالد بن يزيد بن معاوية فاقرأه الكتاب
فقال يا امير المؤمنين ان كان الحدث من سجستان فلا تخفه فان كان من خراسان فانى أتخوفه فجهز
عبدالملك الجند الى الحجاج على البريد من مائة ومن خمسين واقل واكثر وكتب الحجاج تتصل
بعبدالملك كل يوم بخبر عبدالرحمن فنزل الحجاج البصرة ولما اجتمع الجند عنده سار من البصرة
ليلقى عبدالرحمن ولم يتركهم حتى يسقطوا الى اهاليهم كما كتب اليه المهلب فنزل تستر
وقدم بين يديه مقدمة الى دجيل فلقوا عنده خيلا لعبدالرحمن فانهزم اصحاب الحجاج بعد قتال
شديد وكان ذلك يوم الاضحى سنة احدى وثمانين وقتل منهم جمع كثير فلما اتى خبر الهزيمة
الى الحجاج رجع الى البصرة وتبع اصحاب عبدالرحمن فقتلوا منهم واصابوا بعض اثقالهم
واقبل الحجاج حتى نزل الزاوية وجمع عنده الطعام وترك البصرة لاهل العراق فاقبل
عبدالرحمن حتى دخل البصرة فبايعه جميع اهلها قراؤها وكهولها مستبصرين فى قتال
الحجاج ومن معه من اهل الشام ثم دخل عبدالرحمن ومن معه الكوفة وبايعه اهلها وصار له
جيش بلغ مائة الف فيهم كثير من الصحابة وابنائهم وعلماء التابعين وغيرهم وممن بايع
عبد الرحمن وكان فى جيشه سعيد بن جبير والشعبي وعبدالرحمن بن ابى ليلى وهؤلاء من
كبار علماء التابعين ومن الصحابة ابو الطفيل عامر بن واثلة ووقع بينهم وبين جيوش الحجاج
وقائع كثيرة فى اكثرها كان النصر لجيوش عبدالرحمن ثم ان عبدالملك واهل الشام قالوا
ان كان يرضى اهل العراق بنزع الحجاج عنهم نزعناه فان عزله ايسر من حربهم ونحقن بذلك
الدماء فبعث عبدالملك ابنه عبدالله واخاه محمد بن مروان الى الحجاج فى جند كثيف وامرهما
ان يعرضا على اهل العراق عزل الحجاج وان يجريا عليهم اعطياتهم كما يجرى على اهل الشام
وان ينزل عبدالرحمن بن الاشعث اى بلد شاء من بلاد العراق فاذا نزله كان واليا عليه ماداما حيا
وعبد الملك خليفة فان اجاب اهل العراق الى ذلك عزل الحجاج وصار محمد بن مروان امير
العراق وان ابى اهل العراق قبول ذلك فالحجاج امير الجماعة ووالى القتال ومحمد بن مروان
وعبدالله بن عبدالملك فى طاعته فلم يأت الحجاج امر قط كان اشد عليه ولا اوجع لقلبه من ذلك
فخاف ان يقبل اهل العراق عزله فيعزله عنهم فكتب الى عبدالملك والله لو اعطيت اهل
العراق نزعى لم يلبثوا الا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا اليك ولا يزيدهم ذلك الا جراءة عليك
وذكر له اشياء مما فعله اهل العراق ايام عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم قال له ان الحديد بالحديد
يفلح فأبى عبدالملك الا عرض عزله على اهل العراق فلما اجتمع عبدالله بن عبدالملك ومحمد
ابن مروان مع الحجاج خرج عبدالله بن عبدالملك وقال يا اهل العراق انا ابن امير المؤمنين
وهو يعطيكم كذا وكذا وخرج محمد بن مروان وقال انا رسول أمير المؤمنين وهو يعرض عليكم
كذا وكذا فذكر هذه الخصال فقالوا نرجع العشية فرجعوا واجتمع اهل العراق عند ابن
الاشعث فقال لهم قد أعطيتم امرا انتهازكم اليوم اياه فرصة وانكم اليوم على النصف فان
كانوا اعتدوا عليكم بيوم كذا فانتم تعتدون عليهم بيوم كذا فاقبلوا ماعرضوا عليكم وانتم

اعزاء

اعزاء اقوياء لقوم لكم هائبون وانتم لهم منتقصون فوالله لازلتم عليهم جرآء وعندهم اعزاء ابدا مابقيتم ان انتم قبلتم فوثب الناس من كل جانب فقالوا ان الله قد اهلكهم فاصبحوا فى الضنك والمجاعة والقلة والذلة ونحن ذوو العدد الكثير والسعر الرخيص والمادة القريبة والله لانقبل واعادوا خلعه ثانية وابلغوا ذلك عبدالله بن عبد الملك ومحمد بن مروان فقالا للحجاج شأنك بعسكرك وجندك واعمل برأيك فانا قد امرنا ان نسمع لك ونطيع فقال قد قلت انه لايراد بهذا الامر غيركم فكانا يسلمان عليه بالامرة ويسلم عليهما بالامرة ثم اعيد القتال واشتد الامر وتفصيل ذلك يطول وجملة الايام التى اقتتلوا فيها مائة يوم وثلاثة ايام ثم وقعت الهزيمة على اصحاب عبدالرحمن ثم رجع الحجاج الى الكوفة وعاد محمد بن مروان الى الموصل وعبدالله بن عبدالملك الى الشام واخذ الحجاج يبايع الناس الذين كانوا مع عبد الرحمن وكان لايبايع احدا الاقال له اشهد انك كفرت فان قال نعم بايعه والاقتله فاتاه رجل من خثعم كان معتزلا للناس جميعا فسأله عن حاله فاخبره باعتزاله فقال له انت متربص اتشهد انك كافر قال بئس الرجل انا اعبدالله ثمانين سنة ثم اشهد على نفسى بالكفر قال اذن اقتلك قال وان قتلتنى فقتله ولم يبق أحد من اهل الشام والعراق الارحمه ثم أتى بعده بآخر فقال له الحجاج أرى رجلا ما اظنه يشهد على نفسه بالكفر فقال له الرجل اتخادعنى عن نفسى انا اكفر اهل الارض واكفر من فرعون فضحك منه وخلى سبيله وأتى بمحمد بن سعد بن ابى وقاص فقال له ياظل الشيطان اعظم الناس تيها وكبرا تأبى بيعة يزيد بن معاوية وتتشبه بالحسين وعبدالله بن عمر ثم صرت مؤذنا لابن الاشعث وجعل يضرب رأسه بعود فى يده حتى ادماه ثم أمر به فقتل ثم اتى بعمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر فقال ياعبد المرأة يقوم بالعامود على رأسك ابن الحائك يعنى ابن الاشعث وتشرب معه فى الحمام فقال اصلح الله الامير كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا فيها فقد أمكنك الله منا فان عفوت فبحلمك وفضلك وان عاقبت عاقبت مذنبين فقال الحجاج اما انها شملت البر فكذبت ولكنها شملت الفاجر وعوفى منها الابرار واما اعترافك فعسى انه ينفعك فرجى له السلامة ثم أمر به فقتل واتى الحجاج بأسيرين فامر بقتلهما فقال احدهما ان لى عندك يدا قال وماهى قال ذكر عبدالرحمن بن الاشعث يوما امك بسوء فنهيته قال ومن يعلم ذلك قال هذا الاسير الآخر فسأله الحجاج فصدقه فقال له الحجاج فلم لم تفعل كما فعل قال و ينفعنى الصدق عندك قال نعم قال منعنى البغض لك ولقومك فقال خلوا عن هذا لفعله وعن هذا لصدقه وقتل الحجاج يوم الهزيمة ممن قبض عليهم عشرة آلاف ولما انهزم اصحاب عبدالرحمن بن الاشعث نادى منادى الحجاج من لحق بقتيبة بن مسلم الباهلى فهو آمن وكان قد ولى قتيبة الرى وسار اليه فلحق به ناس كثير وكان منهم الشعبى فذكره الحجاج يوما وسأل عنه فقالوا له انه لحق بقتيبة بن مسلم بالرى فكتب الحجاج الى قتيبة يأمره بارسال الشعبى فأرسله قال الشعبى فلما قدمت على الحجاج لقيت يزيد بن ابى مسلم وكان صديقا لى فاستشرته فقال اعتذر مهما استطعت واشار بمثل ذلك اخوانى ونصحائى فلما دخلت على الحجاج فرأيت غير ما ذكروا لى فسلمت عليه بالامرة وقلت ايها الامير ان الناس قد امرونى ان اعتذر بغير مايعلم الله انه الحق وايم الله لااقول فى هذا المقام الا الحق قد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا بالاتقياء البررة

ولقد نصرك الله علينا واظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وما جرت اليه ايدينا وان عفوت عنا فبحلمك و بعد فالحجة لك علينا فقال الحجاج انت والله احب الى قولا ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول مافعلت ولاشهدت وقد امنت ياشعبي كيف وجدت الناس بعدنا فقلت اصلح الله الامير اكتحلت بعدك السهر واستوعرت الجناب ٣ واستحلست الخوف وفقدت صالح الاخوان ولم اجد من الامير خلفا قال انصرف ياشعبي فانصرفت واما سعيد ابن جبير فانه اختفى ثم هرب الى خراسان وتنقل الى اماكن كثيرة مختفيا ثم جاور بمكة فلما ولى امارة مكة خالد بن عبدالله القسرى بعد موت عبدالملك ومبايعة ابنه الوليد قيل لسعيد بن جبير ان خالدا رجل سوء فلو سرت عن مكة فقال والله لقد فررت حتى استحييت من الله ويسحبني ماكتب الله لى فلما قدم خالد مكة كتب له الوليد بحمل اهل العراق الى الحجاج فاخذ سعيد بن جبير وارسله مع حرسيين فانطلق احدهما لحاجة و بقى الآخر فقال لسعيد انى ابرأ الى الله من دمك انى رأيت فى منامى فقيل لى تبرأ من دم سعيد بن جبير اذهب حيث شئت انى لا اطلبك فأبى سعيد فرأى ذلك الحرسى تلك الرؤيا ثلاثا و يأذن لسعيد فى الذهاب وهو لايفعل فقدموا به الكوفة فانزل فى داره وأتاه قراء الكوفة فجعل يحدثهم وهو يضحك و بنيته فى حجره فلما نظرت الى القيد فى رجله بكت ثم ادخلوه على الحجاج فلما أتى به اقبل عليه فقال ياسعيد الم اشركك فى امارتى الم افعل بك كذا الم استعملك قال بلى قال فما اخرجك على قال انما انا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة و يصيب مرة فطابت نفس الحجاج ثم عاوده فى شئ فقال انما كانت بيعة فى عنقى فغضب الحجاج وانتفخ وقال ياسعيد الم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير واخذت بيعة اهلها واخذت بيعتك لامير المؤمنين عبدالملك قال بلى قال ثم قدمت الكوفة واليا فجددت البيعة فاخذت بيعتك لامير المؤمنين ثانية قال بلى قال فنكثت بيعتين وتوفى بواحدة للحائك ابن الحائك والله لاقتلنك قال انى اذن لسعيد كما سمتنى امى فامر به فضربت عنقه فلما سقط رأسه هلل ثلاثا فلما قتل النس عقل الحجاج فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا انه يريد القيود فقطعوا رجلى سعيد من انصاف ساقيه واخذوا القيود وكان الحجاج اذا نام يراه فى منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول ياعدو الله فيم قتلتنى فيقول مالى ولسعيد بن جبير مالى ولسعيد بن جبير وعاش الحجاج بعده اياما ثم هلك قال الامام الشعرانى فى الطبقات قتله فى شعبان وتوفى الحجاج فى رمضان وكان بينهما خمسة عشر يوما وفى تاريخ ابن خلكان ان الحجاج رؤى فى النوم بعد موته فقيل له مافعل الله بك قال قتلنى بكل قتيل قتلته قتلة وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة وكان عمر سعيد بن جبير سبعا واربعين سنة وقيل سبعا و خمسين قيل ان سعيد بن جبير قال اللهم لاتسلطه على احد بعدى فلم يقتل احدا بعده قال الامام احمد قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الارض احد الا وهو مفتقر الى علمه وكان قتله سنة اربع وتسعين وقيل خمس وتسعين فبين قتله وانتهاء فتنة ابن الاشعث احدى عشرة سنة فقد كان ابتداء فتنة ابن الاشعث سنة احدى وثمانين وانتهاؤها سنة ثلاث وثمانين واما ابن الاشعث فانه لما انهزمت جيوشه سار الى رتبيل ملك الترك فاكرمه وآواه ثم ارسل اليه الحجاج يتوعده و يتهدده فقتله وبعث برأسه الى الحجاج وقيل بل اصابه مرض فمات فقطع رأسه وارسله للحجاج فبعث به الى

عبدالملك فطيف به فى الشام ليريه الناس ثم ارسله لاخيه عبدالعزيز بن مروان بمصر فطيف به فى مصر وكان ذلك سنة خمس وثمانين

﴿ فتح قالى قلا ﴾

فى سنة احدى وثمانين سير عبدالملك بن مروان ابنه عبيدالله فى جيش ففتح قالى قلا وفى هذه السنة هجم جماعة من الديلم على قزوين فتصايح الناس واغلقوا الابواب وقاتلوهم قتالا عظيما وظفر المسلمون بهم فلم يفلت منهم احد وفى هذه السنة كان يزيد بن المهلب فى مغازة بست فى ستين فارسا فلقيهم خمسمائة من الترك فقاتلوهم قتالا شديدا فقتلوا كثيرا من الترك الى أن انهزموا وفى سنة اثنين وثمانين توفى المهلب واستخلف على خراسان ابنه يزيد فاقره الحجاج وفى سنة اربع وثمانين فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس بعد حصار وقتال فلكها وما فيها من الاموال والذخائر وكانت من أحصن القلاع وأمنعها وكان نيزك اذا رآها سجد لها معظما لها وفى هذه السنة غزا عبيدالله بن عبدالملك الروم ففتح المصيصة وبنى حصنها ووضع بها ثلاثمائة مقاتل من ذوى البأس ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبنى مسجدها وفى هذه السنة غزا محمد بن مروان ارمينية فهزمهم ثم سألوه الصلح فصالحهم وفى سنة خمس وثمانين عزل الحجاج يزيد بن المهلب وولى اخاه المفضل بن المهلب فغزا باذغيس وأصاب مغنما فقسمه فاصاب كل رجل ثمانون ثم غزا أخرون (اسم بلد) وشومان فغنم وقسم ما اصاب ولم يكن للمفضل بيت مال كان يعطى الناس كلما جاءه شئ وان غنم شيأ قسمه بينهم وفى هذه السنة غزا محمد بن مروان ارمينية فصاف بها وشتى وفى سنة ست وثمانين توفى عبدالملك بن مروان وولى ابنه الوليد فابقى الحجاج وولى الحجاج خراسان قتيبة بن مسلم الباهلى وباهلة من قيس عيلان بن مضر وعزل المفضل وافتتح قتيبة خوارزم وسمرقند وبخارا وقد كانوا كفروا بعد فتحها الاول وبلغ مالم يبلغه المهلب ولا غيره فجهز قتيبة عند قدومه الجيوش للغزو فلما كان بالطالقان أتاه دهاقين بلخ وساروا معه فقطع النهر فتلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفاتيح من ذهب ودعاه الى بلده فمضى معه فسلمها اليه لان ملك أخرون وشومان كان يسئ جواره ثم سار قتيبة الى أخرون وشومان وهما من طخارستان فصالحه ملكها على فدية اداها اليه فقبلها قتيبة ثم انصرف الى مرو (احدى قواعد اقليم خراسان الاربع وهى مرو وهراة وبلخ ونيسابور) واستخلف على الجند اخاه صالح بن مسلم ففتح صالح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورشت وهى من فراغانة وفتح اخشيكت وهى مدينة فرغانة القديمة وفى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم وفى سنة سبع وثمانين كتب قتيبة الى نيزك طرخان صاحب باذغيس ان يطلق من عنده من اسرى المسلمين وكتب اليه يتهدده فخافه نيزك فأطلق الاسرى وبعث بهم اليه وكتب له قتيبة مع سليم الناصح مولى عبيدالله بن ابى بكرة يدعوه الى الصلح والى ان يؤمنه وكتب اليه يحلف بالله انه لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبنه حيث كان حتى يظفر به او يموت دونه فقدم سليم بالكتاب فقال له نيزك وكان يستنصحه ياسليم ماأظن عند صاحبك خيرا كتب الى كتابا لا يكتب الى مثلى فقال له سليم انه رجل شديد فى سلطانه سهل اذا سوهل

اصلها واقاليم خراسان الاربعة الاول مرو وهراة وبلخ ونيسابور

صعب اذا عوسر فلا يمنعك منه غلظة كتابه اليك فأحسن حالك عنده فعقد الصلح لاهل باذغيس على ان لا يدخلها قتيبة وفى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم فقتل منهم عددا كثيرا بسوسنة من ناحية المصيصة وقيل ان الذى غزا فى هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بواق وحصن الاخرم وحصن بولس وقمقم وقتل من المستعربة نحوا من الف وسبي ذريتهم ونساءهم

﴿ ذكر غزوة قتيبة بيكند ﴾

كانت غزوة بيكند سنة سبع وثمانين وهى ادنى مداين بخارا سار اليهم قتيبة بجيوشه فلما نزل بهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم فى جمع كثير واخذوا الطرق على قتيبة فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل اليه خبر شهرين وابطأ خبره على الحجاج فاشفق على الجند فأمر الناس بالدعاء لهم فى المساجد وهم يقتتلون كل يوم وكان لقتيبة عين من العجم يقال له تندر فأعطاه اهل بخارا مالا ليردعنهم قتيبة فأتاه سرا من الناس وقال له ان الحجاج قد عزل وقد اتى عامل الى خراسان فلو رجعت بالناس كان اصلح فأمر به فقتل خوفا من ان يظهر الخبر فيهلك الناس ثم أمر اصحابه بالجد فى القتال فقاتلهم قتالا شديدا فانهزم الكفار يريدون المدينة وتبعهم المسلمون قتلا واسرا كيف شاؤا وتحصن من دخل المدينة بها فوضع قتيبة الفعلة ليهدم سورها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم عاملا وارتحل عنها يريد الرجوع فلما سار خمسة فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل ومن معه فرجع قتيبة فنقب سورهم فسقط فسألوه الصلح فلم يقبل ودخلها عنوة وقتل من كان بها من المقاتلة وكان فيمن اخذوا من المدينة رجل اعور هو الذى استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة افدى نفسى بخمسة آلاف حريرة قيمتها الف الف فاستشار قتيبة الناس فقالوا هذا زيادة فى الغنائم وما عسى ان يبلغ كيد هذا قال لا والله لا يروع بك مسلم ابدا فأمر به فقتل واصابوا فيها من الغنائم والسلاح وآنية الذهب والفضة ما لا يحصر ولا اصابوا بخراسان مثله فقوى المسلمون فلما فرغ قتيبة من فتح بيكند رجع الى مرو

﴿ ذكر فتح طوانة من بلد الروم ﴾

فى سنة ثمان وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك بلد الروم وكان الوليد قد كتب الى صاحب ارمينية يأمره ان يكتب الى ملك الروم يعرفه ان الخزر وغيرهم من ملوك جبال ارمينية قد اجمعوا على قصد بلاده ففعل ذلك وقطع الوليد البعث على اهل الشام الى ارمينية واكثر واعظم جهازه وساروا نحو الجزيرة ثم عطفوا منها الى بلد الروم فاقتتلوا هم والروم فانهزم الروم ثم رجعوا فانهزم المسلمون فبقى العباس فى نفر منهم ابن محيريز الجمحى فقال له العباس اين اهل القرآن الذين يريدون الجنة فقال ابن محيريز نادهم يأتوا فنادى العباس يا اهل القرآن فاقبلوا جميعا فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة وحصرهم المسلمون وفتحوها قيل وفى هذه السنة ايضا غزا مسلمة بن عبد الملك

الروم ايضا ففتح ثلاثة حصون احدها حصن قسطنطين وغزالة وحصن الاخرم وقتل من المستعربة نحوا من الف واخذ الاموال

﴿ ذكر غزو نومشكث ورامثنة ﴾

في هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم نومشكث واستخلف على مرو اخاه يسار بن مسلم وصالح اهلها فصالحهم ثم سار الى رامثنة فصالحه اهلها وانصرف عنهم وزحف اليه الترك ومعهم الصغد واهل فرغانة في مائتي الف وملكهم ابن اخت ملك الصين فاعترضوا المسلمين فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم اخا قتيبة وهو على الساقة بينه وبين قتيبة واوائل العسكر ميل فلما قربوا منه ارسل الى قتيبة يخبره وادركه الترك فقاتلوه ورجع قتيبة فانتهى الى عبد الرحمن وهو يقاتل الترك وقد كاد الترك يظهرون عليه فلما رأى المسلمون قتيبة طابت نفوسهم وقاتلوا الى الظهر وابلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة فانهزم الترك ورجع قتيبة فقطع النهر عند ترمذ واتى مرو وفي سنة تسع وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس ابن الوليد الروم فافتتح مسلمة حصن عمورية وفتح العباس ادرولية ولقي من الروم جمعا فهزمهم وقيل ان مسلمة قصد عمورية فلقي بها جمعا من الروم كثيرا فهزمهم وافتتح هرقلة وقونية وغزا العباس الصائفة من ناحية البذندون

﴿ ذكر غزو قتيبة بخارا ﴾

في هذه السنة اتى قتيبة كتاب الحجاج يأمره بقصد وردان خداه فعبر النهر من زم فلقي الصغد واهل كش ونسف في طريق المفازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى الى بخارا فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان فلقوه في جمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين فظفر بهم وغزا وردان خداه ملك بخارا فلم يظفر بشيء فرجع الى مرو وكتب الى الحجاج يخبره فكتب اليه الحجاج ان صورها فبعث اليه بصورتها فكتب اليه الحجاج ان تب الى الله جل ثناؤه مما كان منك وائتها من مكان كذا وكذا وكتب اليه ان كس بكش وانسف نسف ورد وردان واياك والتحويط ودعني من بنيات الطريق فلما ورد الكتاب على قتيبة خرج غازيا سنة تسعين فاستجاش وردان خداه بالصغد والترك ومن حوله فاتوه وقد سبق اليها قتيبة فحصرها فلما جاءتهم امدادهم خرجوا الى المسلمين يقاتلونهم فقالت الازد اجعلونا ناحية وخلوا بيننا وبين قتالهم فقال قتيبة تقدموا فتقدموا وقاتلوهم قتالا شديدا ثم ان الازد انهزموا حتى دخلوا العسكر وركبهم المشركون فحطموهم حتى ادخلوهم عسكرهم وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين فكروا راجعين فانطوت مجنبتا المسلمين على الترك فقاتلوهم حتى ردوهم الى مواقفهم فوقف الترك على نشز فقال قتيبة من يزيلهم عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم احد من العرب فاتى قتيبة بني تميم فقال لهم يوما كايامكم فاخذ وكيع بن حسان بن قيس التميمي اللواء وقال يا بني تميم اتسلمونني اليوم قالوا لا يا ابا مطرف وكان هريم ابن ابي طحمة على خيل تميم ووكيع رأسهم فقال وكيع يا هريم قدم خيلك ودفع اليه الراية فتقدم هريم وتقدم وكيع في الرجالة فانتهى هريم الى نهر بينهم وبين الترك فوقف فقال

وكيع تقدم ياهريم فنظر هريم نظر الجمل الهائج الصائل وقال أأقحم الخيل هذا النهر فان انكشفت كان هلاكها يا احمق فقال وكيع يا ابن اللخناء اترد امري فحذفه بعمود كان معه فعبر هريم في الخيل وانتهى وكيع الى النهر فعمل عليه جسرا من خشب وقال لاصحابه من وطن نفسه على الموت فليعبر والا فليثبت مكانه فما عبر معه الا ثمانمائة رجل فلما عبر بهم ودنا من العدو قال لهريم انى مطاعنهم فاشغلهم عنا بالخيل فحمل عليهم حتى خالطهم وحمل هريم في الخيل فطاعنوهم ولم يزالوا يقاتلونهم حتى احدروهم من التل ونادى قتيبة ما ترون العدو منهزمين فلم يعبر احد النهر حتى انهزموا وعبر الناس ونادى قتيبة من اتى برأس فله مائة فاتى برؤس كثيرة فجاء يومئذ احد عشر رجلا من بني قريع كل رجل برأس فيقال له من انت فيقول قريعي فجاء رجل من الازد برأس فقيل له من انت فقال قريعي فعرفه جهم بن زحر فقال كذب والله انه ازدي فقال له قتيبة ما دعاك الى هذا فقال رأيت كل من جاء يقول قريعي فظننت انه ينبغي لكل من جاء برأس ان يقوله فضحك قتيبة وجرح خاقان وابنه وفتح الله عليهم وكتب بالفتح الى الحجاج

﴿ ذكر صلح قتيبة مع الصغد ﴾

لما اوقع قتيبة باهل بخارا هابه الصغد فرجع طرخون ملكهم ومعه فارسان فدنا من عسكر قتيبة وطلب رجلا يكلمه فارسل اليه قتيبة حيان النبطي فطلب الصلح على فدية يؤديها اليهم فاجابه قتيبة الى ما طلب ورجع طرخون الى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك

﴿ ذكر غدر نيزك وفتح الطالقان ﴾

لما رجع قتيبة من بخارا ومعه نيزك وقد خاف لما يرى من الفتوح فقال لاصحابه انا مع هذا يعني قتيبة ولست آمنه فلو استأذنته ورجعت كان الرأي قالوا افعل فاستأذن قتيبة فاذن له وهو بآمل فرجع يريد طخارستان واسرع السير حتى اتى النوبهار قال لاصحابه لا اشك ان قتيبة قد ندم على اذنه وسيبعث الى المغيرة بن عبدالله بأمره بحبسي وندم قتيبة على اذنه له فارسل الى المغيرة يأمره بحبس نيزك وسار نيزك وتبعه المغيرة فوجده قد دخل شعب خلم فرجع المغيرة واظهر نيزك الخلع وكتب الى اصبهبذ بلخ والى باذان ملك مرو الروذ والى ملك الطالقان والى ملك الفرياب والى ملك الجوزجان يدعوهم الى خلع قتيبة فاجابوه فواعدهم الربيع ان يجتمعوا ويغزوا قتيبة وكتب الى كابل شاه يستظهر به وبعث اليه بثقله وماله وسأله ان يأذن له ان اضطر اليه ان يأتيه فاجابه الى ذلك وكان جبغويه ملك طخارستان ضعيفا فاخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب لئلا يخالف عليه وكان جبغويه هو الملك ونيزك عبده فاستوثق منه واخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء وقد تفرق الجند فبعث اخاه عبدالرحمن بن مسلم في اثني عشر الفا الى البروقان وقال اقم بها ولا تحدث شيأ فاذا انقضى الشتاء سر نحو طخارستان واعلم اني قريب منك فسار فلما كان آخر الشتاء كتب قتيبة الى نيسابور وغيرها من البلاد ليقدم عليه الجنود فقدموا قبل اوانهم فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد خلع وطابق نيزك على الخلع فاتاه

قتيبة فاوقع باهل الطالقان فقتل من اهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين اربعة فراسخ في نظام واحد ثم استعمل على الطالقان اخاه عمر بن مسلم ثم سار الى الفارياب فخرج اليه ملكها مذعنا فقبل منه ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها رجلا من اهله وبلغ ملك الجوزجان خبرهم فهرب الى الجبال وسار قتيبة الى الجوزجان فلقيه اهلها سامعين مطيعين فقبل منهم ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها عامر بن مالك الحماني ثم اتى بلخ فلقيه اهلها فلم يقم بها الا يوما واحدا وسار يتبع اخاه عبد الرحمن الى شعب خلم ومضى نيزك الى بغلان وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضائقه ليمنعوه ووضع مقاتلته في قلعة حصينة من وراء الشعب فاقام قتيبة اياما يقاتلهم على مضيق الشعب لا يقدر على دخوله ولا يعرف طريقا يسلكه الى نيزك الا الشعب او مفازة لا تحتملها العساكر فبقي متحيرا فقدم انسان فاستأمنه على ان يدله على مدخل القلعة التي من وراء الشعب فأمده قتيبة وبعث معه رجالا فانتهى بهم الى القلعة من وراء شعب خلم فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم وهرب من بقي منهم ومن كان في الشعب فدخل قتيبة الشعب فاتى القلعة ومضى الى سمنجان فاقام بها اياما ثم سار الى نيزك وقدم اخاه عبد الرحمن فارتحل نيزك من منزله فقطع وادي فرغانة ووجه ثقله وامواله الى كابل شاه ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن يتبعه فنزل عبد الرحمن حذاء الكرز ونزل قتيبة بينه وبين عبد الرحمن فرسخان فتحصن نيزك في الكرز وليس اليه مسلك الا من وجه واحد وهو صعب لا تطيقه الدواب فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما في يد نيزك من الطعام وأصابهم الجدري وجدر جبغويه وخاف قتيبة الشتاء فدعا سليما الناصح وكان يصادق نيزك فقال انطلق الى نيزك واحتل لتأتيني به من غير أمان فان احتال وأبى فأمنه واعلم اني ان عاينتك وليس هو معك صلبتك قال فاكتب الى عبد الرحمن لا يخالفني فكتب اليه فقدم عليه فقال له ابعث رجالا ليكونوا على فم الشعب فاذا خرجت انا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشعب فبعث عبد الرحمن خيلا فكانت هناك وحمل سليم معه اطعمة وأخبصة اوقارا واتى نيزك فقال له انك اسأت الى قتيبة وغدرت قال نيزك فما الرأي قال أرى أن تأتيه فانه ليس ببارح وقد عزم على ان يشتو مكانه هلك اوسلم قال نيزك كيف آتيه على غير امان قال ما اظنه يؤمنك لما في نفسه عليك لانك قد ملأته غيظا ولكني ارى ان لا يعلم حتى تضع يدك في يده فاني ارجو ان يستحي ويعفو قال اني ارى نفسي تأبى هذا وهو ان رآني قتلني فقال سليم ما أتيتك الا لأشير عليك بهذا ولو فعلت لرجوت ان تسلم وتعود حالك عنده فاذا أبيت فاني منصرف وقدم سليم الطعام الذي معه ولا عهد لهم بمثله فانتهبه اصحاب نيزك فساءه ذلك فقال له سليم اني لك من الناصحين ارى اصحابك قد جهدوا وان طال بهم الحصار لم آمنهم ان يستأمنوا بك فائت قتيبة فقال لا آمنه على نفسي ولا آتيه الا بامان وان ظني ان يقتلني وان أمنني ولكن الامان اعذر الي قال بن خلدون ولم يزل يفتل له في الذروة والغارب وهو يمتنع حتى قال وانه قد امنك وقوله ولم يزل الخ هو مثل من امثال العرب يضرب في الخداع والمماكرة اه ميداني فقال سليم قد أمنك افتتهمني قال لا وقال له اصحابه اقبل قول سليم فلا يقول الا حقا فخرج معه ومع جبغويه وصول طرخان خليفة جبغويه وحبس طرخان

صاحب شرطته وشقران ابن اخي نيزك فلما خرجوا من الشعب عطف الخيل التي خلفها سليم فحالوا بين الاتراك اصحاب نيزك والخروج فقال نيزك هذا اول الغدر قال سليم تخلف هؤلاء عنك خير لك واقبل سليم ونيزك ومن معه حتى دخلوا على قتيبة فحبسهم وكتب الى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك واستخرج قتيبة ما كان في الكرز من متاع ومن كان فيه فقدم به على قتيبة فانتظرهم كتاب الحجاج فأتاه كتاب الحجاج بعد اربعين يوما يأمره بقتل نيزك فدعا قتيبة الناس واستشارهم في قتله واختلفوا فقال ضرار بن حصين انى سمعتك تقول اعطيت الله عهدا ان امكنك منه ان تقتله فان لم تفعل فلا ينصرك الله عليه ابدا فدعا نيزك فضرب عنقه بيده وأمر بقتل صول وابن اخي نيزك وقتل من اصحابه سبعمائة وقيل اثنى عشر الفا وصلب نيزك وابن اخيه وبعث برأسه الى الحجاج واخذ الزبير مولى عباس الباهلي حقا لنيزك فيه جوهر فكان اكثر من في بلاده مالا وعقارا من ذلك الجوهر واطلق قتيبة جبغويه ومن عليه وبعث به الى الوليد فلم يزل بالشام حتى مات الوليد فلما قتل قتيبة نيزك رجع الى مرو وارسل ملك الجوزجان يطلب الامان فامنه على ان يأتيه فطلب رهنا ويعطى رهائن فاعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن حبيب بن محمد واعطى ملك الجوزجان رهائن من اهل بيته وقدم على قتيبة ثم رجع فمات بطالقان فقال اهل الجوزجان انهم سموه فقتلوا حبيبا وقتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده وذلك سنة احدى وتسعين

﴿ ذكر قتل داهر ملك السند وفتح السند ﴾

قد تقدم ذكر اول غزو المسلمين السند في سنة ثلاث واربعين في خلافة عثمان رضي الله عنه وان عبد الله بن عامر استعمل على ثغر السند عبد الله بن سواد العبدي وفي سنة اربع وسبعين غز المهلب بن ابي صفرة ثغر السند عاملا الحكم بن عمرو الغفاري حين كان على خراسان وفي سنة خمس وسبعين كان على ثغر السند مجاعة بن مسعر التيمي من قبل الحجاج وفي سنة تسع وثمانين تم فتح بقية السند للمسلمين على يد محمد بن القاسم بن الحكم بن ابي عقيل الثقفي ابن عم الحجاج لان الحجاج هو بن يوسف بن الحكم فيجتمع هو والحجاج في الحكم بن ابي عقيل ولى الحجاج محمد بن القاسم المذكور وستعمله على ذلك الثغر وسير معه ستة آلاف مقاتل وجهزه بكل ما يحتاج اليه حتى المسال والابر والخيوط فسار محمد الى مكران فاقام بها اياما ثم اتى قنزبور ففتحها ثم سار الى ارمائيل ففتحها ثم سار الى الديبل فقدمها يوم جمعة ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والاداة فخندق حين نزل الديبل وأنزل الناس منازلهم ونصب منجنيقا يقال له العروس كان يمد به خمسمائة رجل وكان بالديبل بد عظيم والبد صنم في بناء عظيم وكان تحت منارة عظيمة مرتفعة وفي رأس المنارة دقل عظيم وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح اطافت بالمدينة وكانت تدور وكل ما يعبد فهو عندهم بد فحصر الديبل وطال حصارها فرمى الدقل بحجر العروس فكسره فتطير الكفار بذلك ثم خرجوا اليه فناهضهم القتال فهزمهم حتى ردهم الى البلد وامر بالسلالم فنصبت فصعد عليها الرجال ففتحت عنوة وقتل فيها ثلاثة ايام وهرب عامل داهر

ملك

ملك السند عنها وازالها محمد بن القاسم اربعة آلاف من المسلمين و بنى جامعها وسار عنها الى البيرون وكان اهلها بعثوا الى الحجاج فصالحوه فلقوا محمدا بالميرة وأدخلوه مدينتهم ثم سار عنها فجعل لا يمر بمدينة الا فتحها حتى عبر نهرا دون مهران فأتاه اهل سربيدس فصالحوه ووظف عليهم الخراج ثم عبر نهر مهران واستعد ملك السند لمحاربته واسمه ذاهر بن صعصعة ثم عقد الجسر على النهر فقاتله ذاهر وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة وهم قوم السند فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله وترجل داهر فقتل حتى قتل عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاؤا فلما قتل ذاهر لحقت امرأة ذاهر بمدينة راور فساروا اليها وخافته فاحرقت نفسها وجواريها ومال المدينة ولحق المنهزمون بمدينة برهمنا باذ العتيقة ففتحها عنوة وقتل من وجد بها وخربها ثم استولى على مدائن السند واحدة واحدة وقطع نهر بياس الى الملتان فحاصرها وقطع الماء عنها فنزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية وقتل سدنة البد وهم ستة آلاف واصابوا ذهبا كثيرا جمع في بيت طوله عشرة اذرع وعرضه ثمانية اذرع يلقى اليه من كوة في وسطه فسميت الملتان فرج بيت الذهب والفرج الثغر وكان بد الملتان تهدى اليه الاموال ويحج من البلاد يحلقون رؤسهم ولحاهم عنده ويزعمون ان صنمه هو ايوب النبي صلى الله عليه وسلم وعظمت فتوح محمد بن القاسم ونظر الحجاج في النفقة على ذلك الثغر فكان ستين الف الف درهم ونظر في الخمس الذي حمل اليه فكان مائة الف الف وعشرين الف الف فقال ربحنا الضعف وهو ستون الف الف وادركنا ثارنا ورأس ذاهر ولما مات الحجاج سنة خمس وتسعين كان محمد بن القاسم بالملتان فأتاه خبر وفاته فرجع الى الرور والبغرور وكان قد فتحهما فأعطى الناس ووجه الى البيلمان جيشا فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة ثم أتى محمد الكيرج فخرج اليه دوهر فقاتله فانهزم دوهر وقيل بل قتل ونزل اهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبى ومات الوليد بن عبد الملك وولى اخوه سليمان فعزل محمد بن القاسم عن السند وولاها يزيد بن ابي كبشة السكسكي فاخذ محمدا وقيده وحمله الى العراق وبكا اهل السند على محمد فلما وصل الى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط فعذبه صالح ثم قتله وكان الحجاج قتل آدم اخا صالح وكان يرى رأي الخوارج ومات يزيد بن ابي كبشة بعد قدومه ارض السند بثمانية عشر يوما واستعمل سليمان بن عبد الملك على السند حبيب بن المهلب فقدمها وقد رجع ملوك السند الى ممالكهم وغلبوا عليها فنزل حبيب على شاطئ مهران فاعطاه اهل الرور الطاعة وحارب قوما فظفر بهم ثم مات سليمان واستخلف عمر بن عبد العزيز فكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام والطاعة على ان يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فاسلم جيشبة بن ذاهر والملوك وتسموا باسماء العرب وكان عمرو ابن مسلم الباهلي عامل عمر بن عبد العزيز على ذلك الثغر

﴿ ذكر غزو الهند وفتحه ﴾

لما كان عمرو بن مسلم الباهلي عاملا لعمر بن عبد العزيز على السند غزا بعض الهند فظفر ثم ان الجنيد ابن عبد الرحمن المري ولي السند ايام هشام بن عبد الملك فاتى الجنيد شط مهران فمنعه جيشبة

ابن ذاهر العبور وارسل اليه اني قد اسلمت وولاني الرجل الصالح بلادي ولست آمنك فاعطاه رهنا واخذ منه رهنا عـلى خراج بلاده ثم ترادوا وكفر جيشبه وحارب وقيل انه لم يحارب ولكن الجنيد تجنى عليه فأتى الهند فجمع جموعا واعد السفن واستعد للحرب فسار اليه الجنيد بالسفن فالتقوا في بطيحة فاخذ جيشبة اسيرا فقتله وهرب صصة بن ذاهر وهو يريد أن يمضي الى العراق ويشكو غدر الجنيد فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده في يده فقتله وكان ذلك سنة سبع ومائة وغزا الجنيد الكيرج من آخر الهنـد وكانوا قد نقضوا فاتخذ كباشا وصك بها سور المدينة والكباش آلة من خشب وحديد يجرونها بنوع من الحيل فتدق الحائط فينهدم فلما صك السور بالكباش ثلمه فدخلها فقتل وسبى ووجه العمال الى المرمد والمندل ودهنج وبروج وبعث جيشا الى ازين فاغاروا عليها وحرقوا ربضها وفتح البيلمان وحصل عنده سوى ما حمل اربعون الف الف وحمل مثلها وولي الجنيد الهنـد تميم بن زيد القيني فضعف ووهن ثم مات وفي ايامه خرج المسلمون عن بلاد الهند ورفضوا مراكزهم ثم ولي الحكم بن عوام الكلبي وقد كفر اهل الهند الا اهل قصة فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى للمسلمين وكان معه عمر بن محمد ابن القاسم الثقفي وكان يفوض اليه عظيم الامور فأغزاه من المحفوظة فلما قدم عليه وقد ظفر امره فبنى مدينة سماها المنصورة فهي التي ينزلها الامراء واستخلص ما كان قد غلب عليه العدو ورضي الناس بولايتـه ثم قتـل الحكم وكان العمال يقاتلـون العدو فكانوا يفتحون ناحية ويأخـذون ما تيسر لهم لضعف الـدولة الأموية بعد ذلك الى ان جاءت الدولة العباسية

﴿ ذكر فتوحات موسى بن نصير بأفريقية ﴾

في سنة تسع وثمانين استعمل الوليد على افريقية موسى بن نصير فوصل الى افريقية وكان البربر قد طمعوا في البلاد وبلغه ان باطراف البلاد قوما خارجين عن الطاعة فوجه اليهم ابنه عبد الله فقاتلهم فظفر بهم وسبى منهم الف رأس وسير ابنه ايضا في البحر الى جزيرة ميورقة فنهبها وغنم منها ما لا يحصى وعاد سالما فوجه ابنه هرون الى طائفة اخرى فظفر بهم وسبى منهم نحو ذلك وتوجه هو بنفسه الى طائفة اخرى فغنم نحو ذلك وبلغ الخمس ستين الف رأس من السبي ولم يذكر احد انه سمع بسبي اعظم من هذا ثم ان افريقية قحطت واشتد بها الغلاء فاستسقى بالناس وخطبهم ولم يذكر الوليد فقيل له في ذلك فقال هذا مقام لا يدعى فيه لأحد ولا يذكر الا الله عز وجل فسقي الناس ورخصت الاسعار ثم خرج غازيا الى طنجة يريد من بقي من البربر وقد هربوا خوفا منه فتبعهم وقتلهم قتلا ذريعا حتى بلغ السوس الأدنى لا يدافعه احد فاستأمن البربر اليه واطاعوه واستعمل على طنجة مولاه طارق بن زياد وجعل معه جيشا كثيفا جلهم البربر وجعل معهم من يعلمهم القرآن والفرائض وعاد الى افريقية فرّ بقلعة مجانة فتحصن اهلها منه وترك عليها من يحاصرها حتى فتحت وحينئذ لم يبق له في افريقية من ينازعه وقيل كانت ولاية موسى سنة ثمان وسبعين استعمله عليها عبد العزيز بن مروان وهو حينئذ على مصر لاخيه عبد الملك وفي هذه السنة اعني تسعا وثمانين غزا مسلمة بن عبـد الملك الترك من ناحيـة اذربيجان ففتح حصونا ومدائن هناك وغزا مسلمة ايضا ارض الروم سنة تسعين ففتح حصونا خمسة وغزا العباس بن الوليد حتى بلغ اردن

ذكر

يكون الكباش آلة من خشب
وحديد فتهد الحائط

﴿ ذكر غزو قتيبة بن مسلم شومان وكس ونسف ﴾

في سنة احدى وتسعين سار قتيبة الى شومان فحصرها وكان سبب ذلك ان ملكها طرد عامل قتيبة من عنده فأرسل اليه قتيبة رسولين احدهما من العرب اسمه عياش والآخر من اهل خراسان يدعوان ملك شومان ان يؤدي ما كان صالح عليه مقدما على شومان فخرج اهلها اليهما فرموهما فانصرف الخراساني وقاتلهم عياش فقتلوه ووجدوا به ستين جراحة ولما قتله قتيبة فسار اليهم بنفسه فلما اتاها ارسل اخاه صالح بن مسلم الى ملكها وكان صديقا له يأمره بالطاعة ويضمن له رضا قتيبة ان رجع الى الصلح فابى وقال لرسول صالح اتخوفني من قتيبة وانا امنع الملوك حصنا فاتاه قتيبة وقد تحصن ببلده فوضع عليه المجانيق ورمى الحصن فهشمه وقتل رجل في مجلس الملك بحجر فلما خاف ان يظهر عليه قتيبة جمع ما كان بالحصن من مال وجوهر ورمى به في بئر بالقلعة لا يدرك قعرها ثم فتح القلعة وخرج اليهم فقاتلهم حتى قتل واخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم سار الى كش ونسف ففتحهما وامتنعت عليه فارياب فاحرقها فسميت المحترقة وسير من كش ونسف اخاه عبد الرحمن الى الصغد وكان ملكها طرخون فقبض عبد الرحمن من طرخون ما كان صالحه عليه قتيبة ودفع اليه رهنا كان معه ورجع الى قتيبة ببخارا وكان قد سار اليها من كش ونسف فرجعوا الى مرو ولما كان قتيبة ببخارا غلام الملك بخارا خداه وكان غلاما حدثا وقتل من يخاف ان يضاده وقيل ان قتيبة سار بنفسه الى الصغد فلما رجع عنهم قال الصغد لطرخون انك رضيت بالذل واستطبت الجزية وانت شيخ كبير لا حاجة لنا فيك فحبسوه وولوا غورك فقتل طرخون نفسه وفي هذه السنة غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة وفيها عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وارمينية واستعمل عليها اخاه مسلمة بن عبد الملك فغزا مسلمة الترك من ناحية اذربيجان حتى بلغ الباب وفتح مدائن وحصونا ونصب عليها المجانيق وغزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم في سنة ثنتين وتسعين ففتح حصونا ثلاثة وجلا اهل سوسنة الى بلاد الروم

﴿ ذكر فتح الاندلس ﴾

في سنة ثنتين وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الاندلس في اثني عشر الفا وكانوا قبل ذلك سبعة آلاف فنزلوا جبل طارق ثم امدهم موسى بخمسة آلاف فصاروا اثني عشر الفا فلقي ملك الاندلس بعد ان جمع جيوشه في اعمال شذونة فزحف له طارق بجميع من معه وزحف الملك وكان جيشه مائة الف واتصلت الحرب ثمانية ايام ثم قتل ملكهم قتله طارق بيده وهزم الله الكفار وسار طارق متبعا لهم فادرك خلقا من المنهزمين فقاتلوه قتالا شديدا ثم انهزموا ولم يلق المسلمون بعدها حربا مثلها ولم تقف هزيمة العدو على موضع بل كانوا يسلمون له بلدا بلدا ومعقلا معقلا فتوغل في بلاد الاندلس وفتحها مدينة بعد مدينة والكلام على ذلك يطول وهو مبسوط في التواريخ واستقامت الامور هناك وعلا الاسلام واما القتلى من الكفار من اول الفتح الى آخره فشيء كثير لا يمكن احصاؤه والقتلى من المسلمين بالنسبة لذلك قليل جدا واما الغنائم من الذهب والفضة والخيل والجواهر

والآلات وبقية الاشياء فشئ كثير لايمكن حصره ولاضبطه وكانت توجد الطنفسة منسوجة بقضبان الذهب وتنظم السلسلة من الذهب باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فكان الجند اذا وجدوها لايستطيعون حملها فيأتون بالفاس فيضربون به وسطها فيأخذ احدهم نصفها والآخر النصف الآخر ومما وحد فى تلك الغنائم مائة وسبعون تاجا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر واصناف الجواهر الثمينة ووجد فيها الف سيف ملوكى مرصعة بالجواهر ووجد فيها من الدر والياقوت اكيال ومن اوانى الذهب والفضة مالايحيط به وصف ومما وجدوه مائدة سليمان عليه السلام قيل انها من منهوبات بخت نصر لما خرب بيت المقدس وقيل انها لم تكن لسليمان وانما اصلها ان العجم فى ايام ملكهم كان اهل الثروة منهم اذا مات احدهم اوصى بمال للكنايس فصاغوا من ذلك المال تلك المائدة وكانت مصوغة من الذهب وقيل من الذهب والفضة مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد لم يرالراؤن مثلها وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد كلها مكللة بالجواهر وحافاتها وارجلها منها وكان لها ثلاثمائة وستون رجلا وقيل وخمسة وستون فحملت الى الوليد ومعها ثلاثون الف رأس من السبي ومن الذهب والفضة والجواهر ونفائس الامتعة مالايقدر قدره وكان ابتداء القتال والفتح لليلتين بقيتا من رمضان سنة ثنتين وتسعين والتحق موسى بن نصير بمولاه طارق بن زياد فى رمضان سنة ثلاث وتسعين ومعه ثمانية عشر الفا وتوغلا فى الاندلس الى ان وصلوا الى بلاد الافرنج فنمى الخبر الى الوليد بن عبد الملك واشتد قلقه على المسلمين فبعث اليهم يأمرهم بالرجوع قيل انهما انتهوا الى مفازة كبيرة وارض سهلة ذات آثار فاصابوا فيها صنما عظيما قائما كالسارية مكتوبا فيه بالنقر كتابة عربية قرئت فاذا فيها يابنى اسماعيل انتهيتم فارجعوا وان سألتم الى ماذا ترجعون اخبرتكم انكم ترجعون الى الاختلاف فيما بينكم حتى يضرب بعضكم اعناق بعض وقد فعلتم فرجعوا سنة خمس وتسعين وولى موسى على افريقية ابنه عبد الله وعلى الاندلس ابنه عبد العزيز وعلى طنجة ابنه عبد الملك فصار جميع الاندلس والمغرب بين اولاده ورجع هو ومولاه طارق قيل كان رجوعهم قبل وفاة الوليد وقيل بل كان بعد موت الوليد وولاية سليمان وقيل قدموا والوليد مريض مرض الموت ثم اتسع امر المسلمين بالاندلس وصار لهم ملك ضخم ثم استولى عليها النصارى شيأ فشيأ الى سنة تسعمائة واربعة فاستولوا عليها جميعها وبقى قليل من المسلمين لاناصر لهم قاموا فى بعض الجبال على النصارى ثم تقووا عليهم واخرجوهم وكان آخرهم خروجا سنة الف وعشرة واسأل الله ان يهيئ للاسلام من ينصره حتى يسترجع مااستولى عليه الكفار

﴿ ذكر غرق المسلمين الذين حصل منهم غلول فى غنائم الاندلس ﴾

لما فتح موسى بلاد الاندلس سير طائفة من عسكره فى البحر الى جزيرة سردانية وهى فى بحر الروم من اكبر الجزائر كثيرة الفواكه فدخلها المسلمون وعمد النصارى الى مالهم من آنية ذهب وفضة فالقوا الجميع فى الميناء التى لهم وجعلوا اموالهم فى سقف بنوه للبيعة العظمى التى لهم تحت السقف الاول وغنم المسلمون فيها مالايحد ولايوصف واكثروا الغلول

فاتفق

فاتفق ان رجلا اغتسل في الميناء فعلقت رجله في شيء فاخرجه فاذا صحيفة من فضة فأخذ المسلمون جميع ما في الميناء ثم دخل رجل من المسلمين الى تلك الكنيسة فنظر الى حمام في سقف الكنيسة فرماه بسهم فأخطأه ووقع في السقف وانكسر لوح فنزل منه شيء من الدنانير فخرج المسلمون جميع ما كان في السقف واخذوه وازدادوا غلولا فكان بعضهم يذبح الهرة ويرمي ما في جوفها ويملأ جلدها دنانير ويخيط عليه ويلقيها في الطريق فاذا خرج اخذها وكان يضع قائم سيفه على الجفن ويملؤه ذهبا فلما ركبوا في البحر سمعوا قائلا يقول اللهم غرقهم فغرقوا عن آخرهم فوجدوا اكثر الغرقى والدنانير على اوساطهم وفي سنة خمس وثلاثين ومائة غزا هذه الجزيرة عبد الرحمن بن حبيب الفهري وكان على الاندلس فقتل من بها قتلا ذريعا ثم صالحوه على الجزية فأخذت منهم ثم مضوا وبقيت لم يغزها احد بعده فعمرها الروم فلما كانت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة اخرج اليها المنصور بن القائم العلوي صاحب افريقية اسطولا من المهدية فغزوا جنوة ففتحوا المدينة واوقعوا باهل سردانية وسبوا فيها واحرقوا مراكب كثيرة واخربوا جنوة وغنموا ما فيها وفي سنة ست واربعمائة غزاها مجاهد العامري من الاندلس وكان صاحبها في البحر في مائة وعشرين مركبا ففتحها وقتل فاكثر وسبي النساء والذرية فسمع بذلك ملوك الروم فجمعوا اليه وساروا اليه من البر الكبير في جمع عظيم فاقتتلوا وانهزم المسلمون واخرجوا من جزيرة سردانية ولم تغز بعد ذلك

﴿ ذكر غزو سجستان ﴾

وفي سنة ثنتين وتسعين غزا قتيبة بن مسلم سجستان واراد قصد رتبيل الاعظم فلما نزل قتيبة سجستان ارسل رتبيل اليه رسلا بالصلح فقبل ذلك وانصرف واستعمل عليهم عبد ربه ابن عبد الله الليثي

﴿ ذكر صلح خوارزم شاه وفتح حام جرد ﴾

في سنة ثلاث وتسعين صالح قتيبة بن مسلم خوارزم شاه وكان سبب ذلك ان ملك خوارزم كان ضعيفا فغلبه اخوه خرزاد على أمره وكان اصغر منه وكان اذا بلغه أن عند احد ممن هو منقطع الى الملك جارية اومالا اودابة او بنتا اواختا اوامرأة جميلة ارسل اليه واخذه منه وكان لا يمتنع عليه احد ولا الملك فاذا قيل للملك قال لا اقوى به وهو مغتاظ عليه فلما طال ذلك عليه كتب الى قتيبة يدعوه الى ارضه ليسلمها له واشترط عليه ان يدفع اليه اخاه وكل من يضاده ليحكم فيهم بما يرى ولم يطلع احدا من مرازبته على ذلك فاجابه قتيبة الى ما طلب وتجهز للغزو واظهر قتيبة انه يريد الصغد وسار من مرو وجمع خوارزم شاه اجناده ودهاقينه وقال ان قتيبة يريد الصغد وليس بغازيكم فهلموا نتنعم في ربيعنا هذا فاقبلوا على الشرب والتنعم فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزارسب فقال خوارزم شاه لاصحابه ما ترون قالوا نرى ان نقاتله قال لكني لا ارى ذلك لانه قد عجز عنه من هو اقوى منا واشد شوكة ولكني اصرفه بشيء اؤديه اليه فاجابوه الى ذلك فسار خوارزم شاه ونزل بمدينة الفيل من وراء النهر وهي احصن بلاده وقتيبة لم يعبر النهر فارسل اليه خوارزم شاه فصالحه على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع

وعلى ان يعينه على حام جرد فقبل قتيبة ذلك وقبل صالحه على مائة الف رأس ثم بعث قتيبة
اخاه عبد الرحمن الى حام جرد وكان احد اعداء خوارزمشاه وكان يغازي خوارزمشاه فقاتله
فقتله عبد الرحمن وغلب على ارضه وقدم منهم باربعة آلاف أسير فقتلهم قتيبة وسلم قتيبة
الى خوارزمشاه اخاه ومن كان يخالفه فقتلهم ودفع اموالهم الى قتيبة

﴿ ذكر فتح سمرقند ﴾

لما قبض قتيبة صلح خوارزمشاه قام اليه المجشر بن مزاحم السلمي فقال له سرا ان اردت الصغد
يوما من الدهر فالآن فانهم آمنون من أن يأتيهم عامل واغاينك و بينهم عشرة ايام فقال اشار
عليك بهذا احد قال لا قال فسمعه منك احد قال لا قال والله لئن تكلم به احد لاضربن عنقك
فلما كان الغد امر اخاه عبد الرحمن فسار في الفرسان والرماة وقدم الاثقال الى مرو فسار يومه
فلما امسى كتب اليه قتيبة اذا اصبحت فوجه الاثقال الى مرو وسر بالفرسان والرماة الى الصغد
واكتم الاخبار فاني في الاثر ففعل عبد الرحمن ما امره وخطب قتيبة الناس وقال لهم ان
الصغد شاغرة برجلها وقد نقضوا العهد الذي بيننا وصنعوا ما بلغكم واني ارجو ان تكون
خوارزم والصغد كقريظة والنضير ثم سار فاتى الصغد فبلغها بعد عبد الرحمن بثلاث او اربع
فحصرهم بسمرقند شهرا واستجاشوا ملك الشاش واخشاذ خاقان وفرغانة وكتبوا لهم
ان العرب ان ظفروا بنا أتوكم بمثل ما اتونا به فانظروا لانفسكم ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها
فنظروا وقالوا انما نؤتى من سفلتنا فانهم لا يجدون كجدنا فانتخبوا اهل النجدة من ابناء الملوك
والمرازبة والاساورة والابطال وولوا عليهم ابن خاقان وامروهم ان يأتوا عسكر قتيبة فيبيتوه فانه
مشغول بحصار سمرقند فساروا وبلغ قتيبة الخبر فانتخب من عسكره ستمائة فارس من الشجعان وبعث
بهم اخاه صالح بن مسلم وأمرهم بالمسير الى عدوهم فساروا فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق
القوم فجعل صالح له كمينين فلما مضى نصف الليل جاءهم عدوهم فلما رأوا صالحا حملوا عليه
فلما اقتتلوا شد الكمينان عن يمين وشمال فلم ير قوم كانوا أشد من أولئك قال بعض اصحاب
صالح انا لنقاتلهم في الليل اذ رأيت قتيبة وقد جاء سرا فضربت ضربة اعجبتني فقلت
كيف ترى بأبي وامي قال اسكت فض الله فاك ثم قاتلوهم اشد القتال فهزموهم وقتلوهم
وقتلوا ابن خاقان ولم يفلت منهم الا الشريد وحوينا اسلابهم وسلاحهم واحتززنا رؤسهم
وأسرنا منهم أسرى فسألناهم عمن قتلنا فقالوا ما قتلتم الا ابن ملك او عظيما او بطلا كان الرجل
منهم يعد بمائة رجل وكتبنا اسماءهم على آذانهم ثم دخلنا العسكر حين اصبحنا فلم يأت احد بمثل
ما جئنا به من القتلى والاسرى والخيل ومناطق الذهب والسلاح قال واكرمني قتيبة
واكرم معي جماعة وظننت انه رأى منهم مثل الذي رأى مني ولما رأى اهل الصغد ذلك خافوا
خوفا شديدا ونصب قتيبة عليهم المجانيق فرماهم بها وثلم ثلمة فقام عليها رجل فشتم قتيبة
فرماه بعض الرماة فقتله فاعطاه قتيبة عشرة آلاف وسمع بعض المسلمين قتيبة وهو يقول
كأنه يناجي نفسه حتى متى يا سمرقند يعشش فيك الشيطان اما والله لئن اصبحت لأحاولن من اهلك
اقصى غاية فانصرف ذلك الرجل فقال لاصحابه كم من نفس تموت غدا واخبر الخبر فلما اصبح

قتيبة أمر الناس بالجد في القتال فقاتلوهم واشتد القتال وأمرهم قتيبة ان يبلغوا ثلمة السور فجعلوا الترسة على وجوههم وحملوا فبلغوها ووقفوا عليها ورماهم الصغد بالنشاب فلم يبرحوا فأرسل الصغد الى قتيبة فقالوا انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غدا فقال قتيبة لا نصالحهم الا ورجالنا على الثلمة فصالحوه والرجال على الثلمة على الف الف ومائتي الف مثقال في كل عام وان يعطوه في تلك السنة ثلاثين الف رأس وان يخلوا لقتيبة مدينة سمرقند فلا يكون لهم فيها مقاتل الى ان يبني فيها مسجدا ويدخل ويصلي ويخطب ويتغدى ويخرج فلما تم الصلح واخلوا المدينة وبني المسجد دخلها قتيبة في اربعة آلاف انتخبهم ودخل المسجد وصلى فيه وخطب واكل طعاما ثم رسل الى الصغد من أراد منكم ان يأخذ متاعه فليأخذ فاني لست خارجا منها ولست آخذ منكم الا ما صالحتكم عليه غير ان الجند يقيمون فيها فأكرههم على اقامة جند فيها وقيل انه شرط عليهم ايضا بيوت النيران وحلية الاصنام فقبض ذلك واتى الاصنام فكانت كالقصر العظيم واخذ ما عليها من الحلية وأمر بها فأحرقت فجاءه غوزك فقال ان شكرك علي واجب لا تتعرض لهذه الاصنام فان منها اصناما من احرقها هلك فقال قتيبة انا احرقها بيدي فدعا بالنار فكبر ثم اشعلها فاحترقت فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين الف مثقال واصاب بالصغد جارية من ولد يزدجرد فارسلها الى الحجاج فارسلها الحجاج الى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد ولما بعث قتيبة بالفتح الى الحجاج انتقل الى مرو واستعمل على سمرقند اياس بن عبد الله ثم ان اهل خوارزم استضعفوا اياسا فجمعوا له جموعا وارادوا قتاله فوجه قتيبة جموعا الى خوارزم مع المغيرة بن عبد الله وعزل اياسا من سمرقند وولى اخاه عبد الله بن مسلم فلما قدم المغيرة على سمرقند خشى ملكهم من ابناء الذين كان قتلهم ففر الى بلاد الترك وجاء المغيرة فقتل وسبى وملك خوارزم وصالحه الباقون على الجزية

ذكر غزوة قتيبة الشاش وفرغانة

في سنة اربع وتسعين قطع قتيبة النهر وفرض على اهل بخارى وكش ونسف وخوارزم عشرين الف مقاتل فساروا معه فوجههم الى الشاش وتوجه هو الى فرغانة وأتى خجندة فجمع له اهلها جموعا واقتتلوا معه مرارا كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ثم ان قتيبة اتى كاشان مدينة فرغانة واتاه الجنود الذين وجههم الى الشاش وقد فتحوها واحرقوا أكثرها وانصرف الى مرو وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد ارض الروم ففتح انطاكية وفيها غزا عبد العزيز بن الوليد غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطي برج الحمام ويزيد بن ابي كبشة ارض سورية

ذكر غزوة الشاش

في سنة خمس وتسعين بعث الحجاج بجيش من العراق الى قتيبة فغزا بهم الشاش فلما كان بشاش او بكشماهان أتاه موت الحجاج في شوال فغمه ذلك ورجع الى مرو وتفرق الناس فأتاه كتاب الوليد قد عرف امير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك في جهاد اعداء المسلمين وامير المؤمنين رافعك صانع بك الذي يجب لك فأتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغب عن امير المؤمنين

كتبك حتى كأنى انظر الى بلائك والثغر الذى انت فيه وفى هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقلة وفيها فتح آخر الهند الا الكيرج والمندل وقد تقدم ذكر ذلك وفى هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين

﴿ ذكر فتح قتيبة مدينة كاشغر ﴾

فى سنة ست وتسعين غزا قتيبة كاشغر فسار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند فلما عبر النهر استعمل رجلا على معبر النهر ليمنع من يرجع الا بجواز منه ومضى الى فرغانة وارسل الى شعب عصام من يسهل الطريق الى كاشغر وهى ادنى مداين الصين وبعث جيشا مع كبير بن فلان الى كاشغر فغنم وسبى سبيا فختم اعناقهم واوغل حتى بلغ قريب الصين فكتب اليه ملك الصين ان ابعث الى رجلا شريفا يخبرنى عنكم وعن دينكم فانتخب قتيبة عشرة لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح فامر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشى وغير ذلك وخيول حسنة وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابى فقال لهم اذا دخلتم عليه فأعلموه أنى قد حلفت أنى لا انصرف حتى اطأ بلادهم واختم ملوكهم واجبى خراجهم فساروا وعليهم هبيرة فلما قدموا عليه دعاهم ملك الصين فلبسوا ثيابا بياضا تحتها الغلائل وتطيبوا ولبسوا النعال والاردية ودخلوا عليه وعنده عظماء قومه فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا احد ممن عنده فنهضوا فقال الملك لمن حضره كيف رأيتم هؤلاء فقالوا رأينا قوما ماهم الا نساء مابقى منا احد الا انتشر ماعنده فلما كان الغد دعاهم فلبسوا الوشى والعمائم الخز والمطارف وغدوا عليه فلما دخلوا قيل لهم ارجعوا وقال لاصحابه كيف رأيتم هذه الهيئة قالوا هذه اشبه بهيئة الرجال من تلك فلما كان اليوم الثالث دعاهم فشدوا سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر واخذوا السيوف والرماح والقسى وركبوا فنظر اليهم ملك الصين فرأى مثل الجبال فلما دنوا ركزوا رماحهم واقبلوا مشمرين فقيل لهم ارجعوا فركبوا خيولهم واخذوا رماحهم ودفعوا خيلهم كأنهم يتطاردون فقال الملك لاصحابه كيف ترونهم فقالوا ما رأينا مثل هؤلاء فلما امسى بعث اليهم أن ابعثوا الى زعيمكم فبعثوا اليه هبيرة بن مشمرج فقال له قد رأيتم عظم ملكى وانه ليس احد يمنعكم منى وانتم فى يدى بمنزلة البيضة فى كفى وانى سائلكم عن امر فان لم تصدقونى قتلتكم قال سل قال لم صنعتم بزيكم الاول اليوم الاول والثانى والثالث ماصنعتم قال اما زينا اليوم الاول فلباسنا فى اهلنا واما اليوم الثانى فزينا اذا أتينا امراءنا واما الثالث فزينا لعدونا قال ماأحسن مادبرتم دهركم فقولوا لصاحبكم ينصرف فانى قد عرفت قلة اصحابه والا بعثت عليكم من يهلككم قالوا كيف يكون قليل الاصحاب من اول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون يعنون الشام واما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فاكرمها القتل ولسنا نكرهه ولا نخافه وقد حلف اميرنا ان لا ينصرف حتى يطأ ارضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية قال فانا نخرجه من يمينه ونبعث تراب ارضنا فيطؤه ونبعث اليه ببعض ابنائنا فيختمهم ونبعث اليه بجزية يرضاها ثم بعث اليه بهدية واربعة غلمان من ابناء ملوكهم وشىء من تراب ارضهم واجاز

العشرة

العشرة الوافدين فاحسن جائزتهم فقدموا على قتيبة فقبل الجزية وختم الغلمان وردهم ووطئ التراب ووصل الخبر الى قتيبة فى هذه الغزوة بموت الوليد فرجع

﴿ ذكر مقتل قتيبة بن مسلم ﴾

كان قتيبة فحل عمال الدولة الاموية والحجاج فرعونها ومكث قتيبة على خراسان ثلاث عشرة سنة وفتح كثيرا من المداين التى كانت فتحت قبله ثم كفر اهلها وتغلبوا فقاتلهم حتى فتحها وفتح غيرها ايضا كما تقدم وفى هذه السنة اعنى سنة ست وتسعين قتل وعمره سبع واربعون سنة وسبب قتله موافقته للوليد بن عبد الملك حين اراد خلع اخيه سليمان وذلك ان عبد الملك بن مروان عهد بالخلافة لابنه الوليد ثم من بعده لاخيه سليمان فاراد الوليد ان يخلع اخاه سليمان و يبايع لابنه عبد العزيز فلم يوافقه على ذلك الا الحجاج وقتيبة بن مسلم ثم مات الحجاج ثم مات الوليد ولم يتمكن من خلع اخيه فبويع لاخيه سليمان فخاف قتيبة منه وكان سليمان بن عبد الملك صديقا ليزيد بن المهلب فخاف قتيبة ان يعزله ويولى يزيد بن المهلب فدعى الناس لخلع سليمان وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان عن رياسة بنى تميم وصيرها لضرار بن حصين الضبى فلما اراد خلع سليمان لم يوافقه وكيع و تجمع معه كثير من قومه فثار من ذلك فتنة بين المسلمين بخراسان يطول الكلام بذكرها فقتل فيها قتيبة وقتل معه من اهله اخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم ومسلم وقتل كثير اسه وكان عدة من قتل مع قتيبة من اهل بيته احد عشر رجلا ونجا عمر بن مسلم اخو قتيبة وحمل رأس قتيبة ورؤس اهل بيته الى سليمان بن عبد الملك وقام بالامر بخراسان وكيع بن حسان تسعة اشهر ولما قتل قتيبة قال رجل من اهل خراسان يا معشر العرب قتلتم قتيبة والله لو كان منا فمات لجعلناه فى تابوت فكنا نستسقى به ونستفتح به وفى هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية واستعمل ابنه داود على الصائفة فافتتح حصن المرأة وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الوضاحية ففتح الحصن الذى فتحه الوضاح صاحب الوضاحية وفيها غزا عمر بن هبيرة ارض الروم فى البحر فشتى بها

﴿ ذكر ولاية يزيد بن المهلب خراسان ﴾

كان سليمان بن عبد الملك ولى يزيد بن المهلب العراق وبعد مقتل قتيبة بتسعة اشهر ولاه خراسان فاقام عمالا له بالعراق وتوجه الى خراسان

﴿ ذكر فتح جرجان وطبرستان ﴾

فى سنة ثمان وتسعين غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان لما قدم خراسان وسبب غزوهما واهتمامه بهما انه لما كان عند سليمان بن عبد الملك بالشام كان سليمان كلما فتح قتيبة فتحا يقول ليزيد الا ترى الى ما يفتح الله على قتيبة فيقول يزيد ما فعلت جرجان التى قطعت الطريق وافسدت قومس ونيسابور ويقول هذه الفتوح ليست بشئ الشأن هى جرجان ولم تكن جرجان يومئذ مدينة انما هى جبال ومخارم وابواب يقوم الرجل على باب منها فلا

تقدم عليه احد فلما ولاه سليمان خراسان لم يكن له همة غير جرجان فسار اليها فى مائة الف من اهل الشام والعراق وخراسان سوى الموالى والمتطوعة فابتدأ بقهستان فحاصرها وكان اهلها ناسا من الترك وكان اهلها يخرجون و يقاتلون فيهزمهم المسلمون فى كل ذلك فاذا هزموا دخلوا الحصن فخرجوا ذات يوم وخرج اليهم الناس فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزموا ودخلوا الحصن ثم الح عليهم القتال وقطع عنهم المواد واشتد عليهم الحصار فطلب الصلح صول دهقان قهستان على ان يؤمنه على نفسه واهله وماله ليدفع له المدينة بما فيها فصالحه ووفى له ودخل المدينة فاخذ مما كان فيها من الاموال والكنوز والسبى ما لا يحصى وقتل اربعة عشر الف تركى صبرا وكتب الى سليمان بن عبد الملك بذلك ثم خرج حتى اتى جرجان وكان اهل جرجان قد صالحهم سعيد بن العاص وكانوا يجبون احيانا مائة الف واحيانا مائتى الف واحيانا ثلاثمائة الف وربما اعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجا ولم يأت جرجان بعد سعيد احد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك طريق خراسان احد الا على فارس وكرمان واول من صير الطريق من قومس قتيبة ابن مسلم حين ولى خراسان وبقى امر جرجان كذلك حتى ولى يزيد بن المهلب فاتاهم فاستقبلوه بالصلح وزادوه وهابوه فأجابهم الى ذلك وصالحهم فلما فتح قهستان وجرجان طمع فى طبرستان ان يفتحها فعزم على ان يسير اليها فاستعمل عبد الله بن المعمر اليشكرى على ساسان وقهستان وخلف معه اربعة آلاف ثم اقبل الى أدانى جرجان مما يلى طبرستان فاستعمل على ارزوسا راشد بن عمرو وجعله فى اربعة آلاف ودخل بلاد طبرستان فارسل اليه الاصبهبد صاحبها يسأله الصلح وان يخرج من طبرستان فابى يزيد ورجا أن يفتحها ووجه اخاه اباعيينة من وجه وابنه خالد بن يزيد من وجه واباالجهم الكلبى من وجه ومع كل منهما جيش وقال اذا اجتمعتم فابو عيينة على الناس فسار ابو عيينة واقام يزيد معسكرا واستجاش الاصبهبد اهل جيلان والديلم فأتوه فالتقوا فى سفح الجبل فانهزم المشركون فى الجبل واتبعهم المسلمون حتى انتهوا الى فم الشعب فدخل المسلمون وصعد المشركون فى الجبل واتبعهم المسلمون يرومون الصعود فرماهم العدو بالنشاب والحجارة فانهزم ابو عيينة والمسلمون يركب بعضهم بعضا يتساقطون فى الجبل حتى انتهوا الى عسكر يزيد وكف عدوهم عن اتباعهم وخافهم الاصبهبد فكاتب اهل جرجان ومقدمهم المرزبان يسألهم ان يبيتوا من عندهم من المسلمين وان يقطعوا عن يزيد المادة والطريق فيما بينه و بين بلاد الاسلام ويعدهم ان يكافئهم على ذلك فثاروا بالمسلمين فقتلوهم اجمعين وهم غارون فى ليلة وقتل عبد الله بن المعمر ومن معه فلم ينج منهم احد وكتبوا الى الاصبهبد باخذ المضايق والطرق و بلغ ذلك يزيد بن المهلب واصحابه فعظم عليهم وهالهم وفزع يزيد الى حيان النبطى وكان من رؤساء جنده ليسير الى الاصبهبد فى عمل الصلح فاتى حيان الاصبهبد فقال له انا رجل منكم وان كان الدين فرق بينى و بينكم فانا لكم ناصح فانت احب الى من يزيد بن المهلب وقد بعث يستمد وامداده منه قريبة وانما اصابوا منه طرفا ولست آمن من أن يأتيك من لا تقوم له فأرح نفسك وصالحه فان صالحته صير حده على اهل جرجان بغدرهم وقتلهم أصحابه فصالحه على سبعمائة الف واربعمائة وقر زعفران اوقيمته

من العين واربعمائة رجل على كل رجل منهم ترس وطيلسان ومع كل رجل جام من فضة وخرقة حرير وكسوة ثم رجع حيان الى يزيد بن المهلب فقال ابعث من يحمل صلحهم فقال من عندهم او من عندنا فقال من عندهم وكان يزيد قد طابت نفسه ان يعطيهم ماسألوا ويرجع الى جرجان فارسل يزيد من يقبض ما صالحهم عليه حيان وانصرف الى جرجان

﴿ ذكر فتح جرجان الفتح الثانى ﴾

قد تقدم ذكر فتح قهستان وجرجان ثم غدر اهله باصحاب يزيد بن المهلب فلما صالح يزيد اصبهبذ طبرستان سار الى جرجان وعاهد الله لئن ظفر بهم لا يرفع السيف حتى يطحن بسائل دمائهم ويأكل من ذلك الطحين فاتاها وحصر اهلها بحصن نحاة سبعة اشهر وهم يخرجون اليه فى الايام فيقاتلون ويرجعون وكانوا ممتنعين فى الجبل والاوعار فبيناهم كذلك اذ ظفروا برجل يعرف الطرق فضمن له يزيد دية ان دلهم على الحصن وطرقه ومسالكه فانتخب معه يزيد ثلاثمائة رجل واستعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد وقال يزيد للرجل متى تصلون قال غدا العصر فساروا فلما كان الغد وقت الظهر احرق يزيد كل حطب عنده حتى اضطرمت النيران ونظر العدو الى النار فهالهم ذلك فهجم خالد بن يزيد ومن معه عليهم قبل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه وسار يزيد بمن معه يقاتلهم من جهة اخرى فما شعروا الا بالتكبير من ورائهم فانقطعوا اجمعا الى حصنهم وركبهم المسلمون فاعطوا بايديهم ونزلوا على حكم يزيد فسبى ذراريهم وقتل مقاتلتهم وصلبهم فرسخين الى يمين الطريق ويساره قيل ان الذين قتلهم اربعون الفا فلذلك كان عمر بن عبد العزيز يسمى يزيد بن المهلب جبارا واجرى الماء على الدم وعليه ارحا ليطحن بدمائهم ليبر يمينه فطحن وخبز واكل وبنى مدينة جرجان ولم تكن بنيت قبل ذلك مدينة ورجع الى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفى وكتب بالفتح الى سليمان واخبره انه قد حصل من الخمس ستمائة الف الف فقال له كاتبه المغيرة بن ابى قرة مولى بنى سدوس لا تكتب تسمية المال فانك من ذلك بين امرين اما استكثره فامرك بحمله واما سمحت نفسه لك به فاعطاكه فتتكلف الهدية فلا يأتيه من قبلك شئ الا استقله فكأنى بك قد استغرقت ما سميت ولم يقع منه موقعا ويبقى المال الذى سميت مخلدا فى دواوينهم فان ولى وال بعده اخذك به وان ولى من يتحامل عليك لم يرض باضعافه ولكن اكتب فسله القدوم وشافهه بما احببت فهو اسلم فلم يقبل منه وامضى الكتاب فكان الامر كما قال كاتبه فان عمر بن عبد العزيز لما ولى بعد سليمان طالبه بذلك المال سنة تسع وتسعين وعزله وقيده وحبسه ثم هرب من السجن فى مدة مرض عمر بن عبد العزيز ثم لما بويع يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز طلب يزيد بن المهلب فجمع جموعا وقاتل يزيد بن عبد الملك بعد ان خلعه وبايع الناس لنفسه وكانت جموع يزيد بن المهلب نحو مائة الف وآخر الامر قتل هو وكثير من اخوته واهل بيته وذلك سنة اثنتين ومائة وقصة ذلك طويلة مذكورة فى التواريخ قيل ان يزيد بن المهلب اصاب فى غنائم جرجان تاجا فيه جوهر فقال لاصحابه اترون احدا يزهد فى هذا قالوا لا فدعا محمد بن واسع الازدى فقال خذ هذا التاج قال لا حاجة لى فيه قال عزمت عليك فاخذه فامر يزيد رجلا ينظر ما يصنع به فلقى سائلا فدفعه اليه

فاخذ الرجل السائل فأتى به يزيد فاخبره فاخذ يزيد التاج وعوض السائل مالا كثيرا

ذكر محاصرة القسطنطينية

وفى هذه السنة اعنى سنة ثمان وتسعين سار سليمان بن عبد الملك الى دابق وجهز جيشا مع اخيه مسلمة بن عبد الملك ليسير الى القسطنطينية وسبب ذلك انه مات ملك الروم فأتى اليون من اذربيجان لسليمان بن عبد الملك فاخبره بموته وضمن له فتح الروم فوجه ذلك الجيش مع اخيه مسلمة فسار الى القسطنطينية فلما دنا منها امر كل فارس ان يحمل معه مدين من طعام على عجز فرسه الى القسطنطينية ففعلوا فلما اتاها امر بالطعام فالقى امثال الجبال وقال للمسلمين لا تأكلوا منه شيأ واغيروا فى ارضهم وازرعوا وعمل بيوتا من خشب فشتى فيها وصاف وزرع الناس و بقى الطعام فى الصحراء والناس يأكلون ما اصابوا من الغارات والزرع و اقام مسلمة قاهرا للروم معه اعيان الناس فارسل الروم الى مسلمة يعطونه عن كل رأس دينارا فلم يقبل فقالت الروم لاليون ان صرفت عنا المسلمين ملكناك فاستوثق منهم فأتى مسلمة فقال له ان الروم قد علموا انك لاتصدقهم القتال وانك تطاولهم مادام الطعام عندك فلو احرقته اعطوا الطاعة بأيديهم فامر به فاحرق فقوى الروم واصابوا المسلمين حتى كادوا يهلكون و بقوا على ذلك حتى مات سليمان سنة تسع وتسعين وقيل انما خدع اليون مسلمة بان سأله ان يدخل من الطعام الى الروم بمقدار مايعيشون به ليلة واحدة ليصدقوا ان امر مسلمة وامره واحد وانهم فى امان من السبي والخروج من بلادهم فاذن له وكان اليون قد اعد السفن والرجال فنقلوا تلك الليلة الطعام فلم يتركوا فى تلك الحظائر الا ما لايذكر واصبح اليون محاربا وقد خدع مسلمة خديعة لو كانت لامرأة لعيبت بها ولقى الجند مالم يلقه جيش آخر حتى ان الرجل كان يخاف ان يخرج من العسكر وحده واكلوا الدواب والجلود واصول الشجر والورق وكل شئ غير التراب وسليمان مقيم بدابق ودخل الشتاء فلم يقدر ان يمدهم حتى مات فلما بويع عمر بن عبد العزيز بعده بعث الى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول منها بمن معه من المسلمين ووجه له خيلا عتاقا وطعاما كثيرا وحث الناس على معونتهم فرجعوا سنة تسع وتسعين وفى سنة مائة واحدى توفى محمد بن مروان وتوفى عمر بن عبد العزيز فبويع ليزيد بن عبد الملك وكان فى مدته الحرب المتقدم ذكره بينه و بين يزيد بن المهلب

ذكر غزوة الترك

فى سنة اثنتين بعد قتل يزيد بن المهلب استعمل يزيد بن عبد الملك على العراق وخراسان اخاه مسلمة بن عبد الملك فاستعمل مسلمة على خراسان سعيد الملقب خذينة ومعناه الدهقانة ربة البيت لانه كان رجلا لينا متنعما وهو سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن ابى العاص لجده الحارث اخو مروان بن الحكم فاستضعفه الناس وسموه خذينة فطمعت الترك لجمعهم خاقان ووجههم الى الصغد وعلى الترك صول فاقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلى محاصرين لمن فيه من المسلمين وفيه اهل مائة بيت من المسلمين بذراريهم وكان على سمرقند

عثمان

عثمان بن عبدالله بن مطرف بن الشخير استعمله سعيد خذينة فكتبوا اليه يستمدونه وخافوا ان يبطئ عليهم المدد فصالحوا الترك على اربعين الفا واعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة وندب عثمان الناس فانتدب اربعة آلاف مع المسيب بن بشر الرياحي من سائر القبائل فقال لهم المسيب من اراد الغزو والصبر على الموت فليتقدم فرجع عنه الف وقال ذلك ايضا بعد فرسخ فرجع الف آخر ثم اعادها ثالثة بعد فرسخ فاعتزله الف فلما كان على فرسخين من العدو اخبره بعض الدهاقين بأن القوم اتاهم ملك الترك وبايعه كل الدهاقين غيري وانا في ثلاثمائة مقاتل فهم معكم وعندي الخبر قد كانوا صالحوهم واعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة فلما بلغهم مسيركم اليهم قتلوا الرهائن وميعادهم ان يقاتلوا غدا ويفتحوا لهم القصر يعني قصر الباهلي الذي فيه اهل مائة بيت فبعث المسيب الى القصر المذكور رجلين عجميا وعربيا يأتيانه بالخبر فجاؤا في ليلة مظلمة وقد اجرت الترك الماء بدائر القصر لئلا يصل اليه احد ودنوا من القصر فصاح بهما الربيئة فقالا له اسكت وادع لنا فلانا من المسلمين الذين في القصر فدعاه فأعلماه قرب العسكر وسألاه هل عندكم امتناع غدا فقال لهما نحن مستميتون وقد اجمعنا على تقديم نسائنا للموت امامنا حتى نموت جميعا غدا فرجعا الى المسيب فاخبراه فقال لمن معه اني سائر الى هذا العدو المحاصرين للقصر فمن احب ان يذهب فليذهب فلم يفارقه احد وبايعوه على الموت فاصبح وسار وقد ازداد القصر تحصينا بالماء الذي اجراه الترك فلما كان بينه وبين الموضع الذي فيه الترك نصف فرسخ نزل وكان قد اجمع على بياتهم فلما امسى امر اصحابه بالصبر وحثهم عليه وقال ليكن شعاركم يامحمد ولا تتبعوا موليا وعليكم بالدواب التي لهم فاعقروها فانها اذا عقرت كانت اشد عليهم منكم وليست بكم قلة فان سبعمائة سيف لايضرب بها في عسكر الا اوهنوه وان كثر اهله فلما دنوا منهم كبروا وذلك في السحر وثار الترك وخالطهم المسلمون فعقروا الدواب وترجل المسيب في رجال معه فقاتلوا قتالا شديدا واقتطعت يمين رجل من المسلمين فاخذ السيف بشماله فقطعت فجعل يذب بيديه حتى استشهد وقتلوا كثيرا منهم وعظيما من عظمائهم فانهزمت الترك ونادى منادي المسيب لا تتبعوهم واقصدوا القصر لاطلاق من فيه واحملوا من فيه ولا تحملوا من متاعهم الا الماء ومن حمل امرأة اوصبيا اورجلا ضعيفا لايقدر على المشي حسبة فأجره على الله ومن ابى فله اربعون درهما وان كان في القصر احد من اهل عهدكم فاحملوه فأتوا القصر وحملوا من فيه واخرجوهم ثم ساروا الى سمرقند ورجعت الترك من الغد ولم يروا في القصر احدا ورأوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذين جاؤنا بالامس من الانس قال بعض من كان بالقصر لما التقوا ظننا ان القيامة قد قامت لما سمعنا من هماهم القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل وفي هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية ارمينية وهو على الجزيرة قبل ان يلي العراق فهزمهم واسر منهم خلقا كثيرا وقتل سبعمائة اسير وفيها غزا عباس بن الوليد بن عبدالملك الروم فافتتح دلسة

﴿ ذكر غزوة الصغد ﴾

وفي هذه السنة عبر سعيد خذينة النهر وغزا الصغد وقد كانوا نقضوا العهد واعانوا الترك على

المسلمين فقال الناس لسعيد انك قد تركت الغزو وقد اغار الترك وأعانهم اهل الصغد فقطع النهر وقصد الصغد فلقيه الترك وطائفة من الصغد فهزمهم المسلمون فقال سعيد لا تتبعوهم وقال هم جباية امير المؤمنين يعني يأخذ منهم المال ففي استئصالهم ضياع له وفي رواية قال هم بستان امير المؤمنين وقد هزمتموهم افتريدون بوارهم وقد قاتلتم يا اهل العراق الخلفاء غير مرة فهل اباد وكم فانكفوا عنهم ثم سار المسلمون الى واد بينهم وبين المرج فقطعه بعض العسكر وقد اكمن لهم الترك فخرجوا عليهم وانهزم المسلمون الى الوادي ثم تلاحق المسلمون وجاء الامير والناس فانهزم العدو وكان سعيد اذا بعث سرية فاصابوا وغنموا وسبوا رد السبي وعاقب السرية فثقل سعيد على الناس وضعفوه وسعوا في عزله فعزل سنة ثلاث ومائة وولي مكانه سعيد الحرشي بالحاء المهملة والشين المعجمة من بني الحريش بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة ينتهي الى قيس بن عيلان بن مضر وفي سنة ثلاث ومائة غزا العباس ابن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها دسلة

﴿ ذكر الوقعة بين الحرشي والصغد ﴾

لما قدم الحرشي خراسان كان الناس بازاء العدو وقد كبوا فخطبهم وحث الناس على الجهاد وقال انكم لا تقاتلون بكثرة ولا بعدة ولكن بنصر الله وعز الاسلام فقولوا لا حول ولا قوة الا بالله ولما سمع اهل الصغد بقدوم الحرشي خافوا على نفوسهم لانهم كانوا قد اعانوا الترك على اصحاب خذينة فاجمع عظماؤهم على الخروج من بلادهم فقال لهم ملكهم لا تفعلوا واقيموا واحملوا اليه خراج ما مضى واضمنوا له خراج ما يأتي وعمارة الارض والغزو معه ان اراد ذلك واعتذروا مما كان منكم واعطوه رهائن قالوا نخاف ان لا يرضى ولا يقبل ذلك منا ولكن نأتي خجندة فنستجير ملكها ونرسل الى الامير فنسأله الصفح عما كان منا ونوثق انه لا يرى امراً يكرهه فقال لهم ملكهم انا رجل منكم والذي اشرت به عليكم خير لكم فأبوا وخرجوا الى خجندة وارسلوا الى ملك فرغانة يسألونه ان يمنعهم ويزلهم مدينته فاراد ان يفعل فقالت امه لا يدخل هؤلاء الشياطين مدينتك ولكن فرغ لهم رستاقا يكونون فيه فأرسل اليهم سموا رستاقا تكونون فيه حتى افرغه لكم واجلوني اربعين يوما وقيل عشرين يوما فاختاروا شعب عصام ابن عبد الله الباهلي وكان قتيبة قد خلفهم فيه فقال نعم ولا انا على عقد وجوار حتى تدخلوه وان اتتكم غربة قبل ان تدخلوه ليس لكم علي جوار فرضوا ففرغ لهم الشعب فجاء الخبر الى الحرشي فغزاهم وعاجلهم قبل ان يدخلوا شعب عصام وخرج اهل الصغد للقتال فانهزموا وقد كانوا حفروا خندقا وغطوه بالتراب ليسقط فيه المسلمون عند القتال فلما انهزموا اخطأهم الطريق واسقطهم الله في ذلك الخندق ثم حاصرهم الحرشي ونصب عليهم المجانيق فارسلوا الى ملك فرغانة ليجيرهم فقال قد شرطت عليكم ان لا جوار قبل الاجل الذي بيني وبينكم فطلبوا الصلح من الحرشي على ان يردوا ما في ايديهم من سبي العرب ويعطوا ما كسر من الخراج ولا يتخلف احد منهم بخجندة ولا يغتالوا احدا فان احدثوا حدثا استبيحت دماؤهم فقبل منهم وخرجوا من خجندة ونزلوا في العسكر وبلغ الحرشي انهم قتلوا امرأة ممن كان في ايديهم

من المسلمين فقتل الذي قتلها فخاف منه بعض عظمائهم ان يقتله فنقض وخرج واعترض الناس
ومعه جماعة منهم فقتل ناسا وتضعضع العسكر ولقوا منه شرا وانتهى الى ثابت بن عثمان بن مسعود
فقتله ثابت وقتل الصغد اسرى عندهم من المسلمين مائة وخمسين رجلا فاخبر الحرشي بذلك فامر
بقتلهم وعزل التجار عنهم فقاتلهم الصغد بالخشب ولم يكن لهم سلاح فقتلوا عن آخرهم
وكانوا ثلاثة آلاف وقيل سبعة آلاف وغنم اموال الصغد وذراريهم واخذ منها ما اعجبه ثم بعث
الى يزيد بن عبد الملك بالفتح وسرح الحرشي سرية الى حصن يطيف به وادي الصغد فلقوه
على فرسخ وقاتلوا ثم انهزموا ودخلوا الحصن فحصروا فيه فطلبوا الصلح على ان لا يعرض
لنسائهم وذراريهم ويسلموا القلعة فقيل لهم ذلك وبعث امناء له يقبضون ما في القلعة فقبضوه
وباعوه وقسموه وسار الحرشي الى كش فصالحوه على عشرة آلاف رأس وولي نصر بن سيارة قبض
صلح كش وكان في نفس حرث منيعة فوجه اليها المسربل بن الخريت وكان صديقا لملكها فاتاه
واخبره بصنيع الحرشي باهل خجندة وخوفه قال فما ترى قال ارى ان تنزل بامان قال فما اصنع
بمن لحق بي قال نجعلهم في امانك فصالحهم فامنوه وبلاده ورجع الحرشي الى بلاده ومعه ابنه
فقتله وصلبه ومعه الامان وكانت هذه الوقعة سنة اربع ومائة وفيها عزل الحرشي عن خراسان
ووليها مسلم بن سعيد الكلابي

﴿ ذكر دخول المسلمين بلاد الخزر وهزيمتهم ﴾

في هذه السنة دخل جيش للمسلمين بلاد الخزر من ارمينية وعليهم ثبيت النهراني فاجتمعت الخزر
وهم التركمان في جمع كثير واعانهم قفجاق وغيرهم من انواع الترك ولقوا المسلمين في مكان يعرف
بمرج الحجارة فاقتتلوا هناك قتالا شديدا وقتل كثير من المسلمين واحتوت الخزر على عسكرهم
وغنموا جميع ما فيه واقبل المنهزمون الى الشام وقدموا على يزيد بن عبد الملك وفيهم ثبيت
فوبخهم يزيد على الهزيمة فقال ثبيت يا امير المؤمنين ما جبنت ولا نكبت عن لقاء العدو ولقد
لصقت الخيل بالخيل والرجل بالرجل ولقد طاعنت حتى انقصف رمحي وضاربت حتى
انقطع سيفي غير ان الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد

﴿ ذكر غزوة اخرى على الخزر ﴾

ولما تمت الهزيمة المذكورة على المسلمين طمع الخزر في البلاد فجمعوا وحشدوا فولى يزيد
على ارمينية الجراح بن عبد الله الحكمي وامده بجيش كثيف فسار لغزو الخزر
فتسامعوا به فعادوا حتى نزلوا بالباب والابواب ونزل الجراح الى بردعة فاقام بها حتى استراح
هو ومن معه وسار نحو الخزر فعبر نهر الكر فسمع بان بعض من معه من اهل تلك الجبال قد كاتب
ملك الخزر يخبره بمسير الجراح اليه فحينئذ امر الجراح مناديه فنادى في الناس ان الامير مقيم
ههنا عدة ايام فاستكثروا من الميرة فكتب ذلك الرجل الى ملك الخزر يخبره ان الجراح مقيم
ويشير عليه بترك الحركة فلما كان الليل امر الجراح بالرحيل فسار مجدا حتى انتهى الى مدينة
الباب والابواب فلم ير الخزر فدخل البلد وبث السرايا للنهب والغارة على ما يجاوره فغنموا
وعادوا من الغد وسار الخزر اليه وعليهم ابن ملكهم فالتقوا عند نهر الران واقتتلوا شديدا

فظفروا بالخزر وهزموهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون جميع مامعهم وساروا حتى نزلوا على حصن يعرف بالحصين فنزل اهله بالامان على مال يحملونه فاجابهم ونقلهم عنها ثم سار الى مدينة يرغوا فاقام عليها ستة ايام وهو مجد فى قتالهم فطلبوا الامان فامنهم وتسلم حصنهم ونقلهم منه

﴿ ذكر فتح بلنجر ﴾

ثم سار الجراح الى بلنجر وهو حصن مشهور من حصونهم فنازله وكان اهل الحصن قد جمعوا ثلاثمائة عجلة فشدوا بعضها الى بعض وجعلوها حول حصنهم ليحتموا بها وتمنع المسلمين من الوصول الى الحصن وكانت تلك العجل اشد شئ على المسلمين فى قتالهم فلما رأوا الضرر الذى عليهم انتدب جماعة منهم نحو ثلاثين رجلا وتعاهدوا على الموت وكسروا جفون سيوفهم وحملوا حملة رجل واحد وتقدموا نحو العجل وجد الكفار فى قتالهم ورموا من النشاب ما كان يحجب عين الشمس فلم يرجع اولئك حتى وصلوا الى العجل وتعلقوا ببعضها وقطعوا الحبل الذى يمسكها وجذبوها فانحدرت وتبعها سائر العجل لان بعضها كان مشدودا الى بعض وانحدر الجميع الى المسلمين والتحم القتال واشتد وعظم الامر على الجميع حتى بلغت القلوب الحناجر ثم ان الخزر انهزموا واستولى المسلمون على الحصن عنوة وغنموا جميع مافيه فاصاب الفارس ثلاثمائة دينار وكانوا بضعة وثلاثين الفا ثم ان الجراح احضر صاحب بلنجر ورد اليه امواله واهله وحصنه وجعله عينا لهم يخبرهم بما يفعله الكفار ثم سار عن بلنجر فنزل على حصن الوبندر وبه نحو اربعين الف بيت من الترك فصالحوا الجراح على مال يؤدونه ثم ان الترك والتركمان تجمعوا واخذوا الطرق على المسلمين فكتب صاحب بلنجر الى الجراح يعلمه بذلك فعاد مجدا حتى وصل الى رستاق ملى وادركهم الشتاء فاقام المسلمون به وكتب الجراح الى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله عليه وبما اجتمع من الكفار ويسأله المدد فوعده انفاذ العساكر اليه وادرك يزيد اجله قبل انفاذ الجيش وكان موته فى شعبان سنة خمس ومائة فلما مات يزيد وبويع اخوه هشام بن عبد الملك ارسل الى الجراح واقره على عمله ووعده المدد ثم ارسله اليه فقوى امر الجراح فغزا اللان فى سنة ست وصالحه اهلها فادوا الجزية ثم ان هشاما عزل الجراح عن ارمينية سنة سبع ومائة وولاها اخاه مسلمة بن عبد الملك الى سنة احدى عشرة ثم عزل اخاه مسلمة وولاها الجراح ثانية فدخل بلاد الخزر من ناحية تفليس ففتح مدينتهم البيضا وانصرف سالما فجمعت الخزر جموعها وحشدت وسارت الى بلاد الاسلام من ناحية اللان فلقيهم الجراح فيمن معه من اهل الشام فاقتتلوا اشد قتال رآه الناس فصبر الفريقان وتكاثرت الخزر والترك على المسلمين فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج اردبيل وكان قد استخلف اخاه الحجاج بن عبد الله على ارمينية ولما قتل الجراح طمع الخزر واوغلوا فى البلاد حتى قاربوا الموصل وعظم الخطب على المسلمين وكان الجراح خيرا فاضلا وكان اولا من عمال عمر بن عبد العزيز على خراسان ورثاه كثير من الشعراء ولما بلغ هشاما خبره دعا سعيد الحرشى وكان قد عزل عن خراسان فقال له بلغنى ان الجراح قد انحاز عن المشركين

قال كلا ياامير المؤمنين الجراح اعرف بالله من ان ينهزم ولكنه قتل قال فارأيك قال تبعثني على اربعين دابة من دواب البريد ثم تبعث الى كل يوم اربعين رجلا ثم اكتب الى امراء الاجناد يوافوني ففعل ذلك هشام وسار الحرشي فكان لايمر بمدينة الا ويستنهض اهلها فيجيبه من يريد الجهاد ولم يزل كذلك حتى وصل الى مدينة ارزن فلقيه جماعة من اصحاب الجراح وبكوا وبكى لبكائهم وفرق فيهم نفقة وردهم معه وجعل لايلقاه احد من اصحاب الجراح الارده معه ووصل الى حلاط وهي ممتنعة عليه فحصرها وفتحها وقسم غنائمها في اصحابه ثم سار عن خلاط وفتح القلاع والحصون شيأ بعد شيء الى ان وصل الى برذعة فنزلها وكان ابن خاقان يومئذ باذربيجان يغير وينهب ويسبي ويقتل وهو محاصر مدينة ورثان فخاف الحرشي ان يملكها فارسل بعض اصحابه الى اهل ورثان سرا يعرفهم وصولهم ويأمرهم بالصبر فسار القاصد ولقيه بعض الخزر فاخذوه وسألوه عن حاله فاخبرهم وصدقهم فقالوا له ان فعلت ماناًمرك به احسنا اليك واطلقناك ولا قتلناك قال فما الذي تريدون قالوا تقول لاهل ورثان انكم ليس لكم مدد ولامن يكشف مابكم وتأمرهم بتسليم البلد الينا فاجابهم الى ذلك فلما قارب المدينة وقف بحيث يسمع اهلها كلامه فقال لهم اتعرفوني قالوا نعم انت فلان قال فان الحرشي قد وصل الى مكان كذا في عساكر كثيرة وهو يأمركم بحفظ البلد والصبر في هذين اليومين يصل اليكم فرفعوا اصواتهم بالتكبير والتهليل وقتلت الخزر ذلك الرجل ورحلوا عن مدينة ورثان فوصلها الحرشي في العساكر وليس عندها احد فارتحل يطلب الخزر الى اردبيل فسار الخزر عنها ونزل الحرشي باجروان فاتاه فارس على فرس ابيض فسلم عليه وقال له هل لك ايها الامير في الجهاد والغنيمة قال كيف لي بذلك قال هذا عسكر الخزر في عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من المسلمين اسارى وسبايا وقد نزلوا على اربعة فراسخ فسار الحرشي ليلا فوافاهم آخر الليل وهم نيام ففرق اصحابه في اربعة جهات فكبسهم مع الفجر ووضع المسلمون فيهم السيف فما بزغت الشمس حتى قتلوا اجمعون غير رجل واحد واطلق الحرشي من معهم من المسلمين واخذهم الى باجروان فلما دخلها اتاه ذلك الرجل صاحب الفرس الابيض فسلم وقال هذا جيش للخزر ومعهم اموال للمسلمين وحرم الجراح واولاده بمكان كذا فسار الحرشي اليهم فما شعروا الا والمسلمون معهم فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاؤا ولم يفلت من الخزر الا الشريد واستنقذوا من معهم من المسلمين والمسلمات وغنموا اموالهم واخذ اولاد الجراح فاكرمهم واحسن اليهم وحمل الجميع الى باجروان وبلغ خبر مافعله الحرشي بعساكر الخزر ابن ملكهم فوبخ عساكره وذمهم ونسبهم الى العجز والوهن فحرض بعضهم بعضا واشاروا عليه بجمع اصحابه والعود الى قتال الحرشي فجمع اصحابه من نواحي اذربيجان فاجتمع معه عساكر كثيرة وسار الحرشي اليه فالتقيا بارض برزند واقتتل الناس اشد قتال واعظمه فانحاز المسلمون يسيرا فحضرهم الحرشي فأمرهم بالصبر فعادوا الى القتال وصدقوهم الحملة واستغاث من مع الخزر من الاسارى ونادوا بالتكبير والتهليل والدعاء فعندها حرض المسلمون بعضهم بعضا ولم يبق احد الا وبكى رحمة للاسرى واشتدت نكايتهم في العدو فولوا الادبار منهزمين

و تبعهم المسلمون حتى بلغوا بهم نهر ارس وعادوا عنهم وحووا ما في عساكرهم من الاموال والغنم واطلقوا الاسرى والسبايا وحملوا الجميع الى باجروان ثم ان ابن ملك الخزر جمع من لحق به من عساكره وعاد بهم نحو الحرشي فنزل على نهر البيلقان وبلغ الخبر الحرشي فسار نحوه في عسكر المسلمين فوافاهم وهم على نهر البيلقان فالتقوا هناك فصاح الحرشي بالناس فحملوا حملة صادقة ضعضعوا صفوف الخزر وتابع الحملات وصبر الخزر صبرا عظيما ثم كانت الهزيمة عليهم فولوا الادبار منهزمين وكان من غرق منهم في النهر اكثر ممن قتل وجمع الحرشي الغنائم وعاد الى باجروان فقسمها وارسل الخمس الى هشام بن عبد الملك وعرفه ما فتح الله على المسلمين فكتب اليه هشام يشكره واقام بباجروان فأتاه كتاب هشام يأمره بالمسير اليه واستعمل اخاه مسلمة بن عبد الملك على ارمينية واذربيجان فوصل الى البلاد وسار الى الترك في شتاء شديد حتى جاز البلاد في آثارهم وفي سنة ثلاث عشرة ومائة فرق مسلمة الجيوش ببلاد خاقان ففتحت مداين وحصون على يديه وقتل منهم واسر وسبي واحرق ودان له من وراء جبال بلنجر وقتل ابن خاقان فاجتمعت تلك الامم جميعها الخزر وغيرهم عليه في جمع لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقد جاز مسلمة بلنجر فلما بلغه خبرهم أمر اصحابه فأوقدوا النيران ثم ترك خيامهم واثقالهم وعاد هو وعسكره جريدة وقدم الضعفاء وأخر الشجعان وطووا المراحل كل مرحلتين في مرحلة حتى وصل الى الباب والابواب في آخر رمق وعزله هشام وولى ارمينية واذربيجان مروان بن محمد وسيأتي الكلام ان شاء الله على غزواته وما افتتحه وانما تابعنا الكلام الى سنة ثلاث عشرة لارتباط بعضه ببعض ولنرجع الى اتمام الكلام على الفتوحات الحاصلة في غير اذربيجان وارمينية من سنة خمس الى سنة ثلاث عشرة فنقول كان في سنة خمس غزوة لسعيد بن عبد الملك بارض الروم فبعث سرية في نحو الف مقاتل فأصيبوا جميعا وفي سنة ١٠٤ استعمل مسلم بن سعيد الكلابي اميرا بخراسان بعد عزل الحرشي عنها فغزا الترك بما وراء النهر سنة ١٠٥ فلم يفتح شيأ وقفل فتبعه الترك فلحقوه والناس يعبرون جيحون فوقف على الساقة عبيد الله بن زهير ومعه خيل بني تميم حتى عبر الناس سالمين وغزا مسلم ايضا تلك السنة افشين فصالح اهلها على ستة آلاف رأس ودفع اليه القلعة وفي سنة خمس ايضا غزا مروان بن محمد الصائفة اليمنى فافتتح قونية من ارض الروم وكمخ

﴿ ذكر غزو مسلم بن سعيد الكلابي الترك ﴾

في سنة ست ومائة قطع مسلم النهر ولحق به من لحق من اصحابه فلما بلغ بخارا أتاه كتاب خالد ابن عبد الله القسري يخبره بولايته العراق ويأمره باتمام غزاته فسار الى فرغانة فلما وصلها بلغه ان خاقان قد اقبل عليه وانه في موضع ذكروه فارتحل فسار ثلاث مراحل في يوم واقبل اليهم خاقان فلقي طائفة من المسلمين واصاب دواب لمسلم وقتل جماعة من المسلمين ثم اطاف خاقان بالعسكر وثار الناس في وجوههم فأخرجوهم من العسكر فرحل مسلم بالناس فسار ثمانية ايام والترك يحيطون بهم واصاب الناس عطش واحرق الناس ما ثقل من الامتعة فحرقوا ما قيمته الف الف واتوا خجنده فأصابتهم مجاعة ولما أراد عبور النهر والترك محيطون به أمر

مسلم

مسلم الناس ان يختر طوا سيوفهم و يحملوا ففعلوا وصارت الدنيا كلها سيوفا فرجوا الهم معرورا
ثم وافاه كتاب خالد بن عبد الله بعزله وولاية اخي خالد وهو اسد بن عبد الله القسري
وفي سنة سبع ومائة ملك الجنيد بن عبد الرحمن بعض بلاد السند وقتل صاحبه حسنة وتقدم
تفصيل ذلك

﴿ ذكر غزوة الاندلس ﴾

في سنة سبع ومائة غزا عنبسة بن سحيم الكلبي عامل الاندلس لهشام بن عبد الملك بلد الفرنج
في جمع كثير ونازل مدينة قرقسونة وحصر اهلها فصالحوه على نصف اعمالها وعلى جميع ما في
المدينة من اسرى المسلمين واسلابهم وان يعطوا الجزية ويلتزموا باحكام الذمة من محاربة من
حاربه المسلمون ومسالمة من سالموه فعاد عنهم عنبسة

﴿ ذكر غزوة الغور ﴾

في هذه السنة غزا اسد بن عبد الله الغور وهو جبال هراة فعمد اهلها الى اثقالهم فصيروها
في كهف ليس اليه طريق فامر اسد باتخاذ توابيت ووضع فيها الرجال ودلاها بالسلاسل
فتوصلوا الى الكهف واستخرجوا ما قدروا عليه

﴿ ذكر غزوة الختل والغور ﴾

في سنة ثمان ومائة قطع اسد النهر واتاه خاقان فلم يكن بينهما قتال وقيل عاد مهزوما من الختل
واظهر انه يريد شتو بسرح دره فامر الناس فارتحلوا ووجه راياته وسار في ليلة مظلمة الى سرح
دره فكبر الناس فقال مالهم فقالوا هذه علامتهم اذا قفلوا فقال للمنادي ناد ان الامير يريد
الغوريين فمضى اليهم فقاتلوهم يوما وصبروا لهم ثم عادوا من الغد فاقتتلوا وانهزم المشركون
وحوى المسلمون عسكرهم وظهروا على البلاد واسروا وسبوا وغنموا ورجعوا وفي هذه
السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم مما يلي الجزيرة ففتح قيسارية وهي مدينة مشهورة
وفيها ايضا غزا ابراهيم بن هشام ففتح حصنا من حصون الروم وفيها ايضا سار ابن خاقان
ملك الترك الى اذربيجان فحصر بعض مدنها فسار اليه الحارث بن عمرو الطائي فالتقوا فاقتتلوا
فانهزم الترك وتبعهم الحارث حتى عبر نهر ارس فعاد اليه ابن خاقان فعاود الحرب ايضا فانهزم ابن
خاقان وقتل من الترك خلق كثير وفي سنة تسع ومائة فصل هشام بن عبد الملك ولاية خراسان عن
ولاية العراق وعزل اسدا عن خراسان واستعمل على خراسان اشرس بن عبد الله السلمي وله
وقائع مع اهل سمرقند ستأتي وفي هذه السنة غزا عبد الله بن عقبة الفهري في البحر وغزا
معاوية بن هشام ارض الروم ففتح حصنا يقال له طيبة وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الترك
من ناحية اذربيجان وتقدم ذكر ذلك وفي هذه السنة ايضا غزا بشر بن صفوان عامل افريقية
جزيرة صقلية فغنم شيأ كثيرا ثم رجع الى القيروان

﴿ ذكر ما جرى لاشرس بن عبد الله السلمي مع اهل سمرقند وغيرها ﴾

في سنة عشر ومائة ارسل اشرس جماعة الى سمرقند وغيرها مما وراء النهر يدعوهم الى

الاسلام على ان توضع عنهم الجزية فدعوهم لذلك فاسلموا فجاء الخبر الى اشرس بأن الخراج قد انكسر فكتب اشرس الى العامل بلغني انهم لم يسلموا رغبة وانما اسلموا نفورا من الجزية فانظروا من اختتن واقام الفرائض وقرأ سورا من القرآن فارفعوا الجزية عنه وعزل ذلك العامل وولى ابن هانى فكتب لاشرس انهم اسلموا و بنوا المساجد فكتب اليه اشرس ان يعيد الجزية على من كانت عليه ولو اسلم فاعتزلوا فى سبعة آلاف على فراسخ من سمرقند وامتنعوا وارادوا القتال فكتب اشرس بوضع الخراج عنهم فرجعوا وضعف امرهم ثم تتبعوا وحبسوا واقيمت عليهم العقوبات وخرقت ثيابهم والقيت مناطقهم فى اعناقهم واخذت الجزية ممن اسلم فكفرت الصغد وبخارى واستجاشوا بالترك فخرج اشرس غازيا فنزل آمل واقام شهرا وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم فى عشرة آلاف فعبر النهر ولقى الترك واهل الصغد و بخارى ومعهم خاقان فحصروا قطنا فى خندقه واغار الترك على سرح المسلمين فبعث اشرس خيلا استنقذت من ايدى الترك ما اخذوه ثم عبر اشرس النهر بالناس ولحق بقطن ولقيهم العدو فانهزموا امامهم وسار اشرس بالناس حتى جاء بيكند فحصرها المسلمون فقطع اهل البلد عنهم الماء واصابهم العطش فرحلوا قاصدين البلد فاعترضهم دونها العدو فقاتلوهم قتالا شديدا حتى ازالوا الترك عن الماء وحمل قطن بن قتيبة فى جماعة تعاقدوا على الموت فانهزم العدو واتبعهم المسلمون يقتلونهم الى الليل ثم رجع اشرس الى بخارى وجهز عليها عسكرا يحاصرونها ثم حاصر خاقان مدينة كرجه من خراسان وبها جمع من المسلمين فاغلقوا الباب وقطعوا القنطرة التى على الخندق ليمنعوا الكفار من الدخول اليهم ثم أمر خاقان بقطع الخندق فجعلوا يلقون فيه الحطب الرطب ليعبروا عليه وجعل المسلمون يلقون حطبا يابسا على الحطب الرطب حتى سوى الخندق فأشعلوا فيه النيران وهاجت ريح شديدة صنعا من الله فاحترق الحطب فى ساعة واحدة وكانوا جمعوه فى سبعة ايام ثم فرق خاقان على الترك اغناما وأمرهم ان يأكلوا لحمها و يحشوا جلودها ترابا ويكبسوا خندقها ففعلوا ذلك فأرسل الله سحابة فامطرت مطرا شديدا فاحتمل السيل ما فى الخندق والقاه فى النهر الاعظم ورماهم المسلمون بالسهام فاصابت بازغرى نشابة فى سرته فمات من ليلته وكان داهية وكان خاقان لا يخالفه فدخل عليهم بموته أمر عظيم فلما امتد النهار جاؤا بالاسرى الذين عندهم وهم مائة فقتلوهم وكان عند المسلمين مائتان من اولاد المشركين رهائن فقتلوهم واستماتوا واشتد القتال ولم يزل اهل كرجه كذلك حتى اقبلت جنود العرب فنزلت فرغانة فعير خاقان قومه فى طول المدة وعدم الفتح وقال زعمتم انها تفتح فى خمسة ايام فصارت الخمسة شهرين وأمرهم بالرحيل وشتمهم فقالوا امهلنا الى غد وانظر ما نصنع فلما كان الغد وقف خاقان وتقدم ملك الطار بنده فقاتل المسلمين وقتل منهم ثمانية وجاء حتى وقف على ثلمة الى جنب بيت فيه مريض من تميم فرماه التميمى بكلوب فتعلق بدرعه ثم نادى النساء والصبيان فجذبوه فسقط لوجهه ورماه رجل بحجر فاصاب اصل اذنه فصرع وطعنه آخر فقتله فاشتد قتله على الترك وأرسل خاقان الى المسلمين انه ليس من رأينا ان نرتحل عن مدينة نحاصرها دون افتتاحها فارحلوا انتم عنا فقالوا له ليس من ديننا ان نعطى بايدينا حتى نقتل فاصنعوا ما بدا لكم فاعطاهم

الترك

الترك الامان على ان يرحل خاقان عنهم و يرحلوا هم عنها الى سمرقند او الدبوسية فرأى اهل كرجة ماهم فيه من الحصار فاجابوا الى ذلك فاخذوا من الترك رهائن ان لا يعرضوا لهم وطلبوا ان كورصول التركي يكون معهم في جماعة يمنعهم الى الدبوسية فسلموا اليهم الرهائن واخذوا هم ايضا من المسلمين رهائن وارتحل خاقان عنهم ثم رحلوا هم بعده فقال الاتراك الذين مع كورصول ان بالدبوسية عشرة آلاف مقاتل ولا نأمن ان يخرجوا علينا فقال لهم المسلمون ان قاتلوكم قاتلناهم معكم فساروا فلما صار بينهم وبين الدبوسية فرسخ نظر اهلها الى العرسان فظنوا ان كرجة فتحت وان خاقان قد قصدهم فتاهبوا للحرب فارسل المسلمون اليهم يخبرونهم خبرهم فلقوهم وحملوا من كان يضعف عن المشي ومن كان مجروحا فلما بلغ المسلمون الدبوسية ارسلوا الى من عنده الرهائن يعلمونه بوصولهم ويامرونه باطلاقهم فجعلت العرب تطلق رجلا من الرهن والترك رجلا حتى بقي سباع بن النعمان مع الترك ورجل من الترك عند العرب وجعل كل فريق يخاف من صاحبه الغدر فقال سباع خلوا رهينة الترك فخلوه وبقي سباع مع الترك فقال له كورصول ما حملك على هذا قال وثقت بك وقلت ترفع نفسك عن الغدر فوصله كورصول واعطاه سلاحه و بردونا واطلقه وكان مدة حصار كرجة ثمانية وخمسين يوما فيقال انهم لم يسقوا ابلهم خمسة وثلاثين يوما وفي هذه السنة ارتد اهل كردر فارسل اليهم اشرس جندا فظفروا بهم وفي هذه السنة سير معاوية بن هشام الروم ففتح صملة وعلى الصائفة عبدالله بن عقبة الفهري وفيها مات الحسن البصري وعمره سبع وثمانون سنة وفيها ايضا مات محمد بن سيرين وعمره احدى وثمانون سنة

ذكر غزو ما وراء النهر

في سنة احدى عشرة ومائة عزل هشام بن عبدالملك اشرس بن عبدالله عن خراسان واستعمل عليها الجنيد بن عبدالرحمن المري الغطفاني القيسي فلما قدم خراسان سار الى ما وراء النهر وارسل الجنيد الى اشرس وهو يقاتل اهل بخارى والصغد أن امدني بخيل وخاف ان يقتطع دونه فوجه اليه اشرس عامر بن مالك الحماني في جماعة فلما كان عامر ببعض الطريق عرض له الترك والصغد فدخل حائطا حصينا وقاتلهم على الثلمة وكان ممن معه واصل بن عمرو القيسي وعاصم بن عمير السمرقندي فاستداروا مع جماعة من القوم حتى صاروا من وراء الماء الذي هناك ثم جمعوا قصبا وخشبا وعبروا عليه فلم يشعر خاقان الا والتكبير من خلفه وحمل المسلمون على الترك فقاتلوهم وقتلوا عظيما من عظمائهم وانهزم الترك وسار عامر الى الجنيد ولقيه واقبل معه فلما انتهى الى فرسخين من بيكند تلقته خيل الترك فقاتلهم فكاد الجنيد يهلك ومن معه ثم انهزم الله وسار حتى قدم العسكر فظفر الجنيد وقتل الترك وزحف اليه خاقان فالتقوا دون رزمان من بلاد سمرقند واسر الجنيد من الترك ابن اخي خاقان فبعث به الى هشام ورجع الجنيد الى مرو وقد ظفر وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى اتى قيسارية وغزا في البحر عبدالله بن ابي كريم وفي سنة ثنتي عشرة ومائة كان دخول الجراح بن عبدالله الحكمي بلاد الخزر وقتله وتقدم الكلام على ذلك مستوفى

﴿ ذكر وقعة الجنيد بن عبد الرحمن المرى بالشعب ﴾

فى سنة ثنتى عشرة ومائة خرج الجنيد من مرو غازيا طخارستان فوجه عمارة بن حريم الى طخارستان فى ثمانية عشر الفا ووجه ابراهيم بن بسام الليثى فى عشرة آلاف الى وجه آخر وجاشت الترك فأتوا سمرقند وعليها سورة بن الحر فكتب سورة الى الجنيد ان خاقان جاش الترك فخرجت اليهم فلم اطق ان امنع حائط سمرقند فالغوث الغوث فامر الجنيد الناس بعبور النهر فقال له جماعة من جنده ان الترك ليسوا كغيرهم لا يلقونك صفا ولا زحفا وقد فرقت كثيرا من الجند ولا يعبر النهر فى اقل من خمسين الفا فاكتب الى عمارة فليأتك وامهل ولا تعجل قال فكيف بسورة ومن معه من المسلمين لو لم اكن الا فى بنى مرة او من طلع معى من الشام لعبرت وعبر الجنيد بمن كان حاضرا فنزل كش وتأهب للمسير وبلغ الترك مسيره فغوروا الآبار التى فى طريق كش فقال الجنيد اى طريق الى سمرقند اصلح فقالوا طريق المحترقة فقال المجشر بن مزاحم السلمى القتل بالسيف اصلح من القتل بالنار طريق المحترقة كثير الشجر والحشيش ولم يزرع منذ سنين فان لقينا خاقان احرق ذلك كله فقتلنا بالنار والدخان ولكن خذ طريق العقبة فهو بيننا و بينهم سواء فاخذ الجنيد طريق العقبة فارتقى فى الجبل فاخذ المجشر بعنان دابته وقال انه كان يقال ان رجلا مترفا من قيس يهلك على يديه جند من جنود خراسان وقد خفنا ان تكونه فقال ليفرخ روعك قال اما ما كان بيننا مثلك فلا فبات فى اصل العقبة ثم سار بالناس حتى صار بينه وبين سمرقند اربع فراسخ ودخل الشعب فصبحه خاقان فى جمع عظيم وزحف اليه اهل الصغد وفرغانة والشاش وطائفة من الترك فحمل خاقان على المقدمة فرجعوا الى العسكر والترك تتبعهم وجاؤا من كل وجه فرتب الجنيد جيشه وجعل على كل جهة رئيسا مشهورا بالشجاعة وشد نصر بن سيار هو ومن معه على العدو فكشفوهم ثم كروا عليهم وقتل يومئذ من الازد ثمانون رجلا وصبر الناس يقاتلون حتى أعيوا فكانت السيوف لا تقطع شيأ فقطع عبيدهم الخشب يقاتلون به حتى مل الفريقان فكانت المعانقة ثم تحاجزوا فبينا الناس كذلك اذ اقبل رهج وطلعت فرسان فنادى منادى الجنيد الارض الارض فترجل وترجل الناس ثم نادى ليخندق كل قائد على حياله فخندقوا وتحاجزوا وقد اصيب من الازد مائة وتسعون رجلا وكان قتالهم يوم الجمعة فلما كان يوم السبت قصدهم خاقان وقت الظهر فلم يجد موضعا للقتال اسهل من الموضع الذى نزل به قبائل بكر بن وائل فقصدهم فلما قربوا حملت بكر عليهم فافرجوا الهم وسجد الجنيد واشتد القتال بينهم فلما رأى الجنيد شدة الامر استشار اصحابه فقال له عبد الله بن حبيب اختر اما ان تهلك انت او سورة بن الحر قال هلاك سورة اهون على قال فاكتب له فليأتك من سمرقند فى اهل سمرقند فانه اذا بلغ الترك اقباله توجهوا اليه فكتب اليه الجنيد يأمره بالقدوم فقال لسورة حليس بن غالب الشيبانى ان الترك بينك وبين الجنيد فان خرجت كروا عليك فاختطفوك فكتب الى الجنيد انى لا اقدر على الخروج فكتب اليه الجنيد يا ابن اللخناء تخرج والا وجهت اليك شداد بن خليد الباهلى وكان عدوه فاخرج والزم الماء ولا تفارقه فأجمع على المسير وقال اذا سرت على النهر لا اصل فى يومين وبينى وبين هذا الوجه ليلة فاذا سكنت الرجل سرت فجاءت عيون الاتراك فاخبروهم

بعقالة سورة ورحل سورة واستخلف على سمرقند موسى بن اسود الحنظلى وسار فى اثنى عشر الفا
فاصبح على رأس جبل فتلقاه خاقان حين اصبح وقد سار ثلاثة فراسخ وبينه وبين الجنيد فرسخ
فقاتلهم اشد القتال وصبروا فقال غوزك لخاقان اليوم حار فلا تقاتلهم حتى يحمى عليهم السلاح
فواقفهم واشعل النار فى الحشيش وحال بينهم وبين الماء فقال سورة لعبادة ماترى يا ابا امية فقال
ارى ان الترك يريدون الغنيمة فاعقر الدواب واحرق المتاع وجرد السيف فانهم يخلون لنا الطريق
وان منعونا شرعنا الرماح وزحف زحفا وانما هو فرسخ حتى نصل الى العسكر فقال لا اقوى
على هذا ولا فلان وفلان وعد رجالا ولكن اجمع الخيل فاصكهم بها سلمت ام عطبت وجمع الناس
وحملوا فانكشفت الترك وثار الغبار فلم يبصروا وكان من وراء الترك لهيب فسقطوا فيه
وسقط العدو والمسلمون وسقط سورة فاندقت فخذه وتفرق الناس فقتلهم الترك ولم ينج منهم
غير الفين ويقال الف وكان ممن نجى عاصم بن عمير السمرقندى وانحاز المهلب بن زياد العجلى
فى سبعمائة الى رستاق يسمى المرغاب فنزلوا قصرا هناك فاتاهم الاسكند صاحب نسف ومعه
غوزك فاعطاهم غوزك الامان فقال قريش بن عبد الله العبدى لا تثقوا بهم ولكن اذا جننا الليل
خرجنا عليهم حتى نأتى سمرقند فعصوه فنزلوا بالامان فساقهم الى خاقان فقال لا اجيز امان
غوزك فقاتلهم الوجف بن خالد ومعه المسلمون فاسروا غير سبعة عشر رجلا فقتلوا غير ثلاثة
وقتل سورة فى اللهب فلما قتل خرج الجنيد من الشعب يريد سمرقند مبادرا فقال له خالد بن عبيد الله
سر وانزع فقال له المجشر انزل واخذ بلجام دابته فنزل ونزل الناس معه فلم يستتم نزولهم حتى
طلع الترك فقال المجشر له لو لقونا قبل نزولنا ونحن نسير ألم يهلكونا فلما اصبحوا تناهضوا
فجال الناس فقال الجنيد ايها الناس انها النار فرجعوا ونادى الجنيد اى عبد قاتل فهو حر فقاتل
العبيد قتالا عجب منه الناس فسروا بما رأوا من صبرهم وصبر الناس حتى انهزم العدو ومضوا
فقال موسى بن النعراء تفرحون بما رأيتم من العبيدان لكم منهم ليوما اروزبانى داريا سة ومضى الجنيد
الى سمرقند فحمل عيال من كان مع سورة الى مرو واقام بالصغد اربعة اشهر ولما انصرف الترك
بعث الجنيد بالخبر الى هشام وكتب اليه ان سورة عصانى امرته بلزوم الماء فلم يفعل فتفرق
عنه اصحابه فاتتنى طائفة وطائفة الى نسف وطائفة الى سمرقند واصيب سورة فى بقية اصحابه
فكتب هشام الى الجنيد قد وجهت اليك عشرة آلاف من اهل البصرة وعشرة آلاف من
اهل الكوفة ومن السلاح ثلاثين الف رمح ومثلها ترسة ومثلها سيفا فافرض اى ما شئت فى العطا
فلا غاية لك فى الفريضة بخمسة عشر الفا ولما سمع هشام مصاب سورة قال انا لله وانا اليه راجعون
مصاب سورة بخراسان ومصاب الجراح بالباب وابلى نصر بن سيار يومئذ بلاء حسنا وارسل
الجنيد ليلة بالشعب رجلا وقال له تسمع ما يقول الناس وكيف حالهم ففعل ثم رجع اليه
فقال رأيتهم طيبة انفسهم يتناشدون الاشعار ويقرؤن القرآن فسره ذلك قال عبيد بن حاتم بن
النعمان رأيت فساطيط بين السماء والارض فقلت لمن هذه فقالوا لعبد الله بن بسطام
واصحابه فقتلوا فى غد فقال رجل مررت فى ذلك الموضع بعد ذلك بحين فشممت رائحة
المسك واقام الجنيد بسمرقند وتوجه خاقان الى بخارى وعليها قطن بن قتيبة بن مسلم فخاف
الجنيد الترك على قطن بن قتيبة فشاور اصحابه فقال قوم نلزم سمرقند وقال قوم نسير منها

فنأتي زمجن ثم كش ثم الى نسف فنتصل منها الى ارض زم ونقطع النهر وننزل آمل فنأخذ عليه بالطريق واستشار عبدالله بن ابي عبدالله مولى بني سالم واخبره بما قالوا فاشترط عليه ان لا يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال ونزول وقتال فقال نعم قال فاني اطلب اليك خصالا قال وماهي قال تخندق حيث ما نزلت ولا يفوتنك حمل الماء ولو كنت على شاطئ نهر وان تطيعني في نزولك وارتحالك قال نعم قال اما ما اشاروا عليك في مقامك بسمرقند حتى يأتيك الغياث فالغياث بطئ عنك واما ما اشاروا من طريق كس ونسف فانك ان سرت بالناس من غير الطريق فت في اعضادهم وانكسروا عن عدوهم واجترأ عليك خاقان وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له فان اخذت غير الطريق بلغ اهل بخارى مافعلت فيستسلموا لعدوهم وان اخذت الطريق الاعظم هابك العدو والرأي عندي أن تأخذ عيال من قتل مع سورة فتقسمهم على عشائرهم وتحملهم معك فاني ارجو بذلك أن ينصرك الله على عدوك وتعطي كل رجل تخلف بسمرقند الف درهم وفرسا فأخذ رأيه وخلف بسمرقند عثمان بن ابي عبدالله بن الشخير في اربعمائة فارس واربع مائة راجل فشتم الناس عبدالله بن ابي عبد الله وقالوا ما اراد الا هلاكنا فخرج الجنيد وحمل العيال معه وسرح الاشهب بن عبيد الحنظلي ومعه عشرة من الطلائع وقال كلما مضت مرحلة تسرح الي رجلا يعلمني الخبر وسار الجنيد واسرع سيره فقال له عطاء الدوسي انظر اضعف شيخ في العسكر فسلحه سلاحا تاما بسيفه ورمحه وترسه وجعبته ثم سر على قدر مشيه فانا لانقدر على سرعة السير والقتال ففعل الجنيد ذلك ولم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الاماكن المخوفة ودنا من الطواويس واقبل اليه خاقان كرمينيه اول يوم من رمضان واقتتلوا فاتاه عبدالله بن ابي عبدالله وهو يضحك فقال الجنيد ليس هذا يوم ضحك قال الحمدلله الذي لم يلقك هؤلاء في جبال معطشة وعلى ظهر انما اتوك وانت محدق آخر النهار كالين وانت معك الزاد فقاتلوا قليلا ثم رجعوا ثم قال للجنيد ارتحل فان خاقان ودأبك تقيم فيطوي عليك ادا شاء فسار وعبدالله على الساقة ثم امره بالنزول فنزل واستقى الناس وباتوا فلما اصبحوا ارتحلوا فقال عبدالله اتوقع ان خاقان يصدم الساقة اليوم فشدوها بالرجال فقواهم الجنيد وجاءت الترك فمالت على الساقة فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وقتل مسلم بن احوز عظيما من عظماء الترك فتطيروا من ذلك وانصرفوا من الطواويس وسار المسلمون فدخلوا بخارى يوم المهرجان فتلقوهم بالدراهم البخارية فاعطاهم عشرة عشرة قال عبدالمؤمن بن خالد رأيت عبدالله بن ابي عبدالله في المنام بعد موته فقال حدث الناس عني برأيي يوم الشعب وكان الجنيد يذكر خالد ابن عبدالله فيقول زبدة من الزبد صنبور من صنبور قل من قل هيفة من الهيف والهيفة الضبع والقل الفرد والصنبور الذى لا اخ له وقدمت الجنود من الكوفة والبصرة على الجنيد فسرح معهم حوثرة بن زيد العنبري فيمن انتدب معه وبقي الجنيد في ولايته الى سنة ست عشرة ومائة كما سيأتي وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة وفي سنة ثلاث عشرة ومائة غزا عبدالله البطال ارض الروم ومعه عبد الوهاب ابن بخت فانهزم الناس عن البطال فحمل عبدالوهاب وهو يقول ما رأيت فرسا اجبن منك

(وسفك)

وسفك الله دمى ان لم اسفك دمك ثم القى بيضته عن رأسه وصاح انا عبد الوهاب بن بخت أمن الجنة تفرون ثم تقدم فى نحر العدو فمر رجل يقول واعطشاه فقال تقدم الرى امامك فخالط القوم فقتل وقتل فرسه وفى هذه السنة ايضا فرق مسلمة بن عبد الملك الجيوش ببلاد خاقان ففتحت مداين وحصون على يده وقتل منهم وأسر وسبى واحرق ودان له من كانوا وراء جبال بلنجر وقتل بن خاقان فاجتمعت تلك الامم جميعها الخزر وغيرهم على خاقان فى جمع لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقد جاز مسلمة بلنجر فلما بلغه خبرهم امر اصحابه فاوقدوا النيران ثم ترك خيامهم واثقالهم وعاد هو وعسكره جريدة وقدم الضعفاء واخر الشجعان وطوى المراحل كل مرحلتين فى مرحلة حتى وصل الى الباب والابواب فى آخر رمق وقد تقدم ذكر ذلك واعيد هنا ليرتبط الكلام ببعضه

﴿ ذكر قتل عبد الرحمن الغافقى امير الاندلس ﴾

وفى سنة ثلاث عشرة ايضا كان غزو من المسلمين الذين بافريقية على بلاد افرنجه وذلك ان هشام بن عبد الملك كان قد استعمل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى على افريقية والاندلس فاستعمل عبيدة على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى فغزا افرنجه وتوغل فى ارضهم وغنم غنائم كثيرة وكان فيما اصاب صورة رجل بكسر الراء وسكون الجيم من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزمرد فكسرها وقسمها فى الناس فبلغ ذلك عبيدة فغضب غضبا شديدا وكتب اليه يتهدده فأجابه عبد الرحمن وكان رجلا صالحا اما بعد فان السموات والارض لو كانتا رتقا لجعل الله للمتقين منها مخرجا يعنى فان الله قادر أن ينجينى مما تتهددنى به ثم خرج غازيا مرة ثانية بلاد الفرنج فقتل هو ومن معه شهداء

﴿ ذكر ولاية مروان بن محمد ارمينية واذربيجان بعد انقضاء غزو مسلمة بن عبد الملك ﴾

فى سنة اربع عشرة ومائة استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان وهو ابن عمه على الجزيرة واذربيجان وارمينية وكان سبب ذلك انه كان فى عسكر مسلمة بارمينية حين غزا الخزر فلما عاد مسلمة سار مروان الى هشام فلم يشعر به حتى دخل عليه فسأله عن سبب قدومه فقال ضقت ذرعا بما اذكره ولم ارمن يحمله غيرى قال وما هو قال مروان قد كان من دخول الخزر الى بلاد الاسلام وقتل الجراح وغيره من المسلمين ما دخل به الوهن على المسلمين ثم رأى امير المؤمنين انه يوجه اخاه مسلمة بن عبد الملك اليهم فوالله ما وطئ من بلادهم الا ادناها ثم انه لما رأى كثرة جمعهم اعجبه ذلك فكتب الى الخزر يؤذنهم بالحرب واقام بعد ذلك ثلاثة اشهر فاستعد القوم وحشدوا فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكاية وكان قصاراه السلامة وقد اردت ان تأذن لى فى غزوة اذهب بها عنا العار وانتقم من العدو قال قد اذنت لك قال وتمدنى بمائة وعشرين الف مقاتل قال قد فعلت قال وتكتم هذا الامر عن كل واحد قال قد فعلت وقد استعملتك على ارمينية فودعه وسار الى ارمينية واليا عليها وسير هشام الجنود من الشام والعراق والجزيرة فاجتمع عنده من الجنود والمتطوعة مائة وعشرون الفا فاظهر انه

يريد غزو اللان وقصد بلادهم وارسل الى ملك الخزر يطلب منه المهادنة فاجابه الى ذلك
وارسل اليه ملك الخزر من يقرر الصلح فأمسك الرسول عنده الى ان فرغ من جهازه وما يريد
ثم اغلظ لهم القول وآذنهم بالحرب وسير الرسول الى صاحبه بذلك ووكل به من يسيره على
طريق فيه بعد وسار هو فى اقرب الطرق فما وصل الرسول الى صاحبه الا ومروان قد وافاهم
فاعلمه صاحبه الخبر واخبره بما قد جمع له مروان وحشد واستعد فاستشار ملك الخزر اصحابه
فقالوا ان هذا قد اغترك ودخل بلادك فان اقمت الى ان تجمع جنودك لم يجتمعوا عندك الا بعد
مدة فيبلغ منك ما يريد وان انت لقيته على حالك هذه هزمك وظفر بك والرأى ان تتأخر الى
اقصى بلادك وتدعه وما يريد فقبل رأيهم وسار حيث أمروه ودخل مروان البلاد واوغل
فيها واخربها وغنم وسبى وانتهى الى آخرها واقام فيها عدة ايام حتى اذلهم وانتقم منهم ودخل
بلاد ملك السرير فاوقع باهله وفتح قلاعا ودان له الملك وصالحه على الف رأس نصفين خمسمائة
غلاما وخمسمائة جارية سود الشعور ومائة الف مد من البر تحمل الى الباب وصالحه اهل تومان
على مائة رأس نصفين وعشرين الف مد من البر ثم دخل ارض زريكران فصالحه ملكها ثم اتى
ارض حمزين فابى حمزين ان يصالحه فحاصرهم فافتتح حصنهم عنوة ثم اتى سغدان فافتتحها صلحا
ووضف على طبرشنشاه عشرة آلاف مد كل سنة تحمل الى الباب ثم نزل على قلعة صاحب
اللكز وقد امتنع من اداء الوظيفة فخرج ملك اللكز يريد ملك الخزر فقتله راع بسهم وهو
لا يعرفه فصالح اهل اللكز مروان واستعمل عليهم عاملا وسار الى قلعة شروان وهى على البحر
فاذعن اهلها بالطاعة وسار الى الدودانية فاوقع بهم ثم عاد وفى هذه السنة غزا معاوية بن
هشام الصائفة اليسرى فاصاب ربض اقرن وغزا عبد الله البطال الروم والتقى هو وقسطنطين
فى جمع فهزمهم البطال واسر قسطنطين وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى وبلغ قيسارية
وفى سنة خمس عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام ارض الروم وغزا عبد الملك بن قطن
عامل الاندلس ارض البشكنس فغنم وعاد سالما وفى سنة ست عشرة ومائة غزا معاوية بن
عبد الملك ارض الروم الصائفة وفيها عزل هشام بن عبد الملك الجنيد بن عبد الرحمن المرى
عن خراسان واستعمل عليها عاصم بن عبد الله الهلالى وسبب ذلك ان الجنيد تزوج الفاضلة
بنت يزيد بن المهلب فغضب هشام لعداوته ليزيد بن المهلب لانه خلع اخاه يزيد بن عبد الملك
كما تقدم فولى عاصما خراسان وكان الجنيد اصابه استسقاء فقال هشام لعاصم ان ادركته
وبه رمق فأزهق نفسه فقدم عاصم وقد مات الجنيد وفى هذه السنة استعمل هشام على
افريقية عبد الله بن الحبحاب الموصلى فسير جيشا الى صقلية وهى بكسرات مشددة اللام جزيرة
بالمغرب فلقيهم مراكب الروم فاقتتلوا اقتتالا شديدا فانهزمت الروم وكانوا قد اسروا جماعة من
المسلمين منهم عبد الرحمن بن زياد فبقى اسيرا الى سنة احدى وعشرين ومائة وفى
سنة ست عشرة ايضا جهز عبد الله بن الحبحاب جيشا مع حبيب بن ابى عبيدة وسيرهم
الى ارض السودان فظفر بهم ظفرا لم يظفر احد مثله واصاب ما شاء ثم غزا البحر ثم انصرف
سالما وفيها سير ايضا ابن الحبحاب جيشا الى السوس فغنموا وظفروا وعادوا وفى سنة سبع
عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى

من نحو الجزيرة وفرق سرايا في ارض الروم وفيها بعث مروان بن محمد وهو على ارمينية بعثين وافتتح احدهما حصونا ثلاثة من اللان ونزل الآخر على تومانشاه فنزل اهلها على الصلح وفي هذه السنة عزل هشام بن عبدالملك عاصم بن عبدالله عن خراسان واعاد امر خراسان لوالي العراق خالد بن عبدالله القسري فولى خالد خراسان اخاه اسد بن عبدالله وهذه ولايته الثانية وسيأتي ذكر غزواته وفيها بعث عبدالله بن الحجاب حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع غازيا الى المغرب فبلغ السوس الاقصى وارض السودان فلم يقاتله احد الا ظفر به واصاب من الغنائم والسبي امرا عظيما فملئ اهل المغرب منه رعبا واصاب في السبي جاريتين من بربر ليس لكل واحدة منهما غير ثدي واحد ورجع سالما وسير جيشا في البحر سنة سبع عشرة ومائة ايضا الى جزيرة السردانية وهي جزيرة كبيرة ببحر المغرب فحوا مدنها ونهبوا وغنموا وعادوا وسير جيشا الى صقلية سنة اثنتين وعشرين فلم يلقه احد الا هزمه فظفر ظفرا لم ير مثله حتى نزل على مدينة سرقوسة وهي من اعظم مدن صقلية فقاتلوه فهزمهم وحصرهم فصالحوه على الجزية وفي سنة ثمان عشرة ومائة غزا معاوية وسليمان ابنا هشام بن عبدالملك ارض الروم وفي هذه السنة كانت وفاة معاوية المذكور في حياة والده واعقب اولادا منهم عبدالرحمن الداخل ابن معاوية بن هشام الذي ملك الاندلس ثم اولاده بعده وفي هذه السنة غزا اسد بن عبد الله القسري والي خراسان طخارستان ثم ارض جبوية فغنم وسبي وفيها غزا مروان بن محمد بن مروان ارمينية ودخل ارض ورنيس من ثلاثة ابواب فهرب منه ورنيس الى الخزر ونزل حصنه فحصره مروان ونصب عليه المجانيق فقتل ورنيس قتله بعض من اجتاز به وارسل رأسه الى مروان فنصبه لاهل حصنه فنزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبي الذرية

﴿ ذكر مقتل خاقان ﴾

لما كانت سنة تسع عشرة ومائة غزا اسد بن عبد الله القسري بلاد الختل فافتتح منها قلاعا وامتلأت ايدي العسكر من السبي والشاء ولما بلغ الخبر خاقان جيش جيوشه وقصد اسدا فعبر المسلمون النهر راجعين الى بلادهم فتبعهم خاقان والتقوا بعد عبور النهر واقتتلوا قتالا شديدا وهزموا خاقان ثم مضى اسد الى بلخ وشتى فيها ثم قصدهم خاقان بجيوشه الى بلخ ثم التقوا على فرسخين من الجوزجان فانهزم خاقان ومن معه وتبعهم المسلمون ثلاثة فراسخ وغنموا مائة وخمسين الفا من الشاء ودوابا كثيرة ورجع اسد الى بلخ ثم وصل خاقان الى بلاده واخذ في الاستعداد للحرب ولاعب يوما خاقان بالنرد كورصول فعمره كورصول وتشاجرا فصك كورصول يد خاقان فكسرها فحلف خاقان ليكسرن يده فتنحى وجمع جمعا ثم بيت خاقان فقتله وتفرقت الترك واشتغلت الترك بغير بعضهم على بعض وارسل اسد مبشرا الى هشام فلما بلغ هشام بن عبدالملك مقتل خاقان سجد شكرا لله ثم غزا اسد الختل مرة ثانية وفرق عسكره في اودية الختل فملؤا ايديهم من الغنائم والسبي وهرب اهله الى الصين وفي سنة تسع عشرة ايضا غزا الوليد بن القعقاع ارض الروم وغزا مروان بن محمد

ابن مروان من ارمينية فدخل بلاد اللان وسار فيها حتى خرج منها الى بلاد الخزر فربلنجر وسمندر وانتهى الى البيضاء التي يكون فيها خاقان وكان ذلك قبل مقتل خاقان فهرب منه خاقان وفي سنة عشرين توفي اسد بن عبد الله بمدينة بلخ وفيها عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن العراق وولى يوسف بن عمر الثقفي وولى نصر بن سيار الكناني خراسان بعد موت اسد بن عبد الله وفي هذه السنة غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وفتح سندرة وغزا اسحاق بن سلم العقيلي تومانشاه وافتتح قلاعها وخرب ارضها وفي هذه السنة توفي مسلمة بن عبد الملك بن مروان وفي سنة احدى وعشرين ومائة غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير

﴿ ذكر غزوات نصر بن سيار الكناني ما وراء النهر ﴾

كان نصر بن سيار عاقلا حازما شجاعا مدبرا عمرت خراسان في مدة ولايته عمارة لم تعمر قبلها واحسن الولاية والجباية مكث واليا على خراسان الى سنة ثلاثين ومائة فكانت مدة ولايته عشر سنين وكان قبل ولايته من امراء الاجناد بخراسان وولى على بعض المدائن وكان جعفر بن حنظلة الذي استخلفه اسد على خراسان عند موته قد عرض على نصر أن يوليه بخارى فاستشار البختري بن مجاهد مولى بني شيبان فقال له لا تقبلها لانك شيخ مضر وكانك بعهدك قد جاء على خراسان كلها فلما اتاه عهده بعث الى البختري ليأتيه فقال البختري لاصحابه قد ولى نصر خراسان فلما اتاه سلم عليه بالامارة فقال له من اين علمت فقال كنت تأتيني فلما بعثت الي علمت انك قد وليت ولما مات اسد بن عبد الله وبلغ خبر موته هشام بن عبد الملك استشار عبد الكريم بن سليط الحنفي وكان عالما فيمن يوليه خراسان فقال عبد الكريم يا امير المؤمنين اما رجل خراسان حزما ونجدة فالكرماني فاعرض عنه وقال ما اسمه قال جديع بن علي قال لا حاجة لي فيه وتطير قال فالمس المجرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني قال هشام ربيعة لا تسد بها الثغور قال عبد الكريم فقلت في نفسي كره ربيعة واليمن فارمه بمضر فقلت عقيل بن معقل الليثي ان غفرت هنته قال ماهي قلت ليس بالعفيف قال لا حاجة لي فيه قلت منصور بن ابي الخرقاء السلمي ان غفرت نكره فانه مشؤم قال غيره قلت فالمجشر بن مزاحم السلمي عاقل شجاع له رأي مع كذب فيه قال لا خير في الكذب قلت يحيى بن الحضين قال الم اخبرك ان ربيعة لا تسد بها الثغور قال فقلت نصر بن سيار قال هو لها قلت هو عفيف مجرب عاقل ان غفرت له واحدة قال ماهي قلت عشيرته بخراسان قليلة قال لا ابالك تريد اكثر من عشيرة انا عشيرته فكتب عهده وبعثه مع عبد الكريم فاعطاه نصر لما اتاه به عشرة آلاف درهم واستعمل نصر على اعمال خراسان رجال مضر الى اربع سنين لم يستعمل احدا من غير مضر وغزا نصر في سنة احدى وعشرين ما وراء النهر مرتين احداهما من نحو الباب الحديد فسار من بلخ من تلك الناحية ثم رجع الى مرو وخطب الناس واخبرهم انه اقام منصور بن عمر بن ابي الخرقاء على كشف المظالم وانه قد وضع الجزية عمن قد اسلم وجعلها على من كان يخفف عنه من المشركين فرغبوا في الاسلام فلم تمض جمعة

حتى أتاه ثلاثون الف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤسهم وثمانون الفا من المشركين كانت قد القيت عنهم فحول ما كان على المسلمين اليهم ووضعه عن المسلمين ثم ضيف الخراج ووضعه مواضعه ثم غزا الثانية الى زرشغر وسمرقند ثم رجع ثم غزا الثالثة الى الشاش من مرو فحال بينه و بين عبور نهر الشاش كورصول فى خمسة عشر الفا وكان معهم الحارث بن سريج وكان قبل ذلك من أمراء المسلمين على جند خراسان ثم وقعت فتنة بينهم فاعتزلهم وصار مع خاقان ثم مع كورصول فعبر كور صول فى اربعين رجلا فبيت العسكر فى ليلة مظلمة ومع نصر ملك بخارى فى اهل بخارى ومعه اهل سمرقند وكش ونسف وهم عشرون الفا فنادى نصر أن لا يخرجن احد واثبتوا على مواضعكم فخرج عاصم بن عمير السعدى وهو على جند سمرقند فمرت به خيل الترك فحمل على رجل فى آخرهم فاسره فاذا هو ملك من ملوكهم صاحب اربعة آلاف قبة ثم تبين انه كورصول فأتى به الى نصر فقال له نصر من انت قال كورصول فقال نصر الحمد لله الذى امكن منك ياعدو الله قال ما ترجو من قتل شيخ وانا اعطيك اربعة آلاف بعير من ابل الترك والف برذون تقوى به جندك وتطلق سبيلى فاستشار نصر اصحابه فأشاروا باطلاقه فلم يوافقهم ثم سأله عن عمره قال لا ادرى قال كم غزوت قال اثنتين وسبعين غزوة قال أشهدت يوم العطش قال نعم قال نصر لو اعطيتنى ما طلعت عليه الشمس ما افلت من يدى بعدما ذكرت من مشاهدك وقال لعاصم بن عمير السعدى قم الى سلبه فحزه فقال من اسرنى فقال نصر وهو يضحك اسرك يزيد بن قران الحنظلى واشار اليه قال هذا لايستطيع ان يغسل استه اولا يستطيع ان يتم له بوله فكيف يأسرنى اخبرنى من اسرنى قال اسرك عاصم بن عمير قال لست اجد الم القتل اذا كان اسرنى فارس من فرسان العرب فقتله وصلبه على شاطئ النهر فلما قتل كورصول احرقت الترك ابنيته وقطعوا آذانهم وقطعوا شعورهم واذناب خيلهم فلما اراد نصر الرجوع احرقه لئلا يحملوا عظامه فكان ذلك اشد عليهم من قتله وارتفع الى فرغانة فسبى بها الف رأس وكتب يوسف بن عمر امير العراق الى نصر سر الى هذا الغادر بنفسه فى الشاش يعنى الحارث بن سريج فان اظفرك الله به وبأهل الشاش فخرب بلادهم واسب ذراريهم واياك وورطة المسلمين فقرأ الكتاب على الناس واستشارهم فقال يحيى بن الحصين انظر أهذا من امير المؤمنين اومن الامير فقال نصر يا يحيى تكلمت بكلمة ايام عاصم فبلغت الخليفة فحظيت بها وبلغت الدرجة الرفيعة فقلت اقول مثلها سر يا يحيى فقد وليتك مقدمتى فلام الناس يحيى فسار الى الشاش فأتاهم الحارث بن سريج فنصب عليهم عرادتين بالتشديد تثنية عرادة شئ اصغر من المنجنيق واغار الاخرم وهو فارس الترك على المسلمين فقتلوه والقوا رأسه الى الترك فصاحوا وانهزموا وسار نصر الى الشاش فتلقاه ملكها بالصلح والهدية والرهن واشترط عليه نصر اخراج الحارث بن سريج عن بلده فأخرجه الى فاراب ثم تنقل الحارث فى بلاد الترك الى سنة ست وعشرين ثم اصطلح مع المسلمين ورجع الى خراسان سنة سبع وعشرين فكانت مدة مفارقته للمسلمين واتصاله بالترك ثنتى عشرة سنة ورد عليه نصر ما كان اخذ له ثم استعمل نصر على الشاش بعد الصلح مع اهله نيزك بن صالح مولى عمرو بن

العاص ثم سار حتى نزل قباء من ارض فرغانة وكانوا احسوا بمجيئه فأحرقوا الحشيش وقطعوا الميرة فوجه نصر الى ولى صاحب فرغانة فحاصروه فى حصن وغفلوا عنه فخرج وغنم دواب المسلمين فوجه اليهم نصر رجالا من تميم ومعهم محمد بن المثنى وكمن المسلمون لهم فخرج الترك واستاقوا بعض الدواب فخرج عليهم المسلمون فهزموهم وقتلوا الدهقان واسروا منهم واسروا ابن الدهقان فقتله نصر ثم سألوه الصلح فأرسل نصر سليمان ابن صول بكتاب الصلح الى صاحب فرغانة فأمر به فادخل الخزائن ليراها ثم رجع اليه فقال كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم قال سهلا كثير الماء والمرعى فكره ذلك وقال ما اعلمك فقال سليمان قد غزوت غرشستان وغور والختل وطبرستان فكيف لا اعلم قال فكيف رأيت ما اعددنا قال عدة حسنة ولكن ما علمت ان المحصور لا يسلم من خصال لا يامن اقرب الناس اليه واو ثقهم فى نفسه او يفنى ما جمع فيسلم برمته او يصيبه داء فيموت فكره ما قال له وامره فأحضر كتاب الصلح فأجاب اليه وسير أمه معه وكانت صاحبة أمره فقدمت على نصر فاذن لها وجعل يكلمها وكان مما قالت له كل ملك لا يكون عنده ستة اشياء لا يكون ملكا وزير يبث اليه ما فى نفسه ويشاوره ويثق بنصيحته وطباخ اذا لم يشته الطعام اتخذ له ما يشتهى وزوجة اذا دخل عليها مغتما فنظر الى وجهها زال غمه وحصن اذا فزع اتاه فأنجاه تعنى البرذون وسيف اذا قاتل لا يخشى خيانته وذخيرة اذا حملها عاش بها اين كان من الارض ثم دخل تميم ابن نصر فى جماعة فقالت من هذا قالوا هذا فتى خراسان تميم بن نصر فقالت ماله نبل الكبير ولا حلاوة الصغير ثم دخل الحجاج بن قتيبة بن مسلم الباهلى فقالت من هذا فقالوا الحجاج بن قتيبة بن مسلم فأحبته وسألت عنه وقالت يا معشر العرب ما لكم وفاء ولا يصلح بعضكم بعضا قتيبة الذى ذلل لكم ما ارى وهذا ابنه تقعده دونك فحقه ان تجلسه انت هذا المجلس وتجلس انت مجلسه وعقدت الصلح ورجعت

﴿ ذكر غزو مروان بن محمد بن مروان ﴾

فى سنة احدى وعشرين غزا مروان بن محمد بأرمينية وهو واليها فأتى قلعة بيت السرير فقتل وسبى ودخل غوميك وهو حصن فيه بيت الملك وسريره فهرب الملك منه حتى اتى حصنا يقال له خيزج فيه سرير من ذهب فسار اليه مروان ونازله صيفيته وشتويته فصالح الملك على الف رأس كل سنة ومائة الف مد فصالحه وسار مروان فدخل ارض ارز وبطران فصالحه ملكها ثم سار فى ارض تومان فصالحه وسار حتى اتى حمزين فأخرب بلاده وحصر حصنا له شهرا فصالحه ثم اتى مروان ارض مسداره فافتتحها على صلح ثم نزل مروان كيران فصالحه طبرسران وفيلان وكل هذه الولايات على شاطئ البحر من ارمينية الى طبرستان وفى هذه السنة غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير وفى هذه السنة قتل البطال واسمه عبد الله ابو الحسين الانطاكى وقتل معه جماعة من المسلمين ببلاد الروم وكان كثير الغزو الى الروم والاغارة على بلادهم وله عندهم ذكر عظيم حكى انه دخل بلادهم فى بعض غزاته هو واصحابه فدخل قرية لهم ليلا وامرأة تقول لصغيرلها يبكى تسكت والا سلمتك للبطال ثم رفعته بيدها

وقالت خذه يابطال وكان قريبا منها ولم تعلم به فتناوله من يدها وكان عبد الملك بن مروان رسله مع ابنه مسلمة الى بلاد الروم وامره مرة على رؤساء اهل الجزيرة والشام وامر ابنه ... ان يجعله على مقدمته وطلائعه وقال انه ثقة شجاع مقدام فجعله مسلمة على عشرة آلاف فارس وله قصص ووقائع كثيرة

ذكر صلح نصر بن سيار مع الصغد ٣

فى سنة ثلاث وعشرين ومائة صالح نصر بن سيار الصغد وسبب ذلك ان خاقان لما قتل فى ولاية اسد بن عبد الله تفرقت الترك فى اغارة بعضها على بعض فطمع اهل الصغد فى الرجعة اليها وانحاز قوم منهم الى الشاش فلما ولى نصر بن سيار ارسل اليهم يدعوهم الى الرجوع الى بلادهم واعطاهم ما ارادوا وكانوا يسألون شروطا انكرها امراء خراسان منها ان لا يعاقب من كان مسلما فارتد عن الاسلام ولا يعدى عليهم فى دين لاحد من الناس ولا يؤخذ اسراء المسلمين منهم الا بقضية قاض وشهادة عدول فعاب الناس ذلك على نصر وتكلموا فيه فقال لو عاينتم شوكتهم فى المسلمين مثل ما عاينت ما انكرتم ذلك وارسل رسولا الى هشام بن عبد الملك فى ذلك فاجابه اليه وفى سنة اربع وعشرين ومائة غزا سليمان بن هشام الصائفة فلقى أليون ملك الروم فهزمه وقتل وسبى وغنم وفى سنة خمس وعشرين توفى هشام بن عبد الملك وبويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك فأقر نصر بن سيار على خراسان ثم ثارت فتن بين اولاد عبد الملك وقتل الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين وبويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك وتوفى بعد ستة اشهر وبويع اخوه ابراهيم بن الوليد ثم خلع بعد سبعين يوما وبويع مروان بن محمد سنة سبع وعشرين فأقر نصر بن سيار على ولاية خراسان واستمر مروان بن محمد خمس سنين وعشرة اشهر وثارت الفتن بينه وبين بنى العباس وقتل مروان بن محمد سنة اثنتين وثلاثين وعمره اثنتان وستون سنة وقامت الدولة العباسية وتفصيل ذلك كله طويل مذكور فى التواريخ والقصد فى هذا الكتاب ذكر الفتوحات التى فيها جهاد الكفار وفى مدة هذه الفتن انقطع الغزو والجهاد وانتشرت الفتن بين المسلمين فى كل قطر واقليم

ذكر ملك الروم ملاطية

نشأ من الفتن التى كانت بين المسلمين فى هذه السنين ان الروم طمعوا فى البلاد فاقبل قسطنطين ملك الروم الى ملاطية وكمخ فى سنة ثلاث وثلاثين فى خلافة السفاح اول خلفاء بنى العباس فلما اقبل قسطنطين نازل كمخ فأرسل اهلها الى اهل ملطية يستنجدونهم فسار اليهم منهم ثمانمائة مقاتل فقاتلهم الروم فانهزم المسلمون ونازل الروم ملطية وحصروها وارسل قسطنطين الى اهل ملطيه انى لم احصركم الا على علم من المسلمين واختلافهم فلكم الامان وتعودون الى بلاد المسلمين حتى اخترب ملطيه فلم يجيبوه الى ذلك فنصب المجانيق فاذعنوا وسلموا البلد على الامان وانتقلوا الى بلاد الاسلام وحملوا ما امكنهم حمله وما لم يقدروا على حمله القوه فى الآبار والمجارى وسار ملك الروم الى قاليقلا فنزل مرج الحصى وارسل كوشان الارمنى فحصرها فنقب اخوان من الارمن من اهل المدينة ردما كان فى سورها فدخل كوشان ومن

٣ صغد بضم الصاد وسكون الغين موضع بسمرقند وموضع ببخارى وصغد بير بلدة بارمينية بناها انوشروان العادل واما صعد بالعين فهى بلدة بالشام اه مؤلف

معه المدينة فغلبوا عليها وقتلوا رجالها وسبوا النساء وساق الغنائم الى ملك الروم وفى هذه السنة كان متوليا على خراسان ابو مسلم القائم بدعوة بنى العباس فوجه اباداود خالد بن ابراهيم الذهلى الى الختل فدخلها فلما انتهى الى ارض فرغانة تخالف اخشيد فرغانة وملك الشاش واستمد اخشيد ملك الصين فأمده بمائة الف مقاتل فحصروا ملك الشاش فنزل على حكم ملك الصين وبلغ الخبر ابامسلم فوجه الى حربهم زياد بن صالح فالتقوا على نهر طراز فنفربهم المسلمون وقتلوا منهم زهاء خمسين الفا واسروا نحو عشرين الفا وهرب الباقون الى الصين

﴿ ذكر غزوة كش ﴾

فى سنة اربع وثلاثين غزا ابو داود خالد بن ابراهيم الذهلى اهل كش فقتل ملكها وهو سامع مطيع وقتل اصحابه وأخذ منهم من الاوانى الصينية المنقشة المذهبة مالم ير مثلها ومن السروج ومتاع الصين من الديباج والطرف شيأ كثيرا وحمله الى ابى مسلم وهو بسمرقند وقتل عدة من دهاقينهم ورجع ابو داود الى بلخ وفى سنة خمس وثلاثين غزا عبدالله بن حبيب جزيرة صقلية وغنم بها وسبى بعد أن غزا ايضا تلمسان وفى سنة ست وثلاثين توفى السفاح وبويع اخوه المنصور وقتل ابامسلم سنة سبع وثلاثين وولى خراسان بعد قتل ابى مسلم اباداود خالد بن ابراهيم الذهلى وفى سنة ثمان وثلاثين خرج قسطنطين ملك الروم الى بلاد الاسلام فدخل ملطية عنوة وغلب وقهر اهلها وهدم سورها وعفا عمن فيها من المقاتلة والذرية فبعث المنصور اخاه العباس بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ومعه صالح بن على وعيسى بن على فى جيش فبنوا ما كان ملك الروم اخربه من سور ملطية ثم غزوا الصائفة سنة تسع وثلاثين ومائة من درب الحدث فوغلوا فى ارض الروم وغزا مع صالح اختاه ام عيسى ولبابة وكانتا نذرتا ان زال ملك بنى امية ان تجاهدا فى سبيل الله وغزا من درب ملطية جعفر بن حنظلة البهرانى وفى هذه السنة كان الفداء بين المنصور وملك الروم فاستفدى المنصور اسرى قاليقلا وغيرهم من الروم وبناها وعمرها ورد اهليها اليها وندب اليها جندا من اهل الجزيرة وغيرهم فاقاموا فيها وحموها ولم يكن بعد ذلك صائفة الى سنة ست واربعين لاشتغال المنصور بالفتنة التى كانت بينه وبين بنى عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن ابى طالب وقيل ان الحسن بن قحطبة غزا الصائفة سنة اربعين مع عبد الوهاب بن ابراهيم الامام واقبل قسطنطين ملك الروم فى مائة الف فبلغ جيحان فسمع كثرة المسلمين فاحجم عنهم ثم لم يكن بعدها صائفة الى سنة ست واربعين لكن حصلت وقائع وغزوات بخراسان وغيرها فى هذه المدة كما سترى ذلك وفى سنة تسع وثلاثين ومائة كان دخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك الاندلس وتملكها فخرجت الاندلس عن ولاية بنى العباس وقصة تملك عبدالرحمن الداخل الاندلس طويلة ملخصها انه لما قامت الدولة العباسية اخذوا يتتبعون بنى امية قتلا فهرب عبدالرحمن المذكور مختفيا ومازال ينتقل حتى دخل الاندلس وكان بالاندلس رجال من بقايا عمال بنى امية ومواليهم فاعانوه حتى

انتزع الاندلس من عمال بني العباس بعد حروب كثيرة واستفحل ملكه وملك بنيه بعده بالاندلس وكان دخوله الاندلس في خلافة المنصور العباسي وكان المنصور يتعجب من امره ويسميه صقر قريش واراد استرجاع الاندلس من يده فلم يتمكن له ذلك والكلام على ذلك طويل ذكرته في التاريخ الذي جمعته في اخبار الاندلس ملخصا من نفح الطيب وغيره ولما استقامت اموره وتمكنت دولته بلغه عن بعض من اعانه انه يقول لولا انا ماتوصل اليه الملك وكان منه ابعد من النجم وقال قائل آخر انما اعانه سعده لاعقله وتدبيره فحركه ذلك الى ان قال

* لا يلف ممتن علينا قائل * اولاي مامالك الامام الداخل *
* سعدي وحزمي والمهند والقنا * ومقادر بلغت وحال حائل *
* ان الملوك مع الزمان كواكب * نجم يطالعنا ونجم آفل *
* والحزم كل الحزم ان لايغفلوا * ايروم تدبير البرية غافل *
* ويقول قوم سعده لاعقله * خير السعادة ماحواها العاقل *
* ابني امية قد جبرنا صدعكم * بالغرب رغما والسعود قبائل *
* مادام من نسلي امام قائم * فالملك فيكم ثابت متواصل *

ومازال مستقرا في ملكه ثلاثا وثلاثين سنة واربعة اشهر الى ان توفي سنة ١٧٢ وعمره تسع وخمسون سنة واستمر الملك في بنيه الى اواخر القرن الرابع وسيأتي ذكر كثير من غزواتهم وفتوحاتهم ولنرجع الى تمام الكلام على فتوحات بني العباس ففي سنة ١٤٠ مات ابوداود خالد بن ابراهيم الذهلي عامل خراسان واقيم مقامه عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي ثم ظهر منه مخالفة وعصيان واراد خلع المنصور فجهز المنصور في سنة احدى واربعين ابنه المهدي وعمره نحو خمس عشرة سنة ومعه جيش فأسر عبد الجبار وبعث به الى المنصور فقتله وصارت ولاية خراسان للمهدي بن المنصور وكان كثير من اهل خراسان قد نقضوا لما تغيرت الدوله واسترجع بعض الكفار ماكان لهم من الملك فكتب المنصور الى ابنه المهدي ان يغزو طبرستان

﴿ ذكر غزوة طبرستان ﴾

في سنة احدى واربعين ومائة كتب المنصور الى ابنه المهدي وهو على خراسان ان يغزو طبرستان وينزل الري ويوجه اباالخصيب وخازم بن خزيمة والجنود الى الاصبهبذ وكان الاصبهبذ يومئذ محاربا للمصمغان ملك دنباوند معسكرا بازائه فلما بلغه دخول جنود الاسلام بلاده ودخول ابي الخصيب سارية فقال المصمغان للاصبهبذ متى قهروك صاروا الي فاجتمعوا على حرب المسلمين فانصرف الاصبهبذ الى بلاده فحارب المسلمين فطالت تلك الحروب فوجه المنصور عمر بن العلاء الى طبرستان وكان عالما ببلاد طبرستان فاخذ الجنود وقصد الرويان ففتحها واخذ قلعة الطلق وما فيها وطالت الحرب فالح خازم على القتال ففتح طبرستان وقتل منهم فاكثر وسار الاصبهبذ الى قلعته فحصر فطلب الامان على ان يسلم القلعة

بما فيها من الذخائر وكتب المهدى الى المنصور بذلك فوجه المنصور رجالا احصوا ما فى الحصن وانصرفوا ودخل الاصبهبذ بلاد جيلان من الديلم و اخذت ابنته وقصدت الجنود بلد المصمغان فظفروا به و بالحيرة ام منصور بن المهدى وفى سنة ثنتين واربعين ومائة خلع الطاعة عيينة بن موسى بن كعب عامل السند فبعث المنصور عمر بن ابى حفص العتكى عاملا على السند والهند فسار وغلب عليها بعد حروب

﴿ ذكر نكث الاصبهبذ ﴾

فى سنة ثنتين واربعين ومائة نكث الاصبهبذ بطبرستان العهد بينه و بين المسلمين وقتل من كان ببلاده منهم فلما انتهى الخبر الى المنصور سير مولاه اباالخصيب وحازم بن خزيمة وروح ابن حاتم فاقاموا على الحصن يحاصرونه وهو فيه فلما طال عليهم المقام احتال ابوالخصيب فى ذلك فقال لاصحابه اضربونى و احلقوا رأسى ولحيتى ففعلوا ذلك ولحق بالاصبهبذ فقال له فعل بى هذا تهمة منهم لى ان يكون هواى معك وأخبره انه معه وانه دليل على عورة عسكرهم فقبل ذلك الاصبهبذ وجعله فى خاصته والطفه وكان باب حصنهم من حجر يلقى القاء يرفعه الرجال وتضعه عند فتحه واغلاقه وكان الاصبهبذ يوكل به ثقات اصحابه نوبا بينهم فلما وثق الاصبهبذ الى ابى الخصيب وكله بالباب فتولى فتحه واغلاقه حتى انس به ثم كتب ابوالخصيب الى روح وحازم والقى الكتاب فى سهم وأعلمهم انه قد ظفر بالحيلة وواعدهم ليلة فى فتح الباب فلما كانت تلك الليلة فتح لهم فقتلوا من فى الحصن من المقاتلة وسبوا الذرية واخذوا اسكلا ام ابراهيم بن المهدى وكان مع الاصبهبذ سم فشربه ومات

﴿ ذكر نكث الديلم ﴾

فى سنة ثلاث واربعين نكث الديلم وثاروا بالمسلمين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة فبلغ ذلك المنصور فندب الناس الى قتال الديلم وجهادهم فساروا اليهم وقاتلوهم حتى اخضعوهم سنة اربع واربعين وفى سنة خمس واربعين كان ابتداء بناء مدينة بغداد وانتقل المنصور اليها سنة ست واربعين وفيها خرجت الترك والخزر بباب الابواب فقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة وفى سنة ست واربعين غزا الصائفة جعفر بن حنظلة البهرانى وغزا مالك بن عبدالله الخثعمى بلاد الروم فغنم غنائم كثيرة وفى سنة سبع واربعين اغارا سترخان الخوارزمى فى جمع من الترك على المسلمين بناحية ارمينية وسبى من المسلمين خلقا ودخلوا تفليس فسير المنصور الى محاربتهم جبرائيل بن يحى وحرب بن عبدالله فى جند كثير فقاتلوهم فهزم جبرائيل وقتل حرب وقتل من اصحاب جبرائيل خلق كثير وفى سنة تسع واربعين غزا العباس بن محمد ارض الروم ومعه الحسن بن قحطبه ومحمد بن الاشعث واغزا عبدالرحمن الداخل صاحب الاندلس مولاه بدرا الى بلاد العدو فجاوز اليه واخذ الجزية

﴿ ذكر خروج استاذ سيس ﴾

فى سنة خمسين ومائة خرج استاذسيس فى اهل هراة وباذغيس وسجستان وغيرها من خراسان

وكان فيما قيل فى ثلاثمائة الف مقاتل فغلبوا على عامة خراسان وساروا حتى التقوا هم واهل مرو الروذ فخرج اليهم الاجشم المروذى فى اهل مرو الروذ فقاتلوه قتالا شديدا فقتل الاجشم وكثر القتل فى اصحابه وهزم عدة من القواد فوجه المنصور وهو بالراذان خازم بن خزيمة الى المهدى فولاه المهدى محاربة استاذ سيس وضم اليه القواد فسار خازم واخذ معه من انهزم وجعلهم فى آخريات الناس يكثر بهم من معه وكان معه من هذه الطبقة اثنان وعشرون الفا ثم انتخب منهم ستة آلاف وضمهم الى اثنى عشر الفا كانوا معه من المنتخبين وكان بكار بن مسلم العقيلى فيمن انتخب وتعبى للقتال وكان لواؤه مع الزبرقان فمكر بهم وراوغهم فى ان ينقلهم من موضع الى موضع وخندق الى خندق حتى قطعهم ثم سار خازم الى موضع فنزله وخندق عليه وعلى جميع اصحابه وجعل له اربعة ابواب وجعل على كل باب القائم اصحابه الذين انتخبوا وأتى اصحاب استاذ سيس ومعهم الفوس والرازة * والزبل ليطموا الخندق فأتوا الخندق من الباب الذى عليه بكار بن مسلم فحملوا على اصحاب بكار حملة هزموهم بها فرمى بكار بنفسه فترجل على باب الخندق وقال لاصحابه لايؤتى المسلمون من ناحيتنا فترجل معه من اهله وعشيرته نحو من خمسين رجلا وقاتلوهم حتى ردوهم من بابهم ثم اقبل على الباب الذى عليه خازم رجل من اصحاب استاذ سيس اسمه الحريش وهو الذى كان يدبر امرهم فلما رآه خازم مقبلا بعث الى الهيثم بن شعبة وكان فى الميمنة يأمره ان يخرج من الباب الذى عليه بكار فان من بازائه قد شغلوا عنهم و يسير حتى يغيب عن ابصارهم ثم يرجع من خلف العدو وقد كانوا يتوقعون قدوم ابى عون وعمرو بن مسلم بن قتيبة من طخارستان و بعث خازم الى بكار يقول له اذا رأيت رايات الهيثم قد جاءت فكبروا وقولوا قد جاء اهل طخارستان ففعل ذلك الهيثم وخرج خازم فى القلب على الحريش يشغلهم بالقتال وصبر بعضهم لبعض فبيناهم على ذلك نظروا الى اعلام الهيثم قد اقبلت فتنادوا بينهم جاء اهل طخارستان وحمل اصحاب خازم فكشفوهم ولقيهم اصحاب الهيثم فطعنوهم بالرماح ورموهم بالنشاب وخرج نهار بن حصين من ناحية الميسرة وبكار بن مسلم واصحابه من ناحيتهم فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف فقتلهم المسلمون فاكثروا فكان عدد من قتل سبعين الفا وامروا اربعة عشر الفا ونجا استاذ سيس الى جبل فى نفر يسير فحصرهم خازم وقتل الاسرى ووافاه ابو عون وعمرو بن مسلم ومن معهما فنزل استاذ سيس على حكم ابى عون فحكم ان يوثق استاذ سيس و بنوه واهل بيته بالحديد وان يعتق الباقون وكانوا ثلاثين الفا فأمضى خازم حكمه وكسى كل رجل ثوبين وكتب الى المهدى بذلك فكتب المهدى الى المنصور وقد قيل ان استاذ سيس كان قد ادعى النبوة و اظهر اصحابه الفسق وقطع السبيل قيل انه جد المأمون ابو امه مراجل و ابنه غالب خال المأمون وفى هذه السنة قدم المهدى من خراسان فقدم عليه اهل بيته من الشام والكوفة والبصرة وغيرها فهنؤه بمقدمه فأجازهم وحملهم وكساهم وفعل بهم المنصور مثل ذلك و بنى له الرصافة وفيها غزا الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم الامام ابن محمد بن على وفى سنة ثنتين وخمسين ومائة استعمل المنصور على خراسان حميد بن قحطبة فغزا كابل وغزا الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم الامام وفى سنة ثلاث وخمسين

* يعنى البنائين قال فى القاموس الراز رئيس البنائين جمعه الرازة اه مؤلف

غزا الصائفة معيوف بن يحيى فوصل الى حصن من حصون الروم ليلا واهله نيام فسبى واسر من كان فيه ثم قصد اللاذقية الخراب فسبى منها ستة آلاف رأس سوى الرجال البالغين وفى سنة اربع وخمسين غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالى فبلغ الفرات وفى سنة خمس وخمسين غزا الصائفة يزيد بن اسيد السلمى وفيها طلب ملك الروم الصلح الى المنصور على ان يؤدى الجزية وفى سنة ست وخمسين غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالى وفى سنة سبع وخمسين غزا الصائفة يزيد بن اسيد السلمى فسبى وغنم وفى سنة ثمان وخمسين توفى المنصور وبويع ابنه محمد المهدى وسار الصائفة معيوف بن يحيى من درب الحدث فلقى العدو فاقتتلوا ثم تحاجزوا وفى سنة تسع وخمسين غزا العباس بن محمد الصائفة الرومية فبلغوا القره وفتحوا مدينة للروم ومطمورة ولم يصب من المسلمين احد ورجعوا سالمين

﴿ ذكر فتح مدينة باربد بالهند ﴾

فى سنة ستين ومائة فتحت مدينة باربد وكان المهدى سير فى سنة تسع وخمسين جيشا فى البحر وعليهم عبد الملك بن شهاب المسمعى الى بلاد الهند فى جمع كثير من الجند والمتطوعة وفيهم الربيع بن صبيح فساروا حتى نزلوا على باربد فلما نازلوها حصروها من نواحيها وحرض الناس بعضهم بعضا على الجهاد وضايقوا اهلها ففتحها الله عليهم عنوة واحتمى اهلها بالبد الذى لهم فأحرقه المسلمون عليهم فاحترق بعضهم وقتل الباقون واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا وأفاءها الله عليهم وفى سنة ستين ايضا غزا ثمامة بن العبس الصائفة وغزا الغمر بن العباس الخثعمى بحر الشام وفى سنة احدى وستين غزا الصائفة ثمامة ابن الوليد فنزل بدابق وجاشت الروم فى ثمانين الفا فاتى ثمامة عمق مرعش فقتل وسبى واتى مرعش فحاصرها فقاتلهم وقتل من المسلمين عدة كثيرة وكان عيسى بن على مرابطا بحصن مرعش فانصرف الروم الى جيحان وبلغ الخبر المهدى فعظم عليه وتجهز لغزو الروم كما سنذكره وفى سنة اثنتين وستين خرجت الروم الى الحدث فهدموا سورها وغزا الصائفة الحسن بن قحطبة فى ثمانين الف مرتزق سوى المتطوعة فبلغ اذروليه واكثر التحريق والتخريب فى بلاد الروم ولم يفتح حصنا الا لقى جمعا ورجع الناس سالمين وفيها غزا يزيد بن اسيد السلمى من ناحية قاليقلا فغنم وافتتح ثلاثة حصون وسبى

﴿ ذكر غزو المهدى ﴾

فى سنة ثلاث وستين تجهز المهدى لغزو الروم فخرج وعسكر بالبردان وجمع الاجناد من خراسان وغيرها وسار عنها واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادى وعمره نحو عشرين سنة واستصحب معه ابنه هارون الرشيد وعمره نحو سبع عشرة سنة وسار على الموصل والجزيرة وعبر الفرات الى حلب وارسل وهو بحلب فجمع من تلك الناحية من الزنادقة فجمعوا فقتلهم وقطع كتبهم وسار عنها مشيعا لابنه هارون الرشيد حتى جاز الدرب وبلغ جيحان فسار هارون بالجيش حتى نازل حصن سمالوا فحصروه ثمانية وثمانين يوما ونصب

عليه المجانيق ففتحه الله عليهم بالامان ووفى لهم وغنموا غنائم كثيرة ورجعوا ولما بلغ المهدي
من الغزاة زار بيت المقدس وفي سنة اربع وستين ومائة غزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن زيد
ابن الخطاب من درب الحدث فأتاه ميخائيل البطريق في تسعين الفا فخاف عبد الكبير ومنع
الناس من القتال ورجع بهم فاراد المهدي قتله فشفع فيه فحبسه وفي هذه السنة غزا عبد الرحمن
الاموي صاحب الاندلس بلاد الفرنج فدوخها وانتهب وسبى وبلغ قلهرة وافتتح مدينة
وهدم قلاع تلك الناحية وسار الى بلاد البشكنس ونزل على حصن مثين الاقرع فافتتحه ثم
تقدم الى ملد ونون بن بلال وحصر قلعته وقصد الناس جبالها وقاتلوهم فيها فملكوها
عنوة وخربوها ثم رجعوا

ذكر غزو هرون الرشيد الروم

في سنة خمس وستين سير المهدي ابنه هارون الرشيد لغزو الروم في خمسة وتسعين الفا وسبعمائة
وثلاثة وتسعين رجلا فأوغلوا في بلاد الروم ولقيهم عسكر نقيطا قومس القوامسة فبارزه
يزيد بن مزيد الشيباني فأثخنه يزيد وانهزمت الروم وغلب المسلمون على عسكرهم وساروا
الى الدمستق وهو صاحب المسالح اي الثغور فحمل لهم مائة الف دينار وثلاثة وتسعين الفا
واربعمائة وخمسين دينارا ومن الفضة احدى وعشرين الف الف درهم واربعة عشر الفا
وثمانمائة درهم وسار الرشيد حتى بلغ خليج القسطنطينية وصاحب الروم يومئذ عطسة امرأة
اليون وذلك لان ابنها كان صغيرا قد هلك ابوه وهو في حجرها فجرت بينها وبين الرشيد
الرسل في الصلح والموادعة على الفدية وان تقيم له الادلاء والاسواق في الطريق وذلك انه دخل مدخلا صعبا مخوفا
فأجابته الى ذلك ومقدار الفدية سبعون الف دينار كل سنة ورجع عنها وكانت الهدنة ثلاث
سنين وكان مقدار ما غنم المسلمون الى ان اصطلحوا خمسة آلاف رأس سبي وخمسمائة وثلاثة
واربعين رأسا ومن الدواب الذلل بأدواتها عشرين الف فرس وذبح من البقر والغنم مائة
الف رأس وقتل من الروم في الوقائع كلها اربعة وخمسون الفا وقتل من الاسرى صبرا
الفان وتسعون اسيرا وفي سنة ثمان وستين ومائة نقض الروم الصلح فوجه علي بن سليمان
وهو على الجزيرة وقنسرين يزيد بن البدر بن البطال فغنموا وظفروا وفي سنة تسع وستين
ومائة توفي المهدي وبويع ابنه موسى الهادي وغزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب
الراهب وقد كانت الروم قبل ذلك جاؤا مع بطريقهم الى الحدث فهرب الوالي واهل السوق
ودخلها الروم فقصدهم معيوف فبلغ مدينة أشنة فغنم وسبى وفي سنة سبعين ومائة توفي
الهادي وبويع اخوه هارون الرشيد واستمر الى سنة ثلاث وتسعين ومائة فكانت مدته ثلاثا
وعشرين سنة وكان يحج سنة ويغزو سنة وفي سنة احدى وسبعين توفي عبد الرحمن بن معاوية
ابن هشام صاحب الاندلس وكانت دولته بالاندلس ثلاثا وثلاثين سنة فصار الملك لاولاده
بعده فقام بالامر بعده ابنه هشام وفي سنة اربعة وسبعين غزا الصائفة عبد الملك بن صالح
الهاشمي من قبل هارون الرشيد وفي سنة خمس وسبعين غزاها ابنه عبد الرحمن بن عبد الملك
ابن صالح وفيها سار هشام بن عبد الرحمن صاحب الاندلس الى بلاد الفرنج فقصد ألبة والقلاع

فلقيه العدو فظفر بهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفتح الله عليه وفي السنة التي بعدها غزا عبد الملك ابن عبد الواحد ففعل مثل ذلك وكذا في سنة سبع وسبعين فدخلوا بلاد العدو فبلغوا اربونة وجرندة وكان بها حامية الفرنج فقتل رجالها وهدم اسوارها وابراجها واشرف على فتحها فرحل عنها الى اربونة ففعل مثل ذلك واوغل في بلادهم ووطئ ارض برطانية فاستباح حريمها وقتل مقاتلتها وجاس البلاد شهورا يخرب الحصون ويحرق ويغنم قد أجفل العدو من بين يديه هاربا واوغل في بلادهم ورجع سالما معه من الغنائم مالا يعلمه الا الله تعالى وهي من اشهر مغازي المسلمين بالاندلس وفعل مثل ذلك في السنتين اللتين بعدها وتوفي هشام صاحب الاندلس سنة ثمانين ومائة وقام بالامر بعده ابنه الحكم ومن غزوات الرشيد الشهيرة غزوة ارض الروم في سنة احدى وثمانين فتح فيها حصن الصفصاف، وفيها غزا عبد الملك بن صالح ارض الروم فبلغ انقرة وافتتح مطمورة وفي هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم وكان عدة الاسرى ثلاثة آلاف وسبعمائه وفي سنة اثنين وثمانين ومائة غزا الصائفة عبد الرحمن ابن عبد الملك بن صالح وبلغ افسوس مدينة اصحاب الكهف

﴿ ذكر غزو الخزر ٢ بلاد الاسلام ﴾

في سنة ثلاث وثمانين ومائة خرج الخزر من باب الابواب فاوقعوا بالمسلمين واهل الذمة وسبوا اكثر من مائة الف رأس وانتهكوا امرا عظيما لم يسمع بمثله فولى الرشيد ارمينية ليزيد بن مزيد الشيباني مضافا الى اذربيجان ووجهه اليهم فظفر بهم وفي سنة ست وثمانين ومائة ملك الفرنج لعنهم الله مدينة برشلونة بالاندلس واخذوها من المسلمين ونقلوا حماة ثغورهم اليها وتأخر المسلمون الى ورائهم وكان سبب ملكهم اياها اشتغال المسلمين بفتنة كانت بينهم

﴿ ذكر غزو الروم ﴾

وحيث ذكر الروم هنا وفيما تقدم وفيما يأتي فالمراد بهم النصارى اليونان الذين كان لهم ملك القسطنطينية وهم غير النصارى المعروفين بالافرنج كالفرنسيس والانكليز وفي سنة سبع وثمانين ومائة دخل القاسم بن الرشيد ارض الروم فاناخ على قرة وحصرها ووجه العباس ابن جعفر بن محمد بن الاشعث فحصر حصن سنان حتى جهد اهلها فبعث اليه الروم ثلاثمائة وعشرين اسيرا من المسلمين على ان يرحل عنهم فاجابهم ورحل عنهم صلحا وكان يملك الروم حينئذ امرأة اسمها ريني فخلعها الروم وملكت نقفور فكتب نقفور الى الرشيد من نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب اما بعد فان الملكة التي كانت قبلي اقامتك مقام الرخ واقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من اموالها ما كنت حقيقا بحمل اضعافها اليها لكن ذلك لضعف النساء وحمقهن فاذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل لك من اموالها والا فالسيف بيننا وبينك فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يقدر احد ان ينظر اليه دون ان يخاطبه وتفرق جلساؤه فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من هرون امير المؤمنين الى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام ثم سار من يومه حتى نزل على هرقلة ففتح

(٢) الخزر امة من الترك كانت تسكن في الجنوب من بحر قزوين ... اهـ

وغنم و احرق وخرب فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله كل سنة فاجابه الى ذلك فلما رجع من غزوته وصار بالرقه نقض نقفور العهد وكان البرد شديدا فأمن رجعة الرشيد اليه فلما جاء الخبر بنقضه ما جسر احد على اخبار الرشيد خوفا على انفسهم من العود فى مثل ذلك البرد واشفاقا من الرشيد فاحتيل له بشاعر من اهل جنده فقال ابياتا منها

* نقض الذي اعطيته نقفور * فعليه دائرة البوار تدور *
* ابشر امير المؤمنين فانه * فتح اتاك به الاله كبير *
* فتح يزيد على الفتوح يؤمنا * بالنصر فيه لواؤك المنصور *

فلما سمع الرشيد ذلك قال اوقد فعل ذلك نقفور ورجع الى بلاد الروم فى اشد زمان واعظم كلفة حتى بلغ بلادهم فاقام بها حتى شفى واشتفى و بلغ ما اراد ورجع وفى هذه السنة ملك الفرنج مدينة تطيلة بالاندلس فجهز الحكم صاحب الاندلس وسير العساكر مع ابن عمه فلقى المشركين وقاتلهم ففض جمعهم وهزمهم وقتل اكثرهم ونجا الناقون منهزمين وفى سنة ثمان وثمانين ومائة غزا ابراهيم بن جبريل الصائفة فدخل ارض الروم فخرج اليه نقفور ملك الروم واقتتلوا وقتل من الروم اربعون الفا وسبعمائة وفى سنة تسع وثمانين كان الفداء بين المسلمين والروم فلم يبق بأرض الروم مسلم

﴿ ذكر فتح هرقلة و قبرس وغيرهما ﴾

فى سنة تسعين غزا هارون الرشيد الروم فى مائة الف وخمسة وثلاثين الفا من المرتزقة سوى الاتباع والمطوعة وفتح هرقلة واخربها ووجه داود بن عيسى سائرا فى ارض الروم فى سبعين الفا يخرب و ينهب ففتح الله عليه وفتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودلسة وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف وملقونية واستعمل حميد بن معيوف على سواحل الشام ومصر فبلغ قبرس وكانوا قد نقضوا العهد فهدم واحرق وسبى من اهلها سبعة عشر الفا ثم سار الرشيد الى طوانة فنزل بها و بعث نقفور بالخراج والجزية عن رأسه اربعة دنانير وعن رأس ولده دينارين وعن بطارقته كذلك وكتب نقفور الى الرشيد فى جارية من سبي هرقلة كان خطبها لولده فأرسلها اليه

﴿ ذكر غزو الفرنج بالاندلس ﴾

فى سنة احدى وتسعين ومائة تجهز لذريق ملك الفرنج بالاندلس وجمع جموعه ليسير الى مدينة طرطوشة ليحصرها فبلغ ذلك الحكم صاحب الاندلس فجهز العساكر وسيرها مع ولده عبد الرحمن فاجتمعوا فى جيش عظيم وتبعهم كثير من المتطوعة فسار فلقوا الافرنج فى اطراف بلادهم قبل ان ينالوا من بلاد المسلمين شيأ فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده واستنفد وسعه فأنزل الله تعالى نصره على المسلمين فانهزم الكفار وكثر القتل فيهم والاسر ونهبت اموالهم واثقالهم وعاد المسلمون ظافرين غانمين وفى هذه السنة غزا يزيد ابن مخلد الهبيرى ارض الروم فى عشرة الاف فأخذت الروم عليه المضيق فقتلوه وخمسين

رجلا وسلم الداقون وفيها أمر الرشيد بهدم الكنائس التى فى الثغور وألزم اهل الذمة بمخالفة هيئة المسلمين فى لباسهم وركوبهم وفى سنة اثنتين وتسعين تحركت الخرمية بناحية اذربيجان فوجه اليهم الرشيد عبدالله بن مالك فى عشرة آلاف فقتل وسبي وأسر فأمره الرشيد بقتل الاسرى وبيع السبي وفى هذه السنة كان الفداء الثانى بين المسلمين والروم وكان عدة الاسرى من المسلمين الفين وخمسمائة اسير وفى سنة ثلاث وتسعين توفى هارون الرشيد وبويع ابنه الامين ثم وقع الاختلاف بينه وبين اخيه المأمون الى ان قتل الامين سنة ثمان وتسعين ومائة وكان المأمون بخراسان فبويع وقدم العراق سنة اثنتين ومائتين وقيل سنة اربع

﴿ ذكر الغزو بالاندلس الى بلاد الفرنج ﴾

فى سنة مائتين جهز الحكم صاحب الاندلس جيشا مع وزيره عبدالكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج فسار بالعساكر حتى دخل ارضهم وتوسط بلادهم فخربها ونهبها وهدم عدة من حصونها كلما اهلك موضعا وصل الى غيره فاستخرج خزائن ملوكهم فلما رأى ملكهم فعل المسلمين ببلادهم كاتب ملوك جميع تلك النواحى مستنصرا بهم فاجتمعت اليه النصرانية من كل اوب فاقبل فى جموع عظيمة بازاء عسكر المسلمين وبينهم نهر فاقتتلوا قتالا شديدا عدة ايام والمسلمون يريدون ان يعبروا النهر وهم يمنعون المسلمين من ذلك فلما رأى المسلمون ذلك تأخروا عن النهر فعبر المشركون اليهم فاقتتلوا اعظم قتال فانهزم المشركون الى النهر فأخذهم السيف والاسر فمن عبر النهر سلم واسر جماعة من ملوكهم وقامصتهم وعاد الفرنج ولزموا النهر يمنعون المسلمين من جوازه وبقوا كذلك ثلاثة عشر يوما يقتتلون كل يوم وجاءت الامطار وزاد النهر وتعذر جوازه فقفل عبدالكريم عنهم وفى سنة احدى ومائتين وقع انتقاض فى الديلم فسير المأمون عبدالله بن خرداذبه والى طبرستان فافتتح جبال طبرستان واسر ملك الديلم واشخصه الى المأمون وفى سنة ست ومائتين توفى الحكم صاحب الاندلس وقام بالامر بعده ابنه عبدالرحمن الاوسط وفى هذه السنة غزا المسلمون من افريقية جزيرة سردانية فغنموا واصابوا من الكفار واصيب منهم ثم عادوا وفى سنة ثمان ومائتين سير عبدالرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى الافرنج واستعمل عليه الوزير عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث فساروا الى البة والقلاع فنهبوا بلاد البة واحرقوها وحصروا عدة من الحصون ففتحوا بعضها وصالحه بعضها على مال واطلاق الاسرى من المسلمين فغنم اموالا جليلة القدر واستنقذوا من اسارى المسلمين وسبيهم كثيرا وعادوا سالمين وفى سنة عشر ومائتين سير عبدالرحمن بن الحكم ايضا جيشا الى بلاد الافرنج واستعمل عليه ابنه عبيدالله المعروف بابن البلنسى فسار ودخل بلاد العدو وتردد فيها بالغارات والسبي والقتل والاسر ولقى جيوش الاعداء فى ربيع الاول فاقتتلوا وانهزم المشركون وكثر القتل فيهم وكان فتحا عظيما وفيها افتتح عسكر سيره عبدالرحمن ايضا حصن القلعة من ارض العدو وتردد فيها بالغارات منتصف شهر رمضان وفى سنة ثنتى عشرة ومائتين

سير عبد الرحمن ايضا جيشا الى بلاد الافرنج فوصلوا الى برشلونة ثم ساروا الى جرندة وقاتل اهلها فاقام الجيش شهرين ينهبون و يقتلون و يخربون ثم رجعوا وفي هذه السنة سير زيادة الله بن ابرهيم بن الاغلب عامل المأمون على افريقية جيشا في البحر الى جزيرة صقلية وكان الروم تغلبوا عليها فلما وصلوا اليها ملكوا كثيرا منها ثم امد الروم قسطنطين ملكهم بجيوش ووقعت وقائع كثيرة ثم كان النصر للمسلمين وقتلوا من الروم خلقا كثيرا

﴿ ذكر غزوة المأمون الى الروم ﴾

في سنة خمس عشرة ومائتين سار المأمون الى الروم في المحرم وانتهى الى طرسوس ودخل منها بلاد الروم في جمادى الاولى ودخل ابنه العباس من ملطية فاقام المأمون على حصن قرة حتى افتتحه عنوة وهدمه وقيل ان اهله طلبوا الامان فأمنهم وفتح قبله حصن ماجدة ووجه اشناس الى حصن سندس فأتاه برئيسه ووجه عجيف بن عنبسة وجعفر الخياط الى صاحب حصن سناذ فسمع واطاع ثم رجع المأمون وفي سنة ست عشرة ومائتين عاد المأمون الى بلاد الروم وسبب ذلك انه بلغه ان ملك الروم قتل الفا وستمائة من اهل طرسوس والمصيصة فسار حتى دخل ارض الروم وقيل ان سبب دخوله ان ملك الروم كتب اليه فبدأ بنفسه فسار ولم يقرأ كتابه فدخل ارض الروم فاناخ على انطيغو فخرجوا على صلح ثم سار الى هرقلة فخرج اهلها على صلح ووجه اخاه المعتصم فافتتح ثلاثين حصنا ومطمورة ووجه يحيى ابن اكثم من طوانة فاغار وقتل واحرق واصاب سبيا ورجع ثم سار المأمون الى كيسوم فاقام بها يومين ثم ارتحل الى دمشق ثم الى مصر ثم رجع الى الروم سنة سبع عشرة ومائتين فاناخ على لؤلؤة وهي اسم لحصن مائة يوم ثم رحل عنها وترك عجيفا عليها فخدعه واسروه فاقام اياما ثم اطلق ثم جاء ملك الروم فاحاط بعجيف فبعث اليه المأمون الجنود فارتحل ملك الروم وخرج اهل لؤلؤة الى عجيف بامان وارسل ملك الروم يطلب المهادنة فلم يتم ذلك وفي سنة ثمانية عشر ومائتين توفي المأمون وهو في بلاد الروم عند نهر البذندون وحمل الى طرسوس فدفن بها وبويع اخوه المعتصم بوصية منه وعهد اليه وفي هذه السنة دخل كثير من اهل الجبال وهمذان واصفهان وماسبذان وغيرها في دين الخرمية وتجمعوا فعسكروا في عمل همذان فوجه اليهم المعتصم العساكر وعليهم اسحاق بن ابراهيم بن مصعب فاوقع بهم في اعمال همذان وقتل منهم ستين الفا وهرب الباقون الى بلاد الروم والخرمية فرقة من المجوس يعتقدون مذهب التناسخ وان الارواح تنتقل من حيوان الى غيره والرجل منهم ينكح امه واخته و بنته ورئيسهم بابك الخرمي وكان للمعتصم معهم وقائع يطول الكلام بذكرها الى ان اباد كثيرا منهم بالقتل والاسر

﴿ ذكر خروج الروم الى زبطرة ٢ ﴾

في سنة ثلاث وعشرين ومائتين خرج ملك الروم الى بلاد الاسلام واوقع باهل زبطرة وغيرها قيل انه خرج في مائة الف وقيل اكثر من ذلك فقتل اهل زبطرة الرجال وسبى الذرية والنساء واغار على اهل ملطية وغيرها من حصون المسلمين وسبى المسلمات ومثل

٢ زبطرة كقمطرة بكسر القاف وفتح الميم وسكون الطاء بلدة بين ملطية وسميساط اه مؤلف

بمن صار فى يده من المسلمين وسمل اعينهم وقطع انوفهم وآذانهم فنفر الى قتالهم اهل الثغور من الشام والجزيرة الامن لم يكن له دابة ولا سلاح

﴿ ذكر فتح عمورية وشئ يوسة ﴾

لما خرج ملك الروم وفعل فى بلاد الاسلام ما فعل بلغ الخبر المعتصم فاستعظمه وكبر لديه وبلغه ان امرأة هاشمية صاحت وهى اسيرة فى ايدى الروم وامعتصماه فاجابها وهو جالس على سريره لبيك لبيك ونهض من ساعته وصاح فى قصره النفير النفير وبلغه ان عمورية عين النصرانية وانسرف عندهم من القسطنطينية فتجهز بما لم يعهد من السلاح وحياض الادم وغير ذلك وفرق عساكره ثلاث فرق فخربوا بلاد الروم وقتلوا كثيرا واحرقوا ووصلوا الى انقورية ثم اجتمعوا فى عمورية وحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وكانت فى غاية الحصانة وقد ذكر الشيخ محيى الدين بن العربى فى كتابه المسمى بالمسامرة فتح عمورية فقال فتحها المعتصم فى رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائتين وسبب فتحها ان رجلا وقف على المعتصم فقال يا امير المؤمنين كنت بعمورية وجارية من احسن النساء اسيرة قد لطمها علج فى وجهها فنادت وامعتصماه فقال العلج ومايقدر عليه المعتصم يجئ على ابلق ينصرك وزاد فى ضربها فقال المعتصم وفى اى جهة عمورية فقال له الرجل هكذا واشار الى جهتها فرد المعتصم وجهه اليها وقال لبيك ايتها الجارية لبيك هذا المعتصم بالله اجابك ثم تجهز اليها فى اثنى عشر الف فرس ابلق وفى هذه التلبية يقول له فى قصيدة ابو تمام حبيب الطائى

❁ لبيت صوتا زبطريا هرقت له ❁ كاس الكرى ورضاب الخرد العرب ❁

ثم حاصرها وطال مقامه عليها جمع المنجمين فقالوا له انا نرى انك ما تفتحها الا فى زمان نضج العنب والتين فبعد عليه ذلك واغتم لذلك فخرج ليلة متجسسا فى العسكر يسمع ما يقول الناس فرأى خيمة حداد يضرب نعال الخيل وبين يديه غلام اقرع قبيح الصورة يضرب نعال الخيل ويقول فى رأس المعتصم فقال له معلمه اتركنا من هذا مالك والمعتصم فقال ماعنده تدبير له كذا وكذا يوم على هذه المدينة معروفة ولا يفتحها لو أعطانى الامر مابات غدا الا فيها فتعجب المعتصم مما سمع وانصرف الى خيامه وترك بعض رجاله موكلا بالغلام فلما اصبح جاؤبه فقال ما حملك يا هذا على ما بلغنى عنك فقال الذى بلغك حق ولى ماوراء خبائك وقد فتح الله عمورية فقال قد وليتك وخلع عليه وقدمه على الحرب فجمع الرماة واختار منهم اهل الاصابة وجاء الى بدن من ابدان الصور وفى البدن من اوله الى آخره خط اسود من خشب عرضه ثلاثة اشبارا واكثر فحمى السهام بالنار وقال للرماة من اخطأ منكم ذلك الخط الاسود ضربت عنقه واذا بذلك الخط خشب ساج فنفذ ما حصلت فيه السهام المحمية قام النار فيه واحترق فنزل البدن كما هو وتحامى الرجال ودخل البلد بالسيف وذلك قبل الزمان الذى ذكره المنجمون وفى ذلك يقول ابو تمام حبيب الطائى فى قصيدته التى امتدح بها المعتصم عند فتحه عمورية

❁ السيف اصدق انباء من الكتب ❁ فى حده الحد بين الجد واللعب ❁

❁ بيض الصفائح لا سود الصحائف فى ❁ متونهن جلاء الشك والريب ❁

الى آخر ما ذكره فى القصيدة فلما دخلها ومعه الرجل الذى بلغه حديث الجارية قال له سر بى الى الموضع الذى رأيتها فيه فسار به واخرجها من موضعها وقال لها ياجارية هل اجابك المعتصم وملكها العلج الذى لطمها والسيد الذى كان يملكها وجميع ماله واخذ السبى الروم واقبل الناس بالاسرى والسبى من كل وجه واقام عليها خمسة وخمسين يوما وفرق الاسرى على القواد وسار الى نحو طرسوس ثم رجع الى سامرا

ذكر غزوات زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب عامل افريقية

قد تقدم ذكر غزوات من غزواته سنة اثنتى عشرة ومائتين وكانت له غزوة فى سنة ثلاث عشرة وكذا فى سنة اربع عشرة وهكذا الى سنة ثلاث وعشرين ومائتين والكلام على تفصيل تلك الغزوات طويل وفى اكثرها كان النصر للمسلمين وتوفى زيادة الله المذكور سنة ثلاث وعشرين وولى بعده اخوه الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب وسير سرية سنة اربع وعشرين الى صقلية فغنمت وسلمت وفى سنة خمس وعشرين استأمن عدة حصون الى المسلمين من جزيرة صقلية منها حصن البلوط وقرلوره ومرو وسار اسطول المسلمين الى قلوريه ففتحها ولقى اسطول صاحب القسطنطينية فهزموه بعد قتال فعاد الاسطول الى القسطنطينية مهزوما وكان فتحا عظيما وفى سنة ست وعشرين ومائتين سارت سرية للمسلمين بصقلية الى قصريانة فغنموا واحرقوا وسبوا فلم يخرج اليهم احد وسارت الى حصن الغيران وهو اربعون غارا فغنموا جميعها وفى سنة ثلاث وعشرين سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى البة والقلاع فنزلوا حصن الغرات وغنموا ما فيه وقتلوا اهله وسبوا النساء والذرية وعادوا وسير جيشا اخر فى سنة اربع وعشرين وكان بينهم وبين المشركين حرب شديد فهزم المشركون وقتل منهم مالا يحصى وفعل مثل ذلك سنة خمس وعشرين ومائتين وفى سنة اربع وعشرين نقض كثير من اهل طبرستان فجهز المعتصم عليهم الجيوش وقاتلهم وقتل كثيرا منهم واسر آخرين حتى رجعوا الى الطاعة وتوفى المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين وبويع ابنه الواثق وفى هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى ارض العدو فلما كانوا بين اربونة وشرطانية تجمعت الروم عليهم واحاطوا بالعسكر وقاتلوهم الليل كله فلما اصبحوا انزل الله نصره على المسلمين وهزم عدوهم وفى هذه السنة ايضا سير عبد الرحمن بن الحكم جيشا وجعل عليه عبد الله المعروف بابن البلنسى الى بلاد العدو فوصلوا الى البة والقلاع فخرج اليه المشركون فى جمعهم وكان بينهم حرب شديد وقتال عظيم فانهزم المشركون وقتل منهم مالا يحصى وجمعت الرؤس اكداسا اى جموعا بعضها فوق بعض حتى كان الفارس لا يرى من يقابله وفيها خرج ملكهم لذريق فى عسكره واراد الغارة على مدينة سالم من الاندلس فسار اليه فرتون بن موسى فى عسكر جرار فلقيه وقاتله فانهزم لذريق وكثر القتل فى عسكره وسار فرتون الى الحصن الذى كان بناه اهل البة وراء ثغور المسلمين فحصره وافتتحه وهدمه

ذكر غزوات بافريقية

وفى سنة ثمان وعشرين ومائتين غزا فى البحر بافريقية الفضل بن جعفر الهمدانى فنزل

مرسى مسيني و بث السرايا فغنموا غنائم كثيرة واستأمن اليه اهل نابل وصاروا معه وقاتل الفضل الروم الذين بها مدة سنتين واشتد القتال فلم يقدر على اخذها فضى طائفة من العسكر واستداروا خلف جبل مطل على المدينة فصعدوا اليه ونزلوا الى المدينة و اهل البلد مشغولون بقتال الفضل بن جعفر ومن معه فلما رأى اهل البلد ان المسلمين دخلوا عليهم من خلفهم انهزموا وفتح البلد وفتح ايضا مدينة مسكان وفى سنة تسع وعشرين ومائتين خرج ابو الاغلب العباس بن الفضل فى سرية فلقيه شرة فقاتله اهلها قتالا شديدا فانهزمت الروم وقتل منهم مايزيد على عشرة آلاف رجل واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ولم يكن بصقلية مثلها وفى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين حصر الفضل بن جعفر مدينة مسيني فاخبر الفضل ان اهل مسيني كاتبوا البطريق الذى بصقلية لينصرهم فاجابهم وقال لهم ان العلامة عند وصولى ان توقد النار ثلاث ليال على الجبل الفلانى فاذا رأيتم ذلك فى اليوم الرابع اصل اليكم فنجتمع انا وانتم على المسلمين بغتة فارسل الفضل من اوقد النار على ذلك الجبل ثلاث ليال فلما رأى اهل مسيني النار اخذوا فى امرهم واعد الفضل ماينبغى ان يستعد به وكمن الكمناء و امر الذين يحاصرون المدينة ان ينهزموا الى جهة الكمين فاذا خرج اهلها عليهم قاتلوهم فاذا جاوزوا الكمين عطفوا عليهم فلما كان اليوم الرابع خرج اهل مسيني وقاتلوا المسلمين وهم ينتظرون وصول البطريق فانهزم المسلمون واستجروا الروم حتى جاوزوا الكمين ولم يبق بالبلد احد الا خرج فلما جاوزوا الكمين عاد المسلمون عليهم وخرج الكمين من خلفهم ووضعوا السيف فيهم فلم ينج منهم الا القليل فسألوا الامان على انفسهم واموالهم ليسلموا المدينة فاجابهم المسلمون الى ذلك وأمنوهم وسلموا المدينة وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وصل عشر شلنديات من الروم فارسوا بمرسى الطين وخرجوا ليغيروا فضلوا الطريق فرجعوا خائبين وركبوا البحر راجعين فغرق منها سبع قطع وفى سنة اربع وثلاثين ومائتين صالح اهل رغوس وسلموا المدينة الى المسلمين بما فيها فهدمها المسلمون واخذوا منها ما امكن حمله وفى سنة خمس وثلاثين سارت طائفة من المسلمين الى مدينة قصريانة فغنموا وسبوا واحرقوا وقتلوا فى اهلها وكان الامير على صقلية للمسلمين محمد بن عبد الله بن الاغلب وكان مقيما بمدينة بلرم ولم يخرج منها وانما كان يخرج الجيوش والسرايا فتفتح وتغنم وكانت امارته عليها تسع عشرة سنة وتوفى سنة ست وثلاثين ومائتين وفى سنة ثمان وعشرين ومائتين بعث عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا عليهم الحارث بن بزيع لقتال الافرنج فوقع القتال و اصاب الحارث ضربة فى وجهه قلعت عينه ثم اسر فجهز عبد الرحمن بن الحكم جيشا واستعمل عليه ابنه محمدا فاوقع بالافرنج وقتل ملكهم غرسية وكثيرا من قومه واطلق الحارث بن بزيع وفى سنة ثلاثين ومائتين خرج جماعة كثيرون فى بحر الاندلس من المجوس واوقعوا بالمسلمين فى مدائن كثيرة فجهز عليهم عبد الرحمن بن الحكم جيوشا كثيرة مع قواده فقاتلوا المجوس قتالا شديدا وهزموهم وقتلوا كثيرا منهم فى وقائع كثيرة وفى سنة احدى وثلاثين ومائتين بعث الواثق جيشا لقتال الروم فقصدوا جليقية وقتلوا واسروا وسبوا وغنموا ثم قصدوا مدينة اليون فحصروها ورموها بالمجانيق فخاف اهلها فتركوها بما فيها

وخرجوا هاربين فغنم المسلمون منهم ما ارادوا واحرقوا البلاد ولم يقدروا على هدم سورها لان عرضه سبع عشرة ذراعا فتركوه ومضوا وقد ثلموا فيه ثلما كثيرة وفي هذه السنة امر الواثق بفداء المسلمين واجتمع المسلمون والروم على نهر اللامس واحضر المسلمون من معهم من الاسرى واحضر المشركون من معهم من الاسرى وكان النهر بين الطائفتين فكان المسلمون يطلقون الاسير فيطلق الروم الاسير من المسلمين فيلتقيان في وسط النهر ويأتي كل الى اصحابه فاذا وصل الاسير الى المسلمين كبروا واذا وصل الاسير الى الروم صاحوا حتى فرغوا وكان النهر مخاضة تعبره الاسرى وكان عدة اسرى المسلمين اربعة آلاف واربعمائة وستين نفسا والنساء والصبيان ثمانمائة نفس والمحق بالمسلمين من اهل الذمة مائة نفس ولما فرغوا من الفداء غزا احمد بن سعيد بن مسلم الباهلي المقدم في امر الفداء شاتيا فاصاب الناس ثلج ومطر فمات من المسلمين مائتا نفس واسر نحوهم وغرق بالبدندون خلق كثير وجاء بطريق من الروم بهدية وقال وجوه الناس لاحمد ان عسكرا فيه سبعة آلاف لا تتخوف عليهم فان كنت كذلك فواجه القوم وطرق بلادهم ففعل وغنموا من الف بقرة وعشرة آلاف شاة ورجع فعزله الواثق واستعمل مكانه نصر بن حمزة الخزاعي وتوفي الواثق في سنة اثنتين وثلاثين وبويع اخوه المتوكل بن المعتصم وفي سنة خمس وثلاثين سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا كثيفا لقتال الافرنج فبلغوا البة وغنموا وظفروا وفي سنة ست وثلاثين سير جيشا الى برشلونة فقتلوا من اهلها ٨ فاكثروا واسروا جمعا غفيرا وغنموا وعادوا سالمين وكذا في سنة سبع وثلاثين وتوفي الحكم سنة ثمانية وثلاثين وقام بالامر بعده ابنه محمد

﴿ ذكر غزوات وفتوحات افريقية ﴾

قد تقدم ان ابتداء فتوح المسلمين لافريقية كان في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد عبد الله بن سعد بن ابي سرح سنة عشرين من الهجرة ولما كان خلافة هارون الرشيد ولى على افريقية ابراهيم بن الاغلب التميمي سنة اربع وثمانين ومائة وتوارث بنوه الملك بعده فالاغالبة خلفاء بني العباس واستمر ذلك فيهم الى سنة مائتين وست وتسعين فزالت دولتهم لما صار ملك افريقية للفاطميين ويقال لهم العبيديون وكانت مدة ملك بني الاغلب مائة سنة واثنتي عشرة سنة وكان مقر ملكهم القيروان واتسع ملكهم وقوي بافريقية وصار لهم اموال كثيرة وخيل وجنود وافرة وملك ضخم ومراكب في البحر ولهم كثير من المآثر المحمودة والمواقف المشهودة والغزوات الكثيرة والفتوحات الشهيرة وقد تقدم ذكر كثير منها وسيأتي غيرها واكثر فتوحات افريقية كان على ايديهم ٨ وتقدم ان اول من اختط مدينة القيروان عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم تثبت له صحبة وكان صالحا من كبار التابعين وخيارهم وكان خطه القيروان سنة خمسين من الهجرة حين كان اميرا على افريقية في خلافة معاوية رضي الله عنه فلما اختطها صارت قاعدة افريقية ومقر ملكها ثم بعد سنين كثيرة صارت مدينة تونس بدلا عنها وافريقية بلاد واسعة قال في القاموس ان افريقية قبالة الاندلس وقال السيد مرتضى في شرحه على

٨ ومن مآثر بني الاغلب ان احد امرائهم احمد بن محمد بن الاغلب بنى بارض افريقية عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وابواب الحديد والكلس بالكسر كما في القاموس الصاروج وهو نورة اهـ مؤلف

القاموس ان افريقية قبالة جزيرة صقلية منحرفة الى الشرق والاندلس منحرفة عنها الى جهة المغرب وصقلية بكسرات مشددة اللام جزيرة عظيمة بالمغرب كثيرة البلدان والقرى والمواشي افتتح المسلمون كثيرا من مدائنها وقراها بعد غزوات كثيرة وكان اول الغزو اليها زمن ولاية معاوية بن حديج على افريقية فى خلافة معاوية رضى الله عنه ولم يفتحها وتتابع الغزو اليها فى زمن ولاية بنى الاغلب من اول دولتهم الى آخرها وتملكوا اكثر الجزيرة ولم يزل الفتح فيها والغزو اليها ولم يتم فتحها الى ان انقضت ولاية بنى الاغلب سنة مائتين وست وتسعين وجزيرة صقلية الآن داخلة فى ممالك ايطاليا واعلم ان المغرب يشتمل على ثلاث ممالك عظام وهى المغرب الادنى والمغرب الاوسط والمغرب الاقصى فالمغرب الادنى القيروان وتونس وطرابلس المغرب واعمال كل منها والمغرب الاوسط تلمسان والجزائر واعمالها وذلك الآن بيد الفرنسيس تملكوه من سنة الف ومائتين وست واربعين والمغرب الاقصى فاس ومراكش والسوس واعمال كل منها وذلك الآن بيد سلطان فاس واغاقيل لذلك المغرب الاقصى لانه ابعد عن دار الخلافة فى صدر الاسلام وكان قبل استحداث مدينة تونس موجود مدينة عظمى تسمى (قرطاجنة) بتشديد النون المفتوحة وكانت مدينة شهيرة من عجائب الدنيا وكانت عند الروم تضاهى مدينة رومه وكان بها كثير من ملوك الفرنج ومعهم من الفرنج امم لا تحصى فغزاها المسلمون سنة تسع وستين من الهجرة باربعين الفا من الجند اميرهم حسان بن النعمان فى خلافة عبد الملك بن مروان لحاصرها حسان بن النعمان بمن معه من الجند الى ان افتتحها وقتل كثيرا ممن كان فيها ونجا قوم منهم فى المراكب الى جزيرة صقلية وقوم منهم الى الاندلس ولما انصرف عنها حسان بن النعمان دخلها قوم من اهل النواحى والبادية وتحصنوا بها فرجع اليهم حسان وقاتلهم اشد قتال وافتتحها عنوة وأمر بخرابها واعفاء اثرها وكسر قوتها فذهبت كأمس الدابر ولم يبق بها الا آثار خفية تدل على ما كان فيها من عجائب الصنعة واحكام العمل وعمر بأنقاضها مدينة تونس بالقرب منها ومن غزوات بنى الاغلب غزوة زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب فى سنة مائتين واثنتين جهز جيشا فى مراكب فى البحر الى مدينة سردانية وهى جزيرة كبيرة ببحر المغرب كانت للروم فغنموا وقتلوا كثيرا ورجعوا سالمين وفى سنة سبع ومائتين سير جيشا ففتحوا مواضع من جزيرة صقلية وسير ايضا جيشا فى سنة اثنتى عشرة ففتحوا ايضا مواضع كثيرة من جزيرة صقلية ثم وقع اختلاف بين ملوك الروم الذين كانوا فى صقلية فاستنجد بعض منهم بزيادة الله بن الاغلب ووعده بأنه يملكه جزيرة صقلية فسير معه جيشا فى ربيع الاول من سنة اثنتى عشرة ومائتين فوصلوا الى مدينة مازر من صقلية ثم ساروا فلقيهم جمع من الروم فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا فانهزمت الروم وقتل كثير منهم وغنم المسلمون اموالهم ودوابهم واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة ثم توجهوا الى حصار قصر يانة وهى من جزيرة صقلية وبث المسلمون السرايا فى كل ناحية فغنموا شيئاً كثيراً وافتتحوا عمراناً كثيرة حول سرقوسة وحاصروا سرقوسة براً وبحراً ولحقتهم الامداد من افريقية فضيقوا على سرقوسة فوصل اسطول من القسطنطينية فيه جمع كثير

بغير الانا معانيه وهو بعده المغرب ثلاثة ممالك عظام وهي المغرب الادنى والمغرب الاوسط والمغرب الاقصى

من الروم مددا لجماعاتهم وذلك فى سنة ثلاث عشرة ومائتين وكان قد حل بالمسلمين وباء شديد هلك فيه كثير منهم فلما رأى المسلمون شدة الوباء ووصول الروم حمل المسلمون فى مراكبهم ليسيروا ويتركوا الحصار فوقف الروم فى مراكبهم على باب المرسى فمنعوا المسلمين من الخروج فلما رأى المسلمون ذلك احرقوا مراكبهم وعادوا ورحلوا الى مدينة ميناو فحصروها ثلاثة ايام وتسلموا الحصن وسار طائفة منهم الى حصن جرجنت فقاتلوا اهله وملكوه وسكنوا فيه واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا ثم ساروا الى مدينة قصريانة ووصل جيش كثير من القسطنطينية مددا لمن فى الجزيرة فتصافوا هم والمسلمون واقتتلوا فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير ودخل منهم من سلم قصريانة ثم ان سرية للمسلمين سارت للغنيمة فخرج عليها طائفة من الروم فاقتتلوا وانهزم المسلمون وعادوا من الغد ومعهم جمع من عسكر المسلمين فخرج اليهم الروم وقد اجتمعوا وحشدوا وتصافوا مرة ثانية واقتتلوا فانهزم المسلمون ايضا وقتل منهم نحو الف قتيل وعادوا الى معسكرهم وخندقوا عليهم فحصرهم الروم ودام القتال بينهم فضاقت الاقوات على المسلمين فعزموا على بيات الروم فعلوا بهم ففارقوا الخيام فلما خرج المسلمون لبيات الروم لم يجدوا احدا واقبل عليهم الروم من كل ناحية فاكثروا القتل فى المسلمين وانهزم الباقون من المسلمين فدخلوا ميناو فحصرهم الروم ودام الحصار على المسلمين حتى اكلوا الدواب والكلاب فلما سمع بذلك من فى مدينة جرجنت من المسلمين هدموا المدينة وساروا الى مازر ولم يقدروا على نصرة اخوانهم من المسلمين ودام الحال الى ان دخلت سنة اربع عشرة ومائتين وقد اشرف المسلمون على الهلاك اذ اقبل اسطول كثير من المسلمين الذين فى الاندلس خرجوا غزاة ووصل ايضا فى ذلك الوقت مراكب كثيرة من افريقية مددا للمسلمين فبلغت عدة الجميع ثلاثمائة مركب فنزلوا الى الجزيرة فانهزم الروم عن حصار المسلمين وفرج الله عنهم وسار المسلمون الى مدينة بلرم وكانت للروم فحصروها وضيقوا على من بها فطلب صاحبها الامان لنفسه ولاهله ولماله فاجيب الى ذلك وسار فى البحر الى بلاد الروم ودخل المسلمون البلد فى رجب سنة ست عشرة ومائتين فلم يروا فيه الا اقل من ثلاثة آلاف انسان وكان فيه لما حصروه سبعون الفا وماتوا كلهم وبقى المسلمون الى سنة تسع عشرة ومائتين ثم ساروا الى مدينة قصريانة فخرج اليهم من كان فيها من الروم فاقتتلوا اشد قتال ففتح الله على المسلمين وانهزم الروم الى معسكرهم ثم رجعوا فى الربيع فقاتلوهم فنصر الله المسلمين ايضا ثم سار المسلمون ايضا سنة عشرين الى قصريانة فقاتلهم الروم فهزمهم الله تعالى وانتصر المسلمون عليهم واسرت امرأة لبطريقهم وابن له وغنم المسلمون ما كان فى معسكرهم وعادوا الى بلرم ثم سيروا عسكرا الى ناحية طبرمين فغنموا غنائم كثيرة ثم عدا بعض عسكر المسلمين على امير المسلمين وهو محمد بن سالم فقتلوه ولحقوا بالروم فارسل زيادة الله بن الاغلب من افريقية الفضل بن يعقوب عوضا عنه فسار فى سرية الى ناحية سرقوسة فاصابوا غنائم كثيرة وعادوا ثم سارت سرية كبيرة فغنمت وعادت فعرض لهم الملك صاحب صقلية ومعه جمع كثير من الروم فتحصنوا من الروم فى ارض وعرة وشجر كثيف فلم يتمكن الملك من قتالهم ووقفهم الى العصر فلما رأى انهم لا يقاتلونهم عاد عنهم فتفرق اصحابه وتركوا التعبية فلما رأى المسلمون ذلك حملوا

عليهم حملة صادقة فانهزم الروم وطعن الملك وجرح عدة جراحات وسقط عن فرسه فأتاه
حماة اصحابه واستنقذوه جريحا وحملوه وغنم المسلمون ما معهم من سلاح ومتاع ودواب
فكانت وقعة عظيمة وسير زيادة الله بن الاغلب من افريقية الى صقلية ابا الاغلب ابراهيم بن عبد
الله اميرا على تلك الجيوش فوصل اليهم منتصف رمضان فبعث اسطولا فلقوا جمعا للروم
في اسطول فغنم المسلمون ما فيه من مال واسروا ما فيه من رجال فضرب ابو الاغلب رقاب كل
من فيه وبعث اسطولا اخر الى قوصرة فظفر بحراقة فيها رجال من الروم ورجل من اهل
افريقية كان مسلما فتنصر فاتى بهم فضربت رقابهم وسارت سرية اخرى الى جبل النار
والحصون التي في تلك الناحية فاحرقوا الزرع وغنموا واكثروا القتل ثم سير ابو الاغلب سنة
احدى وعشرين ومائتين سرية الى جبل النار ايضا فغنموا غنائم عظيمة حتى بيع الرقيق
بابخس الاثمان وعادوا سالمين وفيها سير ابو الاغلب ايضا سرية الى قسطلياسة فغنموا وسبوا
ولقيهم العدو فكانت بينهم حرب استظهر فيها الروم وفيها ايضا جهز اسطولا فساروا نحو
الجزر فغنموا غنائم عظيمة وفتحوا مدنا ومعاقل وعادوا سالمين وفيها ايضا سير سرية الى
مدينة قصريانة فخرج اليهم العدو فاقتتلوا فانهزم المسلمون واصيب منهم جماعة ثم كانت
وقعة اخرى بين الروم والمسلمين فانهزم الروم وغنم المسلمون منهم تسعة مراكب كبار
برجالها وسلاحها فلما جاء الشتاء واظلم الليل رأى رجل من المسلمين غفلة من اهل قصريانة
فتقرب ورأى طريقا فدخل منه ولم يعلم به احد ثم انصرف الى العسكر فاخبرهم فجاؤا معه
ودخلوا من ذلك الموضع وكبروا وملكوا ربضه وتحصن المشركون منهم بحصنه وطلبوا
الامان فامنوهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة وعادوا الى بلرم وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين
وصل كثير من الروم في البحر الى صقلية وكان المسلمون قد حاصروا جفلودي وقد طال حصارها
فلما وصل الروم رحل المسلمون عنها وجرى بينهم وبين الروم الواصلين حروب كثيرة
ثم جاء المسلمين الخبر بوفاة زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب امير افريقية فوهن المسلمون ثم
تشجعوا وضبطوا انفسهم (سرقوسة) بسين مفتوحة وقاف وواو وسين ثانية (وبلرم) بفتح الباء
الموحدة واللام وتسكين الراء وبعدها ميم و (مينا و) بميم وياء تحتها نقطتان ونون وبعد الالف
واو و (جرجنت) بجيم وراء وجيم ثانية مفتوحة وتاء فوقها نقطتان و (قصريانة) بالقاف والصاد
المهملة والراء والياء تحتها نقطتان وبعد الالف نون مشددة وهاء وهذه الغزوات هي التي
ذكرت مجملة قبل هذا الموضع بورقة استحسنت تداركه ذكره تفصيلا لما اشتملت عليه من الفوائد
ولما توفي محمد بن عبد الله امير صقلية سنة ست وثلاثين كما تقدم اجتمع المسلمون بها على ولاية
العباس بن الفضل بن يعقوب فولوه امرهم وكتبوا بذلك الى محمد بن الاغلب امير افريقية
فارسل اليه عهدا بولايته فكان العباس يرسل السرايا وتأتيه الغنائم الى ان اتاه عهده
بولايته فخرج بنفسه وارسل سرية الى قلعة ابي ثور فغنموا واسروا وعادوا فقتل الاسرى
ثم توجه الى مدينة قصريانة فنهب واحرق وخرب ليخرج اليه البطريق فلم يفعل فعاد
العباس وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين خرج حتى بلغ قصريانة وهي المدينة التي بها دار
الملك بصقلية وكان قبلها يسكن سرقوسة فلما ملك المسلمون بعض الجزيرة نقل دار الملك

الى قصريانة لحصانتها فخرج العباس ومعه جمع عظيم فغنم وخرب واتى قطانية وسرقوسة ونوطس ورغوس فغنم من جميع هذه البلاد وخرب واحرق ونزل على شبرة وحصرها خمسة اشهر فصالحه اهلها على خمسة آلاف رأس وفي سنة اثنتين واربعين سار العباس في جيش كثيف ففتح حصونا جمة وفي سنة ثلاث واربعين سار الى قصريانة فخرج اهلها فلقوه فهزمهم وقتل فيهم فاكثر وقصد سرقوسة وطبرمين وغيرهما فنهب وخرب واحرق ونزل على القصر الجديد وحصره وضيق على من به من الروم فبذلوا له خمسة عشر الف دينار فلم يقبل منهم واطال الحصر فسلموا اليه الحصن على شرط ان يطلق مائتي نفس فاجابهم الى ذلك وملكه وباع كل من فيه سوى مائتي نفس وهدم الحصن

﴿ ذكر فتح قصريانة ﴾

في سنة اربع واربعين ومائتين فتح المسلمون مدينة قصريانة وهي المدينة التي بها دار الملك بصقلية وكان الملك قبلها يسكن سرقوسة فلما ملك المسلمون بعض الجزيرة نقل دار الملك الى قصريانة لحصانتها وسبب فتحها ان العباس سار في جيوش المسلمين الى مدينة قصريانة وسرقوسة وسير جيشا في البحر فلقيهم اربعون شلندي للروم فاقتتلوا اشد قتال فانهزم الروم واخذ المسلمون منهم عشر شلنديات برجالها وعاد العباس الى مدينته فلما كان الشتاء سير سرية فبلغت قصريانة فنهبوا وخربوا وعادوا وكان معهم اسير من الروم له عند الروم قدر ومنزلة فامر العباس بقتله فقال استبقني ولك عندي نصيحة قال وماهي قال املككم قصريانة والطريق في ذلك ان القوم في هذا الشتاء وهذه الثلوج آمنون من قصدكم اليهم فهم غير محترسين ترسل معي طائفة من عسكركم حتى ادخلكم المدينة فانتخب العباس الفي فارس انجادا ابطالا وسار الى ان قاربها وكمن هناك مستترا وسير عمه رباحا في شجعانهم فساروا مستخفين في الليل والرومي معهم مقيدبين يدي رباح فاراهم الموضع الذي ينبغي ان يملك منه فنصبوا السلالم وصعدوا حتى وصلوا الى سور المدينة قريبا من الصبح والحرس نيام فدخلوا من باب صغير فيه يدخل منه الماء وتلقى فيه الاقذار فدخل المسلمون كلهم فوضعوا السيف في الروم وفتحوا الابواب وجاء العباس في باقي العسكر فدخلوا المدينة وصلوا الصبح بها يوم الخميس وبنى فيها في الحال مسجدا ونصب فيه منبرا وخطب فيه يوم الجمعة وقتل من وجد فيه من المقاتلة واخذوا ما فيها من بنات البطارقة بحليهن وابناء الملوك واصابوا فيها ما يعجز الوصف عنه وذل الشرك يومئذ بصقلية ذلا عظيما ولما سمع الروم بذلك ارسل ملكهم بطريقا من القسطنطينية في ثلاثمائة شلندي وعسكر كثير فوصلوا الى سرقوسة فخرج اليهم العباس من المدينة ولقي الروم وقاتلهم فهزمهم فركبوا في مراكبهم هاربين وغنم المسلمون منهم مائة شلندي وكثر القتل فيهم ولم يصب من المسلمين ذلك اليوم غير ثلاثة نفر بالنشاب وفي سنة ست واربعين ومائتين نكث كثير من قلاع صقلية فخرج العباس اليهم وقاتلهم فانهزم الروم وقتل كثير منهم وسار الى بعض القلاع التي نكثت فحصرها فأتاه الخبر بأن كثيرا من عساكر الروم قد وصلت فرحل اليهم وجرى بينه وبينهم قتال

شديد فهزمهم وعاد الى قصريانة فحصنها وشحنها بالعساكر وفى سنة سبع واربعين ومائتين سار العباس الى سرقوسة فغنم وسار الى غيران فرقة فاعتل ومات بعد ثلاثة ايام فنبشه الروم واحرقوه وكانت ولايته احدى عشرة سنة وادام الجهاد شتاء وصيفا وغزا ارض قلورية وانكبردة واسكنها المسلمين

﴿ ذكر مسير الروم الى ارض مصر ﴾

فى سنة تسع وثلاثين ومائتين فى خلافة المتوكل جاءت ثلاثمائة مركب للروم مع ثلاثة رؤساء فاناخ احدهم فى مائة مركب بدمياط وبينها وبين الشط شبيه بالبحيرة يكون ماؤها الى صدر الرجل فمن جازها الى الارض أمن من مراكب البحر فجازه قوم فسلموا وغرق كثير من نساء وصبيان ومن كان به قوة سار الى مصر وكان على معونة مصر عنبسة بن اسحاق الضبي فلما حضر العيد امر الجند الذين بدمياط ان يحضروا الى مصر فساروا منها فاتفق وصول الروم وهى فارغة من الجند فنهبوا واحرقوا وسبوا واحرقوا جامعها واخذوا ما بها من سلاح ومتاع وغير ذلك وسبوا من النساء المسلمات والذميات نحو ستمائة امرأة وأوقروا سفنهم من ذلك وكان عنبسة قد حبس بمعرن الاكشف بدمياط فكسر قيده وخرج يقاتلهم وتبعه جماعة وقتل من الروم جماعة وسارت الروم الى أشتوم تنيس وكان عليه سور وبابان من حديد قد عمله المعتصم فنهبوا ما فيه من سلاح واخذوا البابين ورجعوا ولم يعرض لهم احد وغزا الصائفة فى هذه السنة على بن يحيى الارمنى وفى سنة اربعين كان قتال بين محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس وبين الافرنج فكان النصر له عليهم وقتل منهم نحو ثمانية آلاف وفى سنة احدى واربعين قتلت تدورة ملكة الروم من اسرى المسلمين اثنى عشر الفا فانها عرضت النصرانية على الاسرى فمن تنصر تركته ومن ابى قتلته وارسلت تطلب المفاداة لمن بقى منهم ففداهم المتوكل وكانوا سبعمائة وخمسة وثمانين رجلا ومن النساء مائة وخمسا وعشرين امرأة

﴿ ذكر اغارة البجاة على مصر ومجاوزة ارض النوبة والبجاة اهل تلك الارض ﴾

فى سنة احدى واربعين اغارت البجاة على ارض مصر وكانت قبل ذلك لا تغزوا بلاد الاسلام لهدنة قديمة وفى بلادهم معادن الذهب يؤدون منها الخمس الى اهل مصر فامتنعوا ايام المتوكل وقتلوا من وجدوه من المسلمين فلما بلغ الخبر المتوكل شاور وزراءه فى امرهم فذكروا له انهم اهل بادية واهل ابل وشياه وان الوصول الى بلادهم صعب لانها مفاوز وبين ارض الاسلام وبينها مسيرة شهر فى ارض قفر وجبال وعرة وأن كل من يدخلها من الجيوش يحتاج ان يتزود للمدة التى يتوهم انه يقيمها الى ان يخرج الى بلاد الاسلام فان جاوز تلك المدة هلك واخذتهم البجاة باليد وان ارضهم لا ترد على سلطان شيأ فامسك المتوكل عنهم فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف اهل الصعيد على انفسهم منهم فولى المتوكل محمد بن عبد الله القمى محاربتهم وكتب الى عنبسة بن اسحاق عامل حرب مصر بازاحة علته واعطائه

من الجند مايحتاج اليه ففعل ذلك وسار محمد الى ارض البجاة وتبعه من يعمل فى المعادن والمتطوعة عالم كثير فبلغت عدتهم نحوا من عشرين الفا بين فارس وراجل ووجه الى القلزم فحمل فى البحر سبعة مراكب موقورة بالذخيرة وامر اصحابه ان يوافوه بها فى ساحل البحر مما يلى بلاد البجاة وسار حتى جاوز المعادن التى يعمل منها الذهب وسار الى حصونهم وقلاعهم وخرج اليه ملكهم وكان معه صنم من حجارة كهيئة الصبى يسجدله فى جيش كثير اضعاف من مع القمى وكانت البجاة على الابل فتحاربوا اياما وطاولهم البجاة لتفنى ازواد المسلمين وعلوفاتهم فيأخذوهم بغير حرب فاقبلت تلك المراكب التى فيها الاقوات فى البحر ففرق القمى ما كان فيها فى اصحابه فاتسعوا فيها فلما رأى ملك البجاة ذلك صدقهم القتال وجمع لهم فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وكانت ابلهم دعرة تنفر من كل شئ فلما رأى القمى ذلك جمع كل جرس فى عسكره وجعلها فى اعناق خيله ثم حملوا على البجاة فنفرت ابلهم لاصوات الاجراس فحملتهم على الجبال والاودية وتبعهم المسلمون قتلا واسرا حتى ادركهم الليل ثم رجع الى معسكره ولم يقدر على احصاء القتلى لكثرتهم ثم ان ملكهم طلب الامان فامنه على مملكته وبلاده فادى لهم الخراج للمدة التى كان منعها وهى اربع سنين وسار القمى الى المتوكل فخلع عليه وعلى اصحابه وفى هذه السنة اغارت الروم على عين زربة واخذت من كان بها اسيرا من الزط (الزط جيل من السودان طوال الاجسام) من نسائهم وذراريهم ودوابهم وفى هذه السنة ايضا سير محمد صاحب الاندلس الجيوش الى غزو الافرنج فدخلوا بلادهم ووصلوا الى البة والقلاع وافتتحوا بعض حصونها وعادوا وفى سنة اثنين واربعين خرجت الروم من ناحية سميساط حتى قاربوا آمد وخرجوا من الثغور الجزرية فانتهبوا واسروا نحوا من عشرة آلاف ثم رجعوا فخرج قوم من المتطوعة فى آثارهم فلم يلحقوهم وكتب المتوكل الى على بن يحيى الارمنى ان يسير الى بلادهم شاتيا ففعل وفى هذه السنة سير محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا الى بلاد الافرنج فدخلوا الى برشلونة وجازوا قلاعها وجاوزوها الى ماوراءها فغنموا كثيرا وافتتحوا حصنا من اعمال برشلونة يسمى طراجة من آخر حصون برشلونة وفى سنة اربع واربعين بعث المتوكل بغا الكبير فى الصائفة فدخل بلاد الروم فدوخها واكتسحها من سائر النواحى ورجع وفى سنة خمس واربعين اغارت الروم على سميساط فقتلوا وسبوا واسروا خلقا كثيرا وغزا على بن يحيى الارمنى الصائفة ومنع اهل لؤلؤة رئيسهم من الصعود اليها فبعث اليهم ملك الروم يضمن لكل رجل منهم الف دينار على ان يسلموا اليه (لؤلؤة) قلعة للصقالبة فاصعدوا البطريق اليهم ثم اعطوا ارزاقهم الفائتة وما ارادوا ثم سلموا البطريق ولؤلؤة الى بلكاجور فسيره الى المتوكل فبذل ملك الروم فى فدائه الف مسلم كانوا مأسورين عنده وفى سنة ست واربعين ايضا غزا عمر بن عبيد الله الاقطع الصائفة فجاؤا بسبعة عشر الف رأس وغزا قربياس فجاء بخمسة آلاف رأس وغزا الفضل بن قارن فافتتح حصن انطاكية وغزا بلكاجور فغنم وسبا وغزا على بن يحيى الارمنى فأخرج خمسة آلاف رأس ومن الدواب والرمك والحمير نحوا من عشرة آلاف رأس وفى هذه السنة كان الفداء على يد على بن يحيى الارمنى ففودى بألفين وثلاثمائة وسبعة وستين

نفسا وفى هذه السنة والتى قبلها خرج المجوس من بلاد الاندلس فى مراكب الى بلاد الاسلام فامر محمد بن عبد الرحمن صاحب البلاد باخراج العساكر الى قتالهم فوصلت مراكب المجوس الى اشبيلية فحلت بالجزيرة ودخلت الى قتالهم واحرقت المسجد الجامع ثم جازت الى العدوة ثم تقدموا الى حائط افرنجة واغاروا واصابوا من النهب والسبى كثيرا ثم انصرفوا فلقيتهم مراكب محمد فقاتلوهم فاحرقوا مركبين من مراكب المجوس واخذوا مركبين آخرين فغنموا مافيها فحمى المجوس عند ذلك وجدوا فى القتال واستشهد جماعة من المسلمين ثم مضت مراكب المجوس حتى وصلت الى مدينة بنبلونة فاصابوا صاحبها غرسية الفرنجى فافتدى نفسه منهم بتسعين الف دينار وفى هذه السنة غزا عامل طرسوسة بنبلونة فافتتح حصن بلسان وسبى اهله ثم كانت على المسلمين فى اليوم الثانى وقعة استشهد فيها جماعة وفى سنة سبع واربعين غزا محمد صاحب الاندلس فى جيوش كثيرة بنبلونة فوطئ بلادها ودوخها وخربها ونهبها وقتل فيها فاكثروا فتح حصونا واسر فرتون بن غرسية فحبسه بقرطبة عشرين سنة ثم اطلقه وفى هذه السنة قتل المتوكل قتله خدمه الاتراك وبويع ابنه المنتصر ومات بعد ستة اشهر وبويع المستعين بن المعتصم

﴿ ذكر فتوحات وغزوات بافريقية ﴾

لما توفى امير صقلية العباس بن الفضل سنة سبع واربعين ولى الناس عليهم ابنه عبد الله وكتبوا الى الامير بافريقية بذلك واخرج عبد الله السرايا ففتح قلاعا متعددة وبعد خمسة اشهر وصل من افريقية خفاجة بن سفيان اميرا على صقلية وكان وصوله سنة ثمان واربعين فاكثر الغزوات والسرايا على الروم الذين بتلك النواحى وشن عليهم الغارات ففتح حصونا كثيرة واستمر على ذلك الى سنة خمس وخمسين وتوفى واقيم بعده ابنه محمد وكان الروم يحاصرون مالطة فسير اليهم جيشا سنة ست وخمسين فلما سمع الروم بذلك رحلوا ثم قتل محمد بن خفاجة سنة سبع وخمسين قتله خدمه الخصيان وهربوا فطلبهم الناس فادركوهم فقتلوهم وفى سنة ثمان واربعين ومائتين سار جيش المسلمين بالاندلس الى مدينة برشلونة وهى للفرنج فاوقعوا باهلها فراسل صاحبها ملك الفرنج يستمده فارسل اليه جيشا كثيفا وارسل المسلمون يستمدون فاتاهم المدد فنازلوا برشلونة وقاتلوا قتالا شديدا فملكوا ارباضها وبرجين من ابراج المدينة فقتل من المشركين بها خلق كثير وسلم المسلمون وعادوا وقد غنموا وفى سنة ثمان واربعين غزا وصيف التركى بلاد الروم ومعه اثناعشر الفا فدخل بلاد الروم وافتتح حصن فرورية وفى سنة تسع واربعين سير محمد صاحب الاندلس جيشا الى مدينة البة والقلاع من بلد الفرنج فجالت الخيل فى ذلك الثغر وغنمت وافتتحت بها حصونا منيعة وفى سنة تسع واربعين ايضا غزا جعفر بن دينار الصائفة فافتتح حصنا ومطامير واستأذنه عمر بن عبيد الله الاقطع فى المسير الى بلاد الروم فأذن له فسار فى خلق كثير من اهل ملطية فلقيه الملك فى جمع عظيم من الروم بمرج الاسقف فحاربه محاربة شديدة قتل فيها من الفريقين خلق كثير ثم احاطت به الروم وهم خمسون الفا وقتل عمر ومن معه الفان من المسلمين فلما قتل عمر بن عبيد الله

(خرج)

خرج الروم الى الثغور الجزرية وكلبوا عليها وعلى اموال المسلمين وحرمهم فبلغ ذلك على بن يحيى وهو قافل من ارمينية الى ميافارقين فى جماعة من اهلها ومن اهل السلسلة فنفر اليهم فقتل فى نحو من اربعمائة رجل ولما اتصل الخبر ببغداد وسامرا بقتل عمر بن عبد الله وعلى بن يحيى وكانا من شجعان الاسلام شديدا بأسهما عظيما غناؤهما عن المسلمين فى الثغور شق ذلك عليهم مع استعظامهم قتل الاتراك للمتوكل واستيلائهم على امور المسلمين فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير وقام بعض الاجناد يطلبون ارزاقهم وثار من ذلك فتن متتابعة يطول الكلام بذكرها واستمرت الى ان خلع المستعين وبويع المعتز بن المتوكل سنة احدى وخمسين ومائتين ثم قتل المستعين سنة ثنتين وخمسين وفى سنة ثلاث وخمسين ايام المعتز غزا محمد بن معاذ من ناحية ملطية فانهزم واسر

﴿ ذكر غزوة عظمى بالاندلس على بلاد الفرنج ﴾

فى سنة احدى وخمسين وقيل اثنين وخمسين سير محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا مع ابنه المنذر الى بلاد الفرنج فساروا وقصدوا الملاحة وكانت أموال لذريق ملك الفرنج بناحية البة والقلاع فلما عم المسلمون بلادهم بالخراب والنهب جمع لذريق عساكره وسار اليهم فالتقوا بموضع يقال له فج المركويس فاقتتلوا فانهزم الفرنج الا انهم لم يبعدوا واجتمعوا بهضبة بالقرب من موضع المعركة فتبعهم المسلمون وحملوا عليهم واشتد القتال وولى الفرنج منهزمين لا يلوون على شئ وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وكان عدد ما اخذ من رؤس الفرنج العين واربعمائة واثنين وتسعين رأسا وكان فتحا عظيما وعاد المسلمون بالغنائم الكثيرة وسير جيشا ايضا فى السنة التى بعدها فقصدوا البة والقلاع ومدينة مانة وقتلوا من اهلها عددا كثيرا ثم قفلوا سالمين وفى سنة ثلاث وخمسين ايضا سير جيشا ففتحوا حصون جرفيق وغلبوا على اكثرها وفى سنة خمس وخمسين ومائتين خلع المعتز ثم قتل وبويع المهتدى بن الواثق وخلع ثم قتل سنة ست وخمسين وبويع المعتمد على الله بن المتوكل وفى سنة تسع وخمسين ومائتين خرجت عساكر الروم فنازلوا سميساط ثم نازلوا ملطية وقاتلهم اهلها فانهزم الروم وقتل بطريق من بطارقتهم وفى هذه السنة سارت سرية للمسلمين بافريقية الى سرقوسة فصالحهم اهلها على ان يطلقوا الاسرى من المسلمين الذين كانوا عندهم وكانوا ثلاثمائة وستين اسيرا فلما اطلقوهم عادوا عنهم

﴿ ذكر القتال مع صاحب الزنج ﴾

ابتداء ظهور صاحب الزنج كان فى سنة خمس وخمسين ومائتين وذكر القتال معه ملحق بالقتال مع الكفار لانه وان كان يدعى الاسلام لكن ما فعله باهل الاسلام اشنع مما تفعله الكفار كما ستراه والكلام على قصته طويل مبسوط فى التواريخ وتلخيصها ان رجلا من بنى عبد القيس اسمه على بن محمد بن عبد الرحيم كان فى سر من رأى واصله من الرى وكان متصلا بحاشية المنتصر ابن المتوكل يمدحهم بشعره ويستميحهم من عطائهم ثم انه شخص من سر من رأى سنة تسع

واربعين ومائتين الى البحرين وادعى نسبته فى العلويين فقال مرة انه علي بن محمد بن احمد ابن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وقال مرة انه من ولد الحسين بن عبيد الله بن العباس بن علي بن ابي طالب ودعا الناس بهجر الى طاعته فاتبعه جماعة كثيرة من اهلها ومن غيرهم وخالفه آخرون فجرى بين الطائفتين عصبية وقتال قتل فيه جماعة وكان اكثر اهل البحرين قد احلوه محل نبي وجبي الخراج ونفذ فيهم حكمه وقاتلوا اصحاب السلطان بسببه فقام منهم جماعة وتنكروا له فانتقل الى الاحسا وصحبه جماعة من اهل البحرين ثم تنقل في البادية وقال اوتيت في تلك الايام بالبادية آيات من آيات امامتي ظاهرة للناس منها اني لقنت سورا من القرآن يجري بها لساني في ساعة وحفظتها في دفعة واحدة منها سبحان والكهف وص ومنها اني تفكرت في الموضع الذي اقصده حيث نابت بي البلاد فاظلتني غمامة وخوطبت منها فقيل لي اقصد البصرة الى غير ذلك من مقالاته المخترعة وفي تاريخ الخلفاء للجلال السيوطي انه ادعى انه ارسل الى الخلق فرد الرسالة وكان له منبر يصعد اليه ويسب عثمان وعليا ومعاوية والزبير وطلحة وعائشة وفي تاريخ ابن الاثير وابن خلدون انه كان يرى رأي الخوارج وهذا يبطل انتسابه الى العلويين وكان اول ظهوره للناس سنة خمس وخمسين ومائتين وكان في مبدإ امره يدعو الغلمان من الزنوج الذين يسكنون السباخ في جهة البصرة فاجتمع له منهم خلق كثير وكان يعدهم بالعتق ويرغبهم في الاحسان فاذا جاء احد من موالي الزنوج يطلبون عبيدهم يأمر كل عبد ان اضرب مولاه ثم يحبسهم ثم يطلقهم فامتنع موالي الزنوج من طلب عبيدهم وكان يخطب العبيد وغيرهم ممن تبعه في كل وقت ويرغبهم ولم يزل هذا دأبه والزنوج يأتون اليه بكثرة ويتابعونه ويدخلون في امره واتخذ له راية وكتب عليها قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الآية وكثرت جيوشه واستحكم امره وشن الغارات وبث اصحابه يمينا وشمالا للاغارة والنهب وسار بالجيش الى الابلة فخرجوا له باربعة آلاف فهزمهم وملك الابلة ثم سار الى القادسية فملكها ونهبها فكثر عنده المال والسلاح فخرج جماعة من اهل البصرة لقتاله فهزمهم وقتل منهم واخذ سلاحهم ثم خرج طائفة أخرى فكذلك واخرى فكذلك ثم خرج له قائدان من البصرة بجيش فهزمهما وقتل منهما وكان معهما سفن القتها الريح الى الشط فغنم مافيها وكثر شغبه وفساده وجاء ابو هلال من قواد الاتراك في اربعة آلاف مقاتل فلقيه فهزمه وقتل كثيرا من اصحابه ثم خرج اليه ابو منصور احد موالي الهاشميين في عسكر عظيم فهزمهم وكان من اعيان اصحابه يحيى بن محمد الازرق البحراني وسليمان بن جامع وهو قائد جيشه وذكر ريحان احد غلمان السورجيين وهو اول من صحبه منهم انه قال كنت موكلا بغلمان مولاي انقل لهم الدقيق فاخذني اصحابه فساروا بي اليه وأمروني أن اسلم عليه بالامرة ففعلت فسألني عن الموضع الذي جئت منه فاخبرته وسألني عن اخبار البصرة فقلت لاعلم لي وسألني عن غلمان السورجيين وعن احوالهم ومايجرى لهم فاعلمته فدعاني الى ماهو عليه فاجبته فامرني ان احتال على من قدرت عليه من الغلمان الزنج واقبل بهم عليه ووعدني ان يجعلني قائدا على من اتيته بهم فعدت اليه من الغداة وقد اتيته بجماعة من الزنج وجاء

جماعة مع غلمان الدباشين وما زال يدعو غلمان اهل البصرة وغيرهم فيقبلون اليه للخلاص من الرق والتعب فاجتمع عنده خلق كثير منهم فخطبهم ووعدهم ان يجعلهم قوداً ويملكهم الاموال وحلف لهم بالايمان ان لا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيأ من الاحسان اليهم ولمن اتى بهم وجاء اليه بعض موالي العبيد وبذلوا له على كل عبد خمسة دنانير ليسلم اليكل منهم عبده فبطح اولئك الموالي وامر كل من عنده من العبيد فضربوا مواليهم كل سيد خمسمائة سوط وكان اذا خطب العبيد يذكرهم ما كانوا فيه من الشقا وسوء الحال وان الله تعالى انقذهم من ذلك وانه يريد ان يرفع اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال وجاءه مرة رجل من رؤساء الزنج يكنى بأبي صالح بثلاثمائة من الزنج فلما كثروا جعل القواد منهم وقال لهم كل من اتى منكم برجل فهو مضموم اليه وما زالت جيوشه تكثر من الزنج وغيرهم حتى بلغت الوفا مؤلفة واعدادا لا تحصى وشن الغارات على القرى والامصار واكثر القتل والنهب وجهز له الخليفة الجيوش الكثيرة المرة بعد الاخرى وهو يهزم تلك الجيوش ويقتل كثيرا منها ويسبي من القرى والامصار النساء والذرية وما زال امره هكذا اربع عشرة سنة حتى ظفروا به وقتلوه واضمحل امره قال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء استمر القتال مع صاحب الزنج من حين تولى المعتمد على الله ابن المتوكل بن المعتصم ابن هارون الرشيد سنة ست وخمسين ومائتين الى سنة سبعين ومائتين وقتل فيها رئيس الزنج لعنه الله قال وذكر الصولي ان الذي قتلهم من المسلمين الف الف وخمسمائة الف انسان وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة الف ولما قوى امر صاحب الزنج صار المباشر لقتاله وقيادة الجيوش لقتاله الموفق طلحة بن المتوكل وهو اخو الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل وكان معه ايضا لقيادة بعض تلك الجيوش ابنه ابو العباس احمد الذي صار بعد المعتمد على الله خليفة ولقب بالمعتضد قال المسعودي في تاريخه المسمى مروج الذهب شخص الموفق لحاربة صاحب الزنج في صفر سنة سبع وستين ومائتين وقدم الموفق ابنه ابا العباس في ربيع الآخر الى سوق الخميس وقيادته وكان رجل يقال له الشعراني من اصحاب صاحب الزنج قد تحصن في جمع كثير من الزنج ففتح ابو العباس بن الموفق هذا الموضع وغنم جميع ما كان فيه ثم فتح مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج وسار الموفق الى الاهواز فاصلح ما افسده الزنج ثم عاد الى البصرة فلم يزل منازلا لصاحب الزنج حتى قتل وكانت مدة ايامه اربع عشرة سنة واربعة اشهر يقتل الصغير والكبير والذكر والانثى ويحرق ويخرب وقد كان أتى البصرة في وقعة واحدة من وقائعه فقتل ثلاثمائة الف من الناس وكان المهلبي من اصحاب صاحب الزنج بعد هذه الوقعة بالبصرة فنصب منبرا وكان يصلي يوم الجمعة بالناس ويخطب على ذلك المنبر ويدعو لصاحب الزنج ويلعن جبابرة بني العباس وكثيرا من الصحابة فاجتمع من بقي من اهل البصرة وارادوا الخروج على المهلبي ليقتلوه فعلم بهم فوضع السيف فيهم فمن ناج سالم ومن مقتول ومن غريق واختفى كثير من الناس في الدور والآبار فكانوا يظهرون في الليل فيأخذون الكلاب فيذبحونها فيأكلونها والفيران والسنانير فافنوها حتى لم يقدروا منها على شيء فكانوا اذا مات منهم الواحد اكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب وذكر عن امرأة منهم انها حضرت امرأة

نازع وعندها اختها وقد احتوشوها ينظرون ان تموت فيأكلون لحمها قالت المرأة فماتت حتى ابتدرناها فقطعناها واكلناها ولقد حضرت اختها ثم جاءت وهي تبكي ومعها رأس اختها فقيل لها ويحك مالك تبكين قالت اجتمعوا على اختي فاتركوها حتى تموت موتا حسنا حتى قطعوها فظلموني فلم يعطوني من لحمها شيأ الا رأسها هذا وهي تشتكي ظلمهم لها في اختها ومثل هذا كثير واعظم مما وصفنا ثم قال المسعودي وبلغ من امر عسكر صاحب الزنج انه كان ينادى فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وابناء الناس فتباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة وينادى عليها بنسبها هذه فلانة ابنة فلان الفلاني ولكل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهن الزنج ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف ولقد استغاثت الى صاحب الزنج امرأة من ولد الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما كانت عند بعض الزنج وسألته ان ينقلها منه الى غيره من الزنج او يعتقها مما هي فيه فقال هو مولاك واولى بك من غيره ثم قال المسعودي وقد تكلم الناس في مقدار ما قتل في هذه السنين من الناس فمكثر ومقلل فاما المكثر فانه يقول أفنى من الناس ما لا يدركه العد ولا يقع عليه الاحصاء ولا يعلم ذلك الا الله تعالى عالم الغيب فيما فتح من هذه الامصار والبلدان والضياع وأباد اهلها والمقلل يقول أفنى من الناس خمسمائة الف انتهى وقال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء ولما قتل هذا الخبيث لعنه الله تعالى اتى برأسه على رمح ودخلوا به بغداد وعملت الزينة وضج الناس بالدعاء للموفق طلحة ومدحه الشعراء وكان يوما مشهودا وتراجع الناس الى المدائن التي كان قد أخذها وهي كثيرة كواسط والبصرة وغيرهما انتهى وبالجملة فان هذه القضية كانت مصيبة عظمى على اهل الاسلام هذا تلخيص قصة صاحب الزنج باختصار وان اردت تفصيل الوقائع والحروب التي كانت لهذه القصة في تلك السنين فانظرها في التواريخ تجدها مبسوطة والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ذكر ملك الروم لؤلؤة ﴾

في سنة ثلاث وستين ومائتين سلمت الصقالبة لؤلؤة الى الروم وهي قلعة للصقالبة وكان سبب ذلك ان احمد بن طولون قد أدمن الغزو بطرسوس قبل ان يلي مصر فلما ولي مصر سنة خمس وخمسين كان يؤثر ان يلي طرسوس ليغزو ومنها امرا فلم يجب الى ذلك وكان العمال الذين يأتون الى طرسوس يسيؤن السير وآل الامر الى استيلاء الروم على القلعة المذكورة فشق ذلك على اهل طرسوس لانها كانت شجى في حلق العدو ولم يكن يخرج الروم في برا و بحر الا رأوه وأنذروا به واتصل الخبر بالمعتمد على الله فقلد طرسوس احمد بن طولون واستعمل عليها من يقوم بغزو العدو ويحفظ ذلك الثغر ويقيم الجهاد وفي هذه السنة سير محمد صاحب الاندلس ابنه المنذر في جيش كبير وجعل طريقه على ماردة فلما جاوزها الى ارض العدو تقدم تسعمائة فارس من العسكر فخرج عليهم جمع كثير من الفرنج فاقتتلوا قتالا كثيرا صبروا فيه وقتل من الفرنج عدد كثير ثم استظهر المشركون على التسعمائة فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم اكرمهم الله بالشهادة وفي سنة اربع وستين غزا بالصائفة عبد الله بن رشيد بن

كاووس في اربعين الفا من اهل الثغور الشامية فاثخن في الروم وغنم ورجع فلما رحل عن
البذندون خرج عليه جمع من الروم فاحاطوا بالمسلمين فاستيقن المسلمون ونزلوا وعرقبوا
دوابهم وقاتلوا حتى قتلوا الا خمسمائة فانهم حملوا حملة رجل واحد ونجوا على دوابهم
وقتل الروم من قتلوا واسروا عبد الله بن رشيد بعد ضربات اصابته وحمل الى ملك الروم فبعث
به الى احمد بن طولون صاحب مصر وبعث معه كثيرا من الاسرى واهدى لابن طولون
عدة مصاحف

﴿ ذكر ملك المسلمين مدينة سرقوسة ﴾

في سنة اربع وستين ومائتين ملك المسلمون سرقوسة وهي من اعظم مدائن صقلية وكان سبب
ملكها ان جعفر بن محمد امير صقلية غزاها فافسد زرعها وزرع ما حولها من بلاد صقلية التي
بارض الروم ونزل سرقوسة وحصرها برا وبحرا وملك بعض ارباضها فوصل مراكب
الروم نجدة لها فسير اليها اسطولا فاصابوها وتمكنوا حينئذ من حصرها فاقام العسكر
محاصرا لها تسعة اشهر وفتحت عنوة وقتل من اهلها عدة الوف واصيب فيها من الغنائم
ما لم يصب بمدينة اخرى ولم ينج من رجالها الا الشاذ الفذ واقاموا بعد فتحها شهرين ثم
هدموها ثم وصل بعد هدمها من القسطنطينية اسطول فالتقوا هم والمسلمون فظفر بهم المسلمون
واخذوا منهم اربع قطع فقتلوا من فيها وانصرف المسلمون الى بلادهم وفي هذه السنة سير
محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس ابنه المنذر في جيش الى مدينة بنبلونة وجعل طريقه
على سرقسطة فقاتل اهلها ثم انتقل الى تطيلة وجال في مواضع ثم دخل بنبلونة فخرب كثيرا
من حصونه واذهب زروعه وعاد سالما وفي سنة خمس وستين خرج خمسة من بطارقة
الروم الى اذنة فقتلوا واسروا قتلوا نحوا من الف واربعمائة واسروا نحوا من اربعمائة وكان
ارجوز والي الثغور معزولا عنها وفي سنة ست وستين ومائتين وردت سرية من الروم الى
ديار ربيعة فسبت نحوا من مائتين وخمسين نساء ومثلت بالمسلمين فنفر اليهم اهل الموصل ونصيبين
فرجعت الروم وفي هذه السنة لقي اسطول المسلمين اسطول الروم عند صقلية فظفر الروم
بالمسلمين بعد قتال شديد ولحق من سلم منهم الى مدينة بلرم من صقلية وفي هذه السنة اجتمع
عامل ابن طولون على الثغور الشامية في ثلاثة من اهل طرسوس واعترضهم اربعة آلاف من
الروم فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل المسلمون خلقا كثيرا من العدو واصيب من المسلمين جماعة
وفي سنة سبع وستين ولي جزيرة صقلية الحسن بن العباس فبعث السرايا الى كل ناحية وخرج
الى قطانية فافسد زرعها وزرع طبرمين وقطع اشجارها وسار الى بقارة فافسد زرعها وانصرف
الى بلرم واخرجت الروم سراياها فاصابوا من المسلمين كثيرا وفي سنة ثمان وستين سارت سرية من صقلية
فلقيهم جيش الروم فاصيب المسلمون كلهم غير سبعة نفر وعزل الحسن بن العباس عن صقلية ووليها
محمد بن الفضل وبث السرايا في كل ناحية من صقلية وخرج هو في جيش عظيم فسار الى مدينة
قطانية فاهلك زرعها ثم رحل الى اصحاب الشلندية فقاتلهم فاصاب فيهم فاكثر القتل ثم رحل
الى طبرمين فافسد زرعها ثم رحل فلقي عسكر الروم فاقتتلوا فانهزم الروم وقتل اكثرهم وكانت

عدة القتلى ثلاثة آلاف قتيل ووصلت رؤسهم الى بلرم ثم سار المسلمون الى قلعة كان الروم
بنوها عن قريب وسموها مدينة الملك فملكها المسلمون عنوة وقتلوا مقاتلتها وسبوا من فيها
وفي هذه السنة خرج ملك الروم المعروف بابن الصقلبية فنازل ملطية فاعانهم اهل
مرعش والحدث فانهزم ملك الروم وغزا الصائفة من ناحية الثغور الشامية الفرغاني عامل
ابن طولون فقتل من الروم بضعة عشر الفا وغنم الناس فبلغ السهم اربعين دينارا وفي سنة
تسع وستين خرج محمد بن الفضل امير صقلية في عسكر الى ناحية رمطة و بلغ العسكر
الى قطانية فقتل كثيرا من الروم وسبى وغنم ثم انصرف الى بلرم وفي سنة سبعين زحف
الروم في مائة الف ونزلوا قلمية على ستة اميال من طرسوس فخرج اليهم بازمار عامل
طرسوس لابن طولون ليلا فبيتهم وقتل منهم سبعين الفا وجماعة من البطارقة وقتل مقدمهم
بطريق البطارقة وغنم منهم سبعة صلبان ذهبا وفضة وكان اعظمها من ذهب مكللا
بالجواهر وغنم خمسة عشر الف دابة ومن السروج والسيوف مثل ذلك واربع كراسي
من ذهب ومائتين من فضة وعشرين حملا من الديباج وآنية كثيرة ونحوا من عشرة آلاف
علم ديباج وديباجا كثيرا وغير ذلك وفي هذه السنة اراد اسماعيل بن موسى احد امراء
الاندلس ... مدينة ماردة فسمع الفرنجي صاحب برشلونة بجمع وحشد يريد منعه من ذلك
فسمع به اسماعيل فقصده وقاتله وهزمه وقتل اكثرهم وبقي اثر القتلى في تلك الارض
دهرا طويلا وفي سنة احدى وسبعين سارت سرية للمسلمين بصقلية الى رمطة فخربت وغنمت
وسبت واسرت كثيرا وعادت وسار جيش كثير من صقلية الى قطانية فاهلك ما فيها وسار
الى طبرمين فقاتل اهلها وافسد زرعها وتقدم فيها فاتى رسول بطريق الروم يطلب
الهدنة والمفاداة فهادنه ثلاثة اشهر وفاداه ثلاثمائة اسير من المسلمين ورجع الجيش وفي سنة
اثنتين وسبعين غزا الصائفة بازمار وخرجت سرية من صقلية الى الروم الذين بها
فغنمت وعادت وفيها قدم بطريق من القسطنطينية في عسكر كبير فنزل على مدينة سبرينة
فحصرها وضيق على من بها من المسلمين فسلموها على امان ولحقوا بصقلية ثم سار عسكر
البطريق الى مدينة منية فحصروها حتى سلمها اهلها بامان وفي سنة ثلاث وسبعين غزا
بالصائفة بازمار وتوغل في ارض الروم وقتل وغنم واسر وسبى وعاد الى طرسوس وفيها
توفي محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس ومدة ملكه اربع وثلاثون سنة وولي بعده
ابنه المنذر وتوفي بعد سنة واحد عشر شهرا وبويع اخوه عبد الله

﴿ ذكر غزو الروم ووفاة بازمار ﴾

في سنة ثمان وسبعين خرج بازمار غازيا في جيش فبلغوا اشكند ونازلوها فاصاب بازمار
شظية من حجر منجنيق فرجع ومات في طريقه ودفن بطرسوس وفي سنة تسع وسبعين توفي
المعتمد على الله وبويع المعتضد بن الموفق بن المتوكل وفي سنة ثمانين غزا اسماعيل بن احمد
الساماني صاحب خراسان بلاد الترك وافتتح مدينة ملكهم واسر اباه وامرأته خاتون
ونحوا من عشرة آلاف وقتل منهم خلقا كثيرا وغنم من الدواب ما لا يحصى واصاب الفارس

من الغنيمة ألف درهم وفي سنة إحدى وثمانين [illegible] المسلمون الروم [illegible] اثني عشر يوما وظفر المسلمون وغنموا غنيمة كثيرة وعادوا

﴿ ذكر حصر الصقالبة القسطنطينية ﴾

وفي سنة ثلاث وثمانين سارت الصقالبة إلى الروم فحصروا القسطنطينية وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا وخربوا البلاد فلما [illegible] ملك الروم منهم خلاصا جمع من عنده من أسارى المسلمين وأعطاهم السلاح وسألهم معونته على الصقالبة ففعلوا وكشفوا الصقالبة وأزاحوهم عن القسطنطينية فلما رأى ملك الروم ذلك خاف من المسلمين على نفسه فردهم وأخذ السلاح منهم وفرقهم في البلاد حذرا من جنايتهم عليه وفي هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم فكان جملة من فودي من المسلمين الرجال والنساء والصبيان ألفين وخمسمائة وأربعة أنفس وفي سنة خمس وثمانين غزا راغب مولى الموفق في البحر فغنم مراكب كثيرة فضرب أعناق ثلاثة آلاف من الروم كانوا فيها وأحرق المراكب وفتح حصونا [illegible] وعاد سالما [illegible] الله على يديه ولم [illegible] وفي سنة [illegible] أبو العباس [illegible] فخرج إليه أهلها [illegible] إلى طرسوس [illegible] إلى صقلية [illegible] المال [illegible] المسلمون [illegible] إلى قطانية [illegible] عليه [illegible] وقام بالأمر بعده [illegible] كثير من الروم [illegible] لهم على باب المدينة وهزمهم وملك المدينة بالسيف وغنم من الذهب والفضة ما لا يحد وشحن المراكب بالدقيق والأمتعة ورجع إلى مسيني [illegible] وصل من القسطنطينية فأخذ منهم [illegible] ورجع إلى [illegible] وفي سنة [illegible] سار المعتضد [illegible] الروم [illegible] فرجعوا بأسرى كثير [illegible] أن الروم ساروا في البر والبحر إلى ناحية [illegible] أكثر من خمسة عشر ألفا وعادوا

وفي سنة تسع وثمانين توفي المعتضد وبويع ابنه المكتفي وفي سنة إحدى وتسعين [illegible] الترك في خلق كثير إلى ما وراء النهر فوجه إليهم صاحب خراسان [illegible] جيشا كثيرا وتبعهم من المطوعة خلق كثير فساروا نحو الترك فوصلوا إليهم وهم غارون فكبسهم المسلمون مع الصبح وقتلوا منهم خلقا عظيما لا يحصون وانهزم الباقون واستبيح عسكرهم وعاد المسلمون سالمين غانمين وفي هذه السنة خرج من الروم مائة ألف [illegible] مع كل صليب عشرة آلاف إلى الثغور فقصد جماعة منهم الحدث (بلد بالروم) فأغاروا وأسروا وأحرقوا وفي هذه السنة سار من طرسوس القائد المعروف بغلام زرافة ففتح مدينة أنطاكية بالسيف وقتل خمسة آلاف من الروم وأسر مثلهم واستنقذ من الأسارى خمسة آلاف وغنم ستين من مراكب الروم بما فيها من المال والمتاع فقسمها مع غنائم أنطاكية فكان السهم ألف دينار وفي سنة اثنتين وتسعين أغار الروم على مرعش ونواحيها فنفر أهل المصيصة وأهل طرسوس

واجلوهم واصيب جماعة من المسلمين وفي هذه السنة كان الفداء فكان جملة من فودي من اسرى المسلمين الف نفس ومائتي نفس وفي سنة ثلاث وتسعين اغارت الروم على قورس من اعمال حلب فقاتلهم اهلها قتالا شديدا ثم انهزموا وقتل الروم اكثرهم ودخل الروم قورس فاحرقوا جامعها وساقوا من بقي من اهلها وفي سنة اربع وتسعين غزا ابن كيغلغ من طرسوس فاصاب من الروم اربعة آلاف رأس سبي ودواب ومتاع ودخل بطريق من بطارقة الروم في الامان واسلم وفيها ايضا غزا ابن كيغلغ فبلغ شكند وفتح الله عليه وسار الى الليس فغنموا نحوا من خمسين الف رأس وقتلوا مقتلة عظيمة من الروم وانصرفوا سالمين وكان بطريق على حرب اهل الثغور من قبل ملك الروم فارسل ذلك البطريق الى المكتفي يطلب الامان فاعطاه فخرج من حصنه ومعه مائتا اسير من المسلمين كانوا معه في الحصن وكان ملك الروم ارسل ليقبض عليه فاعطا المسلمين سلاحا فخرجوا معه وقبضوا على الذين ارسلهم ملك الروم ليقبضوا عليه وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا ما في عسكرهم فاجتمعت الروم لمحاربة البطريق فسار اليهم جمع من المسلمين فخلصوه ومن معه من اسرى المسلمين فبلغوا قونية فبلغ الخبر الى الروم فانصرفوا عنه فانصرف البطريق ومن معه الى بغداد واخرب المسلمون قونية وارسل ملك الروم الى الخليفة المكتفي يطلب الفداء وفي سنة ثلاث وتسعين افتتح اسماعيل الساماني صاحب خراسان مدائن كثيرة من بلاد الترك والديلم وفي سنة خمس وتسعين توفي المكتفي وبويع اخوه المقتدر بن المعتضد وفي هذه السنة فودي من المسلمين ثلاثة آلاف نفس رجالا ونساء وفي سنة ست وتسعين كان ابتداء دولة العبيديين بافريقية وتفصيل ذلك طويل مذكور في التواريخ وفي هذه السنة بعث المقتدر جيشا لغزو الروم وعليه مونس الخادم فظفر وغنم واسر منهم جماعة وعاد وفي سنة سبع وتسعين وجه المقتدر القاسم ابن سيما لغزو الصائفة وكذا في سنة ثمان وتسعين وفي سنة تسع وتسعين غزا الصائفة رستم امير الثغور من ناحية طرسوس فحصر حصن مليح الارمني ثم دخل بلده واحرقها وفي سنة ثلاثمائة توفي عبد الله بن محمد صاحب الاندلس وبويع حفيده عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله واستمر عبد الرحمن الناصر خمسين سنة وهو اول من تسمى منهم بامير المؤمنين لما رأوا ظهور الضعف في خلفاء بني العباس وكانوا قبل ذلك يقال لمن ولي منهم الامير فلان وغزا عبد الرحمن الناصر في بلاد الفرنج غزوات كثيرة واثخن فيهم حتى خضعوا له وصاروا بها دونه ويلتمسون رضاه وتفصيل غزواته يطول الكلام بذكرها وسيأتي ذكر شيء منها وفي سنة اثنتين وثلاثمائة سار الوزير للمقتدر علي بن عيسى لغزو الصائفة فلم يتيسر له فغزاها ثانية في برد شديد وثلج وغزا ايضا بشر الخادم والي طرسوس بلاد الروم ففتح فيها وغنم وسبي واسر مائة وخمسين بطريقا وكان السبي نحواً من الفي رأس وفي سنة ثلاث وثلاثمائة اغارت الروم على الثغور الجزرية وقصدوا حصن منصور وسبوا من فيه وجرى على الناس امر عظيم وظهرت الروم ايضا فأوقعوا بجماعة من مقاتلة طرسوس والغزاة فقتلوا منهم نحو ستمائة فارس ولم تكن للمسلمين صائفة في هذه السنة لكثرة الفتن في بغداد في مدة المقتدر وفيها خرج مليح الارمني الى مرعش فعاث في بلدها واسر جماعة

ممن حولها وعاد وفي سنة اربع وثلاثمائة سار مؤنس الخادم الى بلاد الروم لغزو الصائفة بجيوش كثيرة وفتح حصونا كثيرة من الروم وعاد فاكرمه المقتدر وخلع عليه وفي سنة خمس وثلاثمائة جاءت رسل من ملك الروم للخليفة المقتدر يطلبون المهادنة والفداء فاجيبوا الى ذلك وانفذ المقتدر مع مؤنس للفداء مائة الف وعشرين الف دينار وكان قبل ذلك عقد لثمال الخادم على الغزاة في بحر الروم وسار وكان قبل ذلك ايضا غزا جنى الصفوانى بلاد الروم فغنم ونهب وسبى وعاد سالما ففرشت الكتب على المنابر ببغداد بذلك ثم جاءت رسل ملك الروم بطلب الهدنة وفي سنة ثلاثمائة وثمان غزا عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس الى جليقية فاستنجد عليه ملوك الافرنج بعضهم بعضا فهزمهم ووطئ بلادهم ودوخ ارضهم وفتح معاقلهم وخرب الحصون وفي سنة ثمان عشرة وثلاثمائة غزا بنبلونة وفعل اكثر من ذلك وله غزوات غير هذه يطول الكلام بذكرها والجلالقة هم الاسبنيول وفي سنة عشر انقضت الهدنة التي كانت بين المقتدر وملك الروم فغزا المسلمون في البر والبحر فغنموا وسبوا ودخل اهل طرسوس ملطية فظفروا وبلغوا من بلاد الروم والظفر بهم مالم يبلغوه وعادوا وفي سنة احدى عشرة غزا مؤنس بلاد الروم فغنم وفتح حصونا وغزا ثمال ايضا في البحر فغنم من السبي الف رأس ومن الدواب ثمانية آلاف رأس ومن الغنم مائتي الف رأس ومن الذهب والفضة شيأ كبيرا وفي سنة اثنتي عشرة جاء رسول ملك الروم بهدايا يطلب الهدنة وتقرير الفداء فاجيب الى ذلك ثم غدروا بالصائفة فدخل المسلمون بلاد الروم فاثخنوا ونهبوا وسبوا وعادوا وفي سنة ثلاث عشرة كتب ملك الروم الى اهل الثغور يأمرهم بحمل الخراج فان فعلوا والاقصدهم فقتل الرجال وسبي الذرية وقال انني قد صح عندي ضعف ولاتكم فلم يفعلوا ذلك فسار اليهم وأخرب البلاد ودخل ملطية واخربها وسبى منها سنة اربع عشرة وفتح الروم ابوابا من الربض فدخلوا فقاتلهم اهلها واخرجوهم وخربوا قرى كثيرة من قراها ونبشوا الموتى ومثلوا بهم وقصد اهل ملطية بغداد مستغيثين فلم يغاثوا فعادوا بغير فائدة وغزا اهل طرسوس صائفة فغنموا وعادوا

﴿ ذكر حرب بين المسلمين والروم ﴾

في سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرجت سرية من طرسوس الى بلاد الروم فوقع عليها العدو فاقتتلوا فاستظهر الروم واسروا من المسلمين اربعمائة رجل فقتلوا اصبرا وسار الدمستق في جيش عظيم الى مدينة دبيل فحاصرها وضيق عليها والدمستق عندهم ملك عظيم يلي بلاد الروم التي هي شرقي دجلة القسطنطينية ويكون تحت امر الملك الذي في القسطنطينية وكان مع الدمستق دبابات ومجانيق ومزاريق تزرق بالنار فلا يقوم بين يديها احد وكان الرامي بها من اشجعهم فرماه رجل من المسلمين بسهم فقتله واراح الله المسلمين منه وكان الدمستق يجلس على كرسي عال ليشرف على البلد وعلى عسكره فامرهم بالقتال على ما يراه فصبر له اهل البلد وهو ملازم للقتال حتى وصلوا الى سور المدينة فنقبوا فيه نقوبا كثيرة ودخلوا المدينة فقاتلهم اهلها ومن فيها من العسكر قتالا شديدا فانتصر المسلمون واخرجوا الروم منها وقتلوا منهم نحو

عشرة آلاف رجل وفى هذه السنة ايضا غزا ثمال الصائفة من طرسوس ولقى جمعا كثيرا من الروم فاقتتلوا فانتصر المسلمون عليهم وقتلوا من الروم كثيرا وعاثوا فى انعامهم وغنموا ثلاثمائة رأس من الغنم ولقيهم رجل من رؤساء الاكراد يعرف بابن الضحاك وكان له حصن يعرف بالجعفرى وكان قد ارتد عن الاسلام وتنصر وصار الى ملك الروم وخدمه فاجزل له القطيعة وامره بالعود الى حصنه فلقيه المسلمون فقاتلوه فاسروه وقتلوا كل من معه وفى سنة ست عشرة وثلاثمائة خرج الدمستق فى عساكر الروم فحاصر خلاط وملكها صلحا وجعل الصليب فى جامعها ورحل الى بدليس ففعل بها كذلك وخاف اهل ارزن وغيرهم ففارقوا بلادهم وانحدر اعيانهم الى بغداد واستغاثوا الى الخليفة فلم يغاثوا وفى هذه السنة وصل سبعمائة رجل من الروم والارمن الى ملطية ومعهم الفوس والمعاول واظهروا انهم يتكسبون بالعمل ثم ظهر أن مليحا الارمني وضعهم ليكونوا لها فاذا حصرها سلموها اليه فعلم بهم اهل ملطية فقتلوهم واخذوا مامعهم وفى سنة سبع عشرة خلع المقتدر وبويع اخوه القاهر ثم بعد يومين اعيد المقتدر وخلع القاهر وكانت هذه الفتنة هائلة وبسببها ضعفت الثغور الجزرية عن دفع الروم عنهم منها ملطية وميافارقين وآمد وارزن وغيرها وعزموا على طاعة ملك الروم والتسليم اليه لعجز الخليفة المقتدر بالله عن نصرهم وارسلوا الى بغداد يستأذنون فى التسليم ويذكرون عجزهم ويستمدون العساكر لتمنع عنهم فلم يحصلوا على فائدة فعادوا فصالحوا الروم وملكوهم البلاد وفى سنة سبع عشرة ايضا كان دخول القرامطة مكة يوم التروية وهو الثامن من ذى الحجة فنهبوا اموال الحجاج وقتلوهم حتى فى المسجد الحرام وفى البيت نفسه وقلعوا الحجر الاسود وانفذوه الى هجر وقلعوا باب البيت واصعدوا رجلا ليقلع الميزاب وكان من ذهب فاصيب بسهم من جبل ابى قبيس فاخطأ نحره وخر ميتا فأصعدوا آخر مكانه فسقط من فوق الى اسفل على رأسه ومات فهاب السالب الاقدام على القلع فتركوا قلع الميزاب وكان جملة من قتلوه من الطائفين والمصلين والمحرمين فى مكة وشعابها زهاء ثلاثين الفا وسبوا من النساء والذرية مثل ذلك وتلك مصيبة مااصيب الاسلام بمثلها وكان رئيسهم عدو الله المكنى بأبى طاهر وركض عند الكعبة فرسه وسيفه مشهور بيده وصفر لفرسه عند البيت الشريف فبال وراث قيل ان الذين قتلهم فى المطاف الف وسبعمائة وملأ بئر زمزم من رؤسهم والكلام على هذه القصة وغيرها من وقائعهم طويل مذكور فى التواريخ وقاتلهم خلفاء بنى العباس ولهم معهم وقائع كثيرة وكان ابتداء ظهورهم سنة ثمان وسبعين ومائتين ولهم عقائد قبيحة يكفرون بها وان كانوا يدعون الاسلام ويزعمون انهم يدعون الناس للبيعة للمهدى المنتظر وزعموا انه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وكل ذلك زور وباطل قال ابن الاثير ولم يكن لمحمد بن اسماعيل ولد اسمه عبد الله ومكث الحجر الاسود عندهم فى هجر اثنتين وعشرين سنة وكانوا يريدون تحويل الحج الى هجر فلما ايسوا من ذلك ارجعوه الى موضعه من البيت وكان ذلك فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وابتلى ابو طاهر رئيسهم بداء الآكلة فصار يتناثر لحمه بالدود وتقطعت اوصاله وطال عذابه ومات شرميتة ولعذاب الآخرة اشد وابقى وانما ذكرنا هذه القصة لان قتال هؤلاء وما فعلوه ملحق بقتال

(الكفار)

الكفار وافعالهم ولاعبرة بكونهم يدعون الاسلام فانهم كانوا يستبيحون دماء المسلمين و يرون ضلال كافة المسلمين ومن عقائدهم الرائعة المكفرة ان الصلاة ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان بعد غروبها فقط وان النبيذ حرام والخمر حلال ولا غسل من الجنابة لا لوضوء كوضوء الصلاة وان محمد بن الحنفية رسول الله بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من ضلالاتهم واستمرت شوكتهم الى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ثم اضمحل امرهم شيأ فشيأ حتى لم يبق لهم دولة

❁ تنبيه ❁

يوجد على وجه الحجر الاسود قطع كانت تكسرت منه ثم الصقت به و شهر على ألسنة كثير من الناس ان سبب تكسر هذه القطع من القرامطة لما اخرجوا الحجر الاسود وليس الامر كذلك بل سبب تكسرها ما ذكره السنجاري في تاريخ مكة وهو من عبارته في سنة اربعمائة واربع عشرة يوم النفر الاول وكان جمعة دخل المسجد رجل اشقر بيده سيف مسلول ودبوس من حديد وتقدم بعد أن فرغ الامام من صلاة الجمعة وقصد الحجر الاسود فضربه بالدبوس ثلاث مرات وقال الى متى يعبد هذا الحجر ومحمد وعلي فليمنعني مانع من هذا فاني اريد ان اهدم هذا البيت فخافه اكثر الحاضرين وكاد يهرب فثار اليه رجل فضربه بخنجر وقتله وقطعه الناس بالسلاح ثم احرقوه فحصل في الحجر الاسود شظف وخرج منه قطع صغار فاعادها بنو شيبة الكعبة وامير مكة والصقوها بالمك فصارت اثر ذلك باقية الى الآن اه ولنرجع الى ما نحن بصدده وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة غزا والي طرسوس بلاد الروم فغنم وسبى ثم نزل عليهم ثلج الى صدور الخيل وأتاهم جمع كثير من الروم فواقعوهم فنصر الله المسلمين فقتلوا من الروم ستمائة واسروا نحوا من ثلاثة آلاف وغنموا من الذهب و الفضة والديباج وغيره شيأ كثيرا و عادوا الى طرسوس ودخل بلاد الروم صائفة في جمع كثير من الفارس والراجل فبلغوا عمورية وكان قد تجمع بها كثير من الروم ففارقوها لما سمعوا خبرهم ودخل المسلمون فوجدوا فيها من الطعام والامتعة شيأ كثيرا فاخذوه واحرقوا ما كانوا غنموه منها واوغلوا في بلاد الروم ينهبون ويقتلون ويخربون حتى بلغوا انقرة وهي التي تسمى الآن انكورية وعادوا سالمين لم يلقوا كيدا فبلغت قيمة السبي مائة الف دينار وستة وثلاثين الف دينار وفي هذه السنة كاتب ابن الديراني وغيره من الارمن وهم باطراف ارمينية الروم وحثوهم على قصد بلاد الاسلام ووعدوهم النصر فسارت الروم في خلق كثير فخربوا نزكري وبلاد خلاط وما جاورها وقتلوا من المسلمين خلقا كثيرا واسروا كثيرا منهم فبلغ خبرهم مفلحا غلام يوسف بن ابي الساج وهو والي اذربيجان فسار في عسكر كبير وتبعه كثير من المتطوعة الى ارمينية وقصد بلد ابن الديراني ومن وافقه فخربه وقتل اهله ونهب اموالهم وبالغ الناس في كثرة القتلى من الارمن حتى قيل انهم كانوا مائة الف قتيل والله اعلم وتحصن ابن الديراني بقلعة له وفي هذه السنة ايضا سارت الروم الى سميساط فحصروها فاستصرخ اهلها سعيد بن حمدان صاحب الموصل وديار ربيعة فتجهز وسار مسرعا اليهم وقد كاد الروم يفتحونها فلما قاربهم هربوا منه فسار الى ملطية وكان اهلها قد ضعفوا فصالحوا الروم وسلموا مفاتيح البلد اليهم فحكموا على المسلمين وكان في ملطية جمع من الروم ومن عسكر مليح الارمني ومعهم بني بن نفيس صاحب

المقتدر وكان قد تنصر وهو مع الروم فلما احسوا باقبال سعيد خرجوا منها وخافوا ان يأتيهم سعيد بن حمدان فى عسكره من خارج المدينة و يثور اهلها بهم فيهلكوا ففارقوها ودخلها سعيد ثم استخلف عليها اميرا وعاد عنها ودخل بلاد الروم غازيا وقدم بين يديه سريتين فقتلا من الروم خلقا كثيرا قبل دخوله اليها وفى سنة عشرين قتل المقتدر (استطراد) قال العلامة القطبي فى تاريخه كان المقتدر فى كل عام يصرف يوم عرفة من الابل والبقر اربعين الف رأس ومن الغنم خمسين الفا وكان يصرف فى كل سنة فى طريق مكة والحرمين ثلاثمائة الف دينار وخمسة عشر الف دينار وكان فى داره احد عشر الف غلام خصي غير الصقالبة والروم والسود وختن خمسة من اولاده فصرف فى ختانهم ستمائة الف دينار وقدم مرة عليه رسل ملك الروم بهدايا لطلب الهدنة فعمل المقتدر موكبا عظيما لارهاب العدو فاقام مائة وستين الف مقاتل بالسلاح الكامل صفين من باب الشماسية الى دار الخلافة ببغداد لتمر الرسل بين الصفين فى هذه المسافة واقام بعدهم الخدم وهم سبعة آلاف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب ونصبت الستور على حيطان دار الخلافة فبلغت ثمانية وثلاثين الف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التى فرشت فى الارض اثنين وعشرين الف بساط وفى الحضرة مائة سبع فى سلاسل الذهب والفضة وكان من جملة الزينة شجرة صيغت وصنعت من الذهب والفضة والجواهر واغصانها تمايل بحركات مصنوعة وعلى الاغصان طيور من ذهب وفضة ينفخ الريح فيها فيسمع لكل طير تغريد وصفير خاص وهذا بعد وهن الدولة العباسية وضعفها فكيف كانت زينتها فى ايام قوة دولتهم فى كمال وضعها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه الزوال ولا تغيره الشؤن ولا تحوله الاحوال وهو الله الكبير المتعال لا اله الا هو وحده لاشريك له ولا ضد ولا ند ولامثال كون الاكوان وقدرها تقديرا الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا ﴿ انتهى ولنذكر قصة قتل المقتدر فان فيها اعتبار الكل من كانت له بصيرة وهى تدل على هوان الدنيا وخسة قدرها عند الله تعالى وذوى البصائر من عباده وحاصلها ان مؤنسا الخادم كان عبدا خصيا من عبيد المعتضد والد المقتدر فلما صارت الخلافة للمقتدر زاده فى رفعة القدر وولاه قيادة كثير من جيوشه وصار من اعظم وزرائه وفى سنة عشرين وثلاثمائة حصلت وحشة بينه و بين المقتدر فسار مؤنس الى الموصل مغاضبا للمقتدر فاستولى المقتدر على اقطاع مؤنس وماله واملاكه واملاك اصحابه وكتب الى بنى حمدان امراء الموصل بصد مؤنس عن الموصل وقتاله فجرى بين مؤنس و بينهم قتال فانتصر مؤنس واستولى على الموصل واجتمعت عليه العساكر من كل جهة فسار بهم الى جهة بغداد ثم لما وصل الى بغداد نزل عند باب الشماسية بجنوده فخرج المقتدر الى قتال مؤنس بمن بقى معه من العساكر لان كثيرا منهم انعزلوا عنه وانحدروا الى واسط ليكونوا مع مؤنس ولما خرج المقتدر للقتال كان بين يديه الفقهاء والقراء ومعهم المصاحف مشورة وعليه البردة النبوية ووقف على تل فألح عليه اصحابه بالتقدم الى القتال فتقدم ثم انهزمت اصحابه فلحق المقتدر قوم من العسكر مغاربة فقال لهم و يحكم انا الخليفة

فقالوا قد عرفناك يا سفلة انت حنيفة ابليس فضربه واحد منهم بسيفه فسقط الى الارض فذبحوه وقطعوا رأسه ورفعوه على خشبة وهم يكبرون و يلعنونه واخذوا ما عليه حتى سراويله وكشفت عورته ثم حفروا له فى موضعه ودفنوه وعفى قبره وحملوا رأسه الى مؤنس وهو بالراشدية لم يشهد الحرب فلما رأى مونس رأس المقتدر لطم وجهه وبكى ثم ان القاهر اخا المقتدر لما بويع بعد قتل المقتدر وتمكن من الامر قتل مؤنسا ولم تطل مدة القاهر بل خلع سنة اثنتين وعشرين وسملت عيناه وعاش دهرا طويلا اعمى محبوسا فى دار الخلافة ثم اطلقوه واهملوه فوقف يوما بجامع المنصور بين الصفوف وقال تصدقوا على فانا من قد عرفتم وذلك فى ايام المستكفى ليشنع عليه فمنعوه من الخروج الى ان مات سنة تسع وثلاثين وعمره ثلاث وخمسون سنة ولما خلع القاهر بويع الراضى بن المقتدر وفى هذه السنة سار الدمستق الى سميساط فى خمسين الفا ونازل ملطية وحصرها مدة طويلة فهلك اكثر اهلها بالجوع وضرب خيمتين على احدهما صليب وقال من اراد النصرانية انحاز الى خيمة الصليب ليرد اليه اهله وماله ومن اراد الاسلام انحاز الى الخيمة الاخرى وله الامان على نفسه و يبلغه مأمنه فتنصر اكثر المسلمين الى الخيمة التى عليها الصليب طمعا فى اهاليهم واموالهم وسير مع الباقين بطريقا يبلغهم مأمنهم وفتحها بالامان ثم فتحوا سميساط وخربوا اعمالها واكثروا القتل وفعلوا الافاعيل الشنيعة وصار اكثر البلاد فى ايديهم وفتحوا الحدث وتوجه امير بالتوة واشغالها بعمر والقرقيسيا من ساحل الشام وحرقوا مراكبها وما وصلت وفى سنة ست وعشرين كان الفداء بين المسلمين والروم وكان عدة من فودى من المسلمين ستة آلاف وثلاثمائة اسيرا ما بين ذكر وانثى وفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة توفى الراضى وبويع اخوه المتقى بن المقتدر وفى سنة ثلاثين وصل الروم الى قرب حلب ونهبوا وخربوا البلاد وسبوا خمسة عشر الف انسان وفى هذه السنة غزا على من ناحية طرسوس الى بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وعاد سالما وقد اسر عدة من بطارقتهم وفى سنة احدى وثلاثين ارسل ملك الروم الى المتقى لله يطلب منه منديلا يزعم ان المسيح مسح به وجهه فصارت صورة وجهه فيه وانه فى بيعة الرها وذكر انه ان ارسل المنديل اطلق عددا كثيرا من أسارى المسلمين فاحضر المتقى لله القضاة والفقهاء واستفتاهم فاختلفوا فبعض رأى تسليمه الى الملك واطلاق الاسرى وبعض قال ان هذا المنديل لم يزل من قديم الدهر فى بلاد الاسلام لم يطلبه ملك من ملوك الروم وفى دفعه اليهم غضاضة وكان فى الجماعة على بن عيسى الوزير فقال ان خلاص المسلمين من الاسر ومن الضر والضنك الذى هم فيه اولى من حفظ هذا المنديل فامر الخليفة بتسليمه اليهم واطلاق الاسرى ففعل ذلك وارسل الى الملك من يتسلم الاسرى من بلاد الروم فاطلقوا

﴿ ذكر خروج الروسية على بلاد الاسلام ﴾

فى سنة اثنتين وثلاثين خرجت طائفة من الروسية فى البحر الى نواحى اذربيجان وركبوا فى البحر فى نهر الكر وهو نهر كبير فانتهوا الى المدينة بردعة فخرج اليهم نائب المرزبان الديلمى باذربيجان فى جمع من الديلم والمتطوعة يزيدون على خمسة آلاف

رجل فلقوا الروس فلم يكن الا ساعة حتى انهزم المسلمون منهم وقتلوا عن آخرهم وتبعهم الروس الى البلد فهرب من كان له مركوب وترك البلد فنزله الروس ونادوا فيه بالامان واقبلت العساكر الاسلامية من كل ناحية لمقاتلتهم فكانت الروس تقاتلهم فلا يثبت المسلمون لهم وكان عامة البلد يخرجون و يرمون الروس بالحجارة ويصيحون بهم فينهاهم الروس عن ذلك فلم ينتهوا سوى العقلاء فانهم كفوا انفسهم وسار العامة والرعاع لا يضبطون انفسهم فلما طال ذلك عليهم نادى مناديهم بخروج اهل البلد منه وان لا يقيموا بعد ثلاثة ايام فخرج من كان له ظهر يحمله وبقي اكثرهم بعد الاجل فوضع الروسية فيهم السلاح فقتلوا منهم خلقا كثيرا واسروا بعد القتل بضع عشرة الف نفس وجمعوا من بقي بالجامع وقالوا اشتروا انفسكم والا قتلناكم وسعى لهم انسان نصراني فقرر على كل رجل عشرين درهما فلم يقبل منهم الا عقلاؤهم فلما رأى الروسية انه لا يحصل منهم شئ قتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم الا الشريد وغنموا اموال اهلها واستعبدوا السبي واختاروا من النساء من استحسنوها

﴿ ذكر مسير المرزبان بن محمد بن مسافر ملك الديلم اليهم ﴾

لما فعل الروس باهل بردعة ماذكرناه استعظمه المسلمون وتنادوا بالنفير وجمع المرزبان بن محمد الناس واستنفرهم فبلغ عدة من معه ثلاثين الفا وسار بهم فقاتلوهم فامتنعوا عليه فاكمن لهم بعض الايام فهزمهم وقتل اميرهم ونجا الباقون الى حصن البلد وحاصرهم المرزبان حتى هربوا من البلد وحملوا ماقدروا عليه وطهر الله البلد منهم وملك الروس ايضا في هذه السنة رأس عين واستباحوها ثلاثا وقاتلهم الاعراب فعارفوها وكانوا ثمانين الفا مع من سبق وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة خلع المتقي وبويع المستكفي بن المكتفي بن المعتضد ومكث سنة واربعة اشهر ثم خلع وبويع المطيع لله بن المقتدر بن المعتضد سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة حين تغلب بنو بويه على الخلفاء وبنو بويه كزبير ويقال ايضا بسكون الواو وفتح الياء ينتهي نسبهم الى ملوك الفرس وانما نسبوا الى الديلم لانهم طال مقامهم ببلادهم وخدموا كثيرا من عمال الخلفاء حتى صاروا قواد جيوش ثم تقوى امرهم حتى تغلبوا على الخلفاء وصار الملك بايديهم وليس للخلفاء الا الاسم والدعاء على المنابر وكتابة المناشير وكتابة اسمائهم على الدراهم والدنانير واخبارهم طويلة مذكورة في التواريخ ودخل معز الدولة بن بويه بغداد بجيوشه سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وخلع الخليفة المستكفي بن المكتفي واقام في الخلافة المطيع لله بن المقتدر وكان ابتداء ظهورهم سنة عشرين وثلاثمائة ومازالوا يتغلبون على ممالك بني العباس شيأ فشيأ حتى تغلبوا على بغداد سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وصاروا يتوارثون الملك بالتغلب الى سنة ثمان واربعين واربعمائة فقامت دولة السلجوقية وتغلبوا عليهم وعلى الخلفاء ايضا وفي سنة خمس وثلاثين كان الفداء بالثغور بين المسلمين والروم على يد نصر الثملي امير الثغور لسيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وحمص وكان عدة الاسرى الفين واربعمائة اسير وثمانين اسيرا من ذكر وانثى وفضل للروم على المسلمين مائتان وثلاثون اسيرا لكثرة من معهم من الاسرى فوفاهم ذلك سيف الدولة ومن هذا التاريخ صار امر الصوائف الى سيف الدولة

ابن حمدان صاحب حلب وحمص وفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة غزا سيف الدولة بن حمدان
الى بلد الروم فلقيه الروم واقتتلوا فانهزم سيف الدولة واخذ الروم مرعش واوقعوا باهل
طرسوس وفي سنة ثمان وثلاثين غزا سيف الدولة بلاد الروم واوغل فيها وفتح حصونا
كثيرة وسبى وغنم فلما اراد الخروج من بلاد الروم اخذوا عليه المضايق فهلك من كان
معه من المسلمين اسرا وقتلا واسترد الروم الغنائم والسبي وغنموا اثقال المسلمين واموالهم
ونجا سيف الدولة في عدة يسيرة

﴿ ذكر غزوة صقلية ﴾

في سنة اربعين غزا الروم صقلية الحسن بن علي الكلبي عامل المنصور العبيدي وجاءت جنود
من القسطنطينية مددا للروم بصقلية ونزلوا مع المسلمين اسد لقتال ثم انهزم الروم وركبهم
المسلمون يقتلون ويأسرون الى الليل وغنموا جميع اثقالهم وسلاحهم ودوابهم وفي سنة احدى
واربعين ملك الروم مدينة سروج وسبوا اهلها وغنموا اموالهم واحرقوا المساجد
وفي سنة ثلاث واربعين غزا سيف الدولة ابن حمدان بلاد الروم وقتل واسر وسبى وغنم
وكان فيمن قتل قسطنطين بن الدمستق فعظم الامر على الروم وعلى الدمستق
فجمع عساكره من الروم والروس والبلغار وغيرهم وقصد الثغور فسار اليه سيف
الدولة فالتقوا عند الحدث فاشتد القتال بينهم وصبر الفريقان ثم ان الله تعالى
نصر المسلمين فانهزم الروم وقتل منهم ومن معهم خلق كثير واسر صهر الدمستق وابن
ابنته وكثير من بطارقته وعاد الدمستق مهزوما مغلولا وفي سنة خمس واربعين
وثلاثمائة سار سيف الدولة في جيوش الى بلاد الروم وغزاها حتى بلغ خرشنة وصارخة
وفتح عدة حصون وسبى واسر واحرق وخرب واكثر القتل فيهم ورجع الى ادنة
فاقام بها ثم رجع الى حلب فلما سمع الروم ذلك جمعوا وساروا الى ميافارقين واحرقوا
اسوارها ونهبوا وخربوا وسبوا اهلها ونهبوا اموالهم وعادوا وفي هذه السنة سار الروم
في البحر فاوقعوا باهل طرسوس وقتلوا منهم الفا وثمانمائة رجل واحرقوا القرى التي حولها
وفعلوا مثل ذلك ايضا بطرسوس واثرها سنة ثمان واربعين وفي سنة تسع واربعين غزا سيف
الدولة بلاد الروم في جمع كثير فأثر فيها آثارا كثيرة واحرق وفتح عدة حصون واخذ
من السبي والغنائم والاسرى شيأ كثيرا وبلغ الى خرشنة ثم ان الروم اخذوا عليه المضايق
فلما اراد الرجوع قال له من معه من اهل طرسوس ان الروم قد ملكوا الدرب خلفك فلهذا
فلا تقدر على العود منه والرأى ان ترجع معنا فلم يقبل منهم وكان معجبا برأيه يحب ان يستبد
ولا يشاور احدا لئلا يقال انه اصاب رأى غيره وعاد من الدرب الذي دخل منه فظهر الروم
عليه واستردوا ما كان معه من الغنائم واخذوا اثقاله ووضعوا السيف في اصحابه فأتوا
عليهم قتلا واسرا وتخلص هو في ثلاثمائة رجل بعد جهد ومشقة وهذا من سوء رأى
كل من يجهل اراء الناس العقلاء والله اعلم بالصواب وفي سنة ثلاثمائة وخمسين سار قفل
عظيم من انطاكية الى طرسوس ومعهم صاحب انطاكية فخرج عليهم كمين للروم فأخذ

من كان فيها من المسلمين و قتل كثيرا منهم وافلت صاحب انطاكية وبه جراحات وفي هذه السنة غزا نجا غلام سيف الدولة بلاد الروم من ناحية ميافارقين وغنم ماقيمته قيمة عظيمة وسبي واسر وخرج سالما

﴿ ذكر استيلاء الروم على مدينة زربة وهو ثغر قرب المصيصة والمصيصة بلدة بالشام ﴾

في سنة احدى وخمسين وثلاثمائة نزل الروم مع الدمستق على عين زربة وهي في سفح جبل عظيم وهو مشرف عليها وهم في جمع عظيم فانفذ بعض عسكره فصعدوا الجبل فملكوه فلما رأى ذلك اهلها وان الدمستق قد ضيق عليهم ومعه الدبابات وقد وصل الى السور وشرع في النقب طلبوا الامان فأمنهم الدمستق وفتح له باب المدينة فدخلها فرأى اصحابه الذين في الجبل قد نزلوا الى المدينة فندم على اجابتهم الى الامان ونادى في البلد اول الليل بأن يخرج جميع اهله الى المسجد الجامع ومن تأخر في منزله قتل فخرج من امكنه الخروج فلما اصبح انفذ رجالته في المدينة وكانوا ستين الفا وامرهم بقتل من وجدوه في منزله فقتلوا خلقا كثيرا من الرجال والنساء والصبيان وأمر بجمع ما في البلد من السلاح فجمع وكان شيأ كثيرا وأمر من في المسجد ان يخرجوا من البلد حيث شاؤا يومهم ذلك ومن امسى قتل فخرجوا مزدحمين فمات بالزحمة جماعة ومروا على وجوههم لايدرون اين يتوجهون وماتوا في الطرقات وقتل الروم من وجدوه بالمدينة آخر النهار واخذوا كل ما خلفه الناس من اموالهم وامتعتهم وهدموا سور المدينة واقام الدمستق في بلد الاسلام احدا وعشرين يوما وفتح حول عين زربة اربعة وخمسين حصنا للمسلمين بعضها بالسيف وبعضها بالامان وكان من جملة تلك الحصون التي فتحت بالامان حصن أمر اهله بالخروج منه فخرجوا فتعرض احد الارمن لبعض حرم المسلمين فلحق المسلمين غيرة عظيمة فجردوا اسيوفهم فاغتاظ الدمستق لذلك فأمر بقتل جميع المسلمين وكانوا اربعمائة رجل وقتل النساء والصبيان ولم يترك الا من يصلح ان يسترق فلما ادركه الزمن الذي يصوم فيه النصارى انصرف على انه يعود بعد العيد وخلف جيشه بقيسارية وكان ابن الزيات صاحب طرسوس قد خرج في اربعة آلاف رجل من الطرسوسيين فأوقع بهم الدمستق فقتل اكثرهم وقتل اخا لابن الزيات فعاد الى طرسوس وكان قد قطع الخطبة لسيف الدولة بن حمدان فلما اصابهم هذا الوهن اعاد اهل البلد الخطبة لسيف الدولة وارسلوا اليه بذلك فلما علم ابن الزيات حقيقة الامر صعد الى روشن في داره فالقى نفسه الى نهر تحته فغرق وراسل اهل بغراس الدمستق وبذلوا له مائة الف درهم فأقرهم وترك معارضتهم

﴿ ذكر استيلاء الروم على مدينة حلب وعودهم منها بغير سبب ﴾

في هذه السنة استولى الروم على مدينة حلب دون قلعتها وكان سبب ذلك ان الدمستق سار الى حلب ولم يشعر به المسلمون لانه كان قد خلف عسكره بقيسارية ودخل بلادهم كما ذكرناه فلما قضى صوم النصارى خرج الى عسكره من البلاد جريدة ولم يعلم به احد وسار بهم فسبق وصوله خبره وكبس مدينة حلب ولم يعلم به سيف الدولة بن حمدان

ولا غيره فلما بلغها وعلم سيف الدولة الخبر أعجله الأمر عن الجمع والاحتشاد فخرج إليه فيمن معه
فقاتله فلم يكن له قوة لصبر لقلة من معه فقتل أكثرهم ولم يبق من أولاد داود بن حمدان
أحد قتلوا جميعهم فانهزم سيف الدولة في نفر يسير وظفر الدمستق بداره وكانت خارج
مدينة حلب تسمى الدارين فوجد فيها لسيف الدولة ثلاثمائة بدرة من الدراهم ووجد له
ألفا وأربعمائة بغل ومن خزائن السلاح ما لا يحصى فأخذ الجميع وخرب الدار وملك الحاضر
وحصر المدينة فقاتله أهلها وهدم الروم في السور ثلمة فقاتلهم أهل حلب عليها فقتل من
الروم كثير ودفعوهم عنها فلما جنهم الليل عمروها فلما رأى الروم ذلك تأخروا إلى جبل
جوشن ثم إن رجالة الشرطة بحلب قصدوا منازل الناس وخانات التجار لينهبوها فلحق الناس
أموالهم ليمنعوها فخلا السور منهم فلما رأى الروم السور خاليا من الناس قصدوه وقربوا منه
فلم يمنعهم أحد فصعدوا إلى أعلاه فرأوا الفتنة قائمة في البلد بين أهله فنزلوا وفتحوا
الأبواب ودخلوا البلد بالسيف يقتلون من وجدوا ولم يرفعوا السيف إلى أن تعبوا
وضجروا وكان في حلب ألف وأربعمائة من الأسارى فتخلصوا وأخذوا السلاح وقتلوا
الناس وسبي من البلد بضعة عشر ألف صبي وصبية وغنموا ما لا يوصف كثرة فلما لم يبق
مع الروم ما يحملون عليه الغنيمة أمر الدمستق بإحراق الباقي وأحرق المساجد وكان قد بذل
لأهل البلد الأمان على أن يسلموا إليه ثلاثة آلاف صبي وصبية ومالا ذكره وينصرف
عنهم فلم يجيبوه إلى ذلك فملكهم كما ذكرنا وكان عدة عسكره مائتي ألف رجل منهم ثلاثون
ألفا بالجواشن وهي الصدر والدرع وثلاثون ألفا للهدم وإصلاح الطرق من الثلج
وأربعة آلاف بغل تحمل الحسك الحديد وهي أداة للحرب من حديد لها شوك تلقى حول
العسكر ليلا لمن أراد حول إليهم ولما دخل الروم البلد قصد الناس القلعة فمن دخلها نجا بنفسه
وأقام الدمستق تسعة أيام وأراد الانصراف عن البلد بما غنم فقال له ابن أخت الملك
وكان معه هذا البلد قد حصل في أيدينا فليس من يدفعنا عنه فلأي سبب ننصرف عنه
فقال له الدمستق قد بلغنا ما لم يكن الملك يؤمله وغنمنا وقتلنا وخربنا وأحرقنا وخلصنا أسرانا
وبلغنا ما لم يسمع بمثله فتراجعا الكلام إلى أن قال له الدمستق انزل على القلعة فحاصرها
فإني مقيم بعسكري على باب المدينة فتقدم ابن أخت الملك إلى القلعة ومعه سيف وترس وتبعه
الروم فلما قرب من باب القلعة ألقي عليه حجر فسقط ورمي بخشبة فقتل فأخذه أصحابه وعادوا
إلى الدمستق فلما رآه قتيلا قتل من معه من أسرى المسلمين وكانوا ألفا ومائتي رجل وعاد
إلى بلاده ولم يعرض لسواد حلب وأمر أهله بالزراعة والعمارة ليعود إليهم بزعمه

﴿ ذكر فتح طرمين من صقلية ﴾

وفي هذه السنة سارت جيوش المسلمين بصقلية وأميرهم حينئذ أحمد بن الحسن بن علي بن
أبي الحسين عامل العبيد يين إلى قلعة طرمين من صقلية أيضاً وهي بأيدي الروم فحاصروها
وهي من أمنع الحصون وأشدها على المسلمين فامتنع أهلها ودام الحصار عليهم فلما رأى المسلمون
ذلك عمدوا إلى الماء الذي يدخلها فقطعوه عنها وأجروه إلى مكان آخر فعظم الأمر عليهم

وطلبوا الامان فلم يجيبوا اليه فعادوا وطلبوا ان يؤمنوا على دمائهم و يكونوا رقيقاً للمسلمين و اموالهم فيأ فأجيبوا الى ذلك و اخرجوا من البلد وملكه المسلمون وكان مدة الحصار سبعة اشهر ونصفاً واسكن القلعة نفراً من المسلمين وسميت المعزية نسبة للمعز العبيدى صاحب افريقية وسار جيش الى رمطة مع الحسن بن عمار فحصروها وضيقوا عليها فلما رأى الروم ذلك خافوا وارسلوا الى ملك القسطنطينية يعلمونه الحال و يطلبون منه ان ينجدهم بالعساكر فجهز اليهم عسكراً عظيماً يزيدون على اربعين الف مقاتل وسيرهم فى البحر فوصلت الاخبار الى الامير احمد امير صقلية فارسل الى المعز بأفريقية يعرفه ذلك ويستمده و يسأله ارسال العساكر اليه سريعاً وشرع هو فى اصلاح الاسطول والزيادة فيه وجمع الرجال المقاتلة فى البر والبحر واما المعز فانه جمع الرجال وحشد وفرق فيهم الاموال الجليلة وسيرهم مع الحسن ابن على والد احمد فوصلوا الى صقلية فى رمضان وساروا الى الذين يحاصرون رمطة فكانوا معهم على حصارها واما الروم فانهم وصلوا ايضاً الى مدينة صقلية فى شوال ونزلوا عند مدينة مسينى وزحفوا منها بجموعهم التى لم يدخل صقلية مثلها الى رمطة فلما سمع الحسن ابن عمار مقدم الجيش الذين يحاصرون رمطة ذلك جعل عليها طائفة من عسكره يمنعون من يخرج منها و برز بالعساكر للقاء الروم وقد عزموا على الموت ووصل الروم واحاطوا بالمسلمين ونزل اهل رمطة الى من يليهم ليأتوا المسلمين من ظهورهم فقاتلهم الذين جعلوا هناك لمنعهم و ابعدوهم عما ارادوا وتقدم الروم الى القتال وهم مدلون بكثرتهم و بما معهم من العدد وغيرها والتحم القتال وعظم الامر على المسلمين والحقهم العدو بخيامهم وايقن الروم بالظفر فلما رأى المسلمون عظم ما نزل بهم اختاروا الموت ورأوا انه اسلم لهم و اخذوا بقول الشاعر * تأخرت استبقى الحياة فلم احد * لنفسى حياة مثل ان اتقدما *

فحمل بهم الحسن بن عمار اميرهم وحمى الوطيس حينئذ وحرضهم على قتال الكفار وكذلك فعل بطارقة الروم وحملوا وحرضوا عساكرهم وحمل منويل مقدم الروم فقتل فى المسلمين فطعنه المسلمون فلم يؤثر فيه لكثرة ماعليه من اللباس فرمى بعضهم فرسه فقتله واشتد القتال عليه فقتل هو وجماعة من بطارقته فلما قتل انهزم الروم اقبح هزيمة واكثر المسلمون فيهم القتل ووصل المنهزمون الى حرف خندق عظيم كالحفرة فسقطوا فيها من خوف السيف فقتل بعضهم بعضاً حتى امتلأت وكانت الحرب من بكرة الى العصر وبات المسلمون يقاتلونهم فى كل ناحية وغنموا من السلاح والخيل وصنوف الاموال مالايحد وكان فى جملة الغنيمة سيف هندى عليه مكتوب هذا سيف هندى وزنه مائة وسبعون مثقالا طالما ضرب به بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى المعز مع الاسرى والرؤس وسار من سلم من الروم الى ريو واما اهل رمطة فانهم ضعفت نفوسهم وكانت الاقوات قد قلت عندهم فاخرجوا من فيها من الضعفاء و بقى المقاتلة فزحف اليهم المسلمون وقاتلوهم الى الليل ولزموا القتال فى الليل ايضاً وتقدموا بالسلاليم فملكوها عنوة وقتلوا من فيها وسبوا الحرم والصغار وغنموا مافيها وكان شيأ كثيراً عظيماً ورتب فيها من المسلمين من يعمرها ويقيم فيها ثم ان الروم تجمع من سلم منهم واخذوا معهم من فى صقلية وجزيرة ريو منهم وركبوا مراكبهم

يحفظون نفوسهم فركب الامير احمد فى عساكره و اصحابه فى المراكب ايضاً وزحف اليهم فى الماء وقاتلهم واشتد القتال بينهم والقى جماعة من المسلمين نفوسهم فى الماء وحرقوا كثيراً من المراكب التى للروم فغرقت وكثر القتل فى الروم فانهزموا لايلوى احد على احد وسارت سرايا المسلمين فى مداين الروم فغنموا منها فبذل اهلها لهم كثيراً من الاموال وهادنوهم وكانت هذه الوقائع فى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة والهدنة فى سنة اربع و خمسين وهذه الوقعة الاخيرة تعرف بوقعة المجاز ولنرجع الى تمام الكلام على حوادث سنة احدى وخمسين ففيها اخذ الروم حصن دلوك وثلاثة حصون مجاورة له وفيها سير سيف الدولة حاجبه فى جيش مع اهل طرسوس الى بلاد الروم فغنموا وقتلوا وسبوا وعادوا فقصد الروم حصن سيسية فملكوه وفيها سار نجا غلام سيف الدولة فى جيش الى حصن زياد فلقيه جمع من الروم فهزمهم واستأمن اليه من الروم خمسمائة رجل وفى هذه السنة ايضاً فى شوال اسرت الروم ابا فراس بن سعيد بن حمدان من منبج وكان متقلداً لها وكان ذا فصاحة و بلاغة وله ديوان شعر جيد و بقى اسيرا الى سنة خمس وخمسين فافتداه سيف الدولة بمال جزيل وتسلمه منهم وفى سنة احدى وخمسين ايضاً سار جيش من الروم الى جزيرة اقريطش فارسل اهلها الى المعز العبيدى صاحب افريقية يستنجد وبه فارسل اليهم نجدة فقاتلوا الروم فنصر المسلمون واسر من كان بالجزيرة من الروم وفى سنة اثنين وخمسين دخل اهل طرسوس بلاد الروم غازين ودخلها ايضاً نجا غلام سيف الدولة من درب آخر ووصل اهل طرسوس فى غزوتهم حتى وصلوا الى قونية وعادوا وفى هذه السنة اجتمع جماعة كثيرة من الارمن وقصدوا الرها فاغاروا عليها فغنموا واسروا وعادوا موفورين

﴿ ذكر حصر الروم المصيصة ووصول الغزاة من خراسان ﴾

فى سنة ثلاث وخمسين حصر الروم مع الدمستق المصيصة وقاتلوا اهلها ونقبوا سورها واشتد قتال اهلها على النقب حتى دفعوهم عنه بعد قتل عظيم واحرق الروم رستاقها ورستاق اذنة وطرسوس لمساعدتهم اهلها فقتل من المسلمين خمسة عشر الف رجل واقام الروم فى بلاد الاسلام خمسة عشر يوما لم يقصدهم من يقاتلهم فعادوا لغلاء الاسعار وقلة الاقوات ثم ان انساناً وصل الى الشام من خراسان يريد الغزو ومعه خمسة آلاف رجل وكان طريقهم على ارمينية وميا فارقين فلما وصلوا الى سيف الدولة فى صفر اخذهم سيف الدولة وسار بهم نحو بلاد الروم لدفعهم عن المسلمين فوجد الروم قد عادوا وافترق الغزاة الخراسانية الى الثغور لشدة الغلاء وعاد اكثرهم الى بغداد ومنها الى خراسان ولما اراد الدمستق العود الى بلاد الروم ارسل الى اهل المصيصة واذنة وطرسوس انى منصرف عنكم لا لعجز ولكن لضيق العلوفة وشدة الغلاء وانا عائد اليكم فمن انتقل منكم فقد نجا ومن وجدته بعد عودى قتلته ثم نزل ملك الروم بعد ذلك على طرسوس وحصرها وجرى بينهم و بين اهلها حروب كثيرة سقط فى بعضها الدمستق الى الارض وكاد يؤسر فقاتلت عليه الروم وخلصوه واسر اهل طرسوس بطريقاً كبيراً من بطارقة الروم ورحل الروم عنهم وتركوا عسكرا على المصيصة مع الدمستق فحصرها

ثلاثة اشهر لم يأتهم منها احد فاشتد الغلاء على الروم وكثر فيهم الوباء فمات كثير منهم فاضطروا الى الرحيل

﴿ ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس ﴾

في سنة اربع وخمسين وثلاثمائة سار نقفور ملك الروم الى قيسارية ليقرب من بلاد الاسلام واقام بها ونقل اهله اليها فارسل اليه اهل طرسوس والمصيصة يبذلون له اتاوة و يطلبون منه ان ينفذ اليهم بعض اصحابه يقيم عندهم فعزم على اجابتهم فاتاه الخبر بانهم قد ضعفوا وعجزوا و انهم لا ناصر لهم و ان الغلاء قد اشتد عليهم وقد عجزوا عن القوت واكلوا الكلاب والميتة وقد كثر فيهم الوباء فيموت منهم في اليوم نحو ثلاثمائة نفس فعاد نقفور عن اجابتهم واحضر الرسول واحرق الكتاب على رأسه و احترقت لحيته وقال لهم انتم كالحية في الشتاء تخدر وتذبل حتى تكاد تموت فان اخذها انسان واحسن اليها وادفأها انتعشت ونهشته و انتم انما اطعتم لضعفكم وان تركتكم حتى تستقيم احوالكم تأذيت بكم واعاد الرسول وجمع جيوش الروم وسار الى المصيصة بنفسه فحاصرها وفتحها عنوة بالسيف ووضع السيف فيهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رفع السيف ونقل كل من بها الى بلد الروم وكانوا نحو مائتي الف انسان ثم سار الى طرسوس فحصرها فاذعن اهلها بالطاعة وطلبوا الامان فاجابهم اليه وفتحوا البلد فلقيهم بالجميل وامرهم ان يحملوا من سلاحهم واموالهم ما يطيقون و يتركوا الباقي ففعلوا ذلك وساروا براً وبحراً وسير معهم من يحميهم حتى بلغوا انطاكية وجعل الملك المسجد الجامع اصطبلا لدوابه واحرق المنبر وعمر طرسوس وحصنها وجلب الميرة اليها حتى رخصت الاسعار وتراجع اليها كثير من اهلها ودخلوا في طاعة الملك وتنصر بعضهم والعياذ بالله تعالى واراد الملك المقام بها ليقرب من بلاد الاسلام ثم عاد الى القسطنطينية واراد الدمستق ان يقصد ميافارقين و بها سيف الدولة فأمره الملك باتباعه الى القسطنطينية وفي هذه السنة نزلت طائفة من الترك على بلاد الخزر فاستنصر اهل الخزر باهل خوارزم فلم ينجدوهم وقالوا انتم كفار فان اسلمتم نصرناكم فاسلموا الا ملكهم فنصرهم اهل خوارزم و ازالوا الترك عنهم ثم اسلم ملكهم بعد ذلك

﴿ ذكر خروج الروم الى بلاد الاسلام ﴾

في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة في شوال خرجت الروم وقصدوا مدينة آمد ونزلوا عليها وحاصروها وقتلوا اهلها فقتل منهم ثلاثمائة رجل واسر نحو اربعمائة اسير ولم يمكنهم فتحها فانصرفوا الى دارا وقربوا من نصيبين ولقيهم قافلة واردة من ميافارقين فاخذوها وهرب الناس من نصيبين خوفا منهم حتى بلغت اجرة الدابة مائة درهم وراسل سيف الدولة الاعراب ليهرب معهم وكان في نصيبين فاتفق ان الروم عادوا قبل هربه فاقام بمكانه وساروا من ديار الجزيرة الى الشام فنازلوا انطاكية فاقاموا عليها مدة طويلة يقاتلون اهلها فلم يمكنهم فتحها فخربوا بلدها ونهبوه وعادوا الى طرسوس وفي سنة ست وخمسين توفي سيف الدولة وملك ابنه ابو

المعالي شريف وفي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وصلت سرية كبيرة من الروم الى انطاكية فقتلوا في سوادها وغنموا وسبوا اثني عشر الفا من المسلمين وفي سنة ثمان وخمسين دخل ملك الروم الشام ولم يمنعه احد ولا قاتله فسار في البلاد الى طرابلس واحرق بلدها وحصر قلعة عرقة فملكها ونهبها وسبى من فيها وكان صاحب طرابلس قد اخرجه اهلها لشدة ظلمه فقصد عرقة فاخذه الروم وجميع ماله وكان كثيرا وقصد ملك الروم حمص وكان اهلها قد انتقلوا عنها واخلوها فاحرقها ملك الروم ورجع الى بلدان الساحل فاتى عليها نهبا وتخريبا وملك ثماني عشرة مدينة واما القرى فكثير لا يحصى واقام في الشام شهرين يقصد اي موضع شاء ويخرب ما شاء ولا يمنعه احد الا ان بعض العرب كانوا يغيرون على اطرافهم فاتاه جماعة منهم وتنصروا وكادوا المسلمين من العرب وغيرهم فامتنعت العرب من قصدهم وصار للروم الهيبة العظيمة في قلوب المسلمين فاراد ان يحصر انطاكية وحلب فبلغه ان اهلها قد اعدوا الذخائر والسلاح وما يحتاجون اليه فامتنع من ذلك وعاد ومعه من السبي نحو مائة الف رأس ولم يأخذ الا الصبيان والصبايا والشبان فاما الكهول والشيوخ والعجائز فمنهم من قتله ومنهم من اطلقه وكان بحلب قرعويه غلام سيف الدولة فصانع الروم عليها فعادوا الى بلادهم فقيل كان سبب عودهم كثرة الامراض والموت وقيل ضجروا من طول السفر وغيبتهم عن بلادهم فعادوا على عزم الرجوع وسير ملك الروم سرية الى الجزيرة فنهبوا وسبوا واحرقوا وعادوا

﴿ ذكر ملك الروم انطاكية ﴾

في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ملك الروم مدينة انطاكية وسبب ذلك انهم حصروا حصنا بالقرب من انطاكية يقال له حصن لوقا ووافقوا اهله وهم نصارى على ان يرحلوا منه الى انطاكية ويظهروا انهم انما انتقلوا منه خوفا من الروم فاذا صاروا بانطاكية اعانوهم على فتحها وانصرف الروم عنهم بعد موافقتهم على ذلك وانتقل اهل الحصن ونزلوا بانطاكية بالقرب من الجبل الذي بها فلما كان بعد انتقالهم بشهرين جاءت الروم مع اخي نقفور الملك وكانوا نحو اربعين الفا فاحاطوا بسور انطاكية وصعدوا الجبل الى الناحية التي بها اهل حصن لوقا فلما رآهم اهل البلد قد ملكوا تلك الناحية طرحوا انفسهم من السور وملك الروم البلد ووضعوا في اهله السيف ثم اخرجوا المشايخ والعجائز والاطفال من البلد وقالوا لهم اذهبوا حيث شئتم واخذوا الشبان من الرجال والنساء والصبيان والصبايا فحملوهم الى بلاد الروم سبيا وكانوا يزيدون على عشرين الفا

﴿ ذكر ملك الروم مدينة حلب وعودهم عنها ﴾

لما ملك الروم انطاكية انفذوا جيشا كثيفا الى حلب وكان ابو المعالي شريف بن سيف الدولة محاصرا لها وبها قرعويه غلام سيف الدولة متغلبا عليها فلما سمع ابو المعالي خبر الروم فارق حلب وقصد البرية ليبعد عنهم وحصروا البلد وبه قرعويه واهل البلد قد تحصنوا بالقلعة فملك الروم المدينة وحصروا القلعة فخرج اليهم جماعة من اهل حلب وتوسطوا بينهم وبين قرعويه وترددت الرسل فاستقر الامر بينهم على هدنة مؤبدة على مال يحمله قرعويه اليهم وان يكون الروم اذا ارادوا الغزو لا يمكن قرعويه اهل القرايا من الجلاء عنها ليبتاع الروم ما يحتاجون

اليه منها وكان مع حلب حماة وحمص وكفرطاب والمعرة وافامية وشيزر وما بين ذلك من الحصون والقرايا وسلموا الرهائن الى الروم وعادوا من حلب وتسلمها المسلمون

﴿ ذكر ملك الروم ملازكرد ﴾

وفى هذه السنة ارسل ملك الروم جيشا الى ملازكرد من اعمال ارمينية فحصروها وضيقوا على من بها من المسلمين وملكوها عنوة وقهرا وعظمت شوكتهم وخافهم المسلمون فى اقطار البلاد وصارت كلها سائبة لا تمتنع عليهم يقصدون ايها شاؤا لضعف ملوك الاسلام عن مدافعتهم ووقوع الفتن بينهم

﴿ ذكر مافعله الروم بالجزيرة ﴾

فى سنة احدى وستين وثلاثمائة فى المحرم اغار ملك الروم على الرها ونواحيها وساروا فى ديار الجزيرة حتى بلغوا نصيبين فغنموا وسبوا واحرقوا واخربوا البلاد وفعلوا مثل ذلك بديار بكر فسار جماعة من اهل تلك البلاد الى بغداد مستنفرين وقاموا فى الجوامع والمشاهد واستنفروا المسلمين وذكروا مافعل الروم من النهب والقتل والاسر والسبى فاستعظمه الناس وخوفهم اهل الجزيرة من انفتاح الطريق وطمع الروم وانهم لا مانع لهم عنهم فاجتمع معهم اهل بغداد وقصدوا دار الخليفة المطيع لله وارادوا الهجوم عليه فمنعوا من ذلك واغلقت الابواب فاسمعوه ما يقبح ذكره

﴿ ذكر انهزام الروم واسر الدمستق ﴾

فى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة كانت وقعة بين هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان وبين الدمستق بناحية ميافارقين وكان سببها ماذكرناه من غزو الروم بلاد الاسلام فلما رأوا انهم لا مانع لهم قوى طمعهم على آمد فسار الدمستق اليها وبها هزارمرد غلام ابى الهيجاء بن حمدان فكتب الى ابى تغلب ابن ناصر الدولة يستصرخه ويعلمه الحال فسير اليه اخاه هبة الله بن ناصر الدولة واجتمعا على حرب الدمستق وكان الدمستق فى كثرة فلقياه فى مضيق لا تجول فيه الخيل والروم على غير اهبة فانهزموا واخذ المسلمون الدمستق اسيرا ولم يزل محبوسا الى ان مرض سنة ثلاث وستين وبالغ ابو تغلب فى علاجه وجمع الاطباء له فلم ينفعه ذلك ومات وفى سنة ثلاث وستين اصاب الخليفة المطيع لله فالج فثقل لسانه وتعذرت عليه الحركة فخلع نفسه وبويع لابنه الطائع لله وفى سنة ست وستين توفى الحكم بن عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس واقيم بعد ابنه هشام وكان صغيرا ولقب المؤيد وقام بامره الوزير المنصور بن ابى عامر واشتغل بالغزو وفتح من بلاد الاعداء كثيرا وامتلأت الاندلس [illegible] واستمر المنصور ستا وعشرين سنة غزا فيها ثنتين وخمسين غزوة يطول الكلام بذكرها وسيأتى ذكر شئ منها ومن محاسن غزواته انه دخل بلاد الفرنج غازيا فجاز الدرب اليها وهو مضيق بين جبلين واوغل فى بلاد الفرنج يسبى ويخرب ويغنم فلما اراد الخروج رآهم قد سدوا الدرب وهم عليه يحفظونه من المسلمين فاظهر انه يريد المقام فى بلادهم وشرع هو وعسكره فى عمارة المساكن وزرع الغلات واحضروا الحطب والتبن والميرة وما يحتاجون اليه فلما رأوا عزمه على المقام مالوا الى السلم فراسلوه فى ترك الغنائم

والجواز

والجواز الى بلاده فقال انا عازم على المقام فتركوا له الغنائم فلم يجبهم الى الصلح فبذلوا له مالا ودواب تحمل له ما غنمه من بلادهم فاجابهم الى الصلح وفتحوا له الدرب فجاز الى بلاده

﴿ ذكر غزوات بالهند ﴾

وكان المقدم تلك الغزوات السلطان سبكتكين بضم السين وفتح الباء وسكون الكاف الاولى وفتح التاء وكسر الكاف الثانية وبعدها ياء ونون وسبكتكين كان في الاصل غلاما لابي اسحق ابن البتكين صاحب جيش غزنة للسامانية ملوك خراسان عمال الخلفاء العباسيين وكان سبكتكين مقدما عند مولاه ابي اسحق المذكور فلما مات ابو اسحق لم يخلف من اهله واقاربه من يصلح للتقدم فاجتمع عسكره واتفقوا على تقديم سبكتكين لما عرفوه من عقله ودينه ومروأته فقدموه عليهم وولوه امرهم سنة ست وستين وثلاثمائة فاحسن السيرة فيهم وصار له ملك عظيم توارثه بنوه في كابل والهند وخراسان الى سنة سبع واربعين وخمسمائة فتكون مدة ولايتهم مائتي سنة وثلاث عشرة سنة تقريبا وكان ملوكهم من احسن الملوك سيرة لاسيما السلطان محمود بن سبكتكين فان آثاره في الجهاد معروفة واعماله للآخرة مشهورة وكان مقر سلطنتهم غزنة وهي دار ملكهم وهي من مدائن كابل وهذا اول ذكر غزواتهم ففي سنة ست وستين وثلاثمائة غزا سبكتكين وهو والد السلطان محمود صاحب غزنة فافتتح قلاعا حصينة على شواهق الجبال وعاد سالما ظافرا ولما رأى جيبال ملك الهند ما دهمه ودان بلاده تملك من اطرافها جمع الجيوش الكثيرة واستكثر من الفيول وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين فسار سبكتكين عن غزنة اليه ومعه عساكره وخلق كثير من المتطوعة فالتقوا واقتتلوا اياما كثيرة وصبر الفريقان وبالقرب منهم عقبة غورك وفيها عين ماء لا تقبل نجسا ولا قذرا واذا القي فيها شيء من ذلك اكفهرت السماء وهبت الرياح وكثر الرعد والبرق والامطار ولا تزال كذلك الى ان تطهر من الذي القي فيها فامر سبكتكين بالقاء نجاسة في تلك العين فجاء الغيم والرعد والبرق وقامت القيامة على الهنود لانهم رأوا ما لم يروا مثله وتوالت عليهم الصواعق والامطار واشتد البرد حتى هلكوا وعميت عليهم المذاهب واستسلموا لشدة ما عاينوه وارسل ملك الهند الى سبكتكين يطلب الصلح وترددت الرسل فاجابهم اليه بعد امتناع على مال يؤديه وبلاد يسلمها وخمسين فيلا يحملها اليه فاستقر ذلك ورهن عنده جماعة من اهله على تسليم البلاد وسير معه سبكتكين من يتسلمها فان المال والفيلة كانت معجلة فلما بعد ملك الهند قبض على من معه من المسلمين وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه فلما سمع سبكتكين بذلك جمع العساكر وسار نحو الهند فاخرب كل ما مر عليه من بلادهم وقصد لمغان وهي من احسن قلاعهم فافتتحها عنوة وهدم بيوت الاصنام واقام فيها شعار الاسلام وسار عنها يفتح البلاد ويقتل اهلها فلما بلغ ما اراده عاد الى غزنة فلما بلغ الخبر ملك الهند جمع العساكر وسار في مائة الف مقاتل فلقيه سبكتكين وامر اصحابه ان يتناوبوا القتال مع الهنود ففعلوا ذلك فضجر الهنود من دوام القتال معهم وحملوا حملة واحدة فعند ذلك اشتد الامر وعظم الخطب وحمل المسلمون ايضا جميعهم واختلط

بعضهم بعض فانهزم الهنود واخذهم السيف من كل جانب واسر منهم مالا يعد وغنم اموالهم واثقالهم ودوابهم الكثيرة وذل الهنود بعد هذه الوقعة ولم يقم لهم بعدها راية ورضوا بأن لايطلبوا فى اقاصى بلادهم ولما قوى سبكتكين بعد هذه الوقعة اطاعه الافغانية والخلج وصاروا فى طاعته

﴿ ذكر غزوة للامير ابى القاسم الكلبى امير صقلية ﴾

فى سنة احدى وسبعين وثلاثمائة فى ذى القعدة سار الامير ابو القاسم من صقلية يريد الجهاد وسبب ذلك ان ملكا من ملوك الفرنج يقال له ردويل خرج فى جموع كثيرة يريد صقلية فحصر قلعة مالطه وملكها واصاب سريتين للمسلمين فسار الامير ابو القاسم بعساكره ليرحله عنها فلما قاربها خاف وجبن فجمع وجوه اصحابه وقال لهم انى راجع من مكانى هذا فلا تكسروا على رأيى فرجع هو وعساكره وكان اسطول الكفار يساير المسلمين فى البحر فلما رأوا المسلمين راجعين ارسلوا الى ردويل ملك الفرنج يعلمونه ويقولون له ان المسلمين خائفون منك فالحق بهم فانك تظفر فجرد الفرنجى من عساكره اثقالهم وسار جريدة وجد فى السير فادركهم فى العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين فتعبا المسلمون للقتال واقتتلوا واشتدت الحرب بينهم فحمل طائفة من الفرنج على القلب والاعلام فشقوا العسكر ووصلوا اليها وقد تفرق كثير من المسلمين عن اميرهم واختل نظامهم فوصل الفرنج اليه فأصابته ضربة على ام رأسه فقتل وقتل معه جماعة من اعيان الناس وشجعانهم ثم ان المنهزمين من المسلمين رجعوا مصممين على القتال ليظفروا او يموتوا واشتد حينئذ الامر وعظم الخطب على الطائفتين فانهزم الفرنج اقبح هزيمة وقتل منهم نحو اربعة آلاف قتيل واسر من بطارقتهم كثير وتبعهم المسلمون الى ان ادركهم الليل وغنموا من اموالهم كثيرا وافلت ملك الفرنج هاربا ومعه رجل يهودى كان خصيصا به فوقف فرس الملك فقال له اليهودى اركب فرسى فان قتلت فانت لولدى فركبه الملك ونجا وقتل اليهودى ولما قتل الامير ابو القاسم كان معه ابنه جابر فقام مقام ابيه ورحل بالمسلمين لوقتهم ولم يمكنهم من اتمام الغنيمة فتركوا كثيرا منها

﴿ ذكر دخول الروسية فى دين النصرانية ﴾

قد تأخر دخول الروسية فى النصرانية عن بقية الافرنج سكان اوروبا وذلك انه كان اول دخول الروسية فى دين النصرانية سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وسبب ذلك انه وقع اختلاف بين ملوك الروم مع بعضهم فاستنجد بعض منهم بملوك الاسلام وذلك البعض هو وردالرومى وكان من اكابر رؤسائهم وقواد جيوشهم وعظماء بطارقتهم فطمع فى الملك ولاقدرة له على قتال بقية المتنازعين فكاتب اباتغلب بن حمدان امير حلب والموصل نيابة عن الخليفة واستنجده وصاهره فأجابه ابن حمدان واستجاش بالمسلمين من الثغور فحصل له جيش ضخم فقصد قتال الروم بذلك الجيش فاخرجوا له جيشا بعد جيش وهو يهزمهم فقوى جنانه فقصد القسطنطينية ومع تلك الجيوش ايضا ورد الرومى الطالب لتملك القسطنطينية فجمعوا له جيوشا

كثيرة وقاتلوه قتالا شديدا حتى انهزم ورجع ورد الرومي الى بلاد الاسلام وقصد ديار بكر ونزل
بظاهر ميافارقين وكاتب عضد الدولة بن بويه المتغلب بالعراق على الخليفة ووعده [illegible] الطاعة
فجاءه الجواب بحسن ووعده بالنصرة [illegible] ملوك الروم وكان [illegible] اخوين
مشتركين في ملك القسطنطينية فكاتبا عضد الدولة [illegible] وبعثا اليه بهدايا واستمالاه فقوي في نفسه
ترجيح جانبهما واعرض عن نصرة ورد الرومي [illegible] ثم بدا له فكتب الى ابي علي التميمي ان
يقبض على ورد الرومي واصحابه فقبض عليه وعلى جماعة من اصحابه وورد [illegible] وابنه
ان ملوك الروم [illegible] و [illegible] وسلموه في [illegible] ولا شك انهم [illegible] المال و [illegible]
فيه [illegible] ان [illegible] الروم [illegible] ان [illegible] او [illegible]
وما ظهر [illegible] ولا [illegible] يعرف
الى ان [illegible] فقطع [illegible] ابو علي [illegible]
عضد الدولة ديار بكر [illegible] وطلب [illegible] والاخ [illegible] ورد الى [illegible]
[illegible] وعلى [illegible] وبعض اصحابه وذلك سنة [illegible] ولا
وحبسهم بميافارقين [illegible] ابو [illegible] في الحبس الى [illegible] عضد الدولة
سنة [illegible] وصار ملك [illegible] الدولة [illegible] ورد الرومي من كان
[illegible] معه [illegible] عليه [illegible] كثيرة من [illegible] اسلمه [illegible]
عليها من بلاد الروم [illegible] لا [illegible] بلاد الاسلام [illegible] ولا [illegible] من [illegible]
[illegible] الى بلاد الروم [illegible] في [illegible] خلقا
كثيرا من اهل [illegible] في [illegible] و [illegible] معه جيش [illegible] حتى نزل
عاطية [illegible] فقوي [illegible] من [illegible] وقصد من ملوك الروم [illegible] من [illegible]
وراسله [illegible] فاستقر الامر [illegible] على ان [illegible] القسطنطينية وما جاورها من شمال الخليج
[illegible] واحد [illegible] ثم [illegible] على ورد [illegible]
[illegible] وحصر القسطنطينية [illegible] وصرق عليهما
وكان ملك الروسية [illegible] وعرض عليه التزوج [illegible] فاجابهما لما طلباه منه
من [illegible] من [illegible] في [illegible] ملك روسية
فكان ذلك اول دخول الروسية في النصرانية ثم تزوجها [illegible] الى [illegible] وردیس
فاقتتلوا فقتل وردیس واستقر [illegible] في ملكهما [illegible] ورد واصطلحا معه واقراه على ما
بيده من الملك [illegible] دهرا طويلا ثم هلك مسموماً

استطراد

حيث ذكر بعض المؤرخين ابتداء دخول الروسية في النصرانية فيدعي بعضاً ذكر ابتداء
دخول غيرهم من دول الافرنج في النصرانية وذلك يتوقف اولاً على ذكر ابتداء دولة
كل دولة منها وكيف كانت ديانتها قبل دخولها في النصرانية وبيان ذلك ان اقدم الدول
واقواها في اوائل الدهور دولة الفرس فانهم كانوا اقوى الدول وكانت الدول في اقطار
الارض تخضع لهم وتنقاد لامرهم وينتهي نسب ملوك الفرس الى [illegible] وهو [illegible]

قينان بن شيث بن آدم عليه السلام وكان وشهنج ملكا مسلماً صالحاً له ملك واسع وآثار جيدة كثيرة ثم تغير من جاء بعده من عقبه فأحدثوا دين المجوسية واتخذوا الهين اثنين النور والظلمة فأثبتوا الها وهو النور وشيطاناً وهو الظلمة وقالوا ان النور هو الله وقالوا انه قديم وسموه يزدان وقالوا ان الظلمة اله مخلوق وهو الشيطان وسموه اهرمن فأصل دينهم مبني على تعظيم النور وهو يزدان وتحقير الظلمة وهو اهرمن فلما عظموا النور عبدوا النار وقيل ان الفرس وملوكهم ينتهي نسبهم الى فارس بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل انهم من نسل يافث بن نوح وهم يقولون انهم من ولد كيومرث وهو آدم عليه السلام ويقولون ان الملك فيهم من كيومرث وهو آدم عليه السلام وبقي فيهم الى ان استأصله منهم المسلمون من هذه الامة في اوائل ظهور الاسلام وكان في زمن قوة ملكهم موجودا في مشارق الارض ومغاربها ملوك كثيرة ولكنهم كانوا اقوى الملوك وكان اكثر الملوك ينقادون لهم ويدخلون تحت طاعتهم ومن جملة الملوك الذين كانوا يخضعون لهم ملوك اليونان وملوك الروم الى ان صار ملك اليونان الاسكندر فقاتلهم وقهرهم واستلب الملك منهم وجعل في ارضهم ملوكا من اكابرهم صاروا تحت طاعته يسمون ملوك الطوائف وكانوا عشرين ملكا وكذلك قهر الاسكندر ملوك الروم فكانوا تحت طاعته فمن حين غلبة الاسكندر للملوك الفرس صار ملك اليونان اقوى الملوك ودخل تحت طاعته ملوك الفرس وملوك الروم وهذا الاسكندر يقال له الاسكندر الرومي مع انه كان من اليونان لكنه نسب الى الروم لغلبته اياهم وقهره لهم ودخولهم تحت طاعته وينتهي نسب اليونان الى يونان بن يافث بن نوح عليه السلام وكان مبدأ ملك اليونان قبل ميلاد ابراهيم عليه السلام لكنهم كانوا تحت طاعة ملوك الفرس الى زمن غلبة الاسكندر للفرس فصار الروم ايضا تحت طاعته وقيل ان اول من ظهر امره من اليونان رجل اسمه الن ولد سنة اربع وسبعين لمولد موسى عليه السلام وقيل ان تاريخ ظهور ملك اليونان سنة ثمان وستين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام وكان تاريخ غلبة الاسكندر للفرس والروم بعد مضي خمسة آلاف سنة ومائتين واحدى وثمانين سنة من هبوط آدم عليه السلام الى الارض وذلك ايضاً بعد مضي ثلاثة آلاف سنة وتسع وثلاثين سنة من الطوفان وذلك ايضاً بعد مضي الف وتسعمائة سنة وثمانية وخمسين سنة من مولد ابراهيم عليه السلام وبعد مضي الف وستمائة سنة وثلاث عشرة سنة من وفاة موسى عليه السلام واما عيسى عليه السلام فكان ميلاده بعد غلبة الاسكندر بثلاثمائة وثلاث سنين وكان الناس قبل ميلاد عيسى عليه السلام يؤرخون بغلبة الاسكندر ثم بعد ميلاد عيسى عليه السلام صاروا يؤرخون بميلاد عيسى عليه السلام وتركوا التاريخ بغلبة الاسكندر ولما بعث نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اصطلح المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على انهم يؤرخون بالهجرة وكان بين الهجرة وميلاد عيسى عليه السلام ستمائة واحدى وثلاثين سنة وقيل ستمائة واحدى وعشرين سنة وكان اليونان يعبدون الكواكب وكانت لهم اصنام على صور الكواكب يعبدونها وكان من اليونان الفلاسفة الذين دونوا علم الطب اليوناني وكان كثير منهم ينكرون حدوث العالم ويقولون

انه قديم و يعتقدون التأثير الطبيعي ولما خلف الاسكندر ملوك فارس والروم بقي الملك في اليونان الى مضي ثلاثة عشر ملكا منهم وذلك في مدة مائتين واثنين وتسعين سنة اولهم خليفة الاسكندر ثم غلبهم الروم واستلبوا الملك منهم فصارت المملكة للروم [illegible] الذي خلف فارس والروم غير الاسكندر المذكور فانه [illegible] الذي قال له ذوالقرنين [illegible] ذلك جماعة [illegible] ذوالقرنين المذكور في القرآن [illegible] [illegible] طويلة [illegible] غلبوا اليونان واستولوا [illegible] عليهم السلام [illegible] من غلبة الاسكندر [illegible] اليونان ملكهم واستمروا [illegible] وعية [illegible] [illegible] منهم خروج [illegible] [illegible] الدول [illegible] الى [illegible] الوقت [illegible] الروم [illegible] السلطان محمد [illegible] [illegible] [illegible] ميلاد المسيح عليه السلام [illegible] [illegible] على صور [illegible] فكانوا [illegible] اليونان [illegible] على دين ملوكهم واستمر الروم على ذلك الى ان دخلوا في دين النصرانية وذلك [illegible] مضي مائتين وسبع و [illegible] سنة من ميلاد المسيح عليه السلام [illegible] الاسلام وصار [illegible] المسيحية [illegible] [illegible] قسطنطين [illegible] المسيحية ودخل فيها وامر الناس بالدخول فيها [illegible] وذلك سنة ثلاثمائة [illegible] من ميلاد المسيح [illegible] الروم [illegible] وكان [illegible] الروم [illegible] رومة [illegible] المذكور هو الذي [illegible] ونقل كرسي [illegible] من رومة الى [illegible] وكان ذلك سنة ثلاثمائة [illegible] من ميلاد المسيح عليه السلام [illegible] واما [illegible] كرسي [illegible] كان سنة ثلاثمائة وثلاثين من ميلاد المسيح عليه السلام [illegible] ملك من ملوك الروم قبل غلبتهم اليونان اسمه رومولس [illegible] رومة [illegible] المسيح عليه السلام بسبعمائة وثلاث وخمسين سنة واما [illegible] اليونان [illegible] الروم اليونان [illegible] الواقعة بينهم فلا حاجة لي [illegible] [illegible] ذكره [illegible] الروم اليونان وغلبوا عليهم واستولوا [illegible] دخل تحت طاعتهم كثير من الملوك الذين [illegible] ملوك الروم [illegible] اوروبا وكثير من ملوك افريقيا وآسيا وصار ملك الروم [illegible] قويا [illegible] الى سنة اربعمائة وست [illegible] مسيحية وذلك [illegible] [illegible] ايطاليا [illegible] رومة [illegible] وهو [illegible]

عن ملكه وصارت من ممالك ايطاليا لكنه لم يستقل بملكها بل نازعه في ذلك كثير من دول اوروبا ووقع بينه وبينهم محاربات وانتزاع ورجوع مرة بعد اخرى والكلام على ذلك طويل وما صار لملك ايطاليا استقلال تام بالملك الا سنة الف وسبع وعشرين من ميلاد المسيح الموافق لذلك سنة اربعمائة وثمانية عشر هجرية فاستقلالهم بالملك تأخر الى هذا الوقت وان كانوا متقدمين بالنسبة الى وجود اصل ملكهم فهم اقدم دول اوروبا بالنسبة لكونهم اول من اخرج رومة عن طاعة ملك الروم وان كان تمام استقلالهم متأخرا واما اول الاستقلال فهو سنة اربعمائة وست وسبعين مسيحية وذلك قبل الهجرة بمائة وست واربعين سنة بل كان لهم ملوك ايضا قبل ذلك لكنهم كانوا تحت طاعة ملوك الروم بل قال بعضهم ان اول وفودهم الى ارض ايطاليا وسكناهم فيها كان قبل ميلاد المسيح بالف وسبعمائة سنة فهذا وجه قول من قال انهم اقدم ملوك الافرنج الذين في اوروبا ومن حين وفودهم في ذلك الوقت كان لهم رئيس بمنزلة الملك واما دخولهم في دين النصارى فكان بعد ميلاد المسيح عليه السلام بخمسمائة سنة ولم يزل دين النصارى ينتشر في هذه الافرنج ممالك اوروبا الى سنة خمسمائة وست وتسعين من ميلاد المسيح عليه السلام تزداد انتشارا حتى عم اكثرهم وتأخر عن الدخول فيه الروسية لانهم ما دخلوا فيه سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين هجرية كما تقدم ولما كانت ايطاليا اقدم تلك الطوائف كان تأسيس دينهم ومقر رؤساء الدين عندهم وقد كانت النصارى بعد رفع عيسى عليه السلام على مثل ما كانوا عليه حين كان بين اظهرهم من الاقرار لله بالوحدانية وله بالرسالة مع الاقرار بأنه عبد الله ورسوله ثم بعد رفعه دخلت عليهم شبه حصل بسببها الافتراق في دينهم فانقسموا ثلاث طوائف ملكانية ونسطورية ويعقوبية فالملكانية مصرحة بالتثليث كما قال الله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهؤلاء يقولون الآلهة ثلاثة المسيح وامه والله ويقولون ان المسيح ناسوت كلي قديم ازلي من قديم ازلي ويقولون ان مريم ولدت الها ازليا ويطلقون لفظ الابوة على الله تعالى وتنزه عما يقول الظالمون علوا كبيرا ويطلقون ايضا لفظ البنوة على عيسى عليه السلام اطلاقا حقيقيا واما النسطورية فخالفوا الملكانية فلم يقولوا بالامتزاج بل قالوا ان الكلمة اشرقت على جسد عيسى كاشراق الشمس على كوة او على بلور واما اليعقوبية فيقولون انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الاله هو المسيح كما حكى الله عنهم ذلك بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم واما المسلمون فقالوا كما ذكر الله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فهذا هو المراد من الكلمة ومن الشبه التي دخلت على النصارى حتى قالوا بالوهية عيسى عليه السلام انه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى وما عقلوا ان ذلك بامر الله بل هو فعل الله وخلقه وايجاده أجراه على يد عيسى عليه السلام وقد اقام الله عليهم الحجة في ابطال زعمهم فقال سبحانه وتعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون فقوله سبحانه وتعالى كانا يأكلان الطعام برهان على افتقارهما الى الطعام كافتقار جميع الحيوانات فكيف يكون الها من يفتقر الى الطعام ولا يكون قوامه الا به وايضا اكل الطعام يستلزم البول

والعذرة فكيف يكون الها من يحتاج الى ان يبول ويتغوط فاكل الطعام كناية عن البول
والغائط لكن لم يصرح بالبول والغائط تحسيناً للفظ والقرآن امر بالمحافظة على عادة
النزاهة والعدول عن [illegible] فصاحة والبلاغة ومن شبههم ايضاً كون المسيح ولد بلا اب
فنسبوه الى الله تعالى [illegible] آدم [illegible] السلام فانه اغرب من عيسى عليه السلام
فانه بلا اب ولا ام وقد [illegible] الله [illegible] ان عيسى عند الله كمثل آدم
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فمن آدم بلا اب ولا ام [illegible] من خلق عيسى من أم بلا اب
وبعد دهور طويلة افترق النصارى فرقتين احداهما تسمى كاتوليكية والاخرى بروتستانية
ومع ذلك [illegible] اختلاف [illegible] من اختلافهم مذاهب كثيرة ليس هذا محل تفصيلها
وكلهم [illegible]
[illegible] الارواح [illegible] الامام محمد [illegible]
[illegible] على الاشخاص [illegible]
[illegible] الله [illegible] واحد [illegible]
[illegible]
[illegible] الكاثوليكية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في نصارى [illegible] ومصر والعراق
[illegible] الكاثوليكي [illegible] المذهب الكاثوليكي
[illegible] الاسقف [illegible] وسموه البابا [illegible]
رومة [illegible] على كل متمسك بالمذهب [illegible]
الاحكام [illegible]
في [illegible] المذهب الكاثوليكي [illegible]
وست وعشرين [illegible] ميلاد [illegible] مائة [illegible] جمهور [illegible]
تكون تحت رياسة [illegible] حتى صارت
لهم [illegible] الدين والدنيا وكانت لهم [illegible] في الدين [illegible]
بحيث [illegible] صار لهم حق كبير في تولية ملوك [illegible] حسب مشيئتهم وكانت سطوتهم
سائدة على كل ملوكهم وكان امرهم من الملوك تاج واحد وامامهم وكان لهم ثلاث تيجان واحد
فوق واحد دلالة على كمال [illegible] ومع اعتبارهم [illegible] ما كانوا
يركبون على الخيل [illegible] لهم الركاب كثير من ملوكهم وكانوا اذا امروا بمحاربة امة
لايخالفهم احد ويحرقون من خالفهم بالنار وهو حي وكان البابا مرة [illegible] يا ان يقف
حافيا ثلاثة ايام في فصل الشتاء امام باب قصره ليطلب [illegible] الغفران وداس البابا مرة برجله
تاج ملك جرمانيا حيث كان جاثيا امامه يطلب الغفران قال بعض مؤرخي الافرنج المتأخرين
ان جهالة تلك الاعصار طمست بصائر الشعوب حتى لم يروا خطأ في رؤساء الدين فكانوا

يذعنون لكل احكامهم و يخضعون لكل مايستقر عليه رأيهم كأنه منزل من الله تعالى لا يشوبه عيب فلما بلغت شوكتهم الى هذا الحد لم يبق فى اوروبا مملكة الا واضطربت من افعالهم ولا ملك الا تمكر من معطا معهم ولا كرسى الا وارتج من شوكتهم فنشأ من ذلك فتن كثيرة كان منها انحطاط امر البابا وات شيأ فشيأ الى سنة الف وثمانمائة واحدى وسبعين مسيحية الموافق الف و مائتين وثمان وثمانين هجرية فسقط امرهم بالكلية ودخل الايطاليون الى عاصمة مملكة البابا واخذوها منه وابقوه على الكاتوليكية رئيسا فقط ومقره فى الكنيسة الرومانية وليس له من الرياسة غير ذلك واستمر الامر كذلك الى هذا الوقت واما الاحكام بين الرعايا و ما يتعلق بالسياسة وتدبير الملك فقد جعلوا لها قوانين دونوها بعقولهم واتخذوا لكل نوع منها مجالس مخصوصة وهكذا سائر دول اوروبا مع انه كان عندهم فى الانجيل وفى الكتب القديمة احكام مدونة تتعلق بالعبادات والمعاملات والانكحة فتركوا كثيرا منها واسسوا تلك القوانين العقلية ورأوها اقوى فى تثبيت ملكهم ثم ان الملكانية الذين تقدم انهم يسمون كاتوليكية استمروا على المذهب الكاتوليكى الى القرن التاسع فلما سئم المنكرون رياسة البابا صاحب رومة صاروا يسمون المنكرين لرياسته بروتستان وصارت هذه التسمية عندهم مثل تسمية المبتدعة الخارجين عن مذهب اهل السنة عند المسلمين فان المسلمين من اهل السنة يسمون المخالفين لهم مبتدعة فصار عند النصارى الملكانية لا يسمى كاتوليكيا الا من اعترف برياسة البابا ومن لم يعترف بها فهو بروتستان بمنزلة المبتدع عند المسلمين وكان هذا الاصطلاح عندهم فى القرن التاسع من قرون الهجرة النبوية فهذا هو الفرق الاعظم عندهم بين الفريقين ومع ذلك فالذين يسمونهم بروتستان كثير منهم لا يستأنفون من هذه التسمية لكن الاكثر منهم اذا قيل له انت بروتستان يستأنف من ذلك ولا يرضى بهذا اللقب لانه بمنزلة المبتدع ويقول بل انا كاتوليكى وان كان غير معترف برياسة البابا ثم ان بين الفريقين ايضا اختلافا فى مسائل كثيرة فاعظمها ان البروتستان لا يعترفون برياسة البابا بل يقولون هو من جملة رؤساء الاساقفة ولا تنحصر رياسة الاساقفة فيه بل هى فيه وفى اسقف القسطنطينية واسقف اسكندرية لا مزية ولا رياسة لاحد الثلاثة على الآخرين ولا يزيد قدر احد الثلاثة على الآخرين واما الكاتوليكية الاصليون عندهم فهم المعترفون برياسة البابا صاحب رومة على غيره ومن الاختلاف الواقع بينهم ان بعض البروتستان يخالفون مذهب الملكانية الاصلى للفريقين فى اعتقاد التثليث لانهم نظروا فى كتب اهل الاسلام وادلتهم على وحدانية الله فاعترفوا بصحة تلك الادلة واعترفوا بوحدانية الله تعالى لكنهم لم يعترفوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واعترفوا برسالة عيسى المسيح عليه السلام وقالوا انه عبد الله ورسوله و يوافقون النصارى فى بقية دياناتهم فهذا موضع من مواضع المخالفة بينهم وبين الكاتوليكية لكن هذا الاعتقاد اعنى اعتقاد الوحدانية لله تعالى لا يقول به كل البروتستان بل بعضهم والبعض الآخر من البروتستان يقولون بالتثليث مثل الكاتوليكية لكنهم سموهم بروتستان لعدم اعترافهم برياسة البابا بل يقولون ان اصول الاساقفة اسقف رومة واسقف القسطنطينية واسقف الاسكندرية ثم ان جميع الفريقين لهم عبادات ومشروعات مختلفة اختلافا كثيرا لم يتفقوا كلهم على شئ

منها الا لدعاء فانهم كلهم اعترفوا بشروعيته واما صلاتهم وصيامهم وباقى عباداتهم فهم مختلفون فيها اختلافا كثيرا فمن ذلك ان الصوم يقول الكاتوليكية انه فرض ويقول البروتستان انه سنة وليس بفرض والصوم المذكور هو صوم اربعين يوما فى فصل الربيع الذى يكون قبل الصيف بحيث يكون آخر الاربعين موافقا لآخر الربيع هذا متفق عليه بينهم لكن الكاتوليكية الاكثر منهم وهم اهل الديانة القوية منهم يقولون ان الصوم هو امساك عن تناول الطعام والشراب من طلوع الشمس الى غروبها فى الاربعين يوما واما البروتستان وبعض الكاتوليكية الذين ضعفت ديانتهم فانهم يجوزون فى حالة الصيام تناول الطعام والشراب لكنهم يقولون لا يجوز تناول اللحم بجميع انواعه وكذا ما تولد من الحيوان كاللبن والسمن الا الحوت فانهم يجوزون تناوله حالة الصيام ويتناولون ايضا الخبز والحلوى وسائر الاطعمة غير اللحم الذى ليس لحم حوت ويشربون الخمر ايضا فى حالة الصيام ومن الفرق بين الفريقين ان لكل منهم اولياء يعتقدون فيهم ويتوسلون بهم لكن بينهم اختلاف فى بعض الاولياء فهذا البعض يعترف به احد الفريقين دون الآخر وبالعكس فاذا كان الاولياء الذين يعتقدهم الكاتوليك لا يعتقدهم انسان يقولون انه بروتستان وهناك فرقة يسمونهم اللاتينية وفرقة يسمونهم اهل الديانة الروسية (ارتودكس) وذلك بسبب عدم اعترافهم برياسة البابا وان كانوا موافقين الكاتوليك فى جميع ما هم عليه من الديانات والاعتقادات ومع ذلك فكثير من اللاتينية واهل الديانة الروسية يقولون نحن كاتوليك افتخارا بهذا اللقب فيقولون لهم كذبتم انتم لاتينية ومنا اهل الديانة الروسية حيث انكم لم تعترفوا برياسة البابا وهناك فروق كثيرة بين طوائفهم ومذاهب مختلفة يكفر فيها بعضهم بعضا لا حاجة الى ذكرها وعمدة المدار عندهم فى الفرق بين الكاتوليكية والبروتستان الاعتراف برياسة البابا وعدم الاعتراف بها وقد عرفت ان الاصل الاصيل عندهم فى تأسيس الديانات والاقدمية فى الملك هى دولة ايطاليا ومع ذلك فبعض منهم ينكرون رياسة البابا فيكونون عندهم بروتستان لكن الاكثرون منهم يعترفون بها فيقرون لهم بانهم كاتوليك وبعض من الفرنسيس والانكليز وغيرهم خرجوا عن ملة النصارى بالكلية فى الباطن وان كانوا يعترفون بها فى الظاهر واما فى الباطن فصاروا كالزنادقة عند المسلمين فهؤلاء لا يعترفون فى الباطن بشئ من دياناتهم بل ولا بنبوة عيسى ولا غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل بعض منهم ينكرون الصانع ولا يعترفون ببعث ولا نشور ويقولون ما هى الا ارحام تدفع وارض تبلع وما يهلكنا الا الدهر فهؤلاء دهرية لكنهم لا يتظاهرون بذلك بل يخفونه ويظهرون انهم على ملة النصارى وفى هذا القدر كفاية فلنتمم الكلام على ذكر بقية دولهم وكيفية ابتداء كل دولة ومتى كان دخولهم فى النصرانية (اما دولة الفرنسيس) فاصلهم ايضا شعوب وقبائل مختلفة دخلت تلك البلاد فى اوقات مختلفة واستوطنوا تلك الارض التى هم فيها الآن واخص تلك القبائل واشهرها قوم يقال لهم الكلتيين ويقال لهم ايضا الافرنك بالكاف ثم غيرت بجيم فصار الافرنج وقيل اصله فرنك بالكاف فابدلت الكاف سينا فصار فرنسه وفى تاريخ ابن خلدون عند ذكره الفرنسيس قال هذه الامة المعروفة بالافرنجة تسميها العامة بالافرنسيس نسبة الى بلد من امهات بلدانهم تسمى افرنسة وينتهى نسب الاكثر منهم الى يافث بن نوح عليه السلام ومع ذلك فقد اختلط بهم كثير من غير جنسهم

وصاروا ملحقين بهم والغالب انه اذا اطلق الافرنج انما ينصرف اليهم فيراد بهم الفرنسيس وقد يطلق اسم الافرنج على غيرهم من تلك الطوائف الساكنين باوروبا حتى صار هذا الاطلاق شائعا في هذه الازمان وابتدأ الملك في الفرنسيس من سنة اربعمائة وعشرين من ميلاد المسيح عليه السلام وذلك قبل الهجرة بمائتين واثنين من السنين هذا ابتداء انتظام الملك فيهم واستقلالهم فيه واما قبل ذلك فكان لهم ملوك لم ينتظم امرهم ولم يكمل لهم الاستقلال بل كانوا تارة يكون لهم استقلال وتارة يكونون تحت طاعة غيرهم وقهره واما اذا اعتبر ابتداؤهم الاصلي فانه كان قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمسة قرون وكانوا تحت قهر ملوك اليونان ثم بعد ذهاب ملك اليونان صاروا تحت قهر ملوك الروم فلا يحسب لهم ملك مستقل في تلك الازمان وكانت دياناتهم عبادة الاوثان التي على صور الكواكب وغير ذلك من دياناتهم قبل دخولهم في النصرانية مما يشبه ديانات اهل الهند عباد الاوثان ثم دخلوا في النصرانية سنة ست وتسعين واربعمائة من ميلاد المسيح عليه السلام وكان اول من دخل منهم في النصرانية الملك كلوبس واكثرهم يدعون انهم على المذهب الكاثوليكي وكثير منهم على المذهب البروتستاني ومنهم من لا يتدين بدين النصارى ولا غيرهم وينكرون بعثة الانبياء عليهم السلام بل منهم من ينكر الصانع ولكنهم يتسترون ويقولون انهم على دين النصارى ومن ملوك الفرنسيس المشهورين كارلوس الكبير المسمى شارلمان كان ساعيا في ترقي اسباب العلوم العقلية والفنون الادبية والصناعة التي يتسع بها ملكهم وشاع صيته وانتشر ذكره ومكث في الملك خمسا واربعين سنة وكان معاصرا لهارون الرشيد وكان بينه وبينه مكاتبات واهدى اليه الرشيد مرة شطرنجا ثمينا وساعة ملكية من مخترعات بلاد المشرق واهدى اليه ايضا انواعا كثيرة من البرورات التي تروج وليست في بلادهم الافرنجية وارسل له مفاتيح كنيسة في بيت المقدس وامر الرشيد عماله الذين كانوا له في بيت المقدس ان يعاملوا الزوار الذين يأتون من بلاد الفرنسيس للزيارة احسن المعاملة ومات شارلمان المذكور سنة ثمانمائة واربعة عشر مسيحية الموافق مائة وتسعة وتسعين هجرية فيكون موته بعد وفاة الرشيد واما عدد سكان ارضهم وعدد رعاياهم وعدد عساكرهم وما هو عندهم من الاموال والسلاح وغير ذلك فلا حاجة بنا الى ذكره وكذا ما كان يقع بينهم وبين بقية الدول الافرنج من المحاربات وتغلب بعضهم على بعض فلا حاجة بنا الى ذكره نعم وقع بينهم وبين الانكليز امر غريب عجيب وهو انهم تحاربوا ومكث الحرب بينهم واستدام نحو مائة وست عشرة سنة تارة تكون الغلبة لهؤلاء وتارة لهؤلاء وكان ابتداء ذلك الحرب من سنة الف وثلاثمائة وسبع وثلاثين مسيحية الموافق سبع مائة وثمان وثلاثين هجرية وانتهوا بالصلح بينهم سنة الف واربعمائة وثلاث وخمسين مسيحية الموافق سنة ثمانمائة وسبع وخمسين هجرية وذلك مبسوط في تواريخهم ويسمونه حرب المائة سنة وكان استيلاء الفرنسيس على الجزائر بافريقية سنة الف ومائتين وست واربعين وفي سنة الف ومائتين وست وتسعين ادخلوا الحاكم التونسية في حمايتهم (واما دولة الانكليز) ويقال لها دولة انكلترا اوبرطانيا فكان اول ظهورهم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمس وخمسين سنة وكان بينهم وبين الافرنج دول اوروبا محاربات كثيرة ولم ينتظم

(الملك)

الملك لهم وتم الاستقلال لهم سنة ثمانمائة وسبع وعشرين مسيحية الموافق مائتين وثلاث واربعين هجرية وكان اول دخولهم في النصرانية سنة خمسمائة وست وتسعين مسيحية وذلك قبل الهجرة بست وعشرين سنة وهم ابعد الناس عن الدين وهم الذين كانوا يعبدون مرتدين والدهرية واما صنفهم الذين هم ابناء نسبهم فهم ايضا مختلفون من اصناف وفروع شتى وفيهم جماعة من الكلتيين وجماعة ينتسبون الى يافث بن نوح عليه السلام ولهم جزيرتان منفصلتان احداهما جزيرة بريطانيا والاخرى جزيرة ايرلاندا ولذلك اشتهرت مملكتهم بمملكة بريطانيا وايرلاندا وكانوا في اول امرهم كالوحوش ويلبسون جلود الوحوش وكانت مساكنهم حفرة يحفرونها تارة في الاغوار واودية في الجبل وتارة من الغابات وكانوا يعبدون بعض الحيوانات ويعيشون بها وحالهم سيئة جدا ولم يزالوا يجتهدون بالتحصيل والتعلم ويتبعون العلماء حتى زال عنهم ذلك ويقوون حتى صارت لهم دولة قوية وكان استيلاؤهم على الهند مبتدأ سنة الف وستمائة وسبع وخمسين مسيحية الموافق سنة الف ومائة وثمان وستين هجرية وتم استيلاؤهم على الهند سنة الف وثمانمائة وست عشرة مسيحية الموافق سنة الف ومائتين وثلاثين هجرية وكان ابتداء استيلائهم المذكور بالمحاربة مع دولة المغول وما استيلاؤهم على جبل طارق الذي في المغرب فكان سنة الف ومائة وست عشرة هجرية انتزعوه من الاسبانيول في السنة المذكورة وقصد الاسبانيول ان ينتزعوه بعد ذلك من الانكليز مرارا عديدة فلم يتيسر لهم ذلك وكان اول دخول هذا الجبل في ايدي المسلمين سنة ثمانمائة وسبعمائة ومائتين هجرية وهذا الجبل من اعظم الحصون في العالم وبه مفتاح البحر المتوسط وهو مقابل للمغرب ومقابل لمدينة سبتة التي هي من بلاد الاندلس فاصل بينهما وبين افريقية ويسمى جبل الفتح وجبل طارق وهو طارق بن زياد الذي فتح الاندلس سنة مائتين وتسعين من الهجرة وطارق هذا هو مولى موسى بن نصير فصار لهم واستقر الفتح معه وموسى المذكور هو مولى عبد العزيز بن مروان اخو عبد الملك بن مروان ووالد عمر بن عبد العزيز فسمي الجبل باسم طارق المذكور لانه نزل بالمسلمين عنده لقصد فتح الاندلس ويسمى جبل الفتح ايضا لهذه العلة المذكورة والعامة يسمونه جبل الطار وصوابه جبل طارق

﴿ واما دولة المسماة ايضا اوستوريا ﴾

فهم ايضا من اصناف شتى واكثرهم من التتار وابتداء دولتهم كان من سنة ثلاث وثلاثين من ميلاد المسيح عليه السلام وكان بعض دول الروم يدخلونهم تحت طاعتهم ويتغلبون عليهم وما حصل للنمسا استقلال الملك التام الا من سنة تسعمائة وثمانين وعشرين مسيحية الموافق سنة مائتين وثمانية واربعين هجرية ودخولهم في النصرانية في حدود السنين التي دخل فيها من تقدم ذكرهم ومثل ذلك يقال فيمن يأتي ذكرهم من الدول الاوروبية فانه تأخر دخولهم في النصرانية الى سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين هجرية كما تقدم

﴿ واما دولة البروسية ﴾

فهم قسم كبير من جرمانيا ويقال جرمانيا ايضا المانيا وهم امم كثيرة بعضهم مولشتي وبعضهم

طائفة منهم وابتداء دولتهم من سنة اربع وخمسين من ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام واستقلالهم التام بالملك من سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة مسيحية الموفق سنة ثمانمائة وثمان عشرة هجرية ثم انضم الى حمايتهم كثير من الدول الصغار من دول جرمانيا فقوى ملكهم واتسع

﴿ واما دولة الروسية المسماة بالموسكوف ﴾

فهم ايضا مجمعون من اجناس كثيرة ومنهم من ينتهى نسبه الى يافث بن نوح عليه السلام وكانوا قبل استقلالهم فى الملك تحت الرومانية قبل ميلاد المسيح عليه السلام ثم لما تقوى بعض دول اوروبا تغلبوا عليهم فكانوا تحت طاعتهم وما كان لهم الاستقلال التام بالملك الا من سنة ثمانمائة واثنين وستين مسيحية الموافق مائتين وثمانية واربعين هجرية وكانوا يعبدون الاوثان كغيرهم من دول اوروبا ودخولهم فى النصرانية سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين كما تقدم

﴿ واما دولة اسبانيا ويقال لهم ايضا الاسبانيول ﴾

فهم ايضا من اجناس مختلفة وكان لهم ملوك فى القدم تابعون لدولة اليونان ثم لدولة الرومانيين بعد اليونان ثم تغلب عليهم بعض من هو اقوى منهم من ملوك اوروبا ثم استولى المسلمون على اكثر ممالكهم لما فتح الاندلس فكان الاندلس تحت يد اسبانيا الى سنة ثنتين وتسعين هجرية فانتزعه المسلمون منهم وبقى لهم ملك ضعيف فى آخر الاندلس ووقع بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة ثم انتزعوا الاندلس من المسلمين شيأ فشيأ الى اواخر التسعمائة من الهجرة ثم اخرجوا من بقى من المسلمين بالاندلس فى سنة الف وعشرة واستقلوا بالملك وكانت دياناتهم عبادة الاوثان كغيرهم ممن تقدم ودخلوا فى النصرانية فى الزمن الذى دخل فيه من تقدم ذكرهم

﴿ واما دولة البرتوغال ﴾

فكانت تابعة ايضا للرومانيين وكانت ممالكهم فى اواخر الاندلس فلما استولى المسلمون على الاندلس اضافوها الى ما بيدهم من الاندلس ثم انتزعت من المسلمين سنة اربعمائة وتسع وثمانين هجريه واستولى عليها الاسبانيول ثم انتزعها البرتوغال من الاسبانيول واستقلوا بالملك فيها سنة الف وخمسين هجرية

﴿ واما دولة هولاندا ويقال لهم الفلنك ﴾

فكانت تحت طاعة اسبانيا وكان بين الدولتين حروب كثيرة استمرت نحو ثمانين سنة الى ان استقلوا بالملك فى حدود تسعمائة وسبع وثمانين من الهجرة وكان فى السنين المذكورة استيلاؤهم على بلاد الجاوى وكان دخولهم فى النصرانية فى حدود السنين التى دخل فيها من تقدم ذكرهم

﴿ واما دولة الدنيمارك ﴾

فكانت تحت طاعة ملوك اوروبا الى سنة ست وتسعين وثلاثمائة والف مسيحية الموافق سبعمائة وتسع وتسعين هجرية فاستقلوا بالملك

﴿ واما دولة السويد والنورويج ﴾

فكانت ايضا تحت ملوك اوروبا ثم صاروا تحت طاعة الدنيمارك ثم استقلوا بالملك سنة الف وخمسمائة وثلاث وعشرين مسيحية الموافق تسعمائة وثلاثين هجرية

﴿ واما دولة البلجيك ﴾

فهى من ممالك جرمانيا وما صار استقلالها الامن سنة الف وثمانمائة وثلاثين مسيحية الموافق سنة الف ومائتين وست واربعين هجرية

﴿ واما دولة السويسره ﴾

فكانت ايضا يتداول التملك عليها ملوك اوروبا واستقلت بالملك سنة الف وستمائة وثمان واربعين مسيحية الموافق سنة الف وثمان وخمسين هجرية

﴿ واما دولة باواريا ﴾

فمالكتهم تجمع ملوكا كثيرة كل واحد منهم له مملكة صغيرة وكانت تلك الممالك وملوكها تحت طاعة من قوى من ملوك اوروبا ثم صارت ممالك باواريا مستقلة سنة خمسمائة وثلاثين مسيحية الموافق لما قبل الهجرة باثنين وتسعين سنة ثم صارت هذه الممالك فى هذه السنين تابعة لملك الروسية

﴿ فائدتان ﴾

الاولى تتفرع مسئلة فقهية على معرفة تاريخ دخول هذه الطوائف فى دين النصرانية وهى انه ان كان دخولهم فيه قبل نسخه فانهم يلحقون باهل الكتاب فى حل اكل ذبيحتهم وفى حل تزوج المسلمين نساءهم وان كان دخولهم فيه بعد نسخه فلا يلحقون باهل الكتاب فيما ذكر ونسخ دينهم انما كان ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الامام الرازى فى تفسيره عند تفسيره قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم مانصه قال الكثير انما يحل نكاح الكتابية التى دانت بالتوراة والانجيل قبل نزول القرآن قالوا والدليل عليه قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فقوله من قبلكم يدل على أن من دان بالكتاب بعد نزول القرآن خرج عن حكم اهل الكتاب اه وذكر الخطيب الشربينى فى تفسيره مثل ذلك فى حل اكل ذبائحهم وهذا الذى ذكره كل منهما هو مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه واما اهل المذاهب الثلاثة فلم يقولوا بهذا التفصيل بل اطلقوا القول بحل اكل ذبائح اهل الكتاب وحل التزوج من نسائهم ولو دخلوا فى دين اهل الكتاب بعد نسخه

﴿ الفائدة الثانية ﴾

كانت دول الفرنج قبل ظهور الاسلام فى غاية التوحش وعدم المعرفة بالحرف والصنائع وانواع السياسات وتدبير الحروب وانواع العلوم العقلية وماوجد ذلك فيهم وانتشر الابعد ظهور الاسلام ومخالطتهم للمسلمين فتعلموا ذلك منهم فحصل لهم التمدن والحضارة قال بعض مؤرخيهم عند ذكر الحروب التى كانت بينهم وبين المسلمين فى القرن السادس ايام السلطان صلاح الدين الايوبى المسماة بحرب الصليب مانصه ان تلك الحروب وان هلك فيها كثير من النفوس وذهب فيها كثير من الاموال من غير حصول على المقصود لكنه اعقب نتائج نافعة لهم منها أنهم من ذلك الوقت شرعوا فى ترتيب العساكر وتعلموا بمواصلتهم المسلمين صناعة التجارة والزراعة وكثيرا من العلوم العقلية والفلكية وألفوا التواريخ النافعة وتوسعوا فى معرفة علم الفلك وألفوا فيه وتخلقوا باخلاق الحضر وتعودوا الاسفار برا وبحرا الاستكشاف

احوال الاقطار واكتشفوا على امريكا فى اواخرهم سنة ثمانمائة وتسعين هجرية ولم يكن قبل ذلك معلومة لاحد قط واكتسبوا من المسلمين انواع الفروسية واللعب بالخيل والرماح وتعاطوا المعانى العربية فى كلامهم واشعارهم لاسيما من كانوا منهم مخالطين للمسلمين بالاندلس وتعلموا ايضاً المشورة فى الاحكام وعلموا ان الملك يفسد بالاستبداد وعدم المشورة فدونوا لهم احكاما وقوانين يرجعون اليها واستكثروا من جمع كتب الاسلام وترجمتها بلسانهم ليعلموا معانيها فأخذوا منها مايكون به صلاح الملك واتخذوا مدارس لتعليم انواع العلوم وعرفوا ان الملك لاينتظم الا بذلك كله ومن مقالات بعض مؤرخيهم لا تصلح السكنى ببلد حتى تكون الشريعة فيها اقوى من السلطان ومراده بالشريعة ماأسسوه من القواعد العقلية لاحكامهم وسياسة ملكهم واذا كان هذا فى تلك الاحكام العقلية فكيف اذا رجع المسلمون الى شريعتهم المطهرة المؤسسة بالوحى من الله تعالى وتمسكوا بها حتى يكون حكم السلطان تابعا لحكمها ولا شك انها تكون اقوى من السلطان وقال بعض مؤرخيهم ايضا ما لعبت امة من الامم بغاية الاستقامة الا باحترام قوانين احكامها المؤسسة على العدل كما ان عدم احترامها يكون مبدأ رجوعها الى القهقرى ولا سيما ان ذلك البركة فى قوانينهم العقلية وانما ذلك بسبب ابتنائها على التجربة له دنى وهي انما الوازع الدنيوى واما الشريعة المطهرة فهى اقوى من ذلك كله لانها مبنية على الوحى الالهى الذى يحصل من اتباعه كمال البركة واذا كانت مخالفة قوانينهم يوجب الاختلاط فلاشك ان مخالفة الشريعة المطهرة يحصل منها كمال الاختلاط مع مايعقب ذلك من العذاب فى الدار الآخرة وقال بعض مؤرخيهم والحاصل ان سبب التقدم والتمدن وهو محاكاة الاوروباويين الامة الاسلامية المتقدمة عليهم فى العلوم والحضارة كان ابتداء التقدم عند الاوروباويين

تتميم

ذكر كثير من المفسرين لاثر ابن الجوزى وكثير من المؤرخين أن الذين ملكوا الدنيا من مشرقها الى مغربها اربعة مؤمنان وكافران اما المؤمنان فهما سليمان بن داود عليهما السلام وذو القرنين واما الكافران فهما نمرود الذى كان فى زمن ابراهيم الخليل عليه السلام وزاد بعضهم رابعا كافرا وهو بخت نصر فيكونون اربعة مؤمنان وكافران لكن قال ابن الاثير فى الكامل أن بخت نصر لم يملك الدنيا كلها وانما كان له ملك واسع وهو الذى خرب بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل واسر سبعين الفا منهم لان الله سلطه عليهم لما كثرت فيهم المعاصى والمخالفات وبخت نصر هذا كان مجوسيا من مجوس بابل ولم يعرف له اب وكان عاملا على العراق لملك الفرس وكان بين ابتداء ملكه وتخريبه بيت المقدس تسع عشرة سنة وبين الهجرة وتخريبه بيت المقدس الف وثلاثمائة وتسع وستون سنة وبقى خرابا سبعين سنة ثم عمر وتراجعت اليه بنوا اسرائيل والذى عمره بعض ملوك الفرس بوحى من الله تعالى الى النبى أرميا عليه السلام فاخبر ذلك النبى ملك الفرس فامتثل امره وعمره ثم خرب مرة ثانية بعد رفع عيسى عليه السلام باربعين سنة وذلك قبل الهجرة بخمسمائة ونيف وخمسين سنة

وكان ذلك التخريب لما قتل اليهود يحيى بن زكريا عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فقتلوهم وسبوهم ونفوهم من ديارهم وخربوا بيت المقدس وقد ذكر الله تعالى هذين التخريبين في القرآن العزيز في سورة الاسراء في قوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا أولي بأس شديد الآية وذكر الثانية في قوله تعالى فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم اي بعثناهم وسلطناهم ليسوؤا وجوهكم وبقي خرابا الى ان عمره ملك من ملوك الروم بعد تنصرهم وبنى كنيسة على القبر الذي زعم النصارى ان عيسى عليه السلام دفن فيه وخربوا هيكل بيت المقدس الى الارض وأمروا أن تلقى في موضعه قمامات البلد وزبالته فصار موضع الصخرة [illegible] مزبلة وبقي على ذلك الى ان فتحه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سار [illegible] سنة ست عشرة من الهجرة وفتح بيت المقدس وأزال ذلك وارجع موضع الصخرة كما كان والله سبحانه وتعالى اعلم ونرجع الى ما كنا بصدده من ذكر الحوادث الاسلامية فنقول وفي هذه [illegible] الله [illegible] بن مروان الكردي [illegible] ملك الروم [illegible] حدثا كثيرا ولقيهم [illegible] فهزمهم [illegible] وسار [illegible] وقتلوه [illegible] الله [illegible]

﴿ ذكر غزوة يمين الدولة محمود بن سبكتكين [illegible] ﴾

في سنة [illegible] شهر محرم [illegible] والله [illegible] ملك الهند في [illegible] واقتتلوا وصبروا [illegible] فلما انتصف النهار [illegible] وأسر ملك الهند ومعه جماعة كثيرة من اهله وعشيرته وغنم المسلمون منهم اموالا جليلة وجواهر نفيسة ومن جملة ذلك قلادة كانت في عنق [illegible] من الجوهر [illegible] قومت بمائتي الف دينار وأصيب امثالها في اعناق مقدمي الاسرى وغنموا خمسمائة الف رأس من العبيد وفتح من بلاد الهند بلادا كثيرة فلما فرغ من غزواته احب ان يطلق ملك الهند [illegible] ليراه الهنود في شعار الذل فأطلقه على [illegible] قرره عليه فأدى المال ومن عادات الهنود انهم من حصل منهم في ايدي المسلمين اسيرا لم يعقد له بعدها رياسة فلما رأى ملك الهند

حاله بعد خلاصه حلق رأسه ثم القى نفسه فى النار فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة

ذكر غزوة اخرى الى الهند ايضاً

لما فرغ يمين الدولة السلطان محمود سبكتكين من امر جيبال رأى ان يغزو غزوة اخرى فسار نحو الهند فأقام عليها محاصرا لها حتى فتحها قهراً و بلغه ان جماعة من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد فسير اليهم طائفة من عسكره فأوقعوا بهم و أكثروا القتل فيهم ولم ينج منهم الا الشريد الفريد وعاد الى غزنة سالماً ظافراً

ذكر غزوة بهاطية من بلاد الهند

فى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة غزا يمين الدولة بهاطية من اعمال الهند وهى مدينة حصينة عالية السور يحيط بها خندق عميق فامتنع صاحبها ثم انه خرج الى ظاهرها فقاتل المسلمين ثلاثة ايام ثم انهزم فى الرابع وطلب المدينة ليدخلها هو واصحابه فسبقه المسلمون الى باب البلد فملكوه عليهم واخذتهم السيوف من بين ايديهم ومن خلفهم فقتل المقاتلة وسبيت الذرية واخذت الاموال واما الملك فانه لما عاين الهلاك اخذ جماعة من ثقاته وسار الى رؤس تلك الجبال فسير اليه يمين الدولة سرية فلم يشعر الملك الا وقد احاطوا به وحكموا السيوف فى اصحابه فلما ايقن بالعطب اخذ خنجرا فقتل نفسه واقام يمين الدولة ببهاطية حتى اصلح أمرها ورتب قواعدها وعاد عنها الى غزنة واستخلف بها من يعلم من اسلم من اهلها ما يجب عليهم تعليمه ولقى فى عوده شدة شديدة من الامطار وكثرتها وزيادة الانهار فغرق منه ومن عسكره شئ عظيم

ذكر غزوة المولتان

فى سنة ست وتسعين وثلاثمائة غزا السلطان يمين الدولة المولتان وكان سبب ذلك ان واليها كان قد اسلم ثم نقل عنه خبث الاعتقاد ونسب الى الالحاد ودعا اهل ولايته الى ماهو عليه فاجابوه فرأى يمين الدولة ان يجاهده ويستنزله عما هو عليه فسار نحوه فرأى الانهار التى فى طريقه كثيرة الزيادة عظيمة المد وخاصة سيحون فانه منع جانبه من العبور فأرسل الى انندبال يطلب اليه ان يأذن له فى العبور من بلاده الى المولتان فلم يجبه الى ذلك فابتدأ به قبل المولتان فدخل بلاده وجاسها واكثر القتل فيها والنهب لاموال اهلها والاحراق لابنيتها ففر انندبال من بين يديه وهو فى أثره كالشهاب فى أثر الشيطان من مضيق الى مضيق الى ان وصل الى قشمير ولما سمع ملك المولتان بخبر اقباله علم عجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه فنقل امواله الى سرنديب واخلى المولتان فوصل يمين الدولة اليها ونازلها فاذا اهلها فى ضلالهم يعمهون فحصرهم وضيق عليهم وتابع القتال حتى افتتحها عنوة و الزم اهلها عشرين الف درهم عقوبة لعصيانهم

ذكر غزوة كواكير

ثم سار عن المولتان الى كواكير وكان بها ستمائة صنم فافتتحها واحرق الاصنام فهرب صاحبها الى قلعة له فسار خلفه اليها وهى حصن كبير يسع خمسمائة الف انسان وفيه خمسمائة فيل وعشرون الف دابة وفى الحصن مايكفى الجميع مدة فلما قام بها يمين الدولة

(وبقى)

وبقى بينهما سعة فراسخ رأى من الغياض الملتفة من سلوك الطريق مالا عهد طاقة عنه فأمر بقطعها ورأى فى الطريق واديا عظيم العمق بعيد القعر فأمر ان يطم منه مقدار مايسع عشرين فارسا فطموه بالجلود المملوءة ترابا ووصل الى القلعة فحصرها ثلاثة وعشرين يوما وراسله صاحبها فى الصلح فلم يجبه ثم بلغه اختلال فى خراسان فأراد الرجوع فصالح ملك الهند على خمسمائة فيل وثلاثة آلاف منا فضة ولبس خلعة يمين الدولة بعد ان ستعفى من شدة المنطقة وقطع اصبعه الخنصر وانفذها الى يمين الدولة توثقة فيما يعتمده وعاد يمين الدولة الى خراسان لاصلاح مااختلف فيها وكان عازما على الدخول فى الادانيه

﴿ ذكر غزوة الى الهند ﴾

فى سنة سبع وتسعين وثلثمائة سار يمين الدولة نحو الهند وسبب ذلك ان بعض اولاد ملوك الهند كان قد اسلم على يده واستخلفه على بعض ماافتتحه من بلادهم فلما كان الآن بلغه انه ارتد عن الاسلام ومال لاهل الكفر والطغيان فسار اليه مجدا فلما قارب فر الهندى من بين يديه واستعاد يمين الدولة تلك الولاية واعادها الى حكم الاسلام واستخلف عليها بعض اصحابه وعاد الى غزنة

﴿ ذكر غزوة بهيم نغر ﴾

فى سنة ثمان وتسعين غزا يمين الدولة وانتهى الى شاطئ نهر هندمند فلاقاه هناك ابرهمن بال ابن اندبال فى جيوش الهند فاقتتلوا مليا من النهار وكادت الهند تظفر بالمسلمين ثم ان الله تعالى نصر عليهم وظفر بهم المسلمون فانهزموا على اعقابهم واخذهم المسلمون بالسيف وتبع يمين الدولة اثر ابرهمن بال حتى بلغ بهيم نغر وهى على جبل عال وكان الهند قد جعلوها خزانة لصنمهم الاعظم فينقلون اليها انواع الذخائر قرنا بعد قرن واعلاق الجواهر وهم يعتقدون ذلك دينا وعبادة فاجتمع فيها على طول الازمان مالم يسمع بمثله فنازلهم يمين الدولة وحصرهم وقاتلهم فلما رأى الهنود كثرة جمعه وحرصهم على القتال وزحفهم اليهم مرة بعد اخرى خافوا وجبنوا وطلبوا الامان وفتحوا باب الحصن وملك المسلمون القلعة وصعد يمين الدولة اليها فى خواص اصحابه وثقاته فاخذ منها من الجواهر مالا يحد ومن الدراهم تسعين الف الف درهم شاهية ومن الاوانى الذهبيات والفضيات سبعمائة الف واربعمائة من وكان فيها بيت مملوء من فضة طوله ثلاثون ذراعا وعرضه خمسة عشر ذراعا الى غير ذلك من الامتعة وعاد الى غزنة بهذه الغنائم ففرش تلك الجواهر فى صحن داره وكان قد اجتمع عنده رسل الملوك فادخلهم اليه فرأوا مالم يسمعوا بمثله

﴿ ذكر غزوة بالهند ﴾

فى سنة اربعمائة تجهز يمين الدولة الى الهند عازما على غزوها فسار اليها واخربها واستباحها ونكس اصنامها فلما رأى ملك الهند انه لاقوة له به راسله فى الصلح والهدنة على مال يؤديه وخمسين فيلا وان يكون له فى خدمته الفا فارس لايزالون مقيمين فقبض منه مابذله وعاد عنه الى غزنة

﴿ ذكر غزو يمين الدولة بلاد الغور وغيرها ﴾

في هذه السنة واربعمائة غزا يمين الدولة بلاد الغور وهي بلاد تجاور غزنة وكان الغور كفارا يقطعون الطريق ويخيفون السبيل وبلادهم جبال وعرة ومضايق غلقة وكانوا يحتمون بها ويعتصمون بصعوبة مسلكها فلما كثر ذلك منهم أنف يمين الدولة ان يكون مثل أولئك المفسدين جيرانه وهم على هذه الحال من الفساد والكفر فجمع العساكر وسار اليهم حتى انتهى مقدمة جيشه الى مضيق قد شحن بالمقاتلة فتناوشوا الحرب وصبر الفريقان فسمع يمين الدولة الخبر فجد في السير اليهم وملك عليهم مسالكهم فتفرقوا وساروا الى عظيم الغورية فبرز من مدينته في عشرة آلاف مقاتل فقاتلهم المسلمون الى ان انتصف النهار فرأوهم أشجع الناس وأقواهم على القتال فأمر يمين الدولة عسكره ان يولوا الادبار على سبيل الخديعة والاستدراج ففعلوا فلما رأى الغورية ذلك ظنوه هزيمة فاتبعوهم حتى أبعدوا عن مدينتهم فعطف المسلمون عليهم ووضعوا السيف فيهم فأبادوهم قتلا وأسرا وكان في الأسرى كبيرهم وشيخهم ودخل المسلمون المدينة وملكوها وغنموا ما فيها وفتحوا تلك القلاع والحصون التي لهم جميعا فلما رأى كبيرهم ما فعل المسلمون شرب سما كان معه فمات وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين واظهر يمين الدولة في تلك الاعمال شعار الاسلام وجعل عندهم من يعلمهم شرائعه وعاد ثم سار الى طائفة اخرى من الكفار وقطع مفازة من رمل ولحق عسكره عطش شديد كادوا يهلكون منه فلطف الله سبحانه وتعالى بهم وأرسل عليهم مطرا سقاهم وسهل عليهم السير في الرمل ووصل الى الكفار وهم جمع عظيم ومعهم ستمائة فيل وقاتلهم أشد قتال صبر فيه بعضهم لبعض ثم ان الله نصر المسلمين وهزم الكفار واخذ غنائمهم وكثر القتل فيهم وعاد سالما منصورا

﴿ ذكر فتح يمين الدولة ناردين ﴾

في سنة اربع واربعمائة سار يمين الدولة الى الهند في جمع عظيم وحشد كثير وقصد واسطة البلاد من الهند فسار شهرين حتى قارب مقصده ورتب اصحابه وعساكره فسمع عظيم الهند به فجمع من عنده من قواده واصحابه ونزل الى جبل عال صعب المرتقى ضيق المسالك فاحتمى به وطاول المسلمين وكتب الى الهنود يستدعيهم من كل ناحية فاجتمع عليه منهم كل من يحمل سلاحا فلما تكاملت عدته نزل من الجبل وتصاف هو والمسلمون واشتد القتال وعظم الامر ثم ان الله تعالى منح المسلمين اكتافهم فهزموهم واكثروا القتل فيهم وغنموا ما معهم من مال وفيل وسلاح وغير ذلك فلما فرغ من غزوته ارسل الى الخليفة القادر بالله يخبره فكتب له منشورا وعهدا بخراسان وما بيده من الممالك ولقبه نظام الدين

﴿ ذكر غزوة تانيشر ﴾

في سنة خمس واربعمائة بلغ يمين الدولة ان ناحية تانيشر فيها من جنس الفيلة الصيلمان الموصوفة في الحرب وان صاحبه غال في الكفر والطغيان والحاد المسلمين فعزم على غزوه في عقر داره وان يذيقه مرارة كأس قتاله فسار في الجنود والعساكر والمتطوعة فلقي في طريقه اودية بعيدة القعر وعر المسالك وقفار فسيحة الاقطار والاطراف بعيدة الاكناف والمياه

قليل فلقوا شدة وقاسوا مشقة الى ان قطعوها فلما قاربوا مقصدهم لقوا نهرا شديد الجرية صعب المخاضة وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه يمنع من عبوره ومعه عساكره وفيلته التي كان يدل بها اى يتعزز بها فأمر يمين الدولة شجعان عسكره بعبور النهر واشغال الكفار بالقتال ليتمكن باقي العسكر من العبور ففعلوا ذلك وقاتلوا الهنود وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر في المخاضات وقاتلوهم من جميع جهاتهم الى آخر النهار فانهزم الهنود وظفر المسلمون وغنموا ما معهم من اموال وفيلة وعادوا الى غزنة موفورين ظافرين

ذكر غزوة الى الهند

في سنة ست واربعمائة غزا يمين الدولة الهند على عادته فضل الادلاء طريقهم ووقع هو وعسكره في مياه فاضت من البحر فغرق كثير ممن معه وخاض الماء بنفسه اياما حتى تخلص وعاد الى خراسان

ذكر غزوة قشمير وقنوج وغيرهما

في سنة تسع واربعمائة سار يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين من غزنة الى الهند عازما على غزو قشمير وكان قد استعد وجمع عسكره بينه وبين قشمير من بلاد الهند واتاه المتطوعة نحو عشرين الف مقاتل من ما وراء النهر وغيره من البلاد وسار اليها من غزنة ثلاثة اشهر سيرا دائما وعبر نهر سيحون وجيلوم وهما نهران عميقا الماء شديدا الجرية فوطئ ارض الهند واتاه رسل ملوكها بالطاعة وبذل الاتاوة فلما بلغ درب قشمير اتاه صاحبها واسلم على يده وسار بين يديه الى مقصده فبلغ ماجون في العشرين من رجب وفتح ما حوله من الولايات الفسيحة والحصون المنيعة حتى بلغ حصن هودب وهو آخر ملوك الهند فنظر هودب من اعلى حصنه فرأى من العساكر ما هاله وارعبه وعلم انه لا ينجيه الا الاسلام فخرج في نحو عشرة آلاف ينادون بكلمة الاخلاص طلبا للخلاص فقبله يمين الدولة وسار عنه الى قلعة كلجند وهو من اعيان الهند وشياطينهم وكان على طريقه غياض ملتفة لا يقدر السالك على قطعها الا بمشقة فسير كلجند عساكره وفيوله الى اطراف تلك الغياض يمنعون من سلوكها فترك يمين الدولة عليهم من يقاتلهم وسلك طريقا مختصرة الى الحصن فلم يشعروا الا وهو معهم فقاتلهم قتالا شديدا فلم يطيقوا الصبر على حد السيوف فانهزموا واخذهم السيف من خلفهم ولقوا نهرا عميقا بين ايديهم فاقتحموه فغرق اكثرهم وكان القتلى والغرقى قريبا من خمسين الفا وعمد كلجند الى زوجته فقتلها ثم قتل نفسه بعدها وغنم المسلمون امواله وملكوا حصونه ثم سار نحو بيت متعبد لهم وهو مهرة الهند وهو من احصن الابنية على نهر ولهم به من الاصنام كثير منها خمسة اصنام من الذهب الاحمر مرصعة بالجواهر وكان فيها من الذهب ستمائة الف وتسعون الفا وثلاثمائة مثقال وكان بها من الاصنام المصوغة من النقرة نحو مائتي صنم فاخذ يمين الدولة ذلك جميعه واحرق الباقي وسار نحو قنوج وصاحبها راجيبال فوصل اليها في شعبان فرأى صاحبها قد فارقها وعبر الماء المسمى كنك وهو ماء شريف عندهم يرون انه من الجنة وان من غرق نفسه فيه طهر من الآثام فاخذها يمين الدولة واخذ قلاعها واعمالها وهي سبع على الماء المذكور وفيها قريب من عشرة آلاف بيت صنم يذكرون انها عملت من مائتي الف سنة الى ثلاثمائة الف سنة كذبا

منهم وزوروا ولما فتحها اباحها عسكره ثم سار الى قلعة البراهمة فقاتلوه وثبتوا فلما عضهم السلاح علموا انهم لا طاقة لهم فاستسلموا للسيف فقتلوا ولم ينج منهم الا الشريد ثم سار نحو قلعة آسي وصاحبها جندبال فلما قاربها هرب جندبال واخذ يمين الدولة حصنه ومافيه ثم سار الى قلعة شروة وصاحبها جندرآي فلما قاربه نقل ماله وفيوله نحو جبال هناك منيعة يحتمي بها وعمى خبره فلم يدرا ين هو فنازل يمين الدولة حصنه فافتتحه وغنم ما فيه وسار في طلب جندرآي جريدة وقد بلغه خبره فلحق به في آخر شعبان فقاتله فقتل اكثر جند جندرآي واسر كثيرا منهم وغنم ما معه من مال وفيول وهرب جندرآي في نفر من اصحابه فنجا وكان السبي في هذه الغزوة كثيرا حتى ان احدهم كان يباع بأقل من عشرة دراهم ثم عاد الى غزنة ظافرا ولما عاد من هذه الغزوة امر ببناء جامع غزنة فبنى بناء لم يسمع بمثله ووسع فيه وكان جامعها القديم صغيرا وانفق ما غنمه في هذه الغزوة في بنائه وفي هذه السنة تفرقت ممالك الاندلس وصار بها عامل كل قطر منه متغلبا على ما بيده لضعف ملوك بني أمية وكثرت الفتن بينهم وبين العلويين بني ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى

﴿ ذكر خروج الترك من الصين ﴾

في سنة ثمان واربعمائة خرج الترك من الصين في عدد كثير يزيدون على ثلاثمائة الف خركاه وكانوا اجناسا منهم الخطائية الذين ملكوا ماوراء النهر وكان خروجهم للاستيلاء على ممالك الاسلام وكان اقرب بلاد الاسلام اليهم بلاساغون وكان ملكها من صالحي ملوك الاسلام يحب العلم واهله ويميل الى اهل الدين ويصلهم ويقربهم واسمه طغان خان وكان قد ملك ايضا تركستان ومرض مرضا شديدا وطال به المرض فطمعوا في البلاد لذلك فساروا اليه وملكوا بعض ممالكه وغنموا وسبوا وبقي بينهم وبين بلاساغون ثمانية ايام فلما بلغه الخبر وكان مريضا بها سأل الله ان يعافيه فينتقم من الكفرة ويحمي البلاد منهم ثم يفعل به بعد ذلك ما اراد فاستجاب الله له وشفاه فجمع العساكر وكتب الى سائر بلاد الاسلام يستنفر الناس فاجتمع اليه من المتطوعة مائة الف وعشرون الفا فلما بلغ الترك خبر عافيته وجمعه العساكر وكثرة من معه عادوا الى بلادهم فسار خلفهم نحو ثلاثة اشهر حتى ادركهم وهم آمنون لبعد المسافة فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتي الف رجل واسر نحو مائة الف وغنم من الدواب والخركاهات وغير ذلك من الاواني الذهبية والفضية ومعمول الصين ما لا عهد لاحد بمثله وعاد الى بلاساغون فلما بلغها عاوده مرضه فمات منه وما اشبه قصته بقصة سعد بن معاذ الانصاري في غزوة الخندق فانه دعا الله لما الجرح في أكحله ان يبقيه حتى يأخذ ثاره من بني قريظة فاستجاب الله دعاءه ثم بعد الانتقام منهم وقتلهم انفجر جرحه ومات رضي الله عنه ولما مات طغان خان ملك بعده اخوه ارسلان خان ولقب شرف الدولة

﴿ ذكر غزوة يمين الدولة الى الهند والافغانية ﴾

في سنة تسع واربعمائة سار يمين الدولة الى الهند غازيا واحتشد وجمع واستعد واعد اكثر مما تقدم وقصد بيدا اللعين وكان اعظم ملوك الهند مملكة واكثرهم جيشا وتسمى مملكته بجوراهة وسار يمين الدولة عن غزنة وابتدأ في طريقه بالافغانية وهم كفار يسكنون الجبال

(ويفسدون)

ويفسدون في الارض ويقطعون الطريق بين غزنة وبينه فقصد بلادهم وسلك مضايقها وفتح مغالقها وخرب عامرها وغنم اموالهم واكثر القتل فيهم والاسر وغنم المسلمون من اموالهم الكثير ثم استقل على السير وبلغ الى مكان لم يبلغه فيما تقدم من غزواته وعبر نهر كنك ولم يعبره قبلها فلما جازه رأى قفلا قد بلغت عدة احماله الف عدد فغنمها وهي من العود والامتعة الفائقة وجد به السير فأتاه في الطريق خبر ملك من ملوك الهند يقال له پروجيپال قد سار من بين يديه ملتجئا الى بيدا ليحتمي به عليه فطوى المراحل فلحق پروجيپال ومن معه رابع عشر شعبان وبينه وبين الهنود نهر عميق فعبر اليهم بعض اصحابه وشغلهم بالقتال ثم عبر هو وباقي العسكر اليهم فاقتتلوا عامة نهارهم فانهزم پروجيپال ومن معه وكثر فيهم القتل والاسر واسلموا اموالهم واهليهم فغنمها المسلمون واخذوا منهم الكثير من الجواهر واخذوا مايزيد على مائتي فيل وسار المسلمون يقتصون آثارهم وانهزم ملكهم جريحا وتحير في امره وارسل الى يمين الدولة يطلب الامان فلم يؤمنه ولم يقنع منه الا بالاسلام وقتل من عساكره مالا يحصى وسار پروجيپال ليلحق ببيدا فانفرد به بعض الهنود فقتله فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم الى يمين الدولة يبذلون له الطاعة والاتاوة وسار يمين الدولة بعد الوقعة الى مدينة باري وهي من احصن القلاع والبلاد واقواها فرآها من سكانها خالية وعلى عروشها خاوية فأمر بهدمها وتخريبها وعشر قلاع معها متناهية الحصانة وقتل من اهلها خلقا كثيرا وسار يطلب بيدا الملك فلحقه وقد نزل الى جانب نهر واجرى الماء من بين يديه فصار وحلا وترك عن يمينه وشماله طريقا يبسا يقاتل منه اذا اراد القتال وكان عدة من معه ستة وخمسين الف فارس ومائة الف واربعة وثمانين الف راجل وسبعمائة وستة واربعين فيلا فأرسل يمين الدولة طائفة من عسكره للقتال فأخرج اليهم بيدا مثلهم ولم يزل كل عسكر يمد اصحابه حتى كثر الجمعان واشتد الضرب والطعان فأدركهم الليل وحجز بينهم فلما كان الغد بكر يمين الدولة اليهم فرأى ديارهم بلاقع وركب كل فرقة منهم طريقا مخالفا لطريق الاخرى ووجد خزائن الاموال والسلاح بحالها فغنم الجميع واقتفى آثار المنهزمين فلحقوهم في الغياض والآجام واكثروا فيهم القتل والاسر ونجا بيدا فريدا وحيدا وعاد يمين الدولة الى غزنة منصورا

﴿ ذكر فتح قلعة من الهند ﴾

في سنة اربع عشرة واربعمائة غزا يمين الدولة الهند واوغل فيها فغنم وقتل حتى وصل الى قلعة على رأس جبل منيع ليس له مصعد الا من موضع واحد وهي كبيرة تسع خلقا وبها خمسمائة فيل وفي رأس الجبل من الغلات والمياه وجميع مايحتاج الناس اليه فحصرهم يمين الدولة وادام الحصار وضيق عليهم واستمر القتال فقتل منهم كثير فلما رأوا ماحل بهم اذعنوا له وطلبوا الامان فأمنهم واقر ملكهم فيها على خراج يأخذه منه واهدى له هدايا كثيرة منها طائر على هيئة القمري من خاصيته انه اذا احضر الطعام وفيه سم دمعت عينا هذا الطائر وجرى منها ماء وتحجر فاذا حك وجعل على الجراحات الواسعة الحمها

﴿ ذكر فتح سومنات ﴾

في سنة ست عشرة واربعمائة فتح يمين الدولة في بلاد الهند عدة حصون ومدن وأخذ الصنم المعروف بسومنات وهذا الصنم كان اعظم اصنام الهند وهم يحجون اليه كل ليلة خسوف فيجتمع عنده مايزيد على مائة الف انسان وتزعم الهنود ان الارواح اذا فارقت الاجساد اجتمعت اليه على مذهب التناسخ فينشئها فيمن شاء وكانوا يحملون اليه كل علق نفيس ويعطون سدنته كل مال جزيل وله من الوقوف مايزيد على عشرة آلاف قرية وقد اجتمع في البيت الذي هو فيه من نفيس الجوهر مالا يحصى قيمته ولاهل الهند نهر كبير يسمى كنك يعظمونه غاية التعظيم ويلقون فيه عظام من يموت من كبرائهم ويعتقدون انها تساق الى جنة النعيم وبين هذا النهر وبين سومنات نحو مائتي فرسخ وكان يحمل من مائه كل يوم الى سومنات مايغسل به ويكون عنده من البرهميين كل يوم الف رجل لعبادته وتقديم الوفود اليه وثلاثمائة رجل يحلقون رؤس زواره ولحاهم وثلاثمائة رجل وخمسمائة أمة يغنون ويرقصون على باب الصنم ولكل واحد من هؤلاء شيء معلوم كل يوم وكان يمين الدولة كلما فتح من الهند فتحا وكسر صنما يقول الهنود ان هذه الاصنام قد سخط عليها سومنات ولو انه راض عنها لاهلك من قصدها بسوء فلما بلغ ذلك يمين الدولة عزم على غزوه واهلاكه ظنا منه ان الهنود اذا فقدوه ورأوا كذب ادعائهم دخلوا في الاسلام فاستخار الله تعالى وسار عن غزنة عاشر شعبان في هذه السنة في ثلاثين ألف فارس من عساكره سوى المتطوعة وسلك سبيل الملتان فوصلها منتصف شهر رمضان وفي طريقه الى الهند برية قفر لا ساكن فيها ولا ماء ولا ميرة فتجهز هو وعسكره على قدر الحاجة ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل تحمل الماء والميرة وقصد انهلوارة فلما قطع المفازة رأى في طرفها حصونا مشحونة بالرجال وعندها آبار قد غوروها لئلا يتعذر عليه حصرها فيسر الله فتحها عند قربه منها بالرعب الذي قذفه الله في قلوبهم وتسلمها وقتل سكانها واهلك اوثانها وامتاروا منها الماء وما يحتاجون اليه وسار الى انهلوارة فوصلها مستهل ذي القعدة فرأى صاحبها المدعو بهيم قد أجفل عنها وتركها وأمعن في الهرب وقصد حصنا له يحتمي به فاستولى يمين الدولة على المدينة وسار الى سومنات فلقي في طريقه عدة حصون وبها كثير من الاوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنات على ماسول لهم الشيطان فقاتل من بها وفتحها وخربها وكسر اصنامها وسار الى سومنات في مفازة قفرة قليلة الماء فلقي عشرين الف مقاتل من سكانها لم يدينوا للملك فارسل اليهم السرايا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا مالهم وامتاروا من عندهم وساروا حتى بلغوا دبولواره وهي على مرحلتين من سومنات وقد ثبت اهلها له ظنا منهم ان سومنات يمنعهم ويدفع عنهم فاستولى عليها وقتل رجالها وغنم اموالها وسار عنها الى سومنات فوصلها يوم الخميس منتصف ذي القعدة فرأى حصنا حصينا مبنيا على ساحل البحر بحيث تبلغه امواجه واهله على الاسوار يتفرجون على المسلمين واثقين ان معبودهم يقطع دابرهم ويهلكهم فلما كان الغد وهو يوم الجمعة زحف وقاتل من به فرأى الهنود من المسلمين قتالا لم يعهدوا مثله ففارقوا السور فنصب المسلمون عليه السلالم

(١ وصعدوا ؟

وصعدوا اليه وأعلنوا بكلمة الاخلاص وأظهروا شعار الاسلام فحينئذ اشتد القتال وعظم الخطب وتقدم جماعة الهنود الى سومنات فعفروا له خدودهم وسألوه النصر وأدركهم الليل فكف بعضهم عن بعض فلما كان الغد بكر المسلون اليهم وقاتلوهم فاكثروا في الهنود القتل واجلوهم عن المدينة الى بيت صنمهم سومنات فقاتلوا على بابه اشد قتال وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخلون الى سومنات فيعتنقونه ويبكون ويتضرعون اليه ويخرجون فيقاتلون الى ان يقتلوا حتى كاد الفناء يستوعبهم وبقي منهم القليل فدخلوا البحر الى مركبين لهم لينجوا فيهما فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضا وغرق بعض واما البيت الذي فيه سومنات فهو مبني على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص وسومنات من حجر طوله خمسة اذرع ثلاثة منها ظاهرة وذراعان في البناء وليس بصورة مصورة فأخذه يمين الدولة فكسره وأحرق بعضه وأخذ بعضه الى غزنة فجعله عتبة الجامع وكان بيت الصنم مظلما وانما الضوء الذي عنده من قناديل الجوهر الفائق وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس وزنها مائتا من كلما مضى طائفة من الليل حركت السلسلة فيصوت الجرس فيقوم طائفة من البرهميين الى عبادتهم وعنده خزانة فيها عدة من الاصنام الذهبية والفضية وعليها الستور المعلقة المرصعة بالجوهر كل واحد منها منسوب الى عظيم من عظمائهم وقيمة ما في البيوت يزيد على عشرين ألف ألف دينار فأخذ الجميع وكانت عدة القتلى تزيد على خمسين الف قتيل ثم ان يمين الدولة ورد عليه الخبر أن بهيم صاحب النهروارة قد قصد قلعة تسمى كندهة في البحر بينها وبين البر من جهة سومنات اربعون فرسخا فسار اليها يمين الدولة من سومنات فلما حاذى القلعة رأى رجلين من الصيادين فسألهما عن خوض البحر هناك فعرفاه انه يمكن خوضه لكن ان تحرك الهواء يسيرا غرق من فيه فاستخار الله تعالى وخاضه هو ومن معه فخرجوا سالمين فرأوا بهيم قد فارق قلعته وأخلاها من عدتها وقصد المنصورة وكان صاحبها قد اسلم ثم ارتد عن الاسلام فلما بلغه خبر مجيء يمين الدولة فارقها واحتمى بغياض اشبة فقصده يمين الدولة من موضعين فأحاطوا به وبمن معه فقتلوا اكثرهم وغرق منهم كثير ولم ينج منهم الا القليل ثم سار الى بهاطية فأطاعه اهلها ودانوا له ورحل الى غزنة فوصلها عاشر صفر سنة سبع عشرة واربعمائة

ذكر غرق الاسطول بجزيرة صقلية

في سنة ست عشرة واربعمائة خرج الروم الى جزيرة صقلية في جمع كثير وملكوا ما كان للمسلين في جزيرة قلورية وهي مجاورة لجزيرة صقلية وشرعوا في بناء المساكن ينتظرون وصول مراكبهم وجموعهم مع ابن اخت الملك وبلغ ذلك المعز بن باديس عامل افريقية للعبيديين فجهز اسطولا كبيرا اربعمائة قطعة وحشد فيها وجمع خلقا كثيرا وتطوع جمع كثير بالجهاد رغبة في الاجر فسار الاسطول في كانون الثاني فلما قرب من جزيرة قوصرة وهي قريب من بر افريقية خرج عليهم ريح شديدة وموج عظيم فغرق اكثرهم ولم ينج الا اليسير

ذكر غزوة المسلين الى الهند

في سنة احدى وعشرين واربعمائة غزا احمد بن ينالتكين النائب عن يمين الدولة بلاد الهند

مدينة للهنود وهي من اعظم مدنهم يقال لها رسي ومع احد نحو مائة الف فارس وراجل وشن الغارة على البلاد ونهب وسبى وخرب الاعمال واكثر القتل والاسر فلما وصل الى المدينة دخل من احد جوانبها ونهب المسلمون في ذلك الجانب يوما من بكرة النهار الى آخر النهار ولم يفرغوا من نهب سوق العطارين والجوهريين حسب وباقي اهل البلد لم يعلموا بذلك لان طوله منزل من منازل الهنود وعرضه مثله فلما جاء المساء لم يجسر احد على المبيت فيه لكثرة اهله فخرج منه لياً من على نفسه وعسكره وبلغ من كثرة مانهب انهم اقتسموا الذهب والفضة كيلا ولم يصل الى هذه المدينة عسكر المسلمين قبله فلما فارقه اراد العود اليه مرة اخرى فلم يقدر على ذلك ومنعه اهله وفي هذه السنة توفي يمين الدولة السلطان محمود ابن سبكتكين وعمره احدى وستون سنة ومدة ملكه اربع وثلاثون سنة وكان صالحا عادلا محبا للعلماء مكرما لهم ومحبا للجهاد ووقع بعده اختلاف بين ابنيه محمد ومسعود وتم الملك لمسعود

﴿ ذكر خروج ملك الروم الى الشام وانهزامه ﴾

في سنة احدى وعشرين واربعمائة خرج ملك الروم من القسطنطينية في ثلاثمائة الف مقاتل الى الشام فلم يزل بعساكره حتى بلغ قريب حلب فلحقهم عطش شديد وكان اصحابه مختلفين عليه وعبر على عسكره جمع من العرب ليسوا بالكثير فظن انها كبسة فخاف ورحل وتبعهم العرب واهل السواد حتى الارمن يقتلون وينهبون واخذوا من الملك اربعمائة بغل محملة مالا وثيابا وهلك كثير من الروم عطشا ونجا الملك وحده ولم يسلم معه من امواله وخزائنه شئ البتة وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا حتى ان الملك لبس خفا اسود وعادة ملوكهم لبس الخف الاحمر فتركه ولبس الاسود ليعمي خبره على من يريده وانهزموا وغنم المسلمون جميع ماكان معهم

﴿ ذكر غزو فضلون الكردي الخزر وما كان منه ﴾

كان فضلون الكردي هذا بيده قطعة من اذربيجان استولى عليها وملكها فاتفق انه غزا الخزر في هذه السنة فقتل منهم وسبى شيأ كثيرا فلما اراد العود الى بلاده ابطأ في سيره وظن انه دوخهم وشغلهم بما عمله بهم فاتبعوه مجدين وكبسوه وقتلوا من اصحابه والمتطوعة الذين معه اكثر من عشرة آلاف قتيل واستردوا الغنائم التي اخذت منهم وغنموا اموال العساكر الاسلامية وعادوا

﴿ ذكر ملك الروم مدينة الرها ﴾

في سنة ثنتين وعشرين واربعمائة ملك الروم مدينة الرها وكان بالرها برجان حصينان احدهما اكبر من الآخر الكبير بيد ابن عطير والصغير بيد ابن شبل فراسل ابن عطير ارمانوس ملك الروم وباعه مابيده بعشرين الف دينار وعدة قرى فتسلموا البرج الذي له ودخلوا البلد فملكوه وهرب منه اصحاب ابن شبل وقتل الروم المسلمين وخربوا المساجد فسمع نصر الدولة بن مروان مالك بلاد الكرد الخبر فسير جيشا الى الرها فحصروها وفتحوها عنوة واعتصم من بها من الروم بالبرجين واحتمى النصارى غيرهم بالبيعة التي لهم وهي من اكبر البيع واحسنها عمارة فحصرهم المسلمون بها واخرجوهم وقتلوا اكثرهم ونهبوا البلد

وبقي الروم بالبرجين وسير اليهم ابن مروان عسكرا نحو عشرة آلاف مقاتل فانهزم اصحاب ابن مروان من بين ايديهم ودخل الروم البلد وملكوها وماجاورهم من بلاد المسلمين فصالحهم ابن وثاب النميري على حران وسروج وحمل اليهم خراجا وفي هذه السنة توفي الخليفة القادر بالله وكانت خلافته احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر وبويع بعده ابنه القائم بأمر الله

﴿ ذكر ملك الروم قلعة افامية ﴾

في سنة ثنتين وعشرين واربعمائة ملك الروم قلعة افامية بالشام بسبب اختلاف العمال من المسلمين فدخل حسان بن المفرج الطائي بلد الروم هاربا من الدزبرى عامل الشام لخليفة مصر ولبس خلعة ملكهم وخرج من عنده وعلى رأسه علم فيه صليب ومعه عسكر كثير وسار الى افامية فكبسها وغنم مافيها وسبى اهلها واسرهم

﴿ ذكر فتح قلعة سرستي وغيرها من بلاد الهند ﴾

في سنة خمس وعشرين واربعمائة قصد السلطان مسعود بن محمود سبكتكين قلعة سرستي وهي من امنع حصون الهند واحصنها فحصرها وقد كان ابوه حصرها غير مرة فلم يتهيأ له فتحها فلما حصرها مسعود راسله صاحبها وبذل له مالا على الصلح فأجابه الى ذلك وكان فيها قوم من التجار المسلمين فعزم صاحبها على اخذ اموالهم وحملها لمسعود من جملة ما تقرر عليه فكتب التجار رقعة في نشابه ورموا بها اليه يعرفونه فيها ضعف الهنود بها وانه ان صابرهم ملكهم فرجع عن الصلح وطم خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره وفتح الله عليه وقتل كل من بها وسبى ذراريهم واخذ ماجاورها من البلاد ثم رحل عنها الى قلعة نغسى وحصرها فرآها عالية لاترام يرتد البصر دونها وهو حسير الا انه اقام عليها يحصرها فخرجت عجوز ساحرة فتكلمت باللسان الهندي طويلا واخذت مكنسة فبلتها بالماء ورشته منها الى جهة عسكر المسلمين فمرض واصبح لايقدر ان يرفع رأسه وضعفت قوته ضعفاً شديداً فرحل عن القلعة لشدة المرض فحين فارقها زال ماكان به واملت الصحة والعافية اليه وسار نحو غزنة

﴿ ذكر ملك الروم قلعة بركوى ﴾

هذه قلعة متاخمة للارمن كانت في يد ابي الهيجاء بن ربيب الدولة ابن اخت وهودان بن مملان فتنافر هو وخاله فارسل خاله الى الروم فاطمعهم فيها فسير ملك الروم اليها جمعا كثيرا فملكوها سنة خمس وعشرين واربعمائة فبلغ الخبر الى الخليفة فارسل الى ابي الهيجاء وخاله من يصلح بينهما ليتفقا على استعادة القلعة فاصطلحا ولم يتمكنا من استعادتها واجتمع اليهما خلق كثير من المتطوعة فلم يقدروا على ذلك لثبات قدم الروم بها وفي سنة سبع وعشرين اجتمع ابن وثاب وابن عطير وتصاهرا وجمعا جموعاً وامدهما نصر الدولة بن مروان بعسكر كثيف فساروا جميعاً الى السويدا وربض الرها وكان الروم قد احدثوا عمارتها في ذلك الوقت واجتمع اليها اهل القرى المجاورة لها فحصرها المسلمون وفتحوها عنوة وقتلوا فيها ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل وغنموا مافيها وسبوا خلقاً كثيراً وقصدوا الرها فحصروها وقطعوا الميرة عنها واشتد الامر فخرج البطريق الذي فيها مختفياً ولحق بملك الروم وعرفه

الحال فسير معه خمسة آلاف فارس فعاد بهم فعرف ابن وثاب وقدم عساكر نصر الدولة الحان فكمنا لهم فلما قاربوهم خرج الكمين عليهم فقتل من الروم خلق كثير وأسر مثلهم وأسر البطريق وحمل الى باب الرها وقالوا لمن فيها اما ان تفتحوا الباب والا قتلنا البطريق والاسرى الذين معه ففتحوا الباب للحرص على حفظه وتحصن اجناد الروم بالقلعة ودخل المسلمون المدينة وغنموا ما فيها وامتلأت ايديهم من الغنائم والسبي واكثروا القتل وارسل ابن وثاب الى آمد مائة وستين راحلة عليها رؤس القتلى واقام محاصراً للقلعة ثم ان حسان ابن الجراح الطائي سار في خمسة آلاف فارس من العرب والروم نجدة لمن بالرها فسمع ابن وثاب بمسيره فسار اليه مجداً ليلقاه قبل وصوله فخرج من الرها بجمع من الروم الى حران فقاتلهم اهلها وسمع ان وثاب الخبر فعاد مسرعاً فوقع على الروم فقتل منهم كثيراً وعاد المنهزمون الى الرها ثم صالح ابن وثاب الروم الذين بالرها بحره عنهم وسلم اليهم بعض الرها وكثر الروم بها وعمروها وحصنوها وفي سنة تسع وعشرين هادن المستنصر بالله العبيدي صاحب مصر ملك الروم وشرط عليه اطلاق خمسة آلاف اسير وشرط الروم عليه ان يعمروا بيعة قمامة وارسل الملك اليها من عمرها واخرج على عمارتها مالاً جليلا ثم انتقضت الهدنة سنة ٣٢ وجهز الروم جيشاً فالتقوا مع جيش المسلمين بين مدينة حماة وافامية واشتد القتال ثم ان الله نصر المسلمين وادال الكافرين فانهزموا وقتل منهم عدة كثيرة واسر ابن عم الملك ونادوا في مدائنه بالاحتراز والاستعداد وارمة من اسراء المسلمين وانكف الروم عن الاذى بعدها وفي سنة اثنين وثلاثين ايضاً قتل مسعود بن محمود سبكتكين وملك ابنه مودود والقاتل لمسعود اولاد اخيه محمد والقصة طويلة ليس هذا محل ذكرها وفي سنة خمس وثلاثين اخرج ملك الروم من القسطنطينية المسلمين والغرباء ونادى ان لا يقيم احد وردا لبلد منذ ثلاثين سنة عن ايام نعدها فخرج منها اكثر من مائة الف انسان ولم يبق بها اكثر من اثني عشر الف ضمنهم الروم فتركهم

ذكر غلبة مودود بن مسعود بن محمود سبكتكين عدة من حصون بلد الهند

وفي سنة خمس وثلاثين واربعمائة اجتمع ثلاثة من ملوك الهند وقصدوا لهاوور وحصروها بجمع مقدم العساكر الاسلامية بتلك الديار من عنده منهم وارسل الى صاحبه مودود ويستنجده فارسل اليه العساكر فاتفق ان بعض اولئك الملوك فرقهم وعاد الى طاعة مودود فرحل الملكان الآخران الى بلدهما فسارت العساكر الاسلامية الى احدهما فانهزم منهم وصعد الى قلعة له منيعة هو وعساكره فاحتموا بها وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين الف راجل وحصرهم المسلمون وضيقوا عليهم واكثروا القتل فيهم فطلب الهنود الامان على تسليم الحصن فامتنع المسلمون من اجابتهم الى ذلك الا بعد ان يضيفوا الى ذلك باقي حصون ذلك الملك الذي لهم فحملهم الخوف وعدم الاقوات على اجابتهم الى ما طلبوا وتسلم المسلمون الجميع وغنموا الاموال واطلقوا ما في الحصون من اسرى المسلمين وكانوا نحو خمسة آلاف نفر فلما فرغوا من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثاني فتقدم اليهم ولقيهم فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت

الهنود واحلت المركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل وجريح واسر ضعفاؤهم وغنم المسلمون اموالهم وسلاحهم ودوابهم فلما رأى باقي الملوك من الهند مالقي هؤلاء اذعنوا بالطاعة وطلبوا الامان وحملوا الاموال وطلبوا الاقرار على بلادهم فاجيبوا الى ذلك

﴿ ذكر اخبار الروم والروسية ﴾

وفي سنة خمس وثلاثين ورد الى القسطنطينية عدد كثير من الروسية في البحر يريدون حرب الروم فاجتمعت الروم على حربهم وكان بعضهم قد فارق المراكب الى البر فألقى الروم في مراكبهم النار فلم يهتدوا الى اطفائها فهلك كثير منهم بالحرق والغرق واما الذين في البر فقاتلوا ثم انهزموا فلم يكن لهم ملجأ في استسلم اولا احترق ومن امتنع حتى اخذتهم قطع الروم أيمانهم وطيف بهم في البلد ولم يسلم منهم الا القليل مع ابن ملك الروسية وفي سنة تسع وثلاثين سير المعز بن باديس صاحب افريقية اسطولا الى جزائر القسطنطينية فظفر وغنم وعاد

﴿ ذكر غزو السلجوقية بلاد الروم ﴾

ولنذكر اولا ابتداء ظهور الدولة السلجوقية اصلهم من الترك الذين فيما وراء النهر اسم جدهم سلجوق ووافقه على الاسلام جماعة منهم فخرج بهم من دار الحرب الى ديار الاسلام وصار يقاتل الكفار من الترك ووقع بينه وبين ملوك خراسان المسلمين وقائع وقتال يطول الكلام بذكره وولده واولادهم بالجهاد بعده وكثرت جموعهم وقويت شوكتهم وصاروا يتغلبون على ممالك خراسان والعراق شيأ فشيأ الى ان دخلوا بغداد واذهبوا دولة بني بويه وتغلبوا على الخلفاء كما كان بنو بويه وكان دخولهم بغداد في خلافة القائم بامر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر سنة سبع واربعين واربعمائة وكان الداخل منهم بغداد السلطان طغرلبك بن ميكائيل ابن سلجوق وتوفي السلطان طغرلبك سنة خمس وخمسين واربعمائة وصار الملك بعده لابن اخيه الب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق واستمر الملك في بنيه الى سنة تسع وثمانين وخمسمائة وكان ابتداء تملكهم طوس وقيل الري سنة اربعمائة وتسع وعشرين فتكون مدة ملكهم مائة وستين سنة وطغرلبك ضبطه ابن خلكان بقوله بضم الطاء وسكون الغين المعجمة وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء الموحدة بعدها كاف وهو اسم تركي مركب من طغرل وهو اسم علم وبك معناه امير وسلجوق بفتح السين المهملة وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف وكانت هذه الغزوة التي سنذكرها قبل تملكهم بغداد وهذه الغزوة التي سنذكرها هي انه في سنة اربعين واربعمائة غزا السلجوقية بلاد الروم وقائد الجيش الامير ابراهيم اينال اخو السلطان طغرلبك السلجوقي فظفروا وغنموا ووصلوا الى ملازكرد وأرزن الروم وقاليقلا وبلغوا طرابزون وتلك النواحي كلها ولقيهم عسكر للروم يبلغون خمسين الفا فقتلوا واشتد القتال بينهم وكانت بينهم عدة وقائع تارة يظفر هؤلاء وتارة هؤلاء وكان آخر الامر الظفر للمسلمين فاكثروا القتل في الروم وهزموهم واسروا جماعة كثيرة من بطارقتهم وممن اسر قاريط وكان من ملوكهم فبذل في فداء نفسه ثلاثمائة الف دينار وهدايا بمائة الف فلم يجب الى ذلك ولم يزل السلجوقية يجوسون تلك البلاد الى ان صار بينهم وبين القسطنطينية خمسة عشر يوما واستولى المسلمون على تلك النواحي فنهبوها وغنموا مافيها وسبوا اكثر من مائة الف

راس واخذوا من الدواب والبغال والغنائم والاموال مالا يقع عليه الاحصاء وحملت الغنائم على عشرة آلاف عجلة ومن جملة الغنائم عشرة آلاف درع ثم في سنة احدى واربعين واربعمائة ارسل ملك الروم الى السلطان طغرلبك هدية عظيمة وطلب منه الصلح والمهادنة فاجابه اليها وعمر ملك الروم مسجدا بالقسطنطينية وكان بها كثير من المسلمين فاقاموا بالمسجد المذكور الصلاة والخطبة لطغرلبك بامر ملك الروم ثم بعد ذلك دانت الناس لطغرلبك وتمكن في ملكه وتملك كثيرا من البلاد قبل دخوله بغداد

﴿ ذكر غزوة اخرى للسلجوقية ﴾

في سنة ست واربعين واربعمائة سار طغرلبك سلطان السلجوقية الى ارمينية وقصد ملازكرد وهي للروم فحصرها وضيق على اهلها ونهب ماجاورها من البلاد واخربها وهي مدينة حصينة واثر السلطان المذكور في هذه الغزوة آثارا عظيمة ونال منهم من النهب والقتل والاسر شيأ كثيرا وبلغ في غزوته هذه الى ارزن الروم وعاد الى اذربيجان لما هجم الشتاء ومن السلجوقية قتلمش ابن عم طغرلبك كانت له ولبنيه دولة في قونية واقصرا وبلاد الروم لان السلجوقية لما انتشروا في البلاد طالبين للممالك دخل قتلمش هذا الى بلاد الروم وملك قونية واقصرا ونواحيها وافتتح بلادا واسعة وبقي الملك في بنيه الى ظهور الدولة العثمانية هي تلك الممالك التي افتتحوها وكانت تحت ايديهم قونية واقصرا وسيواس وتوقات وانقورية وملطية وبلاد البستان وقيسارية ونكسار واماسية واعمال هذه المدن

﴿ ذكر فتح الب ارسلان مدينة * آني * وغيرها من بلاد النصرانية ﴾

في سنة ست وخمسين واربعمائة غزا السلطان الب ارسلان بلاد النصارى فسار من الري الى اذربيجان ثم سلك مضايق الى ان وصل الى نقجوان فامر بعمل السفن لعبور نهر أرس فقيل له ان سكان خوي وسلماس من اذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وانهم قد امتنعوا ببلادهم فسير اليهم عميد خراسان ودعاهم الى الطاعة وتهددهم ان امتنعوا فاطاعوا وصاروا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر مالا يحصى فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار الى بلاد الكرج وجعل عسكرا مع ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره فسار ملكشاه ونظام الملك الى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل اهلها منها وتخطفوا من العسكر وقتلوا منهم فئة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقاتلوا من بالقلعة وزحفوا اليهم فقتل امير القلعة وملكها المسلمون وساروا منها الى قلعة سرماري وهي قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوها وملكوها وانزلوا منها اهلها وكان بالقرب منها قلعة اخرى ففتحها ملكشاه واراد تخريبها فنهاه الوزير نظام الملك عن ذلك وقال هي ثغر للمسلمين وشحنها بالرجال والاموال والسلاح والذخائر وسلم هذه القلاع الى امير نقجوان وسار ملكشاه ونظام الملك الى مدينة مريم نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وعامتهم يتقربون الى اهل هذه البلدة وهي مدينة حصينة سورها من الاحجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص والحديد عندها نهر كبير فاعد نظام الملك

لقتالها مايحتاج اليه من الدفن وغيرها وقاتلها وواصل قتالها ليلا ونهارا وجعل العساكر عليها يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار واخذهم الاعيا والكلال فوصل المسلمون الى سورها ونصبوا عليها السلالم وصعدوا الى اعلاها لان المعاول كلت عن نقبه لقوة حجره فلمارأى اهلها المسلمين على السور فت ذلك فى اعضادهم اى اضعفهم وسقط فى ايديهم ودخل ملكشاه ونظام الملك البلد واحرقوا البيع وخربوها وقتلوا كثيرا من اهلها واسلم كثير منهم فنجوا من القتل واستدعى الب ارسلان ابنه ملكشاه ونظام الملك فلحقوه فى بلاد الكرج وفرح بما يسره الله من الفتح على يد ولده وفتح ملكشاه فى طريقه عدة من القلاع والحصون واسر من النصارى مالايحصى ثم ساروا جيعا مع السلطان الب ارسلان الى تسبيذشهر فجرى بين اهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها من المسلمين كثير ثم ان الله تعالى يسر فتحها فملكها الب ارسلان وسار منها الى مدينة اعال لال وهى حصينة عالية الاسوار شاهقة البنيان وهى من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير فلمارآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها والاستيلاء عليها وكان ملكها من الكرج وهكذاما تقدم من البلاد التى ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسرا على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب فخرج من المدينة رجلان يستغيثان ويطلبان الامان والتمسا من السلطان ان يرسل معهما طائفة من العسكر فسير جمعا صالحا فلما جازوا الفصيل احاط بهم الكرج من اهل المدينة وقاتلوهم فاكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك وخرج الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتد القتال وكان السلطان ذلك الوقت يصلى فأتاه الصريخ فلم يبرح حتى فرغ من صلاته وركب وتقدم الى الكفار وقاتلهم وكبر المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها واعتصم جماعة من اهلها فى برج من ابراج المدينة فقاتلهم المسلمون فامر السلطان بالقاء الحطب حول البرج واحراقه ففعل ذلك واحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان الى خيامه وغنم المسلمون من المدينة مالايحد ولايحصى ولماجن الليل عصفت ريح شديدة وكان قد بقى من تلك النار التى احرق بها البرج بقية كثيرة فاطارتها الريح فاحترقت المدينة بأسرها وملك السلطان قلعة حصينة كانت الى جانب تلك المدينة ثم سار منها الى ناحية قرس ومدينة آنى وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما دسل ورده ونوره فخرج اهلها مذعنين بالاسلام وخربوا البيع وبنوا المساجد وسار منهما الى مدينة آنى فوصل اليها فرآها مدينة حصينة شديدة الامتناع لاترام ثلاثة ارباعها على نهر ارس والربع الآخر نهر عميق شديد الجرية لوطرحت فيه الحجارة الكبار لاخذها وجاها والطريق اليها على خندق عليه سور من الحجارة الصم وهى بلدة كبيرة عامرة كثيرة الاهل فيها مايزيد على خمسمائة بيعة فحصرها وضيق عليها الا ان المسلمين قد ايسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها فعمل السلطان برجا من خشب وشحنه بالمقاتلة ونصب عليه المنجنيق ورماة النشاب فكشفوا الكرج عن السور وتقدم المسلمون اليه لينقبوه فاتاهم من لطف الله مالم يكن فى حسابهم فانهدمت قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة

وقتلوا من اهلها مالا يحصى عدده غير ان كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد بسبب كثرة القتلى واسروا وانحوا مما قتلوا وسارت البشرى بهذا الفتوح في البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد في دار الخليفة فبرز خط الخليفة بالثناء على الب ارسلان والدعاء له ورتب فيها اميرا في عسكر جرار وعاد عنها وقد راسله ملك الكرج في الهدنة فصالحه على اداء الجزية كل سنة وقبل ذلك وفي سنة ثنتين وستين واربعمائة اقبل ملك الروم من القسطنطينية في عسكر كثيف الى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل اهلها وهزم جموعا للعرب ثم ارتحل وعاد الى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع

ذكر خروج ملك الروم الى خلاط واسره

في سنة ثلاث وستين واربعمائة خرج ارمانوس ملك الروم في مائتي الف من الروم والفرنج والروس والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجاؤا في تجمل كثير وزي عظيم وقصد بلاد الاسلام ووصل الى ملازكرد من اعمال خلاط فبلغ السلطان الب ارسلان الخبر وهو بمدينة خوي من اذربيجان وسمع ما فيه ملك الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الاثقال مع زوجته ونظام الملك الى همدان وسار هو فيمن معه من العساكر وهم خمسة عشر الف فارس وجد في السير وقال لهم انى اقاتل محتسبا صابرا فان سلمت فنعمة من الله تعالى وان كانت الشهادة فان ابني ملكشاه ولي عهدي وساروا فلما قاربوا العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية في نحو عشرة آلاف فاقتتلوا فانهزمت الروسية واسر مقدمهم وحمل الى السلطان فجدع انفه وانفذ بالسلب الى نظام الملك وامره ان يرسله الى بغداد فلما تقارب العسكران ارسل السلطان الى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال ملك الروم لا هدنة الا بالري فانزعج السلطان لذلك فقال له امامه وفقيهه ابو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي انك تقاتل عن دين الله وقد وعد الله بنصره واظهاره على سائر الاديان وارجو ان يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالاجابة فلما كانت تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من اراد الانصراف فلينصرف فما هاهنا سلطان يامر وينهى وألقى القوس والنشاب واخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال ان قتلت فهذا كفني وزحف الى الروم وزحفوا اليه فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على التراب وبكى واكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فحصل المسلمون في وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤا وانزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الارض من جثث القتلى واسر ملك الروم اسره بعض الغلمان فأراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع ملك الروم لا تقتله فانه الملك وكان هذا الغلام الذي اسره قد عرضه سيده على نظام الملك فرده استحقارا له فأثنى عليه سيده فقال نظام الملك عسى ان يأتينا

ملك الروم اسيراً وكان كذلك فلما اسر الغلام ملك الروم احضره عند سعد الدولة فقصد السلطان وخبره بأسر الملك فأمر باحضاره فلما احضر ضربه السلطان ثلاث مقارع بيده وقال له الم ارسل اليك في الهدنة فأبيت فقال دعني من التوبيخ وافعل ما تريد فقال السلطان ما عزمت ان تفعل بي ان اسرتني فقال افعل القبيح قال له فما تظن اني افعل بك قال اما ان تقتلني واما ان تشهرني في بلاد الاسلام والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الاموال واصطناعي نائباً عنك قال ما عزمت على غير هذا ففداه بألف الف دينار وخمسمائة الف دينار وان يرسل اليه عساكر الروم اي وقت طلبها وان يطلق كل اسير في بلاد الروم واستقر الامر على ذلك وانزله في خيمة وارسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها واطلق له جماعة من البطارقة وخلع عليه من الغد فقال ملك الروم اين جهة الخليفة فدل عليها فقام وكشف رأسه واومأ الى الارض بالخدمة وهادنه السلطان خمسين سنة وسيره الى بلاده وسير معه عسكراً اوصلوه الى مأمنه وشيعه السلطان فرسخاً واما الروم فانهم لما بلغهم خبر ابوهم واسر الملك وثب ميخائيل على مملكة ملك الروم ووصل ارمانوس الملك الى قلعة دوقية بعد ان خرج فلبس الصوف واظهر الزهد وارسل الى ميخائيل يعرفه ما تقرر مع السلطان وقال ان شئت ان تفعل ما تقرر وان شئت امسكت فاجابه ميخائيل بأن يعجل ما تقرر وطلب وساطته وسؤال السلطان في ذلك وجمع ارمانوس ما عنده من المال وكان مائتي الف دينار وارسله الى السلطان وطبقاً من ذهب عليه جواهر بتسعين الف دينار وحلف انه لا يقدر على غير ذلك ثم ان ارمانوس استولى على عمال الارمن وبلادهم ومدح الشعراء السلطان الب ارسلان وذكروا هذا الفتح واكثروا لانه شبيه فتوحات الصحابة رضي الله عنهم

﴿ ذكر مقتل السلطان الب ارسلان ﴾

في سنة خمس وستين واربعمائة قصد السلطان الب ارسلان ما وراء النهر لقتال ملك من ملوكها [illegible] شمس الملك فعقد على جيحون جسرا وعبر عليه في نيف وعشرين يوماً وعسكره يزيد على مائتي الف فارس فأتاه اصحابه بمستحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمي فحمل الى قرب سريره مع غلامين فأمر ان تضرب له اربعة اوتاد وتشد اطرافه اليها فقال له يوسف يا مخنث مثلي يقتل هذه القتلة فغضب السلطان الب ارسلان واخذ القوس والنشاب وقال للغلامين خلياه ورماه السلطان بسهم فأخطأ ولم يكن يخطئ سهمه فوثب يوسف يريده والسلطان على سريره فقام عنه وعثر فوقع فبرك عليه يوسف وضربه في خاصرته بسكين كانت معه وقتل الاتراك يوسف وقطعوه ونهض السلطان فدخل الى خيمة اخرى ومات السلطان من جراحته تلك بعد ايام وكان اهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر اجتمعوا وختموا ختمات وسألوا الله ان يكفيهم امره فاستجاب الله لهم ولما جرح السلطان قال ما من وجه قصدته وعدو اردته الا استعنت بالله تعالى عليه ولما كان امس صعدت على تل فارتجت الارض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي انا ملك الدنيا

ومايقدر احد على فجزنى الله تعالى باضعف خلقه وانا استغفرالله واستقيله من ذلك الخاطر
وتملك بعده ابنه ملكشاه وفى سنة سبع وستين واربعمائة توفى القائم بأمرالله وبويع
حفيده المقتدى بأمرالله وفى سنة ثمان وستين اخذت مدينة منبج من الروم ورجعت الى
الاسلام والذى انتزعها منهم نصر بن محمود بن مرداس

﴿ ذكر فتوح فى بلاد الهند ﴾

فى سنة اثنتين وسبعين واربعمائة غزا الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود سبكتكين صاحب
غزنة بلاد الهند فحصر قلعة اجور وهى على مائة وعشرين فرسخا من لهاور وهى قلعة
حصينة فى غاية الحصانة كبيرة تحوى عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبروا تحت
الحصر وزحف اليهم غير مرة فرأوا من شدة حربه ماملأ قلوبهم خوفا ورعبا فسلموا
القلعة اليه وفتح ايضا قلعة روبال وكانت على رأس جبل وليس لها طريق الا من مكان ضيق
مملوء بالفيلة والمقاتلة وبها من رجال الحرب الوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع والح عليهم بالقتال
بجميع انواع الحرب الى ان ملك القلعة واستنزلهم منها وكان فى موضع يقال له دره نوره اقوام
من الكفار لم يتعرض اليهم احد من الملوك فسار اليهم ابراهيم ودعاهم الى الاسلام اولا
فامتنعوا من اجابته وقاتلوه فظفر بهم واكثر القتل فيهم وتفرق من سلم منهم فى البلاد وسبى
واسترق من النسوان والصبيان مائة الف ثم قصد موضعا آخر يقال له وره فى طريقه عقبات
كثيرة واشجار ملتفة واهله كفار فقاتلهم ثلاثة اشهر الى ان نصره الله عليهم فقتل كثيرا
منهم وسبى وغنم وعاد سالما وكان ابراهيم بن مسعود بن محمود عاقلا ذا رأى متين فمن آرائه
ان السلطان ملكشاه السلجوقى جمع عساكره يريد قتال ابراهيم المذكور فى غزنة وينتزع
الملك منه ونزل باسفرار فكتب ابراهيم بن مسعود كتبا الى جماعة من اعيان امراء ملكشاه
يشكرهم ويعتذر اليهم بما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده ليتم لما ماستقر بيننا من الظفر به
وتخليصهم من يده ويعدهم الاحسان على ذلك وامر القاصد بالكتب ان يتعرض لملكشاه
فى الصيد ففعل ذلك فاخذ واحضر عند السلطان فسأله عن حاله فانكره فامر السلطان
بجلده فدفع الكتب اليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها تخيل على امرائه
وترك المسير الى ابراهيم وعاد الى بلده ولم يقل لاحد من امرائه فى هذا الامر شيأ خوفا
ان يستوحشوا منه ثم وقعت المكاتبة بينه وبين ابراهيم والمصافاة حتى زوج ابراهيم ابنه
مسعود بابنة ملكشاه

﴿ ذكر فتح انطاكية وانتزاعها من الروم ﴾

فى سنة سبع وسبعين واربعمائة سار سليمان بن قتلمش السلجوقى صاحب قونية الى الشام
فملك مدينة انطاكية وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة حصرها بعساكره
ونصب السلالم فصعدوا عليها واخذ البلد فقاتله اهل البلد فهزمهم مرة بعد اخرى وقتل
كثيرا من اهلها ثم اذعنوا له فعفى عنهم وتسلم القلعة واحسن الى الرعية ورجع سالما

﴿ ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة صقلية ﴾

فى سنة اربع وثمانين واربعمائة خرج الفرنج بجموع كثيرة وتملكوا جزيرة صقلية بعد حروب

كثيرة وكان ملوك المسلمين بصقلية لما ضعف امر الخلفاء قد تفرقوا ممالك صقلية وصارت كل جهة منها بيد ملك متغلب عليها مستبد لا يسأل عن غيره فصار الفرنج ينتزعون تلك الممالك منهم مملكة بعد مملكة الى ان لم يبق بايدى المسلمين قصريانة وجرجنت فحصرهما الفرنج فى سنة اربع وثمانين واربعمائة بجيوش كثيرة فكان من ذلك ذل المسلمين وتضييق شديد عليهم حتى اكلوا الاموات فلما اشتد الامر عليهم ادعنوا الى التسليم فتسلمهما الفرنج لعنهم الله تعالى فى السنة المذكورة فصارت الجزيرة كلها بايديهم وفى سنة خمس وثمانين توفى السلطان ملكشاه السلجوقى ووقع بين اولاده اختلاف وحروب كثيرة لطلب الملك وفى سنة سبع وثمانين واربعمائة توفى المقتدى بامر الله وبويع ابنه المستظهر بالله ثم ان الفرنج لما ملكوا صقلية بالتمام كان الملك عليهم رجار الفرنجى من ملوك ايطاليا ثم طمعوا فى تملك كثير من افريقية فخرجوا فى اسطول كبير وجم غفير من مشهورى فرسان الفرنج فحاصروا مدينة جربة ونزلوا بساحتها وادار والمراكب بجهاتها فاجتمع اهلها وقاتلوا قتالا شديداً فقتل منهم بشر كثير ثم انهزموا وملك الفرنج الجزيرة وغنموا اموالها وسبوا حريمها ونساءها وهلك اكثر رجالها ومن بقى منهم اخذوا لانفسهم امانا من صاحب صقلية وافتكوا اسراهم وسبيهم وحريمهم ثم بعد مدة سارت مراكب الفرنج من صقلية الى طرابلس الغرب فحصروها وعلقوا الكلاليب فى سور البلد ونقبوه ثم وصل جماعة من العرب نجدة لاهل البلد فقوى اهل البلد بهم فخرجوا الى الاسطول فحملوا عليهم حملة منكرة فانهزموا هزيمة فاحشة وقتل منهم خلق كثير ولحق الباقون بالاسطول وتركوا الاسلحة والاثقال والدواب والآلات فنهبها العرب واهل البلد ورجع الفرنج الى صقلية فجهزوا اسطولهم وتجهزوا الى المغرب فوصلوا الى جيجل فلما رآهم اهل البلد هربوا الى البرارى والجبال فدخلها الفرنج وسبوا من ادركوا فيها وهدموها واحرقوها واخربوا القصر الذى بناه الامير يحيى بن عبد العزيز بن حماد للنزهة ثم عادوا ثم جهزوا اسطولا كثيرا وسيروه الى طرابلس الغرب فاحاطوا بها براً وبحراً فخرج اليهم اهلها وانشبوا القتال فدامت الحرب بينهم ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع وقع اختلاف بين اهل طرابلس مع بعضهم آل الامر فيه الى قتال بعضهم بعضا فانتهز الفرصة الفرنج ونصبوا السلالم وطلعوا على السور واشتد القتال فملكت الفرنج البلد عنوة وقهرا بالسيف فسفكوا دماء اهلها وسبوا نساءهم واخذوا اموالهم وهرب من قدر على الهرب والتجا الى البربر والعرب ثم نودى بالامان فى كافة الناس فرجع كل من فر منها واقام الفرنج ستة اشهر حتى حصنوا سورها وحفروا خنادقها ولما رجعوا اخذوا رهائن من اهلها وولوا عليها رجلا من اهلها واخذوا رهائنه وحده واعادوا رهائن غيره واستقامت امور المدينة والزم ملكهم اهل صقلية والروم بالسفر اليها وعمرت سريعا ثم ان اهل قابس عصى اميرهم على الحسن بن على بن يحيى بن تميم امير افريقية وكاتب صاحب صقلية وبذل له الطاعة وقال له اريد منك خلعة وعهدا بولاية قابس لاكون نائبا عنك فسير اليه صاحب صقلية الخلعة والعهد فلبسها وقرئ العهد بمجمع من الناس فسمع بذلك الحسن امير افريقية فجهز عسكراً كثيراً فساروا الى قابس ونازلوها وحصروها وثار اهل البلد

بالامير الذى ملكها لصاحب صقلية وقبضوا عليه بعد قتال بينهم و بينه وسيروه الى امير افريقية فقتله بعد تعذيبه بأنواع العذاب من ذلك انهم قطعوا ذكره وجعلوه فى فيه وتولى على قابس معمر بن رشيد وهرب جماعة من اقارب الامير الاول الى صقلية وشكوا الى صاحب صقلية واستجاروا به فغضب لذلك فجهز اسطولا كثيراً بلغ نحو مائتين وخمسين شينياً مملوءة رجالا وسلاحاً وقوتاً وقصدوا المهدية وكان بها امير افريقية الحسن بن على وكان قد حصل بافريقية فى تلك السنين قحط وغلاء شديد حتى ان اكثر الناس فارقوا البلاد والقرى وساروا الى صقلية فلما علم الحسن بن على بمسير الفرنج اليه جمع الفقهاء والاعيان وشاورهم فى القتال فقالوا نقاتل عدونا فان بلدنا حصين فقال اخاف ان يحصر واناً وبحراً و يحولوا بيننا و بين الميرة وليس عندنا ما نقتات به شهراً فيؤخذ قهراً و انا أرى سلامة المسلمين من الاسر والقتل خيرا من الملك فالرأى ان نخرج بالاهل والولد ونسلم البلد فمن اراد أن يفعل ذلك فليبادر ثم امر فى الحال بالرحيل واخذ معه من حضره وماخف حمله وخرج ناس كثير معه بأهلهم واموالهم واولادهم ومن الناس من اختفى عند النصارى وفى الكنائس ثم دخل الفرنج البلد بلا ممانع ولا مدافع ووجدوا قصر الامير بحاله لم يأخذ الحسن منه الا ماخف من ذخائر الملوك وفيه جماعة من حظاياه ورأوا الخزائن مملوءة من الذخائر وكل شئ نفيس غريب يقل وجود مثله فختم الفرنج عليه وجمعوا سرارى الحسن من قصره ونهبت المدينة مقدار ساعتين ثم نادوا بالامان فخرج من كان مستخفياً وبعد جمعة رجع اهل البلد واما الحسن امير افريقية فانه سار الى ملك مراكش عبد المؤمن بن على فأكرمه واحسن نزله وبقى عنده مكرماً الى ان فتح المهدية عبد المؤمن بن على كما سيأتى ذكر ذلك ولما استقر الفرنج بالمهدية سيروا اسطولا الى سفاقس واسطولا الى مدينة سوسة واسطولا الى قابس فأما اهل سوسة فانهم لما سمعوا خبر المهدية وكان اميرهم على بن الحسن امير افريقية خرج على المذكور والتحق بأبيه الحسن وخرج الناس لخروجه ودخل الفرنج البلد بلا قتال و اما سفاقس فان اهلها اتاهم كثير من العرب فامتنعوا بهم فقاتلهم الفرنج فخرج اليهم اهل البلد فأظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم الناس حتى ابعدوا عن البلد ثم عطفوا عليهم فانهزم قوم الى البلد وقوم الى البرية وقتل منهم كثير ودخل الفرنج البلد فملكوه بعد قتال شديد وقتلى كثيرة واسر من بقى من الرجال وسبى الحريم ثم نودى بالامان فعاد اهلها اليها وافتكوا حريمهم وعملوا مثل ذلك بقابس وملكوها ثم سار الفرنج الى قلعة قليبة وهى قلعة حصينة فلما وصلوا اليها سمع بذلك العرب فاجتمع منهم خلق كثير وقاتلوا الفرنج حتى هزموهم وقتلوا من الفرنج خلقا كثيرا فرجعوا خاسرين الى المهدية ثم رجع الفرنج اليهم مرة اخرى وملكوها والحاصل ان الفرنج لما ملكوا صقلية تابعت اغاراتهم على افريقية فملكوا جزائر ومانطة وجربة وتطاوين وغير ذلك وصار للفرنج من طرابلس الغرب الى قريب تونس ومن الغرب الى القيروان وكانت هذه الوقائع متتابعة فى سنين وكان انتهاؤها سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وذكرناها متتابعة ليتصل بعضها ببعض وفى سنة اربع واربعين وخمسمائة حتلف ملك الفرنج صاحب صقلية وملك القسطنطينية وجرى

بينهما حروب كثيرة ودامت عدة سنين فاشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين ولولا ذلك لملك
صاحب صقلية جميع بلاد افريقية وكان القتال بينه وبين صاحب القسطنطينية برا وبحرا
والظفر في جميع ذلك لصاحب صقلية حتى دخل فم الميناء واخذ عدة شوان لصاحب
القسطنطينية واسر كثيرا من الروم ورمى الفرنج طاقات قصر الملك بالنشاب وكان الذي يفعل
هذا بالروم وبالمسلمين جرجي وزير صاحب صقلية ثم هلك جرجي ولم يكن عند صاحب صقلية
من يقوم مقامه فعقد صلحا مع صاحب القسطنطينية وسكنت الفتنة وفي سنة ثمان واربعين
وخمسمائة هلك رجار ملك صقلية وكان عمره قريبا من ثمانين سنة وملك بعده ولده غليالم
وكان فاسد التدبير وسلك طريقة ملوك الاسلام من الجنائب والحجاب وغير ذلك واسكن
في الجزيرة صقلية الفرنج مع انهم اكرموا المسلمين ومنعوهم من التعدي عليهم وقربوهم فخرج عن حكمه
عدة حصون من حصون صقلية وتعدى الامر الى افريقية فانه لما كانت سنة احدى وخمسين
وخمسمائة قوي طمع الناس فيه فخرج عن طاعته جزيرة جربة وجزيرة قرقنة واظهروا
الخلاف عليه وخالف عليه اهل افريقية منهم اهل سفاقس وقد كان ابوه رجار لما فتحها
استعمل عليها ابا الحسين الفرياني وكان من العلماء الصالحين فاظهر العجز والضعف وقال استعمل
ولدي فاستعمل ولده عمر بن ابي الحسين واخذ اباه رهينة الى صقلية فلما اراد المسير اليها قال لولده
عمراني كبير السن وقد قارب اجلي فمتى امكنتك الفرصة في الخلاف على العدو فافعل ولا تراقبهم
ولا تنظر الى انني اقتل واحسب انني قد مت فلما وجد الفرصة دعا اهل المدينة الى الخلاف وقال
يطلع جماعة منكم الى السور وجماعة تقصد مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم
كلهم فقالوا له ان سيدنا الشيخ والدك نخاف عليه قال هو امرني بهذا واذا قتل بالشيخ الوف
من الاعداء فما مات فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم ثم تبعه يحيى بن مطروح
بطرابلس وفعل مثل فعله وبعدهما محمد بن رشيد بقابس وسار عسكر عبد المؤمن الى بونة
فملكوها وخرج جميع افريقية عن حكم الفرنج ما عدا المهدية وسوسة وارسل عمر بن ابي الحسين
الى زويلة وهي مدينة بينها وبين المهدية نحو ميدان يحرضهم على الوثوب على من معهم فيها
من النصارى ففعلوا ذلك وقدم عرب البلاد الى زويلة فاعانوا اهلها على من بها من الفرنج
وقطعوا الميرة عن المهدية فلما اتصل الخبر بغليالم ملك صقلية احضر ابا الحسين والد عمر
صاحب سفاقس وعرفه ما عمل ابنه وامره ان يكتب اليه ينهاه عن ذلك ويأمره بالعود الى
طاعته ويخوفه عاقبة فعله فقال له من قدم على هذا لا يرجع بكتاب فارسل ملك صقلية
اليه رسولا يتهدده ويأمره بترك ما ارتكبه فلم يمكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك فلما كان الغد
خرج اهل البلد جميعهم ومعهم جنازة والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا وارسل عمر الى
الرسول يقول له هذا ابي قد دفنته وقد جلست للعزاء فاصنعوا به ما اردتم فعاد الرسول الى
غليالم فاخبره بما صنع عمر بن ابي الحسين فاخذ اباه وصلبه فلم يزل يذكر الله حتى مات واما اهل
زويلة فانهم كثر جمعهم بالعرب وباهل سفاقس وغيرهم فحصروا المهدية وضيقوا عليها
وكانت الاقوات بالمهدية قليلة فسير اليهم صاحب صقلية عشرين شينيا فيها الرجال والطعام
والسلاح فدخلوا البلد وارسلوا الى العرب وبذلوا لهم مالا لينهزموا وخرجوا من الغد

فاقتتلوا هم واهل زويلة فانهزمت العرب وبقي اهل زويلة واما اهل سفاقس فانهم ركبوا في البحر فنجوا وبقي اهل زويلة فحمل عليهم الفرنج فانهزموا الى زويلة فوجدوا ابوابها مغلقة فقاتلوا تحت السور وصبروا حتى قتل اكثرهم ولم ينج الا القليل فتفرقوا ومضى بعضهم الى عبد المؤمن فلما قتلوا من قتلوا هرب من سلم من الحرم والصبيان والشيوخ في البر ولم يعرجوا على شيء من اموالهم ودخل الفرنج زويلة فقتلوا من وجدوا فيها من النساء والاطفال ونهبوا الاموال واستقر الفرنج بالمهدية الى ان اخذها عبد المؤمن وسيأتي ان شاء الله ذكر ذلك هذا حاصل ما كان من الفرنج في افريقية واما ما كان منهم في هذه السنين في الديار الشامية فسيأتي في ذكره عند ذكر الحرب المسمى بحرب الصليب لكن ينبغي قبل ذلك ان نذكر بقية ما كان بالاندلس من الفتوحات والغزوات وما تبع ذلك ثم بعد اتمام ذلك نذكر حرب الصليب

﴿ اتمام الكلام على غزوات الاندلس وما يتبع ذلك ﴾

ذكر عجائب بلاد الاندلس

قد تقدم ذكر بعض غزوات الاندلس باختصار ولو بسط الكلام فيها لطال وبقي كثير من غزواتها واخبارها لم يذكر فينبغي تمام الكلام على ذلك تتميما للفائدة واكثر التواريخ لم يذكروا فيها كثيرا من اخبار الاندلس فصار المشهور المستفيض عند اكثر الناس اخبار غير الاندلس مع ان المسلمين كان لهم بالاندلس ملك عظيم وكانت لهم وقائع ومجامع واخبار عجيبة فينبغي ذكر كثير من ذلك وان كان في بعض تلك الاخبار زيادة على الغزوات والفتوحات التي لاجلها كان جمع هذا الكتاب لان ذكر ذلك يحصل به زيادة فائدة ولا يخل بمقصود الكتاب وقد تقدم ان الاندلس فتح في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة اثنتين وتسعين على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير بضم النون مصغرا والصاد المهملة وهو مولى عبد العزيز بن مروان والد عمر بن عبد العزيز وعبد العزيز هو اخو عبد الملك بن مروان والاندلس مشتمل على فحول العلماء المبرزين في كثير من الفنون ومشتمل على كثير من العجائب والمعادن وغير ذلك قال في نفح الطيب نقلا عن لسان الدين بن الخطيب خص الله بلاد الاندلس من الريع وغدق السقيا ولذاذة الاقوات وفراهة الحيوان ودرور الفواكه وكثرة المياه وتبحر العمران وجودة اللباس وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء وابيضاض الوان الانسان ونبل الاذهان وفنون الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ الادراك واحكام التمدن بما حرمه الكثير من الاقطار مما سواها اعادها الله للاسلام ببركة النبي عليه الصلاة والسلام وقال ايضا ان الاندلس بلد كريم البقعة طيب التربة خصب الجنان منبجس الانهار الغزار والعيون العذاب قليل الهوام وذوات السموم معتدل الهواء والجو والنسيم ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال وتوسط من الحال تتصل فواكهه اكثر الازمنة وتدوم متلاحقة غير مفقودة وفي نفح الطيب ان من الاندلس مدينة شنترة من خواصها ان القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي اربعين يوما من زراعته وان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة اشبار واكثر قال ابن اليسع قال لي ابو عبد الله الباكوري وكان ثقة ابصرت عند المعتمد بن عباد رجلا من اهل شنترة اهدى اليه اربعا من التفاح ما يقل الحامل على رأسه غيرها دور كل واحدة خمسة اشبار وفي الاندلس

ذكر اخبار ملوك الاندلس وكبيرهم

من انواع المعادن ما لا يحصى وفيه المدن الحصينة والمعاقل المنيعة والقلاع الحريزة والمصانع الجليلة وطول الاندلس ثلاثون يوماً وعرضه سبعة ايام ويشقها اربعون نهراً كباراً وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار واربعون وثلاثمائة من الوسط وفيها من القرى والحصون ما لا يحصى كثرة حتى قيل ان عدد القرى التي على نهر اشبيلية اثنا عشر الف قرية وقيل ان طول الاندلس اربعون يوماً وعرضه ثمانية عشر يوما واما طيب ثمار الاندلس فلا يعدله شيء في الدنيا قال بعض العلماء ان النصارى حرموا جنة الآخرة فأعطاهم الله جنة الدنيا يعني بذلك الاندلس وقال بعضهم ان المرية مدينة من مدائن الاندلس كان بها تسعمائة طراز للحرير ثمانمائة نول والحلل الغريبة والديباج له الف نول والاسقلاطون كذلك والثياب الجرجانية كذلك والاصبهانية كذلك وكان بها من الحمامات نحو الالف وانسع ملك الاندلس فيها وكانت دور قرطبة اربعة عشر ميلا وعرضها ميلان وعدد دور الرعايا الواجب على اهلها الميت داخل السور مائة الف دار وثلاثة عشر الف دار غير دور الوزراء واكابر الناس وعدة دور اهل الدولة ستة آلاف دار وثلاثمائة دار ومساجدها ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعون مسجداً وحماماتها سبعمائة وكانت قرطبة قبة الاسلام وبها استقر سرير الخلافة الاموية وهي معدن العلماء وهي من الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد ومسجدها ليس له نظير في الدنيا طوله ثلاثمائة وثلاثون ذراعاً وعرضه مائتان وخمسون ذراعا وسواريه الف واربعمائة وهو مزخرف بالرخام والمرمر وماء الذهب واللازورد وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية في كل واحدة منها منبر وفقيه مقلس تكون الفتيا في الاحكام اليه وكانوا لا يكون فيهم مقلس الامن حفظ الموطأ وقيل الامن حفظ عشرة آلاف حديث وحفظ المدونة وكان هؤلاء المقلسون المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه ويخبرونه بأحوال بلدهم ويصلون في مساجدهم بالناس الجمعة نيابة عنهم وتقدم ان ملوك بني امية الذين كانوا بالاندلس اول من ملك منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ويقال له عبد الرحمن الداخل كان ابتداء ملكه بالاندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة هرب من الشام مستخفياً حين كان ابتداء دولة بني العباس وكانوا يقتلون بني امية فلما كان بالاندلس تغلب على عمال بني العباس الذين كانوا بالاندلس وانتزعها منهم فكان له ملك ضخم وكان في عصر المنصور ثاني خلفاء بني العباس وكان المنصور يسميه صقر قريش قال المنصور يوماً لاصحابه اخبروني عن صقر قريش من هو قالوا امير المؤمنين يعنون المنصور الذي راض الملك وسكن الزلازل وحسم الادواء وأباد الاعداء قال ما قلتم شيئاً قالوا فمعاوية قال ولا هذا قالوا فعبد الملك ابن مروان قال ولا هذا قالوا فمن يا امير المؤمنين قال عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذي عبر البحر وقطع القفر ودخل بلدا اعجميا مفرداً فمصر الامصار وجند الاجناد ودون الدواوين واقام ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيمته ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذللا له صعبه وعبد الملك كان ببيعة له عقدها وامير المؤمنين يعني نفسه بطلب عترته واجتماع شيعته وعبد الرحمن منفرد بنفسه مؤيد برأيه مستصحب لعزمه اهـ وقد كانت مدة ملك عبد الرحمن الداخل ثنتين وثلاثين

سنة وجمعة اشهر توفي سنة اثنين وسبعين ومائة وعمره تسع وخمسون او ثمان وخمسون سنة ومن عقبه الخليفة عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ولي الملك سنة ثلاثمائة وتوفي سنة ثلاثمائة وخمسين واتسع الملك بالاندلس في مدته ومن اتساعه انه بني تجاه قرطبة مدينة سماها الزهراء لسكناه هي من عجائب الدنيا دالة على عظم قدر بانيها وانفق فيها من الاموال خمسة وسبعين مائة الف دينار وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر الف فتى وسبعمائة وخمسين فتى لهم من اللحم كل يوم ثلاثة عشر الف رطل غير انواع الطير والحوت وعدد النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار والخدم ستة آلاف وثلاثمائة واربعة عشر وعدد الصبيان الصقالبة ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبع وثمانون وقيل ستة آلاف وثمانمائة وثمانون والمرتب من الخبز لحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر الف خبزة وينقع لها من الحمص كل يوم ستة اقفز واما اوصاف مدينة الزهراء فانها طويلة ثم لما كثرت الفتن في الاندلس هدمت تلك المدينة ومن اعرب ما يحكى من الناصر انه اراد الفصد يوما فقعد في البهو الكبير المشرف على مدينة الزهراء واستدعى الطبيب لذلك فأخذ الطبيب الآلة وجس يد الناصر فبينما هو كذلك اذ أطل زرزور فصعد على اناء من ذهب في المجلس وأنشد ذلك الزرزور

* ايها الفاصد رفقا بأمير المؤمنينا ۞ انما تفصد عرقا فيه محيي العالمينا *

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فستظرف الناصر ذلك وسر به غاية السرور وسأل عمن اهتدى الى ذلك وعلم الزرزور فذكروا له ان ام ولده الحكم صنعت ذلك واعدته لذلك الامر فوهب لها ما ينيف على ثلاثين الف دينار وتقدم ان الناصر مكث في الملك خمسين سنة وكان اذا حصل له يوم كان مسرورا فيه بدون نكد وتكدير يكتبه فوجد ذلك مكتوبا بخطه فاذا هي اربعة عشر يوما في تلك الخمسين سنة وكان جده هشام بن عبد الرحمن الداخل يقتدي في سيرته بعمر بن عبد العزيز وكان يبعث بقوم من ثقاته يسألون الناس عن سيرة عماله ويخبرونه بحقائقهم فاذا انتهى اليه جور من احد من عماله اوقع به واسقطه وانصف منه ولم يستعمله ولما وصفه زياد بن عبد الرحمن للامام مالك رضي الله عنه قال نسأل الله ان يزين موسمنا بمثل هذا وفي رواية نسأل الله ان يزين حرمنا بملككم او كلاما هذا معناه فبلغ هشاما ما قاله مالك مع ما بلغه من جلالة مالك ودينه فحمل هشام الناس على مذهب مالك وكانوا قبل ذلك يأخذون بمذهب الاوزاعي فهشام هو السبب في انتشار مذهب الامام مالك بالمغرب وغزا هشام مدينة اربونة الشهيرة وافتتحها واشترط على المعاهدين من اهل جليقية ان ينقلوا عددا من احمال التراب من سور اربونة المفتتحة يحملونها الى باب القصر بقرطبة فبنى منه المسجد الذي قدام باب الجنان ومناقب هشام هذا كثيرة قال في العقد الفريد في وصفه هو احسن الناس وجها واشرفهم نفسا الكامل المروءة الحاكم بالكتاب والسنة الذي اخذ الزكاة على حلها ووضعها في حقها لم يعرف منه هفوة في حداثته ولا زلة في ايام صباه وكان يصر الصرر بالاموال في ليالي المطر والظلمة ويبعث بها الى المساجد فيعطي من وجد فيها يريد بذلك عمارة المساجد بالعلم والعبادة واوصى رجل في زمنه

ذكر ما انفق في بناء مدينة الملك الناصر

بمال فى فك سبية من ارض العدو فطلبت فلم توجد اسيرة احتراسا منه للثغر واستعدادا لاهل السبي وكان فى ايامه المنجم الضبي وكان مشهورا بكمال المعرفة فى علم النجوم فلما ولى هشام الملك سأله عن مدة ملكه فاخبره انه نحو ثمانية سنين فاطرق هشام ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ضبي ما احوفني ان يكون النذير كلمني بلسانك والله ان هذه المدة لو كانت فى سجدة لله تعالى لكانت قليلا فى طاعته ثم ازداد زهدا فى الدنيا وعملا للخير توفى سنة ثمانين ومائة وولى بعده ابنه الحكم بن هشام وكان الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل يشبه بابي جعفر المنصور من خلفاء بني العباس فى توطيد الدولة وشدة الملك وقمع الاعداء وغضب الحكم يوما على خادم له فامر بقطع يده وحضر عنده زياد بن عبد الرحمن فقال له زياد اصلح الله الامير ان مالكا حدثني فى خبر رفعه ان من كظم غيظا يقدر على انفاذه ملأه الله تعالى امنا وايمانا يوم القيامة فامر ان يمسك عن الخادم وان يعفى عنه ثم قال له آلله ان مالكا حدثك بهذا فقال زياد آلله ان مالكا حدثني بهذا ومما يحكى عن الحكم بن هشام ان عمه سعيد الخير بن عبد الرحمن الداخل كان له خصومة مع ابن بشير وكان مع سعيد الخير وثيقة فيها شهادات شهود من جملتهم الحكم بن هشام كان شهد بها قبل ان يصير خليفة فجاء عمه سعيد الخير يطلب منه اشهادة وهو خليفة فخشي ان القاضي يرد شهادته فارسل قبل ان يؤدي الشهادة ورقة يخبر بها القاضي يخبره بانه يشهد على ذلك القاضي ان يقبل فابى شهادته فلم يغضب من رد شهادته بل قال ان القاضي رجل صالح ولا تأخذه في الله لومة لائم ومن اخبار عبد الرحمن بن الحكم بن هشام انه اغضب جارية له طروب فهجرته وكان يحبها فارسل اليها يترضاها فابت واغلقت باب مجلسها فامرهم بسد الباب عليها من خارجه ببدر الدراهم ففعلوا وبنوا عليها بالبدر فاقبل حتى وقف بالباب وكلمها مترضيا راغبا فى المراجعة على ان لها جميع ما سد به الباب من البدر فاجابت وفتحت الباب فانهالت البدر فى بيتها فاكبت على رجله تقبلها وحازت المال وكانت تبرم الامور مع نصر الخصي فلا يرد شيأ تبرمه وخلف عبد الرحمن المذكور من الذكور مائة وخمسين ومن الاناث خمسين وكانوا يدعونه عبد الرحمن الاوسط ومن اخبار عبد الرحمن الناصر انه لما بنا الزهراء صنع له قبة خلوها وزخرفها وزينها بالذهب وصنع طعاما دعى اليه العلماء وجلس فى تلك القبة فلما حضر العلماء ومعهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي فلما رأى تلك القبة جعلت دموعه تتحادر على لحيته ثم قال والله يا امير المؤمنين ما ظننت ان الشيطان لعنه الله تعالى يبلغ منك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل الكافرين فانفعل عبد الرحمن الناصر لقوله وقال له انظر ما تقول وكيف انزلتني منزلتهم قال نعم أليس قال الله تعالى ولولا أن يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الآية فوجم الخليفة واطرق مليا ودموعه تتساقط خشوعا لله تعالى ثم اقبل على منذر فقال له جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيرا وعن الدين والمسلمين اجل جزائه وكثر فى الناس امثالك وامر بنقض سقف القبة الذي طلوه بالذهب واعادها على صفة ليس فيها ما ينكر عليه فيه وكان القاضي منذر بن سعيد ذا علم متين وذكاء رصين متفننا فى العلوم عاملا بعلمه ورعا زاهدا وكان خطيبا بليغا آية فى الوعظ لايسمع

احد وعظه الاخشع و بكى وكان حاضر الجواب قوى الحجة ذا منظر جميل وخلق حميد وتواضع لاهل الطلب وانحطاط اليهم واقبال عليهم وقد افردت ترجمته بالتأليف ولد رضى الله عنه سنة خمس وستين ومائتين وتوفى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وعمره تسعون سنة ولاه الناصر قضاء الجماعة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر الى ان توفى الناصر فابقاه فى قضاء الجماعة الحكم بن الناصر واستمر منذر المذكور فى القضاء الى ان توفاه الله سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فكانت مدة ولايته لقضاء الجماعة ست عشرة سنة وقضاء الجماعة عند اهل المغرب هو المعبر عنه عند اهل المشرق بقاضى القضاة وله رحمه الله تآليف منها كتاب احكام القرآن والناسخ والمنسوخ وغير ذلك من كتب الفقه وغيرها وقد تقدم ذكر غزو عبد الرحمن الناصر الجلالقة سنة ثمانية وثلاثمائة وانه وطئ بلادهم ودوخ ارضهم وفتح معاقلهم وخرب حصونهم ثم غزا بنبلونة سنة ثلاثمائة واثنى عشرة ودخل دار الحرب ودوخ البسائط وفتح المعاقل وخرب الحصون وافسد العمائر وجال فيها وتوغل فى قاصيتها والعدو يحاذيه فى الجبال والاوطار فلم يقدر العدو أن ينال منه بشئ ورجع سالما وقسم الغنائم ثم بعد مدة ثار عليه بعض المسلمين واستعان بالنصارى فظفر بذلك الثائر وقتله وقتل من كان معه من النصارى اهل البسيطة وسار اليهم وفتح ثلاثين من حصونهم وكان البشكنس ملكوا عليهم امرأة يقال لها طوطرة وانعقد بينه وبينهم صلح ثم نقضوا ذلك الصلح فغزا طوطرة ملكة البشكنس فى بنبلونة ودوخ ارضها واستباحها ورجع الى قرطبة ثم غزا الجلالقة سنة ٣٢٧ سبع وعشرين وثلاثمائة وسار اليهم بنفسه ونزل على دار مملكة الجلالقة وهى مدينة سمورة عليها سبعة اسوار من اعجب البنيان قد احكمته الملوك السابقة وبين الاسوار فصلات ومياه واسعة ففتح منها سورين وكان جيشه مائة الف اويزيدون واتفق مع ردمير ملك الجلالقة وكان معه جنود كثيرة من الفرنج وحصل القتال الشديد بين الفريقين فكان النصر فى اول الامر للمسلمين ثم رجع النصارى عليهم فحصل الانهزام للمسلمين وكتب الله الشهادة لكثير منهم وكان الذين قتلوا من المسلمين نحو خمسين الفا ثم والى عليهم الغزوات وصار يبعث الجيوش مع قواده وقتل منهم اضعاف ما قتلوا من المسلمين قبل ذلك وقد ذكر العلامة احمد بن عبد ربه الاندلسى فى كتابه المسمى بالعقد الفريد ثنتين وعشرين غزوة من غزواته ونظم كل غزوة منها فى منظومة من الرجز وكان معاصرا له قال واوطأ عساكر المسلمين من بلاد الفرنج مالم يطؤوه قبل ذلك فى ايام سلفه حتى اذعن له امم النصرانية واوفدوا اليه رسلهم وهدايا هم من رومة والقسطنطينية فى سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعن فى مرضاته ووصل الى سدته الملوك من اهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قشتالة و بنبلونة وما يليها من الثغور فقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مراكبه ثم سما ملكه فتملك سبتة وفاسا وغيرهما من بلاد المغرب وطار صيته وانتشر ذكره واطاعه بنوا دريس امراء العدوة وملوك زناتة والبربر حتى صار ملكه فى غاية الفخامة ورفعة الشان وتقدم ان مدة ملكه كانت خمسين سنة وانه توفى

سنة خمسين وثلاثمائة وبويع بعده ابنه الحكم المستنصر بالله فقام باعباء الملك اتم قيام
ولما توفي والده الناصر طمع الجلالقة في الثغور فغزاهم الحكم بنفسه وافتتح بلد فردلندين
فنازل شنب اشتبير وفتحها عنوة واستباحها وقفل فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا
عما كانوا فيه ثم اغزا غالبا مولاه وسار الى مدينة سالم ليتوصل منها الى دخول دار الحرب
فجمع له الجلالقة ولقيهم فهزمهم واستباحهم واثخن فيهم واوطأ العساكر بلد فردلندين
ودوخها وكان البشكنس قد انتقض فاغزاه الحكم صاحب سرقسطة في العساكر وجاء
ملك الجلالقة لنصر البشكنس فهزمهم فامتنعوا بقورية وعاثوا في نواحيها ثم اغزا الحكم
ابن يعلى ويحيى بن محمد التجيبي الى بلاد برشلونة فعاثت العساكر في نواحيها واغزى
هذيل بن هاشم ومولاه غالبا الى بلاد القوص فعاثا فيها وقفلا وعظمت فتوحات
الحكم وقواد الثغور في كل ناحية وكان من اعظمها فتح قلهرية من بلاد البشكنس على يد
غالب مولاه ثم عمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح بعض عمالة قطونية وغنم فيها من الاموال
والسلاح والاقوات والاثاث والغنم والبقر والرمك والاطعمة والسبي ما لا يحصى كان كل
ذلك في اقرب الزمن وفي سنة اربع وخمسين وثلاثمائة جهز جيشا مع مولاه غالب الى بلد
البة ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف فدوخوا بلادهم ورجعوا غانمين وفي هذه السنة
ظهرت مراكب المجوس في البحر الكبير فافسدوا ببسائط اشبونة من الاندلس وناشبهم الناس
القتال واخرج الحكم القواد لاحتراس السواحل ثم جاءت الاخبار بان العساكر
نالت منهم من كل جهة فرجعوا الى مراكبهم ثم كانت وفادة اردون ابن ادفونش ملك
الجلالقة يتوقع مظاهرة الحكم مستجيرا به من ابن عم له خرج عليه فاكرمه الحكم ووعده
النصر من عدوه وخلع عليه ثم بعث ابن عمه ايضا يطلب البيعة والدخول في الطاعة
فتقبل بيعتهم على شروط ثم بعث ملك برشلونة وملك طركونة وغيرهما من ملوك الفرنج
كلهم يطلبون المعاهدة والدخول في طاعة الحكم وبعثوا بهدايا جزيلة فتقبلهم الحكم وعقد
لهم الصلح والبيعة وشرط عليهم ان يهدموا الحصون التي تضر بثغور المسلمين وان لا يظاهروا
عليه اهل ملتهم وان ينذروا بما يكون من النصارى في الاجلاب على المسلمين ثم وصلت رسل
غرسية ملك بشكنس يسألون الصلح والدخول في الطاعة والبيعة فعقد لهم فاغتبطوا ورجعوا
ثم وصلت ام لذريق وهو القومس الاكبر فاحتفل لقدومها فعقدت السلم لابنها فرجعت وصنع
لقدوم هؤلاء الملوك عليه احتفالات ومواكب فيها اظهار عز الاسلام يطول الكلام بذكرها
وكلها مذكورة في التواريخ وكانوا عند دخولهم على الحكم يكشفون رؤسهم ويخلعون
برانطهم اعظاما له ويقبلون يده ويقول كل واحد منهم انا عبد امير المؤمنين واذا قام كل
واحد منهم للانصراف يكون متقهقرا لا يولي الخليفة ظهره تعظيما له ويعلنون له
بالدعاء وكان الحكم عالما نبيلا اقام للعلماء والعلم سوقا نافقا واجتمع عنده من خزائن
الكتب ما لم يجمعه احد من الملوك قبله قال ابن حزم ان عدد الفهرست التي فيها اسماء بعض
الكتب اربع واربعون فهرستو في كل فهرست عشرون ورقة ليس فيها الا اسماء
الدواوين واما غير الدواوين من سائر فنون العلوم فشيء كثير قيل ان كتبه كلها

كانت اربعمائة الف مجلد وقلما يوجد كتاب منها الا وله فيه قراءة ونظر ومكتوب على هوامشه خطه ولما الف ابو الفرج الاصفهاني كتابه المسمى بالاغانى بعث الحكم نسخة فاجازه بالف دينار تولى الحكم سنة ست وستين وثلاثمائة ومدة ملكه ست عشرة سنة وخلف ابنه هشام المؤيد وكان صغيرا عمره تسع سنين وكان جعله ولى عهده واستوزر له محمد ابن ابى عامر الملقب بالمنصور المعافرى ومعافر بطن من حمير وكان يخدم ام هشام المؤيد ثم ترقى الى ان ولاه الحكم قضاء بعض المواضع فظهرت نجابته ثم ترقى الى أن ولاه الزكاة والمواريث ثم استوزره لابنه فحجب الخليفة هشاما المؤيد وباشر الوزير المذكور تدبير الملك بنفسه وله صفات جيدة مذكورة فى التواريخ ومفردة بالتأليف وجاشت الروم فى اول ولاية هشام فجهز عليهم الوزير المذكور جيوشا له لدفاعهم فنصره الله عليهم فتمكن حبه من قلوب الناس خاصتهم وعامتهم واستجلب الناس بكرمه وحسن اخلاقه فانتشر صيته واعلى مراتب العلماء وقمع اهل البدع واوسع الجند فى العطاء وكان ذا عقل ورأى وشجاعة وكرم وبصيرة بالحروب ودين متين وكان عالما متفننا وسيرة هذا الوزير وهو منصور بن ابى عامر طويلة مذكورة فى التواريخ وأباد المتغلبين على الخلافة المارقين عن الطاعة وكرر الغزو والجهاد واستبد فى جميع الامور بحيث لم يبق ذكر لاحد من رجال الدولة ولا من اولاد الخلفاء بل الذكر والتصرف كله له وحده والخليفة محجور عليه واستمر على ذلك سبعا وعشرين سنة وكان يغزو كل سنة غزوتين غزوة فى الصيف وغزوة فى الشتاء قال فى نفح الطيب ان المنصور بن ابى عامر غرس بلاد الشرك اعظم غرس ومحا من طواغيتها كل متعرف ومعترس وغادرهم صرعى فى القفاع وتركهم اذل من وتد بقاع

﴿ ذكر غزوة من غزواته ﴾

سبب هذه الغزوة أن احد رسله سار فى بعض مسيراته الى غرسية ملك البشكنس ابن شانجة فوالى فى اكرامه وتناهى فى بره واحترامه وطالت اقامته عنده فلا متنزه الامر عليه متفرجا ولا منزل الاسار اليه معرجا فحل مرة اكبر الكنائس هنالك فبينما هو يجول فى ساحتها ويجيل العين فى ساحتها اذ عرضت له امرأة قديمة الاسر قويمة على طول الكسر فكلمته وعرفته بنفسها وقالت له ارضى المنصور ان يتنعم بلبوس العافية ولى سنين مأسورة مختبئة وناشدته الله ان يبلغ المنصور خبرها فلما رجع الى المنصور عرفه بما يجب تعريفه وهو مصغ اليه حتى تم كلامه فلما فرغ قال له المنصور هل وقفت هنالك على امر انكرته ام لم تقف على غير ما ذكرته فتذكر امر المرأة المأسورة فاعلمه بقصتها فلامه على ان لم يبدأ به كلامه ثم اخذ للتجهز للجهاد من فوره فلما تم جهازه وتكاملت جنوده سار حتى وافى ابن شانجة فاخذت هيبته بسمعه وبصره فبادر بالكتاب اليه ليتعرف ما جلبه ويحلف انه ما جنى ذنبا ولا جفا عن منهج الطاعة فعنف المنصور رسل شانجة وقال لهم قد كان عاقدنى على انه لا يبقى ببلاده مأسورة ولا مأسور ولو بعثه الى حواصل الطيور وقد بلغنى بقاء فلانة المسلمة فى تلك الكنيسة والله لا انتهى عن ارضه حتى اكتسحها فرجعوا الى شانجة واخبروه فارسل المرأة ومعها امرأتان اخريان واقسم

انه ما ابصرهن ولا سمع بهن قبل ذلك واعلمه ان تلك الكنيسة قد بالغ فى هدمها تحقيقا لقوله وتضرع اليه فى الاخذ بيده بطوله فاستحى منه وصرف الجيش عنه واوصل المرأة ومن معها الى نفسه والحق توحشهن بانسه واوصلها الى اهلها ورجع من غزوته وكان الخليفة هشام لا يراه خاص وعام ولا يخاف منه باس ولا يرجى منه انعام واغنى الناس عنه وازال اطماعهم منه وصيرهم لا يعرفونه وامرهم لا يذكرونه ولا يعهد فيه الا الاسم السلطانى فى السكة التى يتعامل الناس بها والدعوة على المنابر وربما اركبه فى بعض السنين وجعل عليه برنسا وركب معه بعض جواريه ويحمل عليهن مثل ما عليه فلا يعرف من بينهن ويأمر من ينحى الناس عن طريقه حتى ينتهى الى موضع تنزهه ثم يعود واخذ فى اغتيال من يخشى منه خوفا من ان يثوروا به وكانت غزواته نحو الخمسين يطول الكلام بذكرها وكلها كانت من مفاخر الاسلام حتى اشتدت هيبته فى قلوب الكفرة اللئام ومما يحكى مما كان فى بعض غزواته ان بعض الاجناد نسى رايته مركوزة على جبل بقرب احدى مدائن الروم فاقامت عدة ايام لا يعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العسكر وهذا مما يفتخر به اهل التوحيد على اهل التثليث لانهم لما اشربت قلوبهم الخوف من المنصور وعلم كل من ملوكهم انه لا طاقة له بحربه لجئوا الى الفرار وتحصنوا بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف من بعد والاطلاع ومن مفاخر المنصور فى بعض غزواته انه مر بين جبلين عظيمين فى طريق ضيق بوسط بلاد الفرنج فلما جاوز ذلك المحل وهو آخذ فى التحريق والتخريب والغارات والسبى يمينا وشمالا لم يجسر احد من الافرنج على لقائه حتى اقفرت البلاد مسافة ايام ثم عاد من ذلك الطريق فوجد الافرنج قد استجاشوا من ورائهم وضبطوا ذلك المحل الضيق الذى بين الجبلين وكان الوقت شتاء فلما رأى ما فعلوه رجع واختار منزلا من بلادهم لجيشه ونزل به فيمن معه من العساكر وامرهم ببناء دور ومنازل وان يجمعوا آلات الحرث ونحوها ليعلم الفرنج انه اراد الاقامة بارضهم وبث سراياه فسبت وغنمت فلما طال البلاء على العدو ارسلوا اليه فى طلب الصلح وان يخرج بغير اسرى ولا غنائم فامتنع من ذلك فلم تزل رسلهم تتردد اليه حتى سألوه ان يخرج بغنائمه واسراه فاجابهم ان اصحابى قد ابوا ان يخرجوا وقالوا انا لا نكاد ان نصل الى بلادنا الا وقد جاء وقت الغزوة الاخرى فنقعد ههنا الى وقت الغزوة الاخرى فاذا غزونا عدنا فازال الفرنج يسألونه أن يرتحل الى ان قرر عليهم ان يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم والسبى وان يمدوه بالميرة حتى يصل الى بلاده وان ينحوا جيف القتلى عن طريقه بانفسهم ففعلوا ذلك كله وانصرف عنهم ولعمرى ان هذا العز ما وراءه مطمع ونصر لا يكاد الزمان يجود بمثله ويسمح خصوصا ازالتهم جيف قتلاهم عن الطريق وقد تقدم ذكر هذه الغزوة مختصرا فاعادتها لا تخلوا من فائدة

﴿ خبر عجيب من اخبار المنصور ﴾

ومن اخبار المنصور بن ابى عامر انه قدم عليه رسول ملك الروم الذى هو اعظم ملوكهم فى ذلك الزمان وكان قصد ملك الروم من ارساله اياه ان يطلع على احوال المسلمين وقوتهم

فلما علم المنصور به قبل وصوله امر ان يغرس نيلوفر كثير عند بركة عظيمة فى بستان من بساتينه ثم امر باربعة قناطير من الذهب واربعة من الفضة فسبكت قطعا صغارا على قدر ماتسع النيلوفر ثم ملاء بها جميع النيلوفر الذى عند البركة فلما جاء رسول ملك الروم اليه لحضر عنده قبل الفجر فى مجلسه السامى فى موضعه المسمى بالزاهرة المشرف على موضع البركة فلما قرب طلوع الفجر جاء الف من الصقالبة عليهم اقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة وبيد خمسمائة منهم اطباق من الذهب وبيد خمسمائة اطباق من الفضة فتعجب الرسول من حسن صورهم وجمال هيئتهم ولم يدر ما المراد فحين اشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة فبادروا لاخذ الذهب والفضة من النيلوفر وصاروا يجتنونه كما يجتنى الثمر من الشجر وكانوا يجعلون الذهب فى اطباق الفضة والفضة فى اطباق الذهب حتى التقطوا جميع ذلك وجاؤا به فوضعوه بين يدى المنصور حتى صار كوما بين يديه فتعجب رسول ملك الروم من ذلك واعظمه وظن ان ذلك ثمر ذلك الشجر فطلب المهادنة من المسلمين وذهب مسرعا الى مرسله وقال له لاتعاد هؤلاء القوم فانى رأيت الارض تخدمه بكنوزها وهذه القصة من الغرائب وانها لحيلة عجيبة فى اظهار عز الاسلام واهله وكان المنصور بن ابى عامر آية من آيات الله سبحانه وتعالى فى السعد ونصرة الاسلام

﴿ غزوة اخرى من غزواته ﴾

سبب هذه الغزوة انه لقيته امرأة حين رجع من بعض غزواته فقالت له يامنصور استمع ندائى فانت فى طيب عيشك وانا فى بكائى فسألها عن مصيبتها فذكرت ان لها ابنا أسيرا فى بلاد سمتها له واخبرته انها لا يهنأ عيشها لفقده فرحب المنصور بها واظهر الرقة بسببها وأمر بالتجهز الى الغزو وسار بجيوشه حتى بلغ تلك البلاد التى سمتها له وفيها ابنها فجاسوا أقطار تلك الديار وتخللها قتلا وأسرا ونهبا وتخريبا حتى دوخها حتى خلص ابنها وجميع من كان هناك من الاسرى ورجع مظفرا منصورا فهكذا تكون الهمة السلطانية والنجدة الايمانية ومن مناقبه التى لم تكن لغيره من الملوك أن اكثر جنده من السبي الذى كان يأخذه من العدو ومن محاسن اخباره انه خط بيده مصحفا كان يحمله معه فى اسفاره يقرأ فيه ومن قوة رجائه انه اعتنى بجمع ماعلق بوجهه من الغبار فى غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه منه بالمناديل فى كل منزل من منازله حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد اليهم ان يجعلوه فى حنوطه فكان كذلك وكان يحمل تلك الصرة حيث سار ومن اوضح الدلائل على سعده انه لم ينهزم فى حرب قط وما انصرف من موطن الا قاهرا غالبا على كثرة ما زاول من الحروب قيل له مرة ان فلانا مشوم فلا تستخدمه فقال اف لسعد لا يغطى على شومه فاستخدمه ولم ينله من شؤمه الذى به جرت العادة شئ

﴿ ذكر غزوة اخرى من غزواته ﴾

من غزواته المشهورة غزوة مدينة شنت ياقب وهى قاصية غليسية واعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الاندلس ومايتصل به من الارض الكبيرة وكانت كنيستها عندهم بمنزلة

(الكعبة)

الكعبة عندنا والكعبة المثل الاعلى فيها يحلفون واليها يحجون من اقصى بلاد رومة وما وراءها ويزعمون ان القبر المزور فيها قبر ياقب الحوارى احد الاثنى عشرة الحوار يين وكان اخصهم بعيسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام وهم يسمونه اخاه للزومه اياه وياقب بلسانهم يعقوب وكان اسقفا ببيت المقدس ثم خرج يستقرى الارض داعيا الى الله لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصية ثم عاد الى الشام فمات بها وعمره مائة وعشرون سنة فاحتمل اصحابه جثته فدفنوه بهذه الكنيسة ولم يطمع احد من ملوك الاسلام فى قصدها والوصول اليها لصعوبة مدخلها وحشونة مكانها وبعد مشقتها فخرج المنصور اليها من قرطبة غازيا بالصائفة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة لست بقين من جمادى الاخرة ودخل على مدينة قورية فلما وصل الى مدينة غليسية وافاه عدد عظيم من القوامس المتمكنين فى الطاعة فصاروا فى عسكر المسلمين وكان المنصور امر بانشاء اسطول كبير فى الموضع المعروف بقصر ابى دانس من ساحل غرب الاندلس وجهزه برجاله وحمل فى الاسطول الاقوات والعدة والسلاح استظهارا على نفوذ العزيمة الى ان خرج ذلك الاسطول بموضع وتقال على نهر دويره فدخل فى النهر الى المكان الذى عينه لهم المنصور للعبور منه فعقد هنالك جسرا بقرب الحصن وجعله يتصل بالاسطول فوجه بما كان فيه من الميرة الى الحصن ثم مده الى الجند فتوسعوا فى التزود منه الى ارض العدو ثم نهض منه يريد شنت ياقب فقطع ارضين متباعدة الاقطار وقطع عدة انهار كبار وخلجان يمدها البحر الاخضر ثم افضى العسكر بعد ذلك الى بسائط جليلة من بلاد فرطارس وما يتصل بها ثم افضى الى جبل شامخ شديد الوعر لامسلك فيه ولا طريق ولم يهتد الادلاء الى سواه فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه حتى قطعه العسكر وعبروا بعده وادى منية وانبسط المسلمون بعد ذلك فى بسائط عريضة وارضين واسعة وانتهت مغيرتهم الى دير قشان وبسيط بلنبو على البحر المحيط وفتحوا حصن شنت بلاية وغنموه وعبروا بساحته الى جزيرة من البحر المحيط لجأ اليها خلق عظيم من اهل تلك النواحى فسبوا من فيها ممن لجأ اليها وانتهى العسكر الى جبل مراسية المتصل من اكثر جهاته بالبحر المحيط فتخللوا اقطاره واستخرجوا من كان فيه وحازوا غنائمه ثم اجاز المسلمون بعد هذا خليجا فى معبر ارشد الادلاء عليه ثم نهر ابلة ثم افضوا الى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ثم انتهوا الى موضع من مشاهد ياقب صاحب القبر تلو مشهد قبره عند النصارى فى الفضل يقصد نساكهم اليه من اقاصى بلادهم ومن بلاد القبط والنوبة وغيرهما فغادره المسلمون قاعا صفصفا ثم كان النزول بعده على شنت ياقب وذلك يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شعبان فوجدها المسلمون خالية من اهلها فحاز المسلمون غنائمها وهدموا مصانعها واسوارها وكنيستها وعفوا آثارها ووكل المنصور بقبر ياقب من يحفظه ويدفع الاذى عنه وكانت مصانعها بديعة محكمة فغودرت هشيما كان لم تغن بالامس ونسفت بعد ذلك سائر البسائط وانتهت الجيوش الى مدينة شنت مانكش منقطع هذا الصقع على البحر المحيط وهى غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ولا وطئها لغير اهلها قدم فلم يكن بعدها للخيل مجال ولا وراءها انتقال وانكفأ المنصور عن باب

شنت ياقب وقد بلغ غاية لم يبلغها قبله مسلم بجل في طريقه وهو راجع القصد على عمل برمند بن اردون تعيش جيوشه في عمله تخربه وتفسده حتى وقع في عمل القوامس المعاهدين الذين كانوا معه في عسكره فأمر بالكف عنها ومر مجتازا حتى خرج على حصن بليقية فاجاز هنالك القوامس الذين كانوا معه واكرمهم على اقدارهم وكساهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بليقية وكان مبلغ ما كساه في غزاته هذه ملوك الروم ولمن حسن غناؤه من المسلمين الفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازى واحدى وعشرين كساء من صوف البحر وكسائين عنبريين واحد عشر سقلاطونا وخمسة عشر مرشيا وسبعة انماط ديباج وثوبي ديباج رومى وفروة فنك ووافى قرطبة بجميع العساكر سالما غانما وعظمت المنة على المسلمين ولم يجد بشنت ياقب الا شيخا من ارهبان جالسا على القبر فسأله عن مقامه فقال اونس يعقوب فأمر بالكف عنه

﴿ غزوة اخرى من غزواته ﴾

سبب هذه الغزوة ان جماعة من صنهاجة وهم من البربر قدموا على المنصور بن ابى عامر من المغرب سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة فنزلوا عليه بقرطبة فاكرمهم واجرى عليهم الوظائف وسألهم عن سبب انتقالهم من افريقية الى الاندلس فقالوا انما اخترناك على غيرك واحببنا ان نكون معك نجاهد في سبيل الله تعالى فاستحسن ذلك منهم ووعدهم ووصلهم فأقاموا اياماً ثم دخلوا عليه وسألوه اتمام ما وعدهم به من الغزو فقال انظروا ما اردتم من الجند لأجل ان نعطيكم فقالوا انما يدخل معنا بلاد العدو غيرنا الا الذين معنا من بنى عمنا ومن بقية صنهاجة وموالينا فأعطاهم الخيل والسلاح والاموال وبعث معهم دليلا وكان الطريق ضيقاً فأتوا ارض جليقية فدخلوها ليلا وكمنوا في بستان بالقرب من المدينة وقتلوا كل من به وقطعوا اشجاره فلما اصبحوا خرج جماعة من البلد فضربوا عليهم واخذوا جميع الخارجين وقتلوهم جميعهم ورجعوا فتسامع العدو فركبوا في اثرهم فلما احسوا بذلك كمنوا وراء ربوة فلما جاوزهم العدو خرجوا عليهم من ورائهم وضربوا في ساقتهم وكبروا فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا ان العدو كثيرا فانهزموا وتبعهم صنهاجة فقتلوا خلقاً كثيراً وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا الى قرطبة فعظم ذلك عند ابن ابى عامر ورأى من شجاعتهم ما لم ير من جند الاندلس فأحسن اليهم وجعلهم بطاعته فلما رأى اهل الاندلس فعل صنهاجة حسدوهم ورغبوا في الجهاد فقالوا للمنصور بن ابى عامر لقد نشطنا هؤلاء للغزو فجمع الجيوش الكثيرة من سائر الاقطار وخرج الى الجهاد بنفسه وكان رأى في المنام تلك الليلة كان رجلا اعطاه الاسبراج وهو اسم لنبت فأخذه من يده واكل منه فعبره على ابن ابى جمعة فقال له اخرج الى بلد اليون فأنك ستفتحها فقال من اين اخذت هذا فقال لان الاسبراج يقال له في المشرق الهليون كبرذون فلك الرؤيا قال لك هاليون فخرج بتلك الجيوش ونازلها وهي من اعظم مدائنهم واستمد اهلها الفرنج فأمدوهم بجنود كثيرة واقتتلوا ليلا ونهاراً فكثر القتل في الفرنج وصبرت صنهاجة صبراً عظيماً ثم خرج قومص

كبير من الفرنج لم يكن لهم مثله فخرج بين الصفوف وطلب البراز فبرز اليه حلالة بن زيري الصنهاجي فحمل كل منهم على صاحبه فطعنه الفرنجي فمال عن الطعنة وضرب الفرنجي بالسيف على عاتقه فسقط الفرنجي الى الارض وحمل المسلمون على النصارى فانهزموا الى بلادهم وقتل منهم مالا يحصى وملك المدينة وغنم ابن ابي عامر غنيمة عظيمة لم ير مثلها واجتمع من السبي ثلاثون الفاً وامر بالقتلى فنضد بعضها على بعض وامر مؤذنا فأذن فوق القتلى المغرب وخرب مدينة قامرنة ورجع سالماً هو وعساكره قال في نفح الطيب وانتهت هيبة المنصور ابن ابي عامر وضبطه الجند الى غاية لم يصلها ملك قبله فكانت مواقفهم في الميدان على احتفاله مثلا في الاطراق حتى ان الخيل لتتمثل في الاطراق مثل فرسانها فلا تكثر الصهيل والحمحمة ولقد وقعت عينه مرة على بارقة سيف قد سله بعض الجند اقصى الميدان لهزل او جد بحيث ظن ان لحظ المنصور لا يناله فقال علي بشاهر السيف فمثل بين يديه لوقته فقال ماحملك على ان شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه الا عن اذن فقال اني اشرت به الى صاحبي مغمداً فزلق من غمده فقال ان مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وامر به فضربت عنقه بسيفه وطيف برأسه ونودي عليه بذنبه وذكر ايضاً ان المنصور كان به داء في رجله واحتاج فيه الى الكي فامر الذي يكويه ان يكويه وهو قاعد في موضع مشرف على اهل مملكته فجعل يأمر وينهى ويتصرف في اموره ورجله تكوى والناس لا يشعرون حتى شموا رائحة الجلد واللحم وهو غير مكترث بذلك فتعجب الناس من ذلك وذكر في نفح الطيب كثيراً من اخباره في الكرم والعفو والحلم وحسن الخلق ثم قال واخبار المنصور تحتمل مجلدات فلنمسك العنان توفي المنصور بن ابي عامر في غزوة للافرنج في شهر صفر سنة ثلاثمائة واثنين وتسعين بعد ان لم تسع وعشرين سنة من ملكه وقام بالامر بعده ابناه عبد الملك وعبد الرحمن واحدا بعد واحد فقام بالامر اولا ابنه عبد الملك فجرى على سنن ابيه في السياسة والغزو وكانت ايامه اعيادا دامت مدة سبع سنين ثم قام بالامر بعده الابن الآخر عبد الرحمن وجرى على سنن ابيه واخيه في الحجر على الخليفة هشام والاستبداد عليه ثم بدا له رأي في الاستبداد بالمملكة فطلب ان هشاما يجعله ولي عهده فاجابه لذلك لتغلبه عليه واحضر لذلك ارباب الشورى واهل الحل والعقد وكتب عهده بذلك فقرئ في ذلك المجمع وكتب القضاة والوزراء وسائر الناس شهاداتهم بخطوطهم ثم سعى كثير من الامويين وغيرهم في نقضه واثاروا لذلك فتنة الى ان قتلوا عبد الرحمن سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ثم خلعوا الخليفة هشاما وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار بن امير المؤمنين الناصر ثم اعيد هشام ثم فقد سنة ثلاث واربعمائة وقيل قتل وثار من ذلك فتن كثيرة يطول الكلام بذكرها آل الامر فيها الى زوال ملكهم وافتراق كلمتهم وكل يوم يخلعون خليفة ويبايعون آخر ثم صار في كل مملكة خليفة يدعى امير المؤمنين وتبدد شمل الجماعة بالاندلس ثم صار الملك في طوائف متغلبين في كل ناحية ملك مستقل متغلب ولا حاجة بنا الى ذكر اسمائهم وعند ذلك استفحل امر النصارى وصاروا يتغلبون على ممالك الاندلس ويملكونها قطرا بعد قطر وناحية بعد ناحية وصار ملوك الطوائف لا يسأل بعضهم عن بعض ولا يحامي ولا يدافع الا عن نفسه وربما تقاتلوا مع بعضهم وتغلب بعضهم على البعض

﴿ ذكر اول مدينة تملكها الطاغية ﴾

اول مدينة تملكها الطاغية بلنسية سنة ست وخمسين واربعمائة وتعرف هذه الوقعة بوقعة بطرنة اسم موضع هناك وذلك ان الافرنج خذلهم الله تعالى انتدبت منهم قطعة كثيفة ونزلت على بلنسية في السنة المذكورة واهلها جاهلون بالحرب معرضون عن امر الطعن والضرب مقبلون على لذات الاكل والشرب ولما نازلها لفرنج اظهروا لاهلها التندم على منازلتها والضعف عن مقاومة من فيها وخدعوهم بذلك فانخدعوا واطمعوهم فطمعوا وكان المتغلب على تملكها من ملوك الطوائف عبد العزيز بن ابي عامر المعافري ثم ان العدو جعل في مواضع خارج المدينة كمناء وجماعة من الفرسان فظن اهل البلدان ان العدو تفرق وارتحل عنهم فخرجوا في زينتهم ومعهم اميرهم فصبر العدو لهم استدراجا ومكرا حتى خرج الناس كانهم في عيد فخرج عليهم الكمناء وعطفوا عليهم بالقتل والاسر حتى استأصلوهم وما نجا منهم الامن بقى اجله وخلص الامير نفسه واستولى العدو على بلنسية وكانت بلنسية في شرق الاندلس وكان في شرق الاندلس من المدائن العظيمة بلنسية ومرسية وتطيلة وسرقسطة ولاردة ودانية والسهلة والثغر الاعلى ولكل واحدة من هذه اعمال واسعة وكان ابو ايوب سليمان ابن محمد بن هود الجذامي ملكا مستبدا بمدينة تطيلة ثم ملك سرقسطة والثغر الاعلى وبلنسية ولاردة ودانية والسهلة فكان استيلاء العدو اولا على بلنسية في السنة المذكورة وسيأتي ذكر رجوعها للمسلمين ثم استرجاع النصارى اياها مرة اخرى

﴿ ذكر تملك العدو بربشتر وسرقسطة وذلك قصبة برطانية ﴾

من الممالك التي في شرق الاندلس بربشتر وسرقسطة والثغر الاعلى ومدينة تطيلة ومرسية وبلنسية وغير ذلك والمتغلبون عليها من ملوك الطوايف بنو سليمان بن محمد بن هود الجذامي من سنة احدى وثلاثين واربعمائة وكان قبلهم متغلبا عليها بنو منذر بن مطرق التجيبي فانتزعها منهم بنو هود في السنة المذكورة فلما كانت سنة ست وخمسين واربعمائة نازلها جيش الاردمليش وحاصرها وقصر الامير يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها ووكل اهلها الى نفوسهم فاقام العدو عليها اربعين يوما ووقع فيما بين اهلها تنازع في القوت لقلته واتصل الخبر بالعدو فشدد القتال عليها والحصر لها وكان لها مدينتان فدخل المدينة الاولى خمسة الاف مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وجرت بينهم حروب شديدة فقتل فيها خمسمائة افرنجي ثم اتفق ان القناة التي كان الماء يجري فيها من النهر الى المدينة تحت الارض في سرب موزون فانهارت القناة وفسدت ووقع فيها صخرة عظيمة سدت السرب باسره فانقطع الماء عن المدينة ويئس من بها من الحياة فلاذوا بطلب الامان على انفسهم خاصة دون مال وعيال فاعطاهم العدو الامان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع الا القائد ابن الطويل والقاضي ابن عيسى ومعهما نفر من الوجوه وحصل للعدو من الاموال والامتعة ما لا يحصى حتى ان الذي خص بعض مقدمي العدو الف وخمسمائة جارية ابكارا ومن اوقار الحلي والكسوة ما يحمل خمسمائة جمل وقدر القتلى والاسرى مائة الف نفس ومن نوادر ما جرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه ان المرأة كانت

تقف على السور وتنادي من كان بالقرب منها ان يعطيها جرعة ماء لنفسها او لولدها فيقول لها اعطني ما معك فتعطيه ما معها من كسوة وحلي وغيرها وكان السبب في قتلهم انه خاف من وصول احد لنجدتهم وشاهد من كثرتهم ما هاله فشرع في قتلهم فلما قتل منهم نيفا على ستة الاف نادى الملك بتأمين من بقي وامر ان يخرج من بقي بالبلد فازدحموا على الباب الى ان مات منهم خلق كثير ونزلوا من الاسوار بالحبال خشية من الازدحام في الابواب ومبادرة الى شرب الماء وقد كان تحير في المدينة جماعة ولم يخرجوا وكانوا مقدار سبعمائة نفس من الوجوه وحاروا في نفوسهم وانتظروا ما ينزل بهم فلما خلت ممن اسر وقتل واخرج من الابواب والاسوار وهلك في الزحمة نودي في تلك البقية ان يبادر كل منهم الى داره باهله وله الامان وارهقوا وازعجوا فلما حصل كل منهم بمن معه من اهله في منزله اقتسمهم الافرنج لعنهم الله تعالى بامر الملك واخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها نعوذ بالله تعالى وكان جماعة من اهل المدينة قد نفروا ولاذوا برؤس الجبال وتحصنوا بمواضع منيعة وكادوا يهلكون من العطش فامنهم الملك على نفوسهم وبرزوا في صورة الهالكي من العطش فاطلق سبيلهم فبينما هم في الطريق اذا تيههم خيل الكفر ممن لم يشهد الحادثة فقتلوهم الا القليل ممن بقي اجله وكان الفرنج لعنهم الله تعالى لما استولوا على المدينة يفتضون البكر بحضرة ابيها والثيب بحضرة زوجها واهلها وجرى من هذه الامور والاحوال مالم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان ومن لم يرض منهم ان يطأ بعض النساء ذوات المهنة اعطاهن خدمه وغلمانه يعيثون فيهن وبلغ الكفرة منهم مالا يمكن ان يوصف على الحقيقة ولما عزم ملكهم على القفول الى بلده تخير من بنات المسلمين الجواري الابكار والثيبات ذوات الجمال ومن صبيانهم الوفا حملهم معه ليهديهم الى من فوقه من ملوكهم وترك من رابطة خيله ببربشتر الفا وخمسمائة ومن الرجالة الفين ومما كان في هذه الوقعة الشنعاء ان بعض تجار اليهود جاء بربشتر بعد الحادثة ملتمسا فدية بنات بعض الوجوه ممن نجا كن حصان في سهم قومس منهم كان يعرفه قال فذهبت الى منزله واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا في نفيس ثيابه والمجلس والسرير كما خلعهما ربهما يوم محنته لم يغير شيء من رياشهما وزينتهما ووصائفه مضمومات الشعور قائمات على رأسه ساعيات في خدمته فرحب بي وسألني عن قصدي فعرفته وجهه واشرت الى وفور ما ابذله في بعض اللواتي كن واقفات على رأسه وفيهن كانت حاجتي فتبسم وقال بلسانه ما اسرع ما طمعت فيمن عرضناه لك اعرض عنهن وتعرض لمن شئت ممن صيرته لحصني من سبي واسرى من اقاربك فقلت له اما الدخول الى الحصن فلا رأي لي فيه وبقربك انست وبكنفك اطمأنت فأعطني بعض من هنا فأني اعطيك رغبتك قال وما عندك فقلت العين الكثير الطيب والبز الرفيع الغريب فقال كأنك تشهيني ما ليس عندي يا باجه ينادي بعض اولئك الوصائف يريد يابهجة فغيره بعجمته قومي فأعرضي عليه ما في ذلك الصندوق فقامت اليه واقبلت ببدر الدنانير واكياس الدراهم واسفاط الحلي فكشف وجعل بين يدي العلج حتى كادت تواري شخصه ثم قال لها ادني الى

من تلك التخوت فادنت منه قطعة من قطع الوشي والخز والديباج الفاخر حتى حار لذلك ناظري وبهت واسترذلت ماعندي ثم قال لي لقد كثر هنا عندي كل شيء حتى ما التذبه ثم حلف لي انه لو لم يكن عنده شيء من ذلك ثم بذل لي احد مثل ذلك ماسمحت بهذه الجارية التي تطلبها نعمي فهي ابنة صاحب المنزل وله حسب في قومه واصطفيتها لنفسي لمزيد جمالها لاجل ان تلد لي وفعلنا هذا مثل ما كان قومها يصنعون بنسائنا اذا ملكونا حين كانت دولتهم وقد رد الله لنا الكرة عليهم فصرنا فيما تراه وازيدك بأن تلك الخودة الناعمة واشار الى جارية اخرى كانت مغنية لوالدها ثم قال لها يافلانة خذي عودك فأخذت العود وقعدت تسويه واني اتأمل دمعها يقطر على خدها فتسارع العلج مسحه بيده واندفعت تغني بشعر مافهمته اما فضلا عن العلج واظهر الطرب فلما يئست مما عنده قمت منطلقاً واطلعت على كثرة ما بأيديهم من السبي والمغنم فطال تعجبي قال في نفح الطيب فهذا مقنع لمن تدبره وتذكرة لمن تذكره ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم فأن اهل الاندلس لما توالت عليهم الام انهمكوا في اللذات والشهوات وحل بهم داء التقاطع وقد امروا بالتواصل والالفة فأصبحوا على شفا جرف يؤدي الى الهلكة لامحالة وانهم كانوا يعللون انفسهم بالباطل ويغترون بالنعيم الزائل وقد بعدوا عن طاعة خالقهم ورفضوا وصية نبيهم وغفلوا عن سد ثغورهم حتى جاس عدوهم بخلال ديارهم ثم سرى البثق اليهم جميعاً فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ ذكر استرجاع المسلمين بربشتر وسرقسطة ﴾

لما كانت السنة التي بعد اخذها وهي سنة سبع وخمسين واربعمائة ثار احمد المقتدر بن هود المفرط فيها والمتهم على اهلها لانحرافهم الى اخيه صمدانها معاملاد المعتمد بن عباد صاحب قرطبة وسعى لاصمات سؤ القالة عنه وقدكتب الله تعالى عليه منها مالايمحوه الاعفوه تعالى فتأهب لقصد بربشتر في جوع من المسلمين لجاهدو االكفار بها جلاد الارتاب منه كل جبان واعزالله تعالى اهل الحفيظة والشجعان وحمي الوطيس بينهم الى ان نصر الله تعالى اوليائه وخذل اعدائه وولوا الادبار مقتحمين ابواب المدينة فاقتحمها المسلمون عليهم وملكوهم اجمعين الا من فر من مكان الوقعة ولم يدخل المدينة فاجيل السيف في الكافرين واستوصلوا اجمعين الا من استرق من اصاغرهم وفدى من اعاظمهم وسبوا جميع من كان فيها من عيالهم وابنائهم وملكوا المدينة بقدرة الخالق الباري واصيب في محمة النصر المتاح طائفة من حماة المسلمين الجادين في نصرة الدين نحو الخمسين كتب الله لهم الشهادة وقتل فئة من اعداء الله الكافرين نحو الف فارس وخمسة الاف راجل فغسلها المسلمون من رجس الشرك وجلوها من صدى الافك واسترجع بلنسية المأمون بن ذي النون وولى عليها ابابكر بن عبد العزيز المنصور فداخله بن هود في الانتقاض ففعل واستبد ببلنسية وضبطها وذلك سنة ثمان وستين واربعمائة ثم مات ابوبكر بن عبد العزيز فتملكها بعده ابنه القاضي عثمان بن ابي بكر وبقي الى سنة ثمان وسبعين واربعمائة فلما تملك الطاغية طليطلة في هذا العام كما سيأتي وتسلمها من القادر

ابن ذي النون شرط عليه القادر بن يمكنه من تملك بلنسية فسار معه الطاغية بجيوشه الى ان ملكه بلنسية وذلك ان المسلمين لما اقبل عليهم القادر بن ذي النون ومعه جيوش الطاغية خافوا ان يملكهم الصعبة فخلعوا القاضي عثمن بن ابي بكر وسلموها للقادر بن ذي النون وذلك سنة ثمان وسبعين واربعمائة وبقي الى سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وكان ذلك بعد دخول يوسف ابن تاشفين الاندلس وتغلبه على ملوك الطوائف كما سيأتي بيانه فجهز جيشاً لتخليص بلنسية من القادر بن ذي النون وجعل امارة بلنسية للقاضي ابي احمد جعفر بن عبدالله بن جحاف فحصر به القادر بن ذي النون الذي مكن الاذفونش من طليطلة ثم هجم عليه القاضي في جماعة من المرابطين فقتلوه وذلك سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وتملك ابن جحاف بلنسية ثم رجع عنه طائفة المرابطين الذين كان استنصر بهم واعانوه على تملكه اياها وصار خائفاً من استيلاء الطاغية عليه وجعل يستصرخ الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فبطأ عليه النصر وفي اثناء ذلك انهض يوسف بن احمد بن هود صاحب سرقسطة لذريق الطاغية للاستيلاء على بلنسية فدخلها وعاهده القاضي بن جحاف واشترط عليه احضار ذخيرة كانت للقادر بن ذي النون فاقسم انها ليست عنده فاشترط عليه انه ان وجدها عنده قتله فاتفق انه وجدها عنده فأحرقه بالنار وعاث في بلنسية وكان الاستيلاء عليها سنة ثمان وثمانين واربعمائة وقيل في التي قبلها وهذا الطاغية الذي اخذها يقال له ايضاً القنبيطور وحاصرها قبل اخذها عشرين شهراً قيل انه دخلها صلحاً وقيل بل عنوة وحرقها وعاث فيها وممن احرقوا فيها الاديب اباجعفر ابن البناء الشاعر المشهور ثم وجه اليها جيشاً امير المسلمين يوسف بن تاشفين وجعل اميراً على الجيش ابا محمد مزدلي ففتحها الله تعالى على يديه سنة خمس وتسعين واربعمائة وبقيت بلنسية بيد المسلمين الى سنة ستمائة وثلاثين ثم اخذها العدو وسيأتي ما كان بعد ذلك ومما استولى عليه العدو مدينة المرية وهي من مدائن الاندلس العظيمة الشهيرة استولى عليها العدو سنة ثنتين واربعين وخمسمائة واحصى عدد من سبي من ابكارها فكان اربعة عشر الفاً قال ابن حبيش وهو آخر الحفاظ بالاندلس كنت في قلعة المرية لما وقع الاستيلاء عليها اعادها الله للاسلام فتقدمت الى زعيم النصارى وهو ابن بنت الاذفونش وقلت له اني احفظ نسبك منك الى هرقل فقال لي قل فذكرته له فقال لي اخرج انت واهلك ومن معك طلقاً بلا شئ ثم انها بعد ان اخذت في السنة المذكورة استرجعها المسلمون سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة وبقيت بيد المسلمين الى ان اخذها الكفار مرة اخرى سيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر تملك الطاغية طليطلة ﴾

قال في نفح الطيب ان الاندلس ينقسم الى مشرق ومغرب ومتوسطة وكل واحد من الاقسام الثلاثة مشتمل على مدائن عظيمة كل مدينة منها مملكة مستقلة مشتملة على اعمال وقرى ومزارع وبساتين واقطار واسعة وخلائق لا يحصون في غاية التنعم والرفاهية فمن المتوسطة قرطبة وطليطلة وجيان وقسطلة وغرناطة والمرية ومالقة وغير ذلك مما يطول ذكره ومن شرق

الاندلس مرسية و بلنسية وشاطبة ووادي آنة والسهلة والثغر الاعلى وسرقسطة وتطيلة وغير ذلك مما يطول ذكره ومن غرب الاندلس اشبيلية وماردة واشبونة وشلب وشريش ولبلة والخضرا و بطليوس وغير ذلك مما يطول ذكره ولما ضعف امر الخلافة وافترق ملوك الاندلس وكثر الاختلاف بينهم وانتشرت الفتن صارت الممالك بيد ملوك كثيرة يسمون ملوك الطوائف لكل مملكة ملك مستقل ينفذ امره ونهيه فيما كان تحت يده من الممالك وهم مختلفون في اتساع ممالكهم وعدم اتساعها وكان ابتداء تفرق الممالك واستبداد تلك الطوائف من سنة سبع واربعمائة وصاروا يقاتل بعضهم بعضاً فيتغلب بعضهم على بعض و يستولى على مابيد الآخر وكان عدد اولئك الملوك خمسة عشر لاحاجة الى ذكر اسمائهم وكان اعظم الممالك عندهم قرطبة وهي مقر دار الخلافة وسرير الملك والسلطنة وكان المستولى على قرطبة من ملوك الطوائف المعتضد بن عباد وكانت قبل تغلبه عليها عند ابي الحزم جهور بن محمد بن جهور المعافري الكلبي استبد بها من سنة ثنتين وعشرين واربعمائة ثم صارت لبنيه من بعده فأخذها منهم ابن ذي النون صاحب طليطلة سنة احدى وستين و بقيت عنده الى سنة تسع وستين واربعمائة فانتزعها منهم المعتضد بن عباد بعد قتال وضمها الى ماكان بيده من الممالك فصار ابن عباد اعظم ملوك الطوائف فكانوا يهابونه و يهادونه ويخضعون له و يخشون سطوته وكان ابو المعتضد هو الذي اسس له هذا الملك قيل انه من لخم و ينتهي نسبه الى النعمان بن المنذر ملك الحيرة في الجاهلية وتوفي المعتضد بن عباد سنة احدى وستين واربعمائة وصار الملك بعده لابنه المعتمد محمد بن عباد فاتسع ملكه وشمخ سلطانه اكثر مما كان لابيه وكان ايضاً من اعظم الممالك طليطلة وكانت لبني ذي النون وكانت قبلهم ليعيش بن محمد بن يعيش من اول الفتنة والتفرق الى سنة سبع وعشرين واربعمائة فانتزعها منهم وتغلب عليها اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون اصله من البربر من قبيلة هوارة وضمها الى ماكان بيده من الممالك فاتسع ملكه وتوفي سنة سبع وعشرين واربعمائة فولي بعده ابنه المأمون ابو الحسن يحيى فاستفحل ملكه وعظم بين ملوك الطوائف سلطانه وتوفي سنة سبع وستين واربعمائة فولي بعده حفيده القادر بالله يحيى بن اسماعيل بن المأمون يحيى فانتزعها الطاغية منه وهي من المتوسطة من الاندلس وكانوا يسمونها وجهاتها الثغر الادنى ويسمون سرقسطة وجهاتها الثغر الاعلى وتسمى طليطلة ايضا مدينة الاملاك لانها ملكها اثنان وسبعون ملكا قيل ان سليمان بن داود عليه السلام دخلها وكذا عيسى بن مريم عليهما السلام ودخلها ايضا ذو القرنين وهي مدينة حصينة قديمة من بناء العمالقة ولها من جميع جهاتها اقاليم رفيعة ورساتيق مريعة وضياع بديعة وقلاع منيعة وبها القنطرة العجيبة البناء يعجز الواصفون عن وصفها وطول تلك القنطرة ثلاثمائة باع وعرضها ثمانون باعا على قوس واحد والماء يدخل تحته بعنف وشدة جرى ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها في الجو تسعون ذراعا وهي تصعد الماء الى اعلى القنطرة ويجرى الماء على ظهرها فيدخل المدينة وبنى المأمون فيها قصرا تأنق في بنائه وانفق مالا كثيرا وصنع فيه بحيرة وبنى في وسطها

قبة وسيق الماء الى اعلى القبة على تدبير احكمه المهندسون فكان الماء ينزل من اعلى القبة حواليها محيطاً بها متصلاً بعضه ببعض فكانت القبة في غلالة من الماء يسكب ولا يفتر والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء ولو شاء ان يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو فيها يوماً اذ سمع منشداً يقول

أتبني بناء الخالدين وانما * مدتك فيها لو عقلت قليل

لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يعتريه رحيل

فلم يلبث بعد هذا الا يسيراً حتى قضى نحبه وذلك سنة خمس وثلاثين واربعمائة وولي بعده ابنه يحيى القادر بالله الى ان حدث ما حدث ثم صارت له بلنسية بواسطة الطاغية الى ان قتل كما تقدم وبطليطلة بساتين محدقة وانهار مخترقة ورياض وجنان وفواكه حسان مختلفة الطعوم والالوان وفيها ايوان كبير يقال ان الخيل تلعب فيه وكان بنو ذي النون ملوك طليطلة لهم دولة كبيرة وبلغوا في البذخ والترف الى الغاية فطمع في ملكهم الطاغية المسمى بالاذفونش واشتغل القادر يحيى صاحبها بالخلاعة والمجون واكثر مهاداة الافرنج ومصادقتهم ليتلذذ باللعب وامتدت يده الى اموال رعيته ولم تزل الافرنج تأخذ حصونه شيئا بعد شيء حتى اخذت منه طليطلة وسلبته ملكه ولما ارادوا اخذها سار اليها الاذفونش بجيوشه وصار يملك قراها واعمالها وضيق عليها بالحصار وكان ذلك كله في مدة سبع سنين فلما اشتد عليهم الحصار رضي صاحبها والمسلمون ان ينزلوا عنها وقد فني بالقتل والاسر والنهب كثير منهم في قراها ونواحيها قال ابن بسام بعد ذكره وقعة بطرنة المتقدم ذكرها وذكر ما صار للمسلمين عند اخذها وهكذا جرى لاهل طليطلة فان العدو خذله الله استظهر عليهم وقتل جماهيرهم وكان من جملة ما غنمه الفرنج من اهلها ما خرجوا اليهم من ثياب الترفه الف عمارة خارجاً عما سواها وكان اخذ الطاغية طليطلة سنة ثمان وسبعين واربعمائة واعطى الامان لصاحبها القادر بالله ولمن بقي بها من المسلمين ثم لما ملكها الطاغية صار يستميل اهلها الباقين فيها ويظهر لهم صورة العدل حتى حسب انتصر الى كثيره الطغام منهم وقيل لملكهم الطاغية ينبغي ان تلبس التاج كمن كان قبلك من الملوك فقال حتى نأخذ قرطبة واعد لذلك ناقوساً تأنق فيه واحد في الاستعداد لتملك قرطبة ومما يدل على عظم مدينة طليطلة وحصانتها ان المسلمين لما استرجعوا ما تملكه الاعداء من المدائن والقرى عجزوا عن استرجاع طليطلة وبقيت في يد العدو الى آخر المدة ولما فتح المسلمون الاندلس في اول الامر القى الله الرعب في قلوب النصارى وصاروا يأخذون في الفرار ولم يثبت منهم احد بعد اول وقعة كانت بينهم وبين المسلمين حتى انهم اخلوا طليطلة فوجدها المسلمون خالية ووجدوا فيها مائدة سليمان عليه السلام وقيل انها ليست لسليمان وانما هي لملوكهم تأنقوا في صنعها وكانت مصوغة من الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد ولم ير الراؤن مثلها وكان لها ثلاثمائة وخمسة وستون رجلا بكسر الراء وسكون الجيم وكان عليها طوق من اللؤلؤ وطوق من الياقوت وطوق من الزمرد وكلها مكللة بالجواهر حافاتها وارجلها وكانت ارجلها منها فأخذها طارق بن زياد فاتح الاندلس واتحف بها الوليد بن عبد الملك

﴿ ذكر ماجرى بعد استيلاء العدو على طليطلة بين العدو والمعتمد بن عباد صاحب قرطبة ﴾

قد تقدم ان ابن عباد كان اعظم ملوك الطوائف وذلك لانه قاتل كثيرا من ملوك الطوائف وانتزع منهم كثيرا من ممالكهم فصار له قرطبة واشبيلية وبطليوس وشريش وقرمونة ورندة وغير ذلك فكان الباقون من ملوك الطوائف يهابونه ويلتمسون رضاه ولما رأى ابن عباد قوة الاذفونش الطاغية صار يداهنه ويهاديه ويخضع له وجعل له ضريبة على نفسه يؤديها اليه كل سنة فلما تملك الاذفونش طليطلة وارسل اليه المعتمد الضريبة المعتادة التي كان يدفعها كل سنة فلم يقبلها الاذفونش وارسل اليه يتهدده ويتوعده بالمسير الى قرطبة ليفتحها الا ان يسلم اليه الحصون المنيعة التي بيده فيبقى العهد للمسلمين وكان رسول الاذفونش الى المعتمد معه جمع من النصارى اتباع الاذفونش كانوا نحو خمسمائة فارس فلما وصل الى المعتمد انزله وحده وفرق اصحابه على قواد عسكره ثم امر المعتمد قواد عسكره ان يقتل كل منهم من كان عنده من اولئك النصارى الذين جاؤا مع رسول الاذفونش فقتلوهم واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من اولئك النصارى المرسلين ثلاثة نفر فرجعوا الى الاذفونش واخبروه الخبر وكان قد تجهز الى قرطبة ليحاصرها فرجع الى طليطلة ليزيد في التجهز ويجمع مايقي من آلات الحصار ويكثر الجيوش والعدة فلما بلغ المعتمد اهتمام الطاغية في التجهيز رحل الى اشبيلية لتدبير هذا الامر وسمع بذلك العلماء من مشايخ قرطبة وتحققوا جميع ماجرى وعلموا قوة الفرنج وضعف المسلمين وتأملوا في امر ملوك الطوائف فوجدوهم منهمكين في اللذات والشهوات ويقاتل بعضهم بعضا ويستعين بعضهم على بعض بالفرنج فاجتمع العلماء يتشاورون في هذا الامر فقال بعضهم هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الافرنج وملكوا كثيرا منها ولو استمرت الحال على مانرى عادت نصرانية كما كانت ثم ساروا الى قاضي القضاة المسمى عندهم بقاضي الجماعة وكان في ذلك الوقت هو القاضي عبد الله بن محمد بن ادهم فقالوا له الا تنظر الى مافيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية الطاغية بعد ان كانوا يأخذونها منه وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال ماهو قالوا نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا انصاف اموالنا ونخرج معهم مجاهدين في سبيل الله فقال لهم اذا وصلوا الينا يخربون بلادنا ويطمعون فينا ويبدؤن بنا قبل الافرنج ثم يذهبون باموالنا الى بلادهم ويتركونا مع الافرنج فيزدادون قوة علينا والذى اراه ان المرابطين اتباع يوسف بن تاشفين ملك مراكش اقرب الينا من عرب افريقية وكان يوسف بن تاشفين له ملك ضخم وقوة عظيمة في مراكش وفاس واعمالهما فاستحسن العلماء ماقاله قاضي الجماعة ثم ذهب قاضي الجماعة الى المعتمد بن عباد وعرض عليه ماقالوه واستحسنوه فاستحسنه المعتمد بن عباد وقال للقاضي المذكور انت الرسول الى ملك مراكش يوسف بن تاشفين فامتنع واراد ان يبرئ نفسه من تهمة تقع عليه فلم يقبل منه المعتمد هذا الامتناع بل الح عليه المعتمد الى ان رضى وعزم على المسير اليه فكان ماسيأتي ذكره وينبغي قبل ذكر مسير قاضي الجماعة ان نذكر شيأ مما يتعلق بدولة يوسف بن تاشفين ملك مراكش وكيف كان ابتداء امره ليعلم بذلك كيف ترقت دولته

(حتى)

حتى كانت في غاية القوة والمتانة وتعرف دولته بدولة المرابطين والملثمين لانهم كانوا يتلثمون دائما وهم عدة قبائل اشهر تلك القبائل قبيلة لمتونة وكان يوسف بن تاشفين منهم ومنهم قبيلة جدالة ولمطة واختلفوا في انتهاء نسبهم اختلافا كثيرا فاختار ابن الاثير انهم ينسبون الى حمير فهم على قوله من العرب وكان اول مسيرهم من اليمن في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فسيرهم الى الشام زمن فتوحات الشام ثم انتقلوا الى مصر ثم دخلوا المغرب مع موسى ابن نصير ثم توجهوا مع طارق بن زياد فاتح الاندلس ثم احبوا الانفراد ودخلوا الصحراء واستوطنوها ثم توحشوا وتوالد منهم قبائل كثيرة واختار ابن خلدون انهم ليسوا من العرب وانما هم من البربر وان نسبهم ينتهي الى يافث بن نوح عليه السلام ولما توحشوا في البوادي صاروا لا يعرفون من الاسلام الا الشهادتين والصلاة ثم حج رجل منهم سنة ثمان واربعين واربعمائة فلما رجع صحب معه واحدا من العلماء وكان فقيها صالحا اسمه عبدالله بن ياسين الكزولي وقصد بمجيئه به الى قومه ان يعلمهم الاحكام والشرائع فجاء معه فاكرموه وصار يعلمهم وينقادون له ثم جعلوا عليهم اميرا من لمتونة وهو ابو بكر بن عمر وكان هو رأس لمتونة ثم صاروا يقاتلون اهل البغي والفساد ممن كان قريبا منهم فقوي امرهم ثم خرجوا الى السوس الاقصى وصاروا يأخذون الزكاة ووقع بينهم وبين اهل السوس قتال الى ان انقادوا لهم ثم قاتلوا اهل سلجماسة الى ان انقادوا لهم ايضا ثم توفي اميرهم ابو بكر بن عمر بعد ان استخلف ابن اخيه ابابكر بن ابراهيم بن عمر ثم توفي ابو بكر ايضا سنة ثنتين وستين واربعمائة فاجتمعت طوائفهم على ابن عمه يوسف ابن تاشفين وملكوه عليهم ولقبوه امير المسلمين فكثرت جموعهم وقوي امرهم وكان يوسف المذكور مشهورا بالعقل والصلاح وحسن التدبير فظهر امرهم وعلا شأنهم فقصدوا موضع مدينة مراكش وكان قاعا صفصفا لاعمارة فيه فاختط يوسف هنالك مدينة مراكش ونزلها بمن كان معه من القبائل ثم لم يزل يتملك مدائن المغرب مدينة بعد مدينة حتى صار له من القوة والمتانة ماهو مشهور مذكور في التواريخ والكلام على ذلك طويل فلما نزل باهل الاندلس مانزل من الكفار قصدوه فبعثوا اليه قاضي الجماعة بقرطبة القاضي عبدالله بن محمد ابن ادهم فسار الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين بمكاتبة من المعتمد بن عباد وعلماء قرطبة فابلغه الرسالة واعلمه مافيه المسلمون من الخوف من الاذفونش وكان امير المسلمين بمدينة سبتة ففي الحال امر بعبور العساكر الى الاندلس وارسل الى مراكش في طلب من بقي من العساكر فاقبلت اليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار الى ان اجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية فكانت غزوة الذلاقة المشهورة

﴿ ذكر غزوة الذلاقة ﴾

لما اجتمع امير المسلمين يوسف بن تاشفين بالمعتمد بن عباد باشبيلية وجده قد جمع عساكره وكان فيهم من اهل قرطبة عسكر كثير ومعهم من المتطوعة من سائر بلاد الاندلس خلق كثير فلما وصلت الاخبار الى الاذفونش الطاغية جمع عساكره وسار من طليطلة وكتب الى امير

المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا باللسان العربي كتبه له بعض الحذ ولين ممن يدعون الانتساب الى الاسلام يغلظ فيه القول و يصف ماعنده من القوة والعدد والعدة و بالغ الكاتب في الكلام وتجاوز الحد فامر يوسف بن تاشفين كاتبه ان يكتب الجواب لاذفونش فكتب كلاما كثيرا فلما قرأه على امير المسلمين يوسف بن تاشفين قال هذا كلام طويل احضر كتاب الاذفونش واكتب في ظهره الذي سيكون ما ستراه لا ما تسمعه فلما رجع الكتاب الى الاذفونش ارتاع لذلك وعلم انه بلي برجل له عزم وحزم فازداد استعدادا وكان في جيشه اربعون الف دارع وجملة جيشه ثلاثمائة الف بغاية الاستعداد فرأى في منامه كأنه راكب على فيل وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقص رؤياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويل هذه الرؤيا فاحضر رجلا من علماء المسلمين فقص الرؤيا عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه فطلب منه الامان على نفسه اذا عبرها له فأمنه فقال له تأويل هذه الرؤيا يؤخذ من كتاب الله عز وجل وهو قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخر السورة وقوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وهذا التأويل يقتضي هلاك هذا الجيش الذي جمعته فقال الاذفونش للذي عبر له الرؤيا بهذا الجيش القى الهه محمد صاحب كتابكم واقاتل بهذا الجيش الجن والانس وملائكة السماء فانصرف ذلك المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الاذفونش هالك وكل من معه وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع و اعجاب المرء بنفسه وكان الاذفونش استنفر جميع اهل بلاده ومايليها وما وراءها ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا اناجيلهم وايقنوا بالنصر والظفر اغترارا بكثرتهم وقوة استعدادهم وماعلموا ان النصر من عندالله وان العاقبة للمتقين ثم سار امير المسلمين والمعتمد ابن عباد بجيوشهما وجيوش ملوك الطوايف حتى اتوا ارضا يقال لها الزلاقة من بلد بطليوس واتى الاذفونش بجيوشه فنزل موضعا بينه و بينهم ثمانية عشر ميلا ولم يبق احد من ملوك الطوايف بالاندلس الا بادر و اعان بالمال والرجال وخرج بنفسه و اخرج عساكره لكن لم يبلغ عدد مقدار جيش العدو وقيل لامير المسلمين ان ابن عباد ربما انه لا ينصح ولايبذل نفسه دونك فأرسل امير المسلمين يأمره ان يكون في المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب الاذفونش خيامه في سفح جبل والمعتمد في سفح جبل يتراءون ونزل امير المسلمين وراء الجبل الذي عنده المعتمد وظن الاذفونش ان عساكر المسلمين ليس الا الذين يراهم مع ابن عباد فتيقنوا الغلب و ارسل الاذفونش الى المعتمد في ميقات القتال فقال يكون يوم الاثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر الامر على هذا فركب الاذفونش ليلة الجمعة سحرا وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظنا منه ان ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون واحاط عليهم الاذفونش بجموعه من كل جهة وحمي الوطيس واستحر القتل في اصحاب ابن عباد وقاتل ابن عباد بنفسه قتالا لم يعهد مثله لاحد وجرح جراحات وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغه وجرحت يمنى يديه وطعن في احد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة افراس كلما هلك واحد قدم له آخر وهو يقاسي

احباص

حياض الموت ويضرب يمينا وشمالا وكان ابن عباد قد بعث الى امير المسلمين يستحث نصرته فبيناهم فى القتال اذ وصل امير المسلمين بجيوشه بعد ان كاد المسلمون ينهزمون وقصد خيام الفرنج ومحلة الاذفونش فاقتحموها واحرقوها وفتكوا فيها وضربت الطبول ورعقت البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والآفاق وراجعت الروم الى محلاتهم بعد ان علموا ان امير المسلمين فيها فصدموا امير المسلمين فخرج لهم عنها ثم كر عليهم فاخرجهم منها ثم كروا عليه فخرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى ان امر امير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء اربعة آلاف ودخلوا المعترك بالدرق والسيوف والمزاريق فطعنوا الرجال والخيل فرمحت الخيل بفرسانها واحجمت عن اقرانها وكان اهل الاندلس لايعرفون الجمال وليست فى بلادهم فجاء امير المسلمين معه بجمال كثيرة فكانت من جملة اسباب النصر لان خيل العدو كانت تجمح من رؤية الجمال ومن رغائها وارتفع رغائها الى عنان السماء ومن منفعة تلك الجمال انه كان يحدق بها العسكر وقت نزولهم وكان يحضرها الحرب فيكثر رغائها ثم تحول اناس من جيش امير المسلمين جاؤا الى موضع القتال فلقيهم من بين ايديهم ووضع السيف فيهم فلم يتمالكوا الثبات وانزل الله النصر وانزل السكينة على المسلمين فانهزم العدو واخذهم السيف من كل جانب وصدق المسلمون جميعا الحملة فتزلزلت الارض بحوافر خيولهم واظلم النهار بالعجاج والغبار وخاضت الخيل فى الدماء فانكشف الطاغية وفر هاربا منهزما وقد طعن فى احدى ركبتيه طعنة بقى يخمع بها وافلت فارا مع نفر يسير من قومه وهلك الباقون وكان موضع القتال متسعا جدا فما كان فيه موضع قدم الا وفيه من تلك الوقعة ميت اودم وجمع المسلمون من رؤس القتلى كوما فكانوا يؤذنون عليها الى ان جيفت فاحرقوها قيل لم يرجع من الفرنج الى بلادهم غير ثلاثمائة فارس وغنم المسلمون كل مالهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وجمع امير المسلمين الغنائم وعف عنها واعطاها ملوك الاندلس وعرفهم ان مقصده الجهاد ونيل الثواب العظيم واقام اربعة ايام لجمع الغنائم وعاد ابن عباد الى اشبيلية ورجع امير المسلمين الى الجزيرة الخضرا وعبر الى سبتة وسار الى مراكش ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن ابطاله وشجعانه واصحابه ففقدهم ولم يسمع الانوح الثكلى فاهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك هما وغما وهوى الى امه الهاويه وكانت هذه الوقعة فى يوم الجمعة فى العشر الاول من رمضان سنة تسع وسبعين واربعمائة فكانت هذه الغزوة من اعظم غزوات المسلمين وفتوحاتهم

﴿ ذكر ما كان بعد غزوة الزلاقة ﴾

ولما فرغ امير المسلمين يوسف بن تاشفين من غزوة الزلاقة اقام بالاندلس اياماً ثم لما اراد التوجه الى مراكش ترك جيشاً عظيماً بالاندلس لقصد غزو الافرنج وشكا اليه كثير من علماء الاندلس جور ملوك الاندلس الذين اقتسموها وانهماكهم فى اللذات والشهوات والمعاصى فوعظ الملوك وزجرهم ونهاهم عن المكوس وعن الظلم والجور والانهماك فى اللذات والشهوات ثم رجع الى مراكش فجاءته الاخبار بأنهم تقاعدوا عن جهاد الكفار واستغرقوا الاوقات فى اللذات والشهوات وزادوا فى الظلم عما كانوا فاستفتى علماء العراق فيهم فأفتوه بجواز

انتزاع الملك منهم فضبر اليهم فى سنة اربع وثمانين واربعمائة وانتزع الملك منهم واستولى على الاندلس بعد قتاله لبعض المتملكين لها وقتل بعضهم واسر بعضهم وحملهم الى مراكش وحبسهم الى ان ماتوا وصار ملك الاندلس كلها بيده و بيد عماله مضافاً ذلك الى ما بيده من المغرب الاقصى واكثر من الغزو والجهاد بالاندلس هو وجنوده وتوفى سنة خمسمائة وكان الامام الغزالى لما بلغه حسن سيرته اراد زيارته فرحل من العراق الى الشام ثم بلغه موته قبل ان يصل اليه فرجع وكان يوسف بن تاشفين يخطب لبنى العباس وكان قد طلب منهم تقليداً لانه قيل له لا تجب طاعتك وتنفذ احكامك الا اذا كانت ولايتك من الخليفة فأرسل رسلا الى الخليفة ومعهم هدية وطلب التقليد فكتب له المستظهر بالله العباسى بن المقتدى بامر الله بن القائم بامر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد وعقد له على الاندلس وبقية الممالك التى كانت تحت يده ولقبه امير المسلمين وناصر الدين و بايعوا بعد وفاته ولده على بن يوسف بن تاشفين وكان حليما عاقلا صالحاً عادلا

﴿ ذكر خروج الفرنج بالاندلس بعد وفاة يوسف بن تاشفين ﴾

لما توفى يوسف بن تاشفين قوى طمع النصارى فى الاستيلاء على الاندلس فخرج الاذفونش الافرنجى صاحب طليطلة سنة خمس وخمسمائة يطلب ما بأيدى المسلمين من ممالك الاندلس بجمع وحشد فاكثر فسار اليه امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين من مراكش فى عساكره وجموعه فلقيه فاقتتلوا اشد القتال فكان الظفر للمسلمين وانهزم الافرنج وقتلوا قتلاذريعاً واسر منهم شئ كثير وسبى منهم وغنم من اموالهم ما يخرج عن الاحصاء فخافه الافرنج بعد ذلك وفى سنة اربع عشرة وخمسمائة خرج ابن ردمير من ملوك الافرنج بجموع كثيرة فالتقى مع امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين بجموعه فكانت الهزيمة على المسلمين ثم رجع ابن ردمير الى بلاده ثم اشتغل امير المسلمين بأمر محمد بن تومرت الذى ادعى انه المهدى فاتسع الخرق فى الاندلس فأرسل امير المسلمين ابنه تاشفين اميراً على الاندلس لجهاد الكفار ووقع بينه و بين ابن ردمير وقائع وانتصر فى بعضها على ردمير فمات مغموماً من الهزيمة بعد عشرين يوما وكان من أشد ملوك الفرنج على المسلمين فكفى الله المسلمين شره وبقى من ملوك الفرنج الاذفونش الذى كان قد تملك طليطلة فوقع بينه و بين المسلمين وقائع ثم عقدوا معه صلحاً عشرين سنة

﴿ ذكر قيام محمد بن تومرت المدعى انه المهدى المنتظر ﴾

اعلم ان هذه القضية الكلام عليها طويل مذكور فى التواريخ وتلخيص ذلك بأختصار ان محمد بن تومرت رجل من جبل السوس يدعى انه شريف علوى حسنى قرأ علوما بالمغرب ثم ارتحل الى المشرق والعراق واجتمع بكثير من العلماء و اخذ عنهم قيل منهم الامام الغزالى وقيل لم يجتمع بالغزالى وكان يرى منامات يؤولها بالقيام بأمر الامة منها انه شرب البحر مرتين وقيل كان له معرفة بالرمل والنجوم فقام فى نفسه انه المهدى المنتظر وكتم ذلك فى اول امره واظهره فى آخره وكان كثير الصلاة والصوم والعبادة والتقشف فابتدأ اولا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتبعه جماعة يأخذون عنه العلم و يجتمعون معه على الذكر

وكان اعظمهم عبد المؤمن بن على الكومى القيسى وابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى وعبدالله الونشريسى ٨ وكان الونشريسى عالما متضلعا بالعلوم فامره ان يكتم ما عنده من العلوم ويجعل نفسه ابكم ويقوم بخدمة الشيخ وقال له ابق العلوم عندك مكتومة الى ان نحتاج الى اخراجها فى وقت يكون اخراجها فيه كالمعجزة والبرهان لاتمام ما نريد فامتثل امره وبقى ابكم ديدانه الناس ابله ولعابه يجرى على صدره ولا يتكلم الامع الشيخ فى وقت الخلوة ثم انهم دخلوا مراكش فرأوا نساء راكبات على بغال وهن سافرات الوجوه وكانت تلك عادة لهن فى تلك البلاد فانكروا عليهن وضربوا بعض البغال فسقطت من فوقها امرأة فاذا هى اخت امير المسلمين فرفع الامر الى امير المسلمين واخبروه بان هذا الرجل يتحدث فى تغيير الدولة فاحضروه ومن معه وحضر عند امير المسلمين جماعة من العلماء ووقع بينهم وبين ابن تومرت مجادلات فاقام الحجة عليهم بوجود كثير من المنكرات بين اظهرهم ولم ينكروها ووعظ امير المسلمين حتى ابكاه فقال مالك بن وهيب وكان عالما صالحا يكثر مجالسة امير المسلمين بل كان احد وزرائه ان عندى نصيحة ان قبلتها حمدت عاقبتها فقال امير المسلمين ماهى فقال انى خائف عليك من هذا الرجل وارى انه لابد بدالامر بالمعروف والنهى عن المنكر اثار بدفتنة والغلبة على بعض النواحى فاقتله وقلدنى دمه وان لم تقتله فخلده فى الحبس فقال بعض الحاضرين من جلساء امير المسلمين يقبح على امير المسلمين ان يبكى من موعظة هذا الرجل ثم يسيء اليه فى مجلس واحد وان يظهر منك الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه فلما سمع الملك كلامه اخذته عزة النفس واستهون امره وصرفه وسأله الدعاء فلما خرج من عند الملك قال لاصحابه لامقام لكم بمراكش مع وجود مالك بن وهيب فساروا الى اغمات ثم ذهبوا الى جبل تينمل وكان جبلا عظيما فيه كثير من القبائل وكثير من الزروع والفواكه واتصلوا بالسوس وذلك سنة اربع عشرة وخمسمائة واجتمع عليه خلق كثير وتسامع به اهل تلك النواحى وجعل يعظهم ويذكرهم بايام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عماهم فيه فتابعه قبائل كثيرة وسمى اتباعه الموحدين واعلمهم ان النبى صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدى الذى يملأ الارض عدلا وان مكانه الذى يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال احدهم عبد المؤمن فقالوا لا يوجد هذا الا فيك فانت المهدى فبايعوه على ذلك فانتهى خبره الى امير المسلمين فجهز جيشا وسيره اليه مع بعض اصحابه ووعد المهدى اصحابه بالنصر فلقوا جيش امير المسلمين فهزموهم واخذوا اسلابهم وقوى ظنهم فى صدق المهدى واقبلت اليه افواج القبائل من الحلل التى حوله شرقا وغربا وبايعوه والف لهم كتابا فى التوحيد سماه المرشد وكتابا فى العقيدة ونهج لهم طريق الادب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن ويزهدهم فى الدنيا وكان قوته كل يوم رغيف وقليل من زيت او سمن وكان يحرضهم على قتال عدوهم واخراج الاشرار من بينهم وكان يستميل الاحداث وذوى الغرة بالراء بعد الغين المعجمة وكان ذووا الحلم والعقل من اهاليهم ينهونهم عنه ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم من سطوة الملك فلما علم بذلك خشى ان يفسدوا عليه من تبعه ويسلموه للملك فسار يسأل ويتجسس عن

٨ قوله الونشريسى ضبطه ابن خلكان بفتح الواو وسكون النون وفتح الشين المعجمة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحت وبعد الياء سين مهملة نسبة الى وانشريس وهى بلدة بافريقية وفى المغرب جبل يقال له وانشريس النسبة اليه وانشريسى فهو غير وانشريس اه مؤلفه

هؤلاء الذين يذمون اولادهم وعشائرهم من اتباعه ويكتب اسمائهم في جريدة عنده ولم يطلع
على ذلك احداً الا عبد الله الونشريسى الابكم الذى يخدمه ليرتب الامر معه وقد تقدم انه امره
ان يكتم ماعنده من العلم ويظهر البله والبكم فقال له في هذا الوقت هذا وقت اظهار ماعندك
وامره ان يعمل ماسنذكره فخرج المهدى يوما لصلاة الصبح فرأى في جانب محرابه انسانا
حسن الثياب طيب الرائحة فاظهر انه لايعرفه وقال من هذا فقال انا الونشريسى فقال المهدى
ماقصتك فقد كنت ابكم لاتتكلم فقال اتانى الليلة ملك من السماء فغسل قلبي وعلمني الله القرآن
والموطأ وغيره من العلوم والاحاديث فبكى المهدى بحضرة الناس ثم قال نحن نمتحنك فقال
افعل وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من اى موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه
والاصول وبقية العلوم فعجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم ان الله اعطانى نورا اعرف
به اهل الجنة من اهل النار وامركم ان تقتلوا اهل النار وتتركوا اهل الجنة وقد انزل الله ملائكة الى
البئر التى في موضع كذا يشهدون بصدقى وكان قد وضع في البئر رجالا ثلاثة يشهدون بصدقه فسار
المهدى والناس معه وهم يبكون الى البئر وصلى المهدى عند رأسها ركعتين وقال ياملائكة الله
ان عبد الله الونشريسى قد زعم كيت وكيت فقال من في البئر صدق فلما قيل ذلك من البئر قال المهدى
ان هذه البئر مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة فالمصلحة ان تطم لئلا يقع فيها نجاسة اومالا
يجوز وقال ذلك لئلا يظهر الرجال منها فيفشون السر فيفسد الامر الذى دبره فألقوا فيها
من الحجارة والتراب ماطمها واهلك من فيها من الرجال ثم نادى اهل الجبل بالحضور الى ذلك
الموضع فحضروا ليميز اهل الجنة من اهل النار فكان الونشريسى يعمد الى الرجل
الذى عرفه المهدى به انه يخاف عاقبته وكتبه في الجريدة التى اطلعه عليها فيقول هذا
من اهل النار فيقتل والى الشاب الغر ومن لايخاف منه فيقول من اهل الجنة فيترك
على يمينه ولم يزل يجمعهم في ايام مرة بعد اخرى ويفعل ذلك حتى تتبع كل من يخشى منه
فقتله قال ابن الاثير في الكامل فكان عدة من قتلهم سبعين الفا وصار الباقون معه
على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته فجهز منهم جيشا وجعل الامير عليهم عبد
المؤمن بن على وسيرهم لقتال المرابطين قوم امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وتتابع
القتال بينهم مرارا وشرح ذلك يطول واستمر امره يعلو الى سنة اربع وعشرين فمرض
مرضا شديدا وكان عبد المؤمن غائبا مع الجيوش التى تقاتل اهل مراكش فاوصى المهدى
بان خليفته عبد المؤمن وامرهم باتباعه وتسليم الامر اليه والانقياد له ثم توفى فلما رجع
عبد المؤمن بايعه الناس وانقادوا له وتسمى دولته دولة الموحدين لان المهدى سماهم
بذلك كما تقدم فجهز الجيوش وازال ملك بنى تاشفين وفتح البلدان وملك كثيرا من مدائن
المغرب وكل ذلك مبسوط في التواريخ وصار لعبد المؤمن ملك عظيم في المغرب والاندلس
توارثه بنوه بعده الى سنة ثمان وستين وستمائة فانتزع الملك منهم بنو مرين فكانت مدة
دولة بنى عبد المؤمن مع مهديهم مائة وثنتين وخمسين سنة قال في نفح الطيب كانت دولة
بنى عبد المؤمن من اعظم الدول الاسلامية وكان كل واحد منهم يلقب امير المؤمنين ويسلكهم
مسلك الخلفاء وكانوا يدعون على المنابر لمهديهم محمد بن تومرت ويضربون اسمه على السكة

وتوفى عبد المؤمن سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وعمره ثمان وستون سنة ومدة ملكه ثلاث وثلاثون سنة وكان عاقلا حازما سديد الرأى حسن السياسة كثير البذل للاموال الا انه كان سفاكا للدماء على الذنب الصغير وكان يعظم امر الدين ويلزم الناس فى سائر بلاده بالصلاة ومن ترك الصلاة قتله وكان الغالب على مجالسه اهل العلم والدين ومما نقل من كرمه ان شاعرا مدحه بقصيدة مطلعها

* ماهز عطفيه بين البيض والاسل * مثل الخليفة عبد المؤمن بن على *

فاشار اليه ان يقتصر على هذا البيت ولا يتم قراءة القصيدة وامر له بالف دينار فقيل له لم لم تسمع تمام القصيدة فقال عبد المؤمن وما عسى ان يقول بعد قوله ماهز عطفيه البيت يعنى انه لا يمكنه ان يأتى بمدح اعظم مما فى هذا البيت وفى المونس فى اخبار تونس للعلامة ابى القاسم الرعينى القيروانى ان هذا الشاعر بعد ان قبض الالف الدينار عاد اليه من الغد وانشده البيت المذكور فأسكته وامر له بالف دينار اخرى ثم لم يزل ينشده كلما دخل عليه ويأمر له بالف دينار الى ان وصله مال بعير الى ان الفه بعض الشعراء وقال له الى متى تفعل هكذا وما يؤمنك من تغير اخلاق امير المؤمنين وقد وصلك ما يكفيك فلو ارتحلت فارتحل من فوره الى بلده ثم سأل عنه عبد المؤمن فاخبر برحلته فقال لا حول ولا قوة الا بالله لقد فطن بشاعرنا من دهاه ولو طال مقامه لزدناه على ذلك وكان لعبد المؤمن معرفة بالشعر والادب يحكى عنه انه مر ببعض طرق مراكش ومعه وزيره ابو جعفر بن عطية فأطلت من شباك جارية بارعة الجمال فقال عبد المؤمن * قدت فؤادى من الشباك اذ نظرت * فقال ابن عطية * حوراء ترنو الى العشاق بالمقل * فقال عبد المؤمن * كأنما لحظها فى قلب عاشقها * فقال ابن عطية * سيف المؤيد عبد المؤمن بن على ويقال لعبد المؤمن القيسى نسبة الى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ويقال له الكومى نسبة الى كومية قرية بتلمسان وكان المهدى محمد بن تومرت يقول له ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله ينصر هذا الدين فى آخر الزمان برجل من قيس وارجو ان تكون انت وكان ابوه صانعا فى عمل الطين يعمل منه الآنية ويبيعها قال ابن خلكان فى ترجمة عبد المؤمن كان فى صباه يوما نائما تجاه ابيه وكان ابوه مشتغلا بعمل الآنية من الطين فسمع ابوه دويا فى السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار فنزلت كلها مجتمعة على ابنه عبد المؤمن وهو نائم فغطته ولم يظهر من تحتها ولا استيقظ لها فرأته امه على تلك الحالة وصاحت خوفا على ولدها فسكتها ابوه فقالت اخاف عليه فقال لا بأس عليه بل انى متعجب مما يدل عليه ثم انه غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينتظر ما يكون من امر النحل فطار عنه باجمعه فاستيقظ الصبى وما به الم فتفقدت امه جسمه فلم تر به اثرا ولم يشك انها لما وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر فمضى اليه ابوه واخبره بما رآه من النحل مع ولده فقال ذلك الرجل يوشك ان يكون لولدك هذا شأن يجتمع على طاعته اهل المغرب فكان من امره ما كان وتقدم ان من اصحاب المهدى عمر بن يحيى الهنتانى قيل انه ينتهى نسبه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه صار بعد المهدى من وزراء عبد المؤمن واعطى بنو عبد المؤمن اولاد عمر المذكور ولاية تونس فكانوا يسمون الحفصيين استمر ملك تونس فيهم

الى سنة تسعمائة واحدى وثمانين فانتزع الملك منهم الدولة العثمانية وكانوا يلقبون بالحفصيين وكانت مدة ملكهم تونس ثلاثمائة وثمانية وسبعين سنة وهم من فروع دولة المهدى محمد بن تومرت واختلف الناس فى امر ابن تومرت فقال بعض العلماء انه اراد اظهار الحق فاجتهد واخطأ وقال بعضهم انه كان على الامة شرا من الحجاج ويزيد والله اعلم بحقيقة الحال ولنذكر ماكان من الفتوحات فى مدة عبد المؤمن وبنيه وفى مدة الحفصيين ملوك تونس

﴿ ذكر اول تجهيز لعبد المؤمن على الاندلس ﴾

قال ابن الاثير فى الكامل فى حوادث سنة احدى واربعين وخمسمائة فى هذه السنة جهز عبد المؤمن بن على جيشا الى جزيرة الاندلس فملكوا ما فيها من بلاد الاسلام وسبب ذلك ان عبد المؤمن لما كان يحاصر مراكش جاء اليه جماعة من اعيان الاندلس ومعهم مكتوب يتضمن بيعة اهل البلاد التى هم فيها لعبد المؤمن ودخولهم فى زمرة اصحابه الموحدين واقامتهم لامره فقبل عبد المؤمن منهم ذلك وشكرهم عليه وطيب قلوبهم وطلب منهم النصرة وطلبوا منه النصرة على الفرنج فجهز جيشا كثيفا وسيره معهم وعمر اسطولا وسيره فى البحر فسار الاسطول الى الاندلس وقصدوا مدينة اشبيلية وصعدوا فى نهرها وبها جيش من الملثمين وهم اتباع يوسف بن تاشفين ويقال لهم المرابطون فحصروها برا وبحرا وملكوها عنوة وقتل فيها جماعة وأمن الناس فكف عنهم واستولت العساكر على البلاد وكان لعبد المؤمن من كان بها وانتزعت عساكر عبد المؤمن كثيرا من مدائن الاندلس التى كانت فى طاعة المرابطين مدينة بعد مدينة بعد حروب يطول ذكرها وفى سنة ثنتين واربعين حصر الفرنج مدينة المرية من الاندلس وضيقوا عليها برا وبحرا فملكوها عنوة واكثروا القتل بها والنهب وملكوا ايضا مدينة شاطبة وولاية جيان وكلها بالاندلس وفى سنة ثلاث واربعين ملك الفرنج بالاندلس مدينة طرطوشة وملكوا معها جميع قلاعها وحصون لاردة وافراغة ولم يبق للمسلمين شئ فى تلك الجهات الا واستولى الفرنج عليه وفى سنة خمس واربعين سار السليطين وهو الاذفونش وهو ملك طليطلة واعمالها وهو من ملوك الجلالقة نوع من الفرنج فى اربعين الف فارس الى مدينة قرطبة فحصرها وهى فى ضعف وغلاء فبلغ الخبر الى عبد المؤمن وهو بمراكش فجهز عسكرا كثيرا وجهز مقدمهم ابا زكريا يحيى بن يرموز ونفذهم الى قرطبة فلما قربوا منها لم يقدروا ان يلقوا عسكر السليطين فى الوطاء وارادوا الاجتماع بالمسلمين المحصورين بقرطبة فسلكوا الجبال الوعرة والمضائق المتشعبة فساروا نحو خمسة وعشرين يوما فى الوعر فى مسافة اربعة ايام فى السهل فوصلوا الى الجبل المطل على قرطبة فلما رآهم السليطين وتحقق امرهم رحل عن قرطبة ليذهب اليهم وكان فيها القائد ابو الغمر السائب من ولد القائد ابن غلبون وهو من ابطال اهل الاندلس وامرائهم فلما رحل الفرنج خرج من قرطبة لوقته وصعد الى ابن يرموز وقال له انزلوا عاجلا وقال له ادخلوا البلد ففعلوا وباتوا فيها فلما اصبحوا من الغد رأوا عسكر السليطين على رأس الجبل الذى كان فيه عسكر عبد المؤمن فقال لهم ابو الغمر هذا الذى خفته عليكم لانى علمت ان السليطين ما ارتحل الا طالبا لكم فان من

الموضع الذى كان فيه الى الجبل طريقاً سهلا ولو لحقكم هناك نال مراده منكم ومن قرطبة فلما رأى السليطين انهم قد فاتوه علم انهم دخلوا قرطبة ولم يبق له طمع فى قرطبة فرحل عائدا الى بلاده وكان حصره لقرطبة ثلاثة اشهر وفى سنة ست واربعين سير عبدالمؤمن جيشاً كثيفاً نحو عشر بن الف فارس الى الاندلس مع ابى حفص عمر الهنتانى وسير معهم نسائهم فكن يسرن مفردات عليهن البرانس السوداء ليس معهن غير الخدم ومتى قرب منهن رجل ضربه الخدم بالسياط فلما قطعوا الخليج ساروا الى غرناطة وبها جمع من المرابطين جماعة ابن تاشفين فحصرها عمر وعسكره وضيقوا عليها فجاء اليه احمد بن ملحان صاحب مدينة وادى آس واعمالها بجماعته ووحدوا وصاروا معه واتاه ابراهيم بن همشك صهر ابن مردنيش صاحب جيان ر اصحابه ووحدوا وصاروا ايضاً معه فكثر جيشه وحرضوه على المسارعة الى ابن مردنيش ملك بلاد شرق الاندلس ليبغته بالحصار قبل ان يتجهز فلما سمع ابن مردنيش ذلك خاف على نفسه فأرسل الى ملك برشلونة من بلاد الفرنج يخبره ويستنجده ويستحثه على الوصول اليه فسار اليه الفرنجى فى عشرة آلاف فارس وسار عسكر عبدالمؤمن فوصلوا الى القوارة وبينها وبين مرسية التى هى مقرا بن مردنيش مرحلة فسمعوا بوصول الفرنجى مع ملك برشلونة فرجع جيش عبدالمؤمن وحصروا مدينة المرية وهى للفرنج عدة شهور فاشتد الغلاء فى العسكر وعدمت الاقوات فرحلوا عنها وعادوا الى اشبيلية فاقاموا بها وفى سنة احدى وخمسين استعمل عبدالمؤمن ابنه ابا سعيد عثمان على سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة فعبر ابو سعيد البحر الى مالقة وهى من الاندلس واتخذها دارا وكاتبه ميمون بن بدر اللمتونى صاحب غرناطة ورضى انه يوحد ويسلم اليه غرناطة فقبل ذلك منه ابو سعيد وتسلم غرناطة فسار ميمون الى مالقة باهله وولده فتلقاه ابو سعيد واكرمه ووجهه الى ابيه عبدالمؤمن بمراكش فاقبل عليه عبدالمؤمن واكرمه وانقرض بذلك دولة المرابطين ويقال لهم ايضا الملثمون كما تقدم ولم يبق لهم الا جزيرة ميورقة مع احمد بن غانية فلما ملك ابو سعيد غرناطة جمع الجيوش وسار الى مدينة المرية وهى بأيدى الفرنج اخذوها من المسلمين سنة ثنتين واربعين وخمسمائة فلما نازلها واتاه الاسطول من سبتة وفيه خلق كثير من المسلمين فحصروا المرية برأو بحراً فلجأ الفرنج الى حصنها فحصرهم ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها وبنى ابو سعيد سوراً على الجبل المذكور الى البحر وعمل عليه خندقا فصارت المدينة والحصن الذى فيه الفرنج محصوراً بهذا السور والخندق ولايمكن من ينجدهما من ان يصل اليهما فجمع الاذفونش ملك الفرنج بالاندلس المعروف بالسليطين جموعا من الفرنج بلغ اثنى عشر الف فارس ومعه محمد بن سعد ابن مردنيش فى ستة الاف فارس من المسلمين وراموا الوصول الى المدينة ليدفعوا المسلمين عنها فلم يطيقوا ذلك فرجع السليطين وابن مردنيش خائبين فمات السليطين فى عوده قبل ان يصل الى طليطلة وتمادى الحصار على المرية ثلاثة اشهر فضاقت الميرة وقلت الاقوات على الفرنج فطلبوا الامان ليسلموا الحصن فاجابهم ابو سعيد اليه وتسلم الحصن ورحل الفرنج فى الغد عائدين الى بلادهم فكان ملكهم المرية مدة عشر سنين وفى سنة سبع وخمسين وخمسمائة ارسل اهل غرناطة من بلاد

الاندلس وفى لعبد المؤمن الى الامير ابرهيم بن همشك صهر ابن مردنيش فاستدعوه اليهم ليسلموا اليه البلد وكان قد وحد كما تقدم وصار من اتباع عبد المؤمن وفى طاعته وممن يحرض على قصد ابن مردنيش فلما وصل اليه رسل اهل غرناطة طمع فى الملك فسار معهم اليها فدخلها وبها جمع من اصحاب عبد المؤمن فامتنعوا بحصنها فبلغ الخبر اباسعيد عثمان بن عبد المؤمن وهو بمدينة مالقة فجمع الجيش الذى كان عنده وتوجه الى غرناطة لنصرة اصحابهم المسلمين الذين بغرناطة فعلم بذلك ابراهيم بن همشك فاستنجد ابن مردنيش ملك البلاد بشرق الاندلس فأرسل اليه الفى فارس من انجاد اصحابه ومن الفرنج الذين جندهم معه فاجتمعوا بنواحى غرناطة فالتقواهم ومن بغرناطة من عسكر عبد المؤمن من قبل وصول ابى سعيد اليهم فاشتد القتال بينهم فانهزم عسكر عبد المؤمن وقدم ابو سعيد بمن معه فاقتتلوا ايضا فانهزم كثير من اصحابه وثبت معه طائفة من الاعيان والفرسان المشهورين والرجالة والاجلاد حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم حينئذ ابو سعيد ولحق بمالقة وسمع عبد المؤمن الخبر فسير فى الحال ابنه ابا يعقوب يوسف فى عشرين الف مقاتل فيهم جماعة من شيوخ الموحدين فجد والسير فبلغ ذلك ابن مردنيش فسار بنفسه وجيشه الى غرناطة ليعين ابن همشك فاجتمع منهم بغرناطة جمع كثير فنزل ابن مردنيش فى الشريعة بظاهرها ونزل العسكر الذى امر به لابن همشك اولا وهم الفا فارس بظاهر القلعة الحمراء ونزل ابن همشك بباطن القلعة الحمراء فيمن معه ووصل عسكر عبد المؤمن الى جبل قريب من غرناطة فأقاموا فى سفحه اياماً ثم سيروا سرية اربعة آلاف فارس فبيتوا العسكر الذى بظاهر القلعة الحمراء وقاتلوهم من جميع جهاتهم فما لحقوا ان يركبوا فقتلوهم عن آخرهم واقبل عسكر عبد المؤمن بجملته فنزلوا بضواحى غرناطة فعلم ابن مردنيش وابن همشك انهم لا طاقة لهم بهم ففروا فى الليلة الثانية ولحقوا ببلادهم واستولى الموحدون على غرناطة وفى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة توفى عبد المؤمن فبايع الموحدون ابنه محمداً ثم خلعوه بعد خمسة واربعين يوماً وبايعوا اخاه يوسف بن عبد المؤمن وتلقب بأمير المؤمنين كأبيه قال ابن خلكان كان يوسف فقيهاً حافظاً متقناً نشأ فى ظهور الخيل بين ابطال الفرسان وفى قراءة العلم بين افاضل العلماء كان اعرف الناس كيف تكلمت العرب واحفظهم لأيامها فى الجاهلية والاسلام ويقال انه كان يحفظ صحيح البخارى وكان يحفظ القرآن مع جملة من الفقه وسيأتى الكلام على فتوحاته ولنتم الكلام على جميع فتوحات ابيه عبد المؤمن فى غير الاندلس

﴿ ذكر فتوح المهدية ﴾

المهدية مدينة من مدائن افريقية كانت المهدية فى يد الحسن بن على بن محمد بن تميم الصنهاجى وكان من عمال العبيديين ملوك مصر ثم تغلب عليها فملكها الفرنج وانتزعوها من يده سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وفر الامير المذكور منها وقصد عبد المؤمن فأكرمه واحسن نزله وكان اهل سفاقس وزويلة يقاتلون الفرنج لتخليص المهدية فلم يقدروا وانهزموا مرة بعد اخرى وقتل كثير منهم وذلك سنة احدى وخمسين وخمسمائة ثم دخل الفرنج زويلة وقتلوا

(من)

من وجدوا فيها من النساء والأطفال ونهبوا الأموال فقصد جماعة من اهل زويلة عبدالمؤمن وهو بمراكش يستجيرون به فأكرمهم واخبروه بما جرى على المسلمين وانه ليس في ملوك الاسلام من يقصد سواه فدمعت عيناه وقال ابشروا لأنصرنكم ولو بعد حين وأمر بأنزالهم وان يعطوا الفي دينار ثم جهز الجيوش واستعد لذلك ثلاث سنين فاجتمع معه مائة الف مقاتل ومن الاتباع والسوقة امثالهم وسار بجيوشه في شهر صفر سنة اربع وخمسين وخمسمائة وكان يقع من حفظه لعسكره انهم كانوا يمشون بين الزرع فلا يتأذى منهم اهل الزرع ولا يصيبون شيئاً منه واذا نزلوا صلوا جميعهم مع امام واحد بتكبيرة واحدة ولا يتخلف منهم احد كائناً من كان خوفاً من عقابه لأنه كان يقتل من يتأخر منهم وقدم بين يديه امير افريقية الذي فر منها حين اخذها الفرنج وهو الحسن بن علي بن محمد بن تميم الصنهاجي فلم يزل يسير الى ان وصل الى مدينة تونس في شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان ملك تونس يد احد بن خراسان واقبلت اساطيل عبدالمؤمن في البحر سبعين شينياً وطريدة وشلندى فلما نازل تونس ارسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته فامتنعوا فقاتلهم من الغد اشد قتال فلم يبق الا اخذها ودخول الاسطول اليها فجاءت ريح عاصف منعت الموحدين من دخول البلد فرجعوا ليباكروا القتال ويملكوا فلما جن الليل نزل سبعة عشر رجلاً من اعيان اهل تونس الى عبدالمؤمن يسألونه الأمان لأهل بلدهم فأجابهم الى الأمان لهم في انفسهم واهليهم واموالهم لمبادرتهم الى الطاعة واما من عداهم من اهل البلد فيؤمنهم على انفسهم واهليهم ويقاسمهم اموالهم واملاكهم نصفين وان يخرج صاحب البلد هو واهله منها فاستقر الامر على ذلك وتسلم البلد وارسل اليه من يمنع العسكر من الدخول وارسل امناءه ليقاسموا الناس اموالهم واقام عليها ثلاثة ايام وعرض الاسلام على من بها من اليهود والنصارى فمن اسلم سلم ومن امتنع قتل واقام اهل تونس بها بأجرة تؤخذ عن نصف مساكنهم ثم سار عبد المؤمن منها الى المهدية والاسطول يحاذيه في البحر فوصل اليها ثامن عشر رجب وكان بالمهدية اولاد ملوك الفرنج وابطال الفرسان وقد اخلوا زويلة وبينها وبين المهدية غاية رمية سهم فدخل عبدالمؤمن زويلة وامتلأت بالعساكر والسوقة فصارت مدينة معمورة في ساعة واحدة ومن لم يجد له موضعاً من العسكر نزل بظاهرها وانضاف اليه من صنهاجة والعرب واهل البلاد مايخرج عن الاحصاء واقبلوا يقاتلون المهدية مدة ايام فلا يؤثر فيها لحصانتها وقوة سورها وضيق موضع القتال عليها لأن البحر دائر بأكثرها فكأنها كف في البحر وزندها متصل بالبر وكان اول من بناها واتخذها مدينة عبيدالله المهدي اول ملوك العبيديين بناها سنة ثلاث وثلاثمائة وكان الفرنج يخرج شجعانهم الى اطراف العسكر فينالون منهم ويعودون سريعاً فأمر عبدالمؤمن ان يبنى سور من جهة غرب المدينة يمنعهم من الخروج وأحاط الاسطول بها في البحر وركب عبدالمؤمن في شيني ومعه الحسن بن علي الذي كان صاحبها وطاف بها في البحر فهاله ما رأى من حصانتها وعلم انها لا تفتح بقتال لا براً ولا بحراً وليس لها الا المطاولة بالحصار وقال للحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن فقال لقلة من يوثق به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقت وعاد من البحر وامر بجمع

الغلات والاقوات وترك القتال فلم يمض غير قليل حتى صارت الغلات والاقوات فى العسكر كالجبلين من الحنطة والشعير فكان من يصل الى العسكر من بعيد يقول متى حدثت هذه الجبال فيقال لهم هى حنطة وشعير فيتعجبون من ذلك و ؤدى الحصار وفى مدته اطاع عبد المؤمن اهل سفاقس وطرابلس وجبال نفوسة وقصور افريقية وما والاها وفتح مدينة قابس بالسيف فلما رأى اهل قفصة ذلك اطاعوه وكان الفرنج قد تملكوا صقلية فى سنة اربع وثمانين واربعمائة جاؤها بجموع كثيرة وانتزعوها من عامل العبيديين وبقيت فى ايديهم وسار لهم فيها قوة عظيمة فكانوا يمدون هؤلاء المحصورين فى المهدية ففى شهر شعبان من السنة المذكورة اعنى سنة اربع وخمسين وخمسمائة جاء اسطول صاحب صقلية من ملوك الفرنج فى مائة وخمسين شينيا غير الطرائد وكان قد وفد من جزيرة يابسة من بلاد الاندلس وقد سبي اهلها واسرهم وحملهم معه فارسل اليه ملك الفرنج يأمره بالمجئ الى المهدية فقدموا فى التاريخ المذكور فلما قاربوا المهدية حطوا شرعهم ليدخلوا الميناء فخرج اليهم اسطول عبد المؤمن ورتب فيه العسكر جميعه ووقفوا على جانب البحر فاستعظم الفرنج ما رأوه من كثرة العساكر ودخل الرعب فى قلوبهم وبقي عبد المؤمن يمرغ وجهه على الارض ويبكى ويتضرع الى الله تعالى ويدعو للمسلمين بالنصر ثم اقتتلوا فى البحر فانهزمت شوانى الفرنج واعادوا القلوع راجعين الى بلادهم فتبعهم الموحدون فاخذوا منهم سبع شوانى ولو كان معهم شوانى لاخذوا اكثرهم وكان امرا عجيبا وفتحا قريبا وعاد اسطول المسلمين مظفرا منصورا وفرق فيهم عبد المؤمن الاموال ويئس اهل المهدية من النجدة وصبروا على الحصار ستة اشهر الى آخر الحجة من السنة المذكورة فنزل حينئذ من فرسان الفرنج الى عبد المؤمن عشرة وسألوه الامان لمن فيها من الفرنج على انفسهم واموالهم ليخرجوا منها ويعودوا الى بلادهم وكان قوتهم قد فني حتى اكلوا الخيل فعرض عليهم الاسلام ودعاهم اليه فلم يجيبوا ولم يزالوا يترددون اليه اياما بالكلام اللين فأجابهم الى ذلك وأمنهم واعطاهم سفنا فركبوا فيها وساروا وكان الزمان شتاء فغرق اكثرهم فى البحر ولم يصل منهم الى صقلية الا النفر اليسير وكان صاحب صقلية يقول ان قتل عبد المؤمن اصحابنا بالمهدية قتلنا المسلمين الذين بجزيرة صقلية واخذنا حرمهم واموالهم فاهلك الله اكثرهم بالغرق فى البحر وكانت مدة ملكهم المهدية ثنتى عشرة سنة ودخل عبد المؤمن المهدية بكرة عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسمائة واقام بها عشرين يوما فرتب احوالها وأصلح ما تشعث من سورها ونقل اليها الذخائر من الاقوات والرجال والعدد واستعمل عليها بعض اصحابه وجعل معه الحسن بن على الذى كان صاحبها وامره ان يقتدى برأيه فى افعاله واقطع الحسن بها اقطاعا واعطاه دورا نفيسة يسكنها ورحل من المهدية اول صفر من السنة المذكورة وتوجه الى بلاد المغرب وجهز جيوشا الى الاندلس

﴿ ذكر فتوحات يوسف بن عبد المؤمن ﴾

لما استقرت البيعة له بعد موت ابيه وخلع اخيه اخذ منهج ابيه وسار سيرته واستكثر من الجيوش

ومهد البلاد فصار له ملك عظيم اكثر من يد وكان ملكه من قاصية افريقية الى بلاد القبلة
وبلاد الاندلس يجبى اليه خراجها دون مكس ولا جور فكثرت الاموال وأمنت الطرق
ثم رحل الى الاندلس ليكشف مصالح دولته وتفقد احوالها وفي صحبته مائة الف فارس ونزل
اشبيلية وشرع في استرجاع بلاد المسلمين من ايدي الفرنج وكانوا قد استولوا على كثير منها فاتسع
ملكه وحاصر الاذفونش في طليطلة وضيق عليه شهورا فراسله الاذفونش في انه يسلم المدينة
ويعطيهم الامان على نفوسهم فامتنع يوسف من ذلك فلما اشتد بهم العطش سمع لهم في بعض
الليالي لغط عظيم وأصوات هائلة وذلك أنهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا الله تعالى فجاءهم مطر
عظيم ملأ ما كان عندهم من الصهاريج فقووا وتقووا على المسلمين فهادنهم سبع سنين
وانصرف عنهم الى اشبيلية وكان يرتفع اليه في كل سنة من خراج اشبيلية واعمالها حمل مائة
وخمسين بغلا خارجا عما يرتفع اليه من بقية البلاد وفي سنة خمس وستين وخمسمائة اتفق ابن
مردنيش ملك شرق الاندلس هو والفرنج على يوسف بن عبد المؤمن فتعجل امرهم فجهز
يوسف العساكر فجاسوا بلاد ابن مردنيش وخربوها وأخذوا مدينة بين من بلاده وأخافوا
عساكره وجنوده وأقاموا ببلاده مدة ينتقلون فيها وينهبون اموالها وفي سنة سبع وستين
توفي الامير محمد بن سعد بن مردنيش صاحب البلاد بشرق الاندلس وهي مرسية وبلنسية
وغيرهما واوصى اولاده أنهم بعد موته يقصدون يوسف بن عبد المؤمن وكان قد جاء الى الاندلس
في هذا العام في مائة الف مقاتل قبل موت ابن مردنيش فقدموا عليه بعد موت ابيهم فحين رآهم
يوسف فرح بهم وسر بقدومهم عليه وتسلم بلادهم وتزوج اختهم واكرمهم وعظم امرهم
ووصلهم بالاموال الجزيلة واقاموا معه وفي سنة ثمان وستين توجه يوسف الى الاندلس بعساكره
ونزل اشبيلية ثم سار منها وقصد بلاد الفرنج ونزل على مدينة ربدي فحصرها واجتمعت الفرنج
على ابن الفنش في جمع كثير فلم يقدروا على لقاء المسلمين فاتفق ان الغلاء اشتد على المسلمين وعدمت
الاقوات عندهم وهم في جمع كثير فاضطروا الى مفارقة بلاد الفرنج فعادوا الى اشبيلية وهو
مع ذلك يجهز العسكر ويسيرها الى غزو الفرنج في كل وقت وكان له معهم وقائع وغزوات
ظهر فيها للعرب من الشجاعة ما لا يوصف وصار الفارس من العرب يبرز بين الصفين ويطلب
مبارزة الفارس المشهور من الفرنج فلا يبرز اليه أحد ثم عاد يوسف بن عبد المؤمن الى مراكش
واما وقائعه مع من خرج عن طاعته من المسلمين في افريقية فكثيرة لا حاجة بنا الى ذكرها
وهي مذكورة في التواريخ وفي سنة ست وسبعين أتاه رسول ملك الفرنج صاحب صقلية
يلتمس الصلح معه فهادنه عشر سنين وفي سنة ثمانين وخمسمائة سار يوسف الى الاندلس في جمع
عظيم من عساكر العرب وقصد غربي بلاد الاندلس فحصر مدينة شنترين شهرا وهي للفرنج
فأصابه بها مرض فمات منه في ربيع الاول من السنة المذكورة وحمل في تابوت الى اشبيلية
وقيل انه اصابته طعنة مات منها وبعد أن وصلوا به اشبيلية حملوه في التابوت الى جبل تينمل
ودفنوه هناك عند ابيه عبد المؤمن بجانب قبر المهدي محمد بن تومرت واتفق شيوخ الموحدين
على مبايعة ابنه يعقوب فبايعوه ولقبوه المنصور ﴿ لطيفة ﴾ يحكى ان الاديب احمد بن
عبد السلام الكوراني كان من ظرفاء الندماء وكان من قبيلة من العرب وكان يجالس عبد المؤمن

ثم ابنه يوسف ثم ابنه يعقوب فاتفق انه حضر يوما عند يوسف بن عبد المؤمن وهناك الطبيب سعيد الغماري وغمارة ايضا قبيلة من البربر فقال يوسف من عجائب الدنيا شاعر من كوران وطبيب من غمارة فقال الكوراني وضرب لنا مثلا ونسي خلقه أعجب منهما والله خليفة من كومية فقال يوسف في نفسه أعاقبه بالحلم والعفو ففيه تكذيبه فعفى عنه ولم يعاقبه

﴿ ذكر فتوحات يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ﴾

كان يعقوب المذكور دينا مقيما للحدود فاستقامت له الدولة وانقادت اليه بأسرها فأقام راية الجهاد وأحسن السيرة في الناس ورتب ثغور الاندلس وشحنها بالرجال ورتب المقاتلة في سائر بلاده وكان يحب العلماء ويقربهم ويشاورهم وكان مشاركا في علوم كثيرة ومن لطائفه انه بعث لبعض عماله أن ينظر له رجلا لتأديب أولاده فبعث له العامل رجلين وكتب معهما كتابا يقول فيه بعثت اليك برجلين أحدهما بحر في علمه والآخر بر في دينه فلما امتحنهما لم يرض بهما فوقع على ظهر كتاب العامل ظهر الفساد في البر والبحر وفي سنة ست وثمانين بلغه ان الفرنج ملكوا مدينة شلب وهي في غرب الاندلس فتجهز اليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ في الوقت جيشا من الموحدين ومعهم جماعة من العرب ففتحوا اربع مدن كانت بيد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه خمس سنين وعاد الى مراكش فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها سوى القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الامر الى يعقوب وهو بمراكش فتجهز لقصدهم في جيش كبير وذلك في سنة احدى وتسعين فسمع الفرنج بذلك فجمعوا خلقا كثيرا من أقاصي بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه وبعد أن عزم يعقوب على المسير بعد جمع جيوشه أصابه مرض شديد حتى أيس منه أطباؤه فتأخر عن المسير فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها وأغاروا على النواحي والاطراف وكذلك فعل الاذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالاندلس فاقتضى الحال تفرقة جيوش الامير يعقوب لاصلاح ما فسد في الاطراف واشتغلوا بالمدافعة والممانعة فكثر طمع الاذفونش في البلاد وبعث رسولا الى الامير يعقوب يتهدده ويتوعده ويطلب منه بعض الحصون من بلاد الاندلس وكتب له رسالة من انشاء بعض من خذله الله ممن يدعى انه من المسلمين وهي باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح امابعد ايها الامير فلا يخفى على كل ذي عقل لازب ولاذي لب ثاقب انك امير الملة الحنيفية كما انه هو امير الملة النصرانية وانك لايخفى عليك ماهو عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعايا واخلادهم الى الراحات وانا أسومهم بحكم القهر الخسف وأخلي الديار وأسبي الذراري وامثل بالكهول وأقتل الشبان ولا عذر لكم عن التخلف عن نصرتهم وقد امكنتك يد القدرة وانتم تعتقدون ان الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فقد فرض عليكم قتال اثنين منا بواحد منكم ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا ولاتقدرون دفاعا ولاتستطيعون

امتناعاً ثم حكى لى انك اخذت فى الاحتفال والاشرفت على ربوة القتال وتمطل نفسك عاماً بعد عام تقدم رجلا وتؤخر اخرى ولا ادرى الجبن ابطأ بك ام التكذيب عا نزل عليك ثم حكى لى عنك انك لاتجد سبيلا الى الحرب لعلك مايسوغ لك التقحم بها بها انا اقول لك ما فى ذلك واعتذر عنك ولك ان تتوجه بجملة من عندك بالمراكب والشوانى واجوز اليك بجملتى وابارزك فى اعز الاماكن عندك فان كانت لك الغلبة فغنيمة عظيمة جاءت اليك وهدية مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك واستحققت امارة الملتين والتقدم على الفئتين والحكم على المصرين والله يوفق الارادة ويوضح السعادة لارب غيره ولاخير الاخيره فلما وصل الكتاب وقرأه يعقوب كتب فى اعلاه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون والجواب ما تراه لا ماتسمعه وتقراه وكتب ايضاً بيتاً مشهوراً للمتنبى

* ولا كتب الا المشرفية واقنا * ولارسل الا الخميس العرمرم *

ونبذ الكتاب اليه وجمع العساكر الكثيرة من المسلمين وعبر الى الاندلس فى جيش يعضو عند الغض فسمعت الفرنج بذلك فجمعت قاصيها ودانيها واقبلوا اليه مجدين مصممين على القتال واثقين بالظفر لكثرتهم فالتقوا تاسع شعبان شمالى قرطبة فاقتتلوا قتالا شديدا استشهد فيه كثير من المسلمين وكانت الدائرة فى اول الامر على المسلمين ثم تراجعوا وعادوا على الفرنج فانهزم الفرنج اقبح هزيمة وانتصر المسلمون عليهم وجعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم وكان عدد من قتل من الفرنج مائة الف وستة واربعين الفا واسر منهم ثلاثة عشر الفا وقيل ثلاثون الفا وغنم المسلمون منهم شيئا كثيرا فمن الخيام مائة الف وثلاث واربعون الفا ومن الخيل ستة واربعون الفا وقيل ثمانون الفا ومن البغال مائة الف ومن الحمير مائة الف وقيل اربعمائة الف جاءوا بها لحمل اثقالهم لانهم لا ابل عندهم بالاندلس ومن الدروع التى صارت لبيت المال ستون الفا غير ما اخذه المسلمون منها واما الذهب والفضة والجواهر والاموال فلا تحصى وبيع الاسير بدرهم والحمار بدرهم وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع ونجا الفنش بروحه وهو ملك النصارى اذ ذاك الى طليطلة فى اسوء حال وحلق رأسه ونكس الصليب وحلف ان لاينام على فراش ولايقرب النساء ولايركب فرسا ولا دابة حتى يأخذ بالثار وصار يجمع الرجال من البلاد البعيدة ويستعد للقاء ثم تتبعه يعقوب بالجيوش مرة ثانية فهزمه وساق خلفه الى طليطلة وحصره فيها ورمى عليه بالمجانيق ولم يبق الافتحها فخرجت اليه والدة الادفونش وبناته ونساؤه يبكين بين يديه ويسألنه ابقاء البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن بها ووهب لهن اموالا كثيرة وعفا بعد القدرة ورجع الى قرطبة فاقام بها اشهرا يقسم الغنائم فجاءته رسل الفنش يطلب الصلح فصالحه وهادنه خمس سنين وأمن الناس وكان يعقوب قد نادى فى عسكره من غنم شيئاً فهوله واحصى ماحمل اليه من السلب فكان زيادة على سبعين الفاً وهذه الوقعة تسمى وقعة الارك وهو اسم للموضع الذى كانت فيه الوقعة ولم يسمع بعد وقعة الزلاقة التى كانت على يد امير المسلمين يوسف بن تاشفين بمثل وقعة الارك هذه بل صرح بعض المؤرخين بأنها

اعظم من وقعة الزلاقة وكان جملة من استشهد من المسلمين في هذه الوقعة نحو عشرين الفا وعظم امر الاسلام بالاندلس بعد هذه الوقعة ومدح الشعراء يعقوب بعد هذا الفتح بقصائد كثيرة واجازهم بعطيات وافرة فمنهم ابن منقذ وكان شاعرا بليغا مدحه بقصيدة منها قوله

* سأشكر بحرا ذا عباب قطعته * الى بحر جود ما لأخراه ساحل *
* الى معدن التقوى الى معدن الندى * الى من سمت بالذكر منه الاوائل *
* اليك امير المؤمنين ولم تزل * الى بابك المأمول تزجى الرواحل *
* قطعت اليك البر والبحر موقنا * بأن نداك الغمر بالنجح كافل *
* وحزت بقصديك الغنا فبلغتها * وادنى عطاياك العلا والفواضل *
* فلا زلت للعلياء والجود باقياً * تبلغك الآمال ما انت آمل *

وعدد ابيات القصيدة اربعون بيتاً فاعطاه اربعين الفاً واثر صالح يعقوب الفرنج وهادنهم لانه بلغه قيام ثائر من المرابطين بأفريقية فأراد يعقوب الرجوع الى مراكش لقمع هذا الثائر واخماده فرجع وقمعه واخمده (لطيفة) قال الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه في الفتوحات المكية كنت بمدينة فاس سنة احدى وتسعين وخمسمائة وعساكر الموحدين قد جازت الى الاندلس لقتال العدو فلقيت رجلا من رجال الله فسألني ما تقول في هذا الجيش هل يفتح له وينصر في هذه السنة ام لا فقلت له ما عندك انت في ذلك فقال ان الله تعالى قد ذكره في كتابه وبشر به نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحاً مبيناً وموضع البشرى فتحاً مبيناً من غير تكرار الالف في مبيناً فانها لاطلاق الوقوف في تمام الآية فنظرت وحسبت الحروف فوجدت الفتح يكون في سنة احدى وتسعين وخمسمائة ثم جزت الى الاندلس في السنة المذكورة وقد نصر الله جيش المسلمين فهذا من الفتح الالهي لهذا الشخص اه فتحاً مبيناً ٤٨٩ ٢ ١٠٢ ٥٩١ وتوفي الامير يعقوب بمدينة سلا وقيل بمراكش سنة خمس وتسعين وخمسمائة وعمره احدى واربعون سنة قال ابن خلكان في ترجمة يعقوب المذكور ثم حكى لي جمع كثير بدمشق سنة ثمانين وستمائة ان بالقرب من المجدل البليدة التي من اعمال البقاع العزيزية بالشام قرية يقال لها حمارة والى جانبها مشهد يعرف بقبر الامير يعقوب ملك المغرب وكل اهل تلك النواحي متفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف اه قال في نفح الطيب توفي السلطان يعقوب سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمدينة سلا وكانت ولايته خمس عشرة سنة وما يقال انه ساح في الارض وتخلى عن الملك ووصل الى الشام ودفن بالبقاع لا اصل له وان حكى ابن خلكان بعضه وممن صرح ببطلان هذا القول الشريف الغرناطي في شرح مقصورة حازم وقال ان ذلك من هذيان العامة لولوعهم بالسلطان المذكور انتهى قال ابن خلكان وسمعت عن الامير يعقوب حكاية يليق ان تذكر ههنا وهي ان الامير ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص عمر الهنتاتي كان قد تزوج اخت الامير يعقوب المذكور واقامت عنده ثم جرت بينهما منافرة فجاءت الى بيت اخيها يعقوب المذكور واقامت عنده فسير الامير عبد الواحد في طلبها فامتنعت فشكا الامير عبد الواحد الى قاضي الجماعة بمراكش وهو ابو عبد الله محمد بن علي بن مروان فاجتمع القاضي المذكور بالامير يعقوب وقال

له ان ابا محمد عبدالواحد يطلب اهله فسكت الامير يعقوب ومضى على ذلك ايام ثم ان الامير عبدالواحد اجتمع بالقاضي المذكور في قصر الامير يعقوب وقال له انت قاضي المسلمين وقد طلبت اهلي فما جاؤني فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يا امير المؤمنين ان الشيخ عبدالواحد قد طلب اهله وهذه الثانية فسكت الامير يعقوب ثم بعد ذلك بمدة لقي الامير عبدالواحد القاضي بالقصر المذكور فقال له يا قاضي المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة انا اطلب اهلي وقد منعوني عنها فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يا مولانا ان الشيخ عبدالواحد قد تكرر طلبه لاهله فاما ان تسير اليه اهله والا فاعزلني من القضاء فقال له يا ابا عبدالله ماهذا الا جد كبير ثم استدعى خادما وقال له في السر تحمل اهل الشيخ عبدالواحد اليه فحملت اليه في ذلك النهار ولم يتغير على القاضي ولا قال له شيأ يكرهه وتبع في ذلك حكم الشرع المطهر وانقاد لاوامره قال ابن خلكان وهذه حسنة تعدله وللقاضي ايضا فانه بالغ في اقامة منار الشرع بالعدل انتهى

﴿ ذكر محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ﴾

وماجرى في مدته من الغزو لما توفي الامير يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بايع شيوخ الموحدين ابنه محمدا ولقبوه الناصر وكان النصارى بالاندلس لما سمعوا بموت يعقوب اخذوا يتغلبون على كثير من الحصون بالاندلس وكان محمد المذكور حديث السن عمره نحو تسع عشرة سنة فاستخف بكثير من وزراء ابيه ورجال دولته وبكثير من رجال الاندلس العارفين بالقتال حتى انه قتل بعض رجال دولته وشنق بعضهم فكان ذلك سببا لفساد النيات ولقوة الشكيمة للافرنج فلما بلغه قوة شكيمتهم وطمعهم في التغلب على بعض الحصون بل اخذوا بعضها بالفعل شرع في التجهز للمسير لقتالهم فتجهز في ستمائة الف مقاتل ودخله الاعجاب بكثرة من معه من الجيوش واستعد له العدو بجموع كثيرة فلما التقوا وتقاتلوا في شهر صفر سنة تسع وستمائة انهزم المسلمون وكثر القتل فيهم ولم ينج من الستمائة الف الذين مع محمد بن يعقوب غير عدد يسير لم يبلغوا الالف فكانت هذه الوقعة هي الطامة الكبرى على الاندلس بل على المغرب كله وماذاك الا لسوء التدبير والاعتماد على القوة وكثرة الجند والله غالب على امره واستولى العدو بعدها على كثير من الاندلس وتسمى هذه الوقعة بوقعة العقاب ثم كثر الثائرون والخارجون ايضا في المغرب وتوفي محمد بن يعقوب المذكور سنة ست عشرة وستمائة ثم تفرقت كلمة بني عبد المؤمن وكثر الاختلاف والقتال بينهم مع بعضهم وانتشرت فتن كثيرة بينهم فكانوا كلما بويع لواحد منهم خلعوه وخرجوا عليه الى ان انقضت دولتهم وكانوا كلهم يدعون لمهديهم محمد بن تومرت على المنابر في الخطبة ويترحمون عليه ويكتبون اسمه على سكة الدراهم والدنانير الا العاشر من خلفائهم وهو ابو العلا ادريس الملقب بالمأمون ابن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن فانه امر باسقاط اسم مهديهم محمد بن تومرت من السكة والخطبة والف في ذلك رسالة طويلة افصح فيها بتكذيب مهديهم المذكور وضلاله وصار يلعنه وكان ادريس المأمون عالما فصيحا متمكنا في علم الاصول والفروع ناظما

ثائرا وكان سفاكا للدماء وكانوا يسمونه حجاج المغرب قتل مائة من شيوخ الموحدين وسفك دماء كثيرة من دماء الخارجين الثائرين عليهم وقتل في يوم واحد اربعة آلاف ونصب رؤسهم على اسوار مدينة مراكش مات سنة ثلاثين وستمائة وكان تمام انقضاء دولتهم سنة ثمان وستين وستمائة فكانت مدة دولتهم مع مهديهم مائة واثنتين وخمسين سنة وجملة من تولى منهم مع مهديهم ستة عشر شخصا فسبحان الملك الباقي الذي لا يعتري ملكه الزوال والنقصان وتفصيل ملوكهم مع الفتن التي وقعت بينهم ذكرته في تاريخ جمعته في اخبار الاندلس وكان المنتزع الملك من بني عبد المؤمن جماعة من بني مرين وسنذكرهم ان شاء الله تعالى ونذكر ما كان منهم من الغزو لكفار الاندلس لكن ينبغي قبل ذكرهم ان نذكر السلاطين ملوك تونس لانهم من فروع دولة الموحدين والجميع من فروع دولة محمد بن تومرت المهدي على زعمهم والحفصيون ملوك تونس هم اولاد ابي حفص عمر الهنتاتي وهو الوزير الثاني لمحمد بن تومرت لانه اول قيامه بدعواه كان الملازمون القائمون بأمره ثلاثة عبد المؤمن بن علي وعبد الله الونشريسي وابو حفص عمر الهنتاتي اما عبد المؤمن فقد تقدم الكلام عليه وعلى اولاده الذين ورثوا الملك منه الى ان ذهب ملكهم واما عبد الله الونشريسي فقتل في بعض الحروب التي كانت اول ظهور محمد بن تومرت واما ابو حفص عمر الهنتاتي فكان وزيرا لعبد المؤمن وكان ولي العهد بعده ثم احتال عليه عبد المؤمن وخلعه وجعل ولاية العهد لابنه محمد ثم يوسف بن عبد المؤمن وكان عبد المؤمن في مدة ملكه اتخذ ابا حفص عمر الهنتاتي وزيرا وخليلا يقربه ويدنيه ويستشيره في اموره كلها ثم صار ابناء عبد المؤمن يقربون ابناء ابي حفص ويدنونهم ويتخذون منهم وزراء وامراء وفي سنة ستمائة وثلاثة في مدة ملك محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن جعلت ولاية تونس لعبد الواحد بن ابي بكر بن ابي حفص عمر الهنتاتي وتوارثها بنو عبد الواحد المذكور وبقي ملك تونس فيهم الى سنة تسعمائة واحدى وثمانين فانتزع ملك تونس منهم سلاطين آل عثمان فكانت مدة ملك تونس لبني حفص ثلاثمائة وثمانية وسبعين سنة وعدة ملوكهم ثمانية وعشرون ملكا فدولتهم ايضا من فروع دولة المهدي محمد بن تومرت وكان لهم ملك ضخم وجرى منهم غزوات وفتوحات سيأتي كثير منها بعد اتمام الكلام على دولة بني مرين المنتزعين ملك بني عبد المؤمن وبعد ذكر ما كان منهم من الغزوات والفتوحات بالاندلس

﴿ ذكر دولة بني مرين وغزواتهم بالاندلس ﴾

اعلم ان بني مرين قبيلة من قبائل البربر كانوا متوحشين يسكنون الصحراء والقفار وكانت لهم مواش ثم صارت لهم خيل وقوة فلما ضعف ملك بني عبد المؤمن ورأى بنو مرين ضعفهم واختلال ملكهم تخلصوا من الصحراء والقفار وتفرقوا في جهات المدن والامصار واوجفوا بخيلهم وركابهم وظهرت لهم رياسة وقوة وشوكة فخلعوا اطاعة بني عبد المؤمن بعد ان كانوا تحت طاعتهم فصار كثير من رعايا بني عبد المؤمن يحتمون ببني مرين ويلتجئون اليهم لاسيما اذا وقعت عليهم مظلمة من بني عبد المؤمن فتمسك كثير من الناس بمعتصمات بني مرين واظلم الجو بينهم وبين بني عبد المؤمن وثار من ذلك فتن كثيرة بين الفريقين ووقع بينهم

محاربات يطول الكلام بذكرها فصار بنو مرين يقوى امرهم كلما ضعف ملك بنى عبد المؤمن الى ان استلبوهم الملك وانتزعوه منهم واستولوا عليه واول ماظهرت الرياسة فى بنى مرين بعد الخمسين والخمسمائة من الهجرة واول من ظهرت عليه الرياسة منهم محيو بن ابى بكر بن حمامة فقدموه رئيسا عليهم الى ان توفى فى سنة احدى وتسعين وخمسمائة فقام بالرياسة بعده ابنه عبدالحق بن محيو الى ان توفى سنة اربع عشرة وستمائة فقام بالرياسة بعده ابنه عثمان بن عبدالحق الى ان توفى سنة سبع وثلاثين وستمائة ثم بعده اخوه محمد بن عبد الحق الى ان توفى سنة اثنتين واربعين وستمائة ثم اخوه ابويحيى بن عبد الحق الى ان توفى سنة ست وخمسين وستمائة فقام بالرياسة بعده اخوه يعقوب بن عبدالحق وفى هذه المدة السابقة كانت محاربات كثيرة بينهم وبين بنى عبدالمؤمن فقوى امرهم وانتشر صيتهم واستولوا على مدائن وقرى منها مكناسة وفاس وتلمسان وطنجة وسبتة وغير ذلك الا تونس واعمالها فان ملكها كان بيد الحفصيين ابناء أبى حفص عمر الهنتاتى احد اصحاب المهدى محمد بن تومرت وقد تقدم ذكر ذلك وكان تملك بنى مرين فاس سنة ست واربعين وستمائة وآخر الامر ملكوا مراكش سنة ثمان وستين وستمائة وقتلوا ابا دبوس الملقب بالواثق وهو آخر ملوك بنى عبد المؤمن واستقر الملك لبنى مرين على يد يعقوب بن عبد الحق فهو الذى ينبغى ان يكون اولهم ولما استقرت دولته بمدينة مراكش جاءته البيعة من اهل الاندلس وجاءه جماعة منهم يستنصرون به على النصارى المتغلبين على اكثر الاندلس وسيأتى ذكر تجهيزه لغزو العدو بالاندلس ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر ما كان من استيلاء العدو على كثير من مدائن الاندلس مدة ضعف دولة بنى عبد المؤمن ﴾

كان بالاندلس عمال لبنى عبد المؤمن متفرقون فى اقطارها ومدائنها فلما حصل الضعف لدولتهم وانتشرت الفتنة بينهم مع بعضهم وبين بنى مرين واشتغلوا بقتالهم اغتنم العدو الفرصة وصار يقتطع كثيرا من المدائن والمعاقل والحصون ويستولى عليها ولم يوجد بالاندلس من الجيوش والرجال من يدافع العدو ويقاتله وقد كثر ما استولى عليه الطاغية فى هذه المدة التى ضعف فيها ملك بنى عبد المؤمن وبعض المدائن استولى عليها العدو قبل ظهور الضعف فى دولتهم فمن ذلك مدينة تطيلة واختها طرشونة استولى عليها الطاغية سنة اربع وعشرين وخمسمائة وكان ذلك فى اول دولة بنى عبد المؤمن وآخر دولة المرابطين بل كان قد استولى قبل ذلك على طليطلة سنة ثمان وسبعين واربعمائة كما تقدم حتى ان يوسف بن تاشفين لما عبر الاندلس وكانت وقعة الزلاقة عجز عن تخليص طليطلة من يد الطاغية واستولى الطاغية على مدينة سرقسطة سنة سبع وخمسين واربعمائة ثم استرجعت ثم استولى عليها ثانيا سنة خمسمائة واثنى عشر واستولى على بلنسية سنة اربعمائة وسبع وخمسين ثم ارتجعها المسلمون ثم تكرر استيلاؤهم عليها واسترجاعها كما تقدم ثم تغلب العدو عليها واخذها مرة أخرى سنة ست وثلاثين وستمائة واستولى على حصن روطة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكان من امنع الحصون سلمه ابن هود لصاحب طليطلة لما عجز عن مقاومته واستولى العدو على مدينة المرية سنة اثنتين واربعين وخمسمائة

وكان قبل ذلك استولى على مدينة لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة ثم ارتجع الموحدون المرية سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وبقيت بيد المسلمين سنين ثم ارتجعها العدو خذله الله مرة أخرى واستولى على كورة ماردة سنة ست وعشرين وستمائة وعلى ميورقة سنة سبع وثلاثين وستمائة وعلى جزيرة شقرة سنة تسع وثلاثين وستمائة وعلى قرطبة دار الخلافة سنة ست وثلاثين وستمائة وعلى شرق الاندلس شاطبة وغيرها سنة خمس واربعين وستمائة واستولوا سنة اربع واربعين وخمسمائة على مدينة طرطوشة وملكوا معها جميع قلاعها وحصون لاردة وافراغة وعلى مرسية صلحا في العام المذكور وحصروا اشبيلية سنة خمس واربعين وستمائة وملكوها في العام القابل وبيان وقائع اخذ الطاغية لهذه المدائن يطول الكلام بذكره وذلك مشتمل على ما تتقرح له الاكباد وتنسجم له العيون ولما اخذت قواعد المدائن وامهاتها بالاندلس مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها انحاز اهل الاسلام الى قطعة من شرق الاندلس كانت بيد المسلمين منهم محمد بن يوسف بن هود الجذامي كان آباؤه لهم ملك بالاندلس من جملة ملوك الطوائف فكان محمد بن يوسف المذكور بمرسية من شرق الاندلس وكان هناك عمال لبني عبد المؤمن فتغلب عليهم واخرجهم واستعان على ذلك ببعض اهل الاندلس وعلمائهم واعيانهم وصار الملك له وخطب لبني العباس وأقام الدعوة لهم ثم كثر المنازعون له والثائرون عليه من المسلمين ومن الفرنج وطمعوا فيه فاضطربت عليه الامور وكان ممن نازعه من المسلمين بنو الاحمر وهم قوم ينسبون الى سعد بن عبادة رضي الله عنه الانصاري سيد الخزرج في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان تحت ايديهم بعض مدائن بغرب الاندلس فانتزعوا ما كان تحت يد محمد بن يوسف بن هود وضموه الى ما كان تحت ايديهم وكان اول من قام من بني الاحمر محمد بن نصر وكان ابوه نصر في دولة بني عبد المؤمن من امراء الاجناد وكان محمد ابن نصر يقال له محمد الشيخ وبويع سنة تسع وعشرين وستمائة وخطب لأبي زكريا يحيى ابن عبد الواحد بن ابي حفص عمر الهنتاتي وكان ابو زكريا المذكور اذذاك صاحب تونس وكان قد استفحل ملكه بتونس وافريقية فخلع طاعة بني عبد المؤمن ودعا لنفسه وتسمى بأمير المؤمنين فبايع ابن الاحمر الناس له ليفسد على ابن هود بيعته لبني العباس ودخل مع ابن الاحمر في تلك البيعة اهل جيان وشريش وكان الطاغية في ذلك الوقت محاصرا بلنسية وذلك سنة ست وثلاثين وستمائة ثم ارسل ابن الاحمر جماعة من اعيان اهل الاندلس لأبي زكريا الحفصي بتونس فقدموا عليه وعقدوا له بيعة اهل الاندلس واستصرخوا به يريدون منه النجدة في قتال النصارى فاجابهم الى مطلبهم وعقد ابو زكريا لتلك البيعة يوما مشهوداً بتونس وانشد شاعر اهل الاندلس القصيدة المشهورة التي اولها

* أدرك بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا *

* وهب لها من عزيز النصر ما التمست * فلم يزل منك عز النصر ملتمسا *

وهي قصيدة طويلة بليغة مذكورة في نفح الطيب فاجاب ابو زكريا بيعتهم ولبى دعوتهم وجهز لهم اساطيل فيها المال والرجال فلما وصلوا الاندلس وجدوا الطاغية المحاصر بلنسية قد ملكها ثم ملك مرسية ايضا صلحا وكان ممن قام بالاندلس ايضا ابو محمد اشقيلولة

واستولى على قارش وو ادى آش وكان بينه وبين ابن الاحمر مصاهرة وقرابة ثم منافسة باطنية فاستعان به ابن الاحمر على ابن هود وكان ابن هود قبل ان يتغلبوا عليه قد جاءه خطاب وتقليد من الخليفة العباسي المستنصر بالله بن الظاهر بن الناصر فقوى ابن هود لما جاءه التقليد فبايعه ابن الاحمر وترك الخطبة لابي زكريا الحفصي صاحب تونس وافريقية ثم قام باشبيلية ابو مروان الباجي فداخله ابن الاحمر على ان يزوجه ابنته فاطاعه ابو مروان فدخل ابن الاحمر اشبيلية ثم فتك بابن مروان فقتله ثم ان اهل اشبيلية بعد شهر كاتبوا ابن هود ودخلوا في طاعته واخرجوا ابن الاحمر ثم تغلب ابن الاحمر على غرناطة سنة خمس وثلاثين وستمائة بمواطاة من اهلها لجاءته بيعتهم وهو بجيان فجاء الى غرناطة فدخلها وجعلها كرسي مملكته ثم تغلب على مالقة وفي هذه المدة التي وقعت فيها هذه الفتن بين المسلمين بالاندلس قوي امر النصارى وطمعوا فيما بايدي المسلمين وتنقصوا كثيرا من مدائن الاندلس وحصونها وداخلهم ابن هود وهادنهم بالصلح ليدفعوا عنه ابن الاحمر واعطاهم كثيرا من المعاقل والحصون قيل انه اعطاهم ثلاثين حصنا وجعل على نفسه ضريبة لهم كل سنة اربعمائة الف دينار ثم ثار على ابن هود وزيره ابن الرميمي فقتله واستولى على ما بيده ثم استولى ابن الاحمر على ما بيد الرميمي سنة ثلاث واربعين وستمائة ثم بايع ابن الاحمر اهل مرسية سنة ثلاث وستين وستمائة وحصل لاعقاب ابن هود في هذه الفتن خطوب كثيرة وحروب بينهم وبين ابن الاحمر ثم دخلوا في طاعته فبعث ابن الاحمر ابن اشقيلولة فتسلم منهم مرسية وخطب لابن الاحمر وعوضهم عن مرسية حصنا من عملها سنة ثمان وستين وستمائة ثم انقرضت دولة بني هود بالكلية وكان ابن الاحمر في اول امره يداخل النصارى ويستعين بهم على ابن هود فلما داخل النصارى ابن هود واعطاهم الحصون المتقدم ذكرها وجعل لهم الضريبة على نفسه فزع اليهم ابن الاحمر لانهم كفوا عن معاضدته التي كانت منهم له قبل ذلك وصاروا معاضدين لابن هود ثم لما رأى ابن الاحمر امر النصارى يقوى ورآهم تغلبوا على قرطبة وغيرها خاف ان يستولوا على ما بيده فسخطهم ونبذ عهدهم وصار محترسا منهم وحاز في مملكته مدائن بغرب الاندلس وبالمتوسطة من الاندلس من ذلك غرناطة والمرية ومالقة ونحوها وتوفي ابن الاحمر محمد الشيخ بن يوسف بن نصر سنة ستمائة واحدى وسبعين فبويع بعده ابنه محمد الفقيه بن محمد الشيخ وكان ممن بقي من ملوك الاندلس بنو اشقيلولة وكانوا نظراء لابن الاحمر في الرياسة وبينهم وبينه مصاهرة ومنافسة وكان الرئيس فيهم ابا محمد صاحب مالقة واخاه ابا اسحاق صاحب وادي آش وقارش ثم ان ابن الاحمر محمد الفقيه في سنة ثلاث وسبعين وستمائة بعث جماعة من المسلمين الى بني مرين يستصرخون بهم ويسألونهم النصرة والاعانة على قتال النصارى وكان في ذلك الوقت قد تمكن الملك في مراكش والمغرب الاقصى لبني مرين وكان الملك في ذلك الوقت من بني مرين يعقوب بن عبد الحق

﴿ ذكر اول تجهيز من بني مرين لغزو النصارى بالاندلس ﴾

لما جاء الصريخ من اهل الاندلس مع الجماعة الذين بعثهم ابن الاحمر محمد الفقيه بن محمد الشيخ بن يوسف بن نصر جهز السلطان يعقوب بن عبد الحق جيوشا كثيرة من مدينة فاس ومراكش فاجتازت الى الاندلس مع بعض اولاد السلطان يعقوب والتقوا مع النصارى وقاتلوهم أشد

فارتحل السلطان ومن معه الى منازلة اشبيلية وكان باشبيلية اذذاك ملك الجلالقة ابن اذفونش فخار وجبن عن اللقاء وبرز الى ساحة البلد محاميا عن اهله فرتب امير المسلمين حبوشه وجعل ابنه يوسف فى المقدمة وزحف فى التعبية فانحجز العدو الى البلد واقتحموا أثرهم فى الوادى واثخنوا فيهم الى ان جاء الليل وبات العسكر ليلتهم على ظهور خيولهم وقد اضرموا النيران بساحة العدو وضربوا الحصار عليهم وبثوا السرايا والغزوات فى سائر النواحى حتى أبادوا عمرانها وملكوا حصن قطيانة عنوة وكذا حصن جليانة وحصن القليعة واثخنوا فى القتل والسبي ثم ارتحل السلطان الى الجزيرة الخضراء بالغنائم فارتحا وقسم الغنائم فى المجاهدين

غزوة اخرى

فى منتصف ربيع الثانى من السنة المذكورة ارتحل السلطان من الجزيرة الخضراء غازيا الى شريش فاذاقها نكال الحرب واقفر نواحيها وقطع أشجارها وحرق كثيرا من ديارها واعمالها ونواحيها واثخن فيها بالقتل والاسر وتحصن العدو بمدينة شريش وجبن عن اللقاء فاراد السلطان اخذ الاطراف ليسهل حصار البلد وبعث ابنه يوسف فى سرية للاغارة على اشبيلية وحصون الوادى فبالغ فى النكاية واكتسح حصن روطة وسلوقة وغليانة والقناطر ثم صبح اشبيلية وانكفأ الى امير المسلمين فقفلوا جميعا الى الجزيرة الخضراء فاراحوا وقسموا الغنائم فى المجاهدين

غزوة اخرى

ثم لما كان السلطان بالجزيرة الخضراء حث المسلمين على غزو قرطبة ورغبهم فى غنائمها وثروة ساكنها وخصب بلادها فانعطفوا الى جانبه وارسل لابن الاحمر يستدعيه ودارت بينهما مكاتبات فيها عتاب زال به ما كان فى نفس ابن الاحمر وعزم على لقاء السلطان وخرج امير المسلمين من الجزيرة الخضراء لاول جمادى وواتاهم ابن الاحمر بناحية ارشدونة فاكرم وصوله ثم نازلوا جميعا حصن بنى بشر وملكوه عنوة وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء ونقلوا الاموال وخربوا الحصن ثم بث السرايا والغارات فى البسائط فاكتسحها وامتلأت الايدى وأثرى العسكر وتقروا المنازل والعمران فى طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة وانحجزت حامية العدو من وراء الاسوار وانبثت بعوث المسلمين وسراياهم فى نواحيها فنسفوا آثارها وخربوا عمرانها واكتسحوا قراها وضياعها وترددوا على جهاتها وملكوا حصن بركونة عنوة ثم ارجونة كذلك وجبن العدو عن اللقاء وأيقن بخراب العمران فجنح الى السلم وارسل لامير المسلمين يطلب السلم فدفعه الى ابن الاحمر وجعل الامر فى ذلك اليه تكرمة لمشهده ووفاء بحقه فأجابهم ابن الاحمر الى الصلح بعد عرضه على امير المسلمين واذنه فيه لما فيه من المصلحة وجنوح اهل الاندلس اليه منذ المدة الطويلة فانعقد السلم وقفل امير المسلمين من غزاته وجعل طريقه على غرناطة كرسى ملك ابن الاحمر احتفالا به وخرج له امير المسلمين عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ابن الاحمر وقال له السلطان يعقوب يكون حظ بنى مرين من هذه الغزوة الاجر والثواب مثل ما فعل يوسف بن تاشفين مع اهل الاندلس يوم الزلاقة ودخل امير المسلمين الى الجزيرة الخضراء فى اول رجب من العام المذكور فأراحهم ونظر فى ترتيب المصالح على الثغور وكان بنو اشقيلولة مع امير المسلمين فى هذا الغزو وفارقوه بعد فراغ

الغزو ولما فعلوا اعتل ابو محمد صاحب مالقة ثم مات غرة جمادى من السنة المذكورة فلحق ابنه محمد السلطان آخر شهر رمضان وهو بالجزيرة فنزل للسلطان عن مالقة ودعاه الى احتيازها لانه رأى ابن الاحمر يطمع فى انتزاعها منه ولا قدرة له على دفاعه وقال للسلطان ان لم تحزها اعطيتها للفرنج ولا يملكها ابن الاحمر فقبلها السلطان منه وعقد عليها امير المسلمين لابنه ابى زيان منديل ثم سار امير المسلمين اليها بعد انقضاء شهر الصيام فوافاها سادس شوال وبرز اليه اهلها فى يوم مشهود واحتفلوا له احتفال ايام الزينة سرورا بقدومه ودخولهم فى ايالته واقام بها الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيى وكان من صنائعه ولئيم وانزل معه المسالح وزيان ابنه ابى عباد بن عبد الحق فى طائفة من ابطال بنى مرين واستوصاه بمحمد ابن اشقيلولة ولما علم ابن الاحمر ان امير المسلمين تملكها شق عليه ثم ارتحل السلطان الى الجزيرة ثم الى المغرب سنة سبع وسبعين وستمائة وقد اهتزت الدنيا لقدومه وامتلأت القلوب بما اعتاده الله من نصر المسلمين لكن نشأ من تملكه مالقة غيظ لابن الاحمر وعظم عليه الامر فتظاهر بطاغية النصارى واتفق معه على منع دخول السلطان الاندلس بعد هذه المرة ان اراد ذلك فاغتنم الطاغية مظاهرة ابن الاحمر له فنكث عهد امير المؤمنين واغزى اساطيله الجزيرة الخضراء حيث مسالح السلطان وعساكره واحتال ابن الاحمر على عامل مالقة فاخذها منه وراسلوا بعض الثائرين على السلطان بالمغرب وحثوهم على افساد الثغور واتصل الخبر بامير المسلمين وهو بمراكش وبلغه ان المسلمين فى الجزيرة الخضراء فى شدة من ضيق الحصار فعقد لابنه على الغزو واغزى الاساطيل فى البحر الى جهاد العدو

﴿ غزوة اخرى لبنى مرين بالاندلس ﴾

لما بلغ امير المسلمين ما تقدم من نكث الطاغية العهد ومظاهرة ابن الاحمر فعقد السلطان لابنه ووصل الى طنجة فى شهر صفر من سنة ثمان وسبعين وستمائة وغزا الى البلاد البحرية لاعداد الاساطيل بسبتة وطنجة وسلا وقسم الاعطيات واستنفر الناس فتوفرت همم المسلمين على الجهاد وصدقت عزائمهم على الموت ولما رأى ابن الاحمر ما نزل بالمسلمين فى الجزيرة الخضراء من حصار الطاغية لها واشرافه على اخذها اخذته الحمية الاسلامية واعد اساطيله وكانت اثنى عشر وبعثها مددا للمسلمين واغاثة لهم وكانت اساطيل امير المسلمين تناهز السبعين وقيل اثنين وسبعين وبعث الامير صاحب سبتة خمسة وار بعين اسطولا واساطيل الطاغية تناهز اربعمائة وتلاقوا مع العدو واخلصوا لله عزائمهم وصدقوا فى نياتهم ووعظهم خطباؤهم والتحم القتال ونزل الصبر فلم يكن الا كلا ولا حتى نصحوا العدو بالنبل فانكشفوا وتساقطوا فى البحر فاستلحمهم السيف وغشيهم اليم وملك المسلمون اساطيلهم ودخلوا مرفأ الجزيرة وفرضتها عنوة فاختل عسكر الطاغية ودخلهم الرعب وخرج الناس المحصورون من البلد وانتشرت النساء والصبيان بساحته فغنموا كثيرا من الحنطة والادام والفواكه حتى ملؤا اسواق البلد من ذلك اياما واجاز الامير يوسف من حينه الى الاندلس وارهب العدو فى كل ناحية ثم صده عن التوسع شأن الفتنة مع ابن الاحمر فرأى ان يعقد مع الطاغية صلحا ويصل به يدا ليناز ل غرناطة كرسى ملك ابن الاحمر فأجابه الطاغية الى ذلك رهبة من بأسه وموجدة

القتال وهزموهم شرهزيمة وملؤا ايديهم من غنائمهم واسلابهم وتحصن النصارى فى حصونهم ومعاقلهم وفى المدائن التى ملكوها ورجع بنومرين سالمين منصورين ولم يخلصوا فى هذه الغزوة شيأ من المدائن التى ملكها العدو

﴿ غزوة أخرى لبنى مرين الى الاندلس ﴾

فى سنة اربع وسبعين وستمائة جمع امير المسلمين السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى جموعا كثيفة واستنفر المسلمين من كل ناحية وغزا الاندلس بنفسه فلما وصل طريف لقيه ابن الاحمر محمد الفقيه صاحب غرناطة والرئيس ابو محمد ابن اشقيلولة صاحب مالقة فاكرمهما وفاوضهما فى أمر الجهاد ثم امرهما بالرجوع الى بلديهما فانصرف ابن الاحمر مغاضبا لكلمات صدرت من ابن اشقيلولة اغضبته وجاء الخبر للسلطان يعقوب ان زعيم النصارى جمع جموعا كثيرة يضيق منها الفضاء فرتب السلطان جيوشه لقائه ثم التقوا وتقاتلوا قتالا شديدا وهزم الله النصارى هزيمة قبيحة حتى قال بعض المؤرخين ان المسلمين بعد ان هزموا يوم العقاب الذى كان فى دولة الموحدين فى مدة محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ما انتصروا حتى دخل السلطان يعقوب ابن عبد الحق المرينى الاندلس وفتك بهم وقتل الله زعيم النصارى فى هذه الوقعة وكان اسمه ذننة وقتل من جيشه اكثر من اربعين الفا وهزم الباقون شرهزيمة وملك السلطان من الاندلس رندة والجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق وغير ذلك واعز الله به الدين بعد غرد النصارى ولما قتل ذننة زعيم النصارى فى القتال المذكور بعث السلطان يعقوب رأس ذننة الى ابن الاحمر فقيل ان ابن الاحمر طيبه واكرمه ورده الى النصارى وجعل ذلك صنيعا عندهم وكرامة لهم وولاية اخلصها لهم وكان ذلك منه انحرافا عن السلطان يعقوب قال ابن خلدون وظهرت شواهده عليه بعد حين ورجع امير المسلمين من غزوته الى الجزيرة منتصف ربيع الاول من سنته فقسم الغنائم فى المجاهدين وما اخذوه من اموال عدوهم وسباياهم واسراهم بعد اخراج الخمس لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرف فى مصارفه وكان مبلغ الغنائم فى هذه الغزوة مائة الف من البقر واربعة وعشرين الفا ومن الاسارى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثين اسيرا ومن الكراع اربعة عشر الفا واما الغنم فشئ كثير خارج عن الحصر وكذا السلاح واقام امير المسلمين بالجزيرة اياما

﴿ غزوة اخرى ﴾

بعد فراغ الغزوة السابقة ورجوع السلطان الى الجزيرة واقامته اياما خرج غازيا من الجزيرة الى اشبيلية فجاس خلال ديارها وتتبع اقطارها ونواحيها واقطارها واثخن بالقتل والنهب فى جهاتها وعمرانها ثم ارتحل الى شريش فاذاقها وبال العيث والاكتساح ثم رجع الى الجزيرة بعد شهرين ثم رجع الى المغرب من السنة المذكورة بعد ان رتب فى الاندلس جيشا يقيم هناك ليدوم الغزو والجهاد للكفار

﴿ غزوة اخرى لبنى مرين للاندلس ﴾

فى سنة ست وسبعين وستمائة تجهز السلطان يعقوب بن عبد الحق وسار بجموعه ونزل بطريف آخر المحرم ثم ارتحل الى رندة ووافاه الرئيسان ابو محمد ابن اشقيلولة صاحب مالقة واخوه ابو اسحاق صاحب قارش يريدان الغزو معه ولم يأته ابن الاحمر محمد الفقيه صاحب غرناطة

على ابن الاحمر فى اعداده المدد لاهل الجزيرة وتظاهر الطاغية بالمداوة لابن الاحمر و بعث الطاغية اساقفته لعقد الصلح فأجازهم الامير يوسف الى ابيه امير المسلمين فغضب لذلك وأنكر على ابنه ولم يرض بما اراده ابنه وزوى عنه وجهه رضاه وارجعهم الى طاغيتهم مخفق السعى وجاء اهل الجزيرة الخضراء الى امير المسلمين فلقوه بأرض السوس فولى عليهم ابنه ابا زيان منديل فنزل بالجزيرة واتم الصلح مع الطاغية ونازل المرية برا و بحرا وكانت لابن الاحمر فامتنع اخذها عليه وانضوى اليه اهل الحصون القريبة بطاعتهم حذرا من الطاغية فتقبلهم ونازل الطاغية ابن الاحمر بغرناطة وحاصره فراجع ابن الاحمر مسالمة بنى مرين و بعث لابى زيان ابن السلطان فى طلب الصلح فأنهى الامر الى ابيه فأشفق السلطان على المسلمين و على مانال ابن الاحمر من منازلة الطاغية فراسله السلطان الى ان تم الصلح بينه و بين ابن الاحمر وارتحل الطاغية من غرناطة واشترط السلطان على ابن الاحمر ارجاع مالقة للسلطان

﴿ غزوة اخرى ﴾

من لطف الله بالمسلمين وعنايته ببنى مرين ان اوقع الخلف بين الطاغية ابن ادفونش وابنه شانجة حتى سلب اباه ملكه وتغلب عليه فوفد على السلطان بطارقة الطاغية وزعماء دولته مستصرخين على ابنه شانجة مخبرين بأنه خرج على ابيه فى طائفة من النصارى فغلبوه على امره فجاؤا يطلبون النصرة من امير المسلمين ليرجع للطاغية ملكه و ينتزعه من ابنه ففرح امير المسلمين بافتراقهم وأحب الدخول الى الاندلس ليقضى مأربه من جهاد الكفار فأجاب امير المسلمين رسل الطاغية ووعدهم بالقيام مع الطاغية ليرجع ملكه اليه و ينتزعه من ابنه الغاصب له فأوعز الى الناس بالجهاد وامرهم بالنفير وجهز الجيوش واجاز الى الجزيرة الخضراء فاحتل بها فى ربيع الثانى سنة احدى وثمانين وستمائة واجتمعت عليه مسالح الثغور بالاندلس وسار حتى نزل صخرة عباد فوافاه الطاغية بنفسه ذليلا لعز الاسلام مؤملا صريخ السلطان فاكبر وفادته وأكرم موصله وعظم قدره وذكر ابن خلدون وابن الخطيب ان هذا الطاغية لما اجتمع بالسلطان يعقوب قبل يده اعظاما لقدره وخضوعا لعزه فدعا السلطان بماء فغسل يده من تلك القبلة بمحضر من كان هنالك من جموع المسلمين والفرنج والتمس الطاغية من السلطان ان يده بشئ من المال يستعين به فأمده لنفقاته مائة الف من مال المسلمين استرهن فيها الطاغية تاجه و بقى بيد المسلمين فخرا للاعقاب ودخل السلطان معه دار الحرب حتى نازل قرطبة وبها شانجة ابن الطاغية الخارج على ابيه السالب لملكه فقاتلها اياما ثم تنقل فى جهاتها و نواحيها وارتحل الى طليطلة فعاث فى جهاتها وخرب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من اقصى الثغر فامتلأت ايدى المسلمين من الغنائم وضاق معسكره منها ورجع السلطان الى الجزيرة فاحتل بها شعبان من السنة ولما اتصلت يد السلطان بيد الطاغية خشى ابن الاحمر غائلته فجنح الى موالاة شانجة الخارج على ابيه ووصل يده بيده واكد له العقد واضرمت له الاندلس نارا وفتنة ولم يغن ذلك شانجة شيأ فلم يزل السلطان مع الطاغية حتى ظهر على ابنه وذلك ان السلطان كان اشترط على ابن الاحمر ارجاع مالقة فلم يفعل فنهض السلطان الى مالقة ونازلها فاتح ثنتين وثمانين فتغلب على الحصون القريبة ثم حاصر مالقة فضاق النطاق على ابن الاحمر فالتجأ الى

الامير يوسف ابن السلطان وخاطبه مستصرخا لرقع هذا الخرق وجمع كلمة الاسلام فأجابه وأجاز لشهر صفر فوافى السلطان امير المسلمين بمعسكره على مالقة ورغب منه السلم لابن الاحمر والتجافى عن مالقة فاسعف رغبته لما يؤمل فى ذلك من رضاء الله فى جهاد عدوه واعلاء كلمته وانعقد السلم وانبسط امل ابن الاحمر وتجددت عزائم المسلمين وقفل السلطان الى الجزيرة وبث السرايا فى دار الحرب فأوغلوا وانخنوا ثم استأنف الغزو بنفسه الى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثانى من سنة ثنتين وثمانين وستمائة حتى انتهى الى قرطبة فأثخن وغنم وخرب العمران وافتتح حصونا ثم رجع الى الجزيرة فى شهر رجب وقسم الغنائم ثم رجع الى المغرب وفى فاتح سنة ثلاث وثمانين بلغه مهلك الطاغية ابن اذفونش واجتماع النصرانية على ابنه شانجة الخارج على ابيه فتحركت الى الجهاد عزائم السلطان

﴿ غزوة اخرى ﴾

فى سنة ثلاث وثمانين عزم السلطان على جهاد العدو بالاندلس فجمع الجيوش ونهض من مراكش فى شهر جمادى الآخرة واحتل برباط الفتح منتصف شعبان فقضى صومه ثم شرع فى ارسال الجنود الى الجزيرة الخضراء الى خاتمة سنته ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة اربع وثمانين ولما انتهى الى الجزيرة سرح الجنود فى بلاد العدو وبث السرايا والغارات فى جميع النواحى فأثخنوا القتل والتخريب والسبى للنساء والذرية وركب غازيا بنفسه كثيرا من تلك الجهات وجرى فى هذه الغزوات ما يطول الكلام بذكره وتعداد الجهات والحصون التى اخربوها وسلبوا ما فيها وبقى النصارى متحصنين فى حصونهم المنيعة لا يقدرون على المبارزة للقتال ولا على الخروج من حصونهم فاستيقن الطاغية شانجة واهل ملته ان بلادهم قد فنيت وارضهم قد خربت وتبينوا العجز عن المدافعة والحماية فجنحوا الى السلم وضرعوا الى امير المسلمين فى كف عاديته عنهم واجتمع النصارى الى طاغيتهم شانجة خاشعة ابصارهم وسألوه ان يبعث الى امير المسلمين الملأ من كبار النصارى يسألونه الصلح فأجابهم شانجة الى مادعوه اليه فأوفد الى امير المسلمين وفدا من بطارقتهم وكبار دولتهم فردهم امير المسلمين اعتزازا عليهم فأعادهم الطاغية بترديد الرغبة على ان يشرط امير المسلمين ما شاء من عزدينه وقومه فأسعفهم امير المسلمين لما تبين من ذلهم لعز الاسلام ولانه اراد الرجوع الى المغرب لاصلاح ما فسد من الرعايا بقيام بعض الثوار الخارجين عن طاعته فعقد الصلح مع طاغية النصارى واشترط عليهم ما اراد من ذلك انهم يقفون عند مرضاته فى ولاية جيرانه من الملوك اوعداوتهم ورفع الضريبة عن تجار المسلمين المقيمين بدار الحرب من ممالكهم وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم فى فتنة

﴿ ذكر وفادة الطاغية على السلطان ﴾

لما رجعت رسل الطاغية اليه بعد عقد الصلح وفد على الطاغية رسل ابن الاحمر ليعقد السلم معه دون امير المسلمين وان تكون يده ويده واحدة على السلطان فأخبرهم بما عقده مع امير المسلمين ثم قال هذا امير المسلمين ولست اطيق مقاومته ولا دفاعه عنكم فانصرفوا ثم اشار عليه بعض رجال دولته بالوفادة على امير المسلمين لتتمكن الالفة فقبل اشارتهم والتقى قبل ذلك بولى عهد امير

المسلين وهو ابنه يوسف وكان نازلا على فراسخ من شريش فلقيه وبات فى معسكر المسلين ثم ارتحل من الغد للقاء امير المسلين فامر المسلين بالاحتفال للقاء الطاغية وقومه واظهار شعار الاسلام وابهته فاحتفلوا واظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفور الحامية فلقيه امير المسلين باحسن مبرة واتم كرامة يلق بهامثله من عظماء الملل وقدم هدية سنية لامير المسلين وابنه فقبلاها منه وقابلاه بكفائها ومضاعفتها وكل عقد الصلح وتقبل الطاغية سائر الشروط ورضى بعز الاسلام وانقلب الى قومه وسأله السلطان ان يبعث له من كتب المسلين التى استولى عليها النصارى فلما رجع بعث اليه ستة عشر حملا وقفل امير المسلين الى الجزيرة فى آخر شعبان وصام بها رمضان ثم أعمل نظره فى الثغور وترتيب المسالح ثم اعتل وهو بالجزيرة واستمر به المرض الى ان توفى لآخر المحرم من سنة خمس وثمانين وستمائة فكانت مدة ملكه تسعا وعشرين سنة وكان ابنه ولى عهده فى اقصى المغرب بعثه ابوه لتفقد الاحوال وهو ابو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق فأخذ البيعة له وزراء ابيه وعظماء قومه وحضر بنفسه فى شهر صفر فأخذوا البيعة على الخاصة والعامة وكان اول شئ احدث من امره ان بعث الى ابن الاحمر وضرب موعد القائه فبدر اليه ولقيه بظاهر مربالة لاول ربيع فلقيه هو بعزة وتكريم وتجاوز له عن جميع الثغور الاندلسية التى كانت لمملكة والده السلطان يعقوب ماعدا الجزيرة وطريف وتفرقا على اكمل حالات المصافات والوصلة ورجع السلطان يوسف الى الجزيرة فوافاه بها الطاغية شانجة لجددوا عقد السلم الذى عقده له امير المسلين يعقوب رحمه الله فأجابه

﴿ غزوة اخرى ﴾

فى سنة سبع وثمانين نما الخبر للسلطان يوسف بن يعقوب بان الطاغية انتقض العهد وتجاوز التخوم واغار على الثغور فارسل السلطان الى قائد المسالح بالاندلس ان يدخل الى دار الحرب وينازل شريش ويشن الغارات على بلاد الطاغية فنهض لذلك وجاس خلالها وتوغل فى اقطارها وابلغ فى النكاية وفصل السلطان فى ربيع الآخر سنة تسعين من تازى غازيا واستنفر اهل المغرب وقبائله فنفروا وشرع فى اجازتهم البحر وبعث الطاغية اساطيله فالتقوا مع اساطيل السلطان فى شعبان فاقتتلوا وانكشف المسلمون ووقعت عليهم هزيمة قدرها الله عليهم واستشهد كثير منهم محصهم الله تعالى ثم اغزا له ثانيا فجبنت اساطيل الطاغية عن اللقاء ثم ملكتها اساطيل السلطان

﴿ غزوة اخرى ﴾

ثم أجاز السلطان بنفسه فى اواخر رمضان سنة احدى وتسعين واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنازل حصنا منيعا ثلاثة اشهر وضيق عليهم وبث السرايا فى ارض العدو وردد الغارات على شريش واشبيلية ونواحيها الى ان بلغ الغاية فى النكاية للعدو والاثخان وقضى من الجهاد وطرا وزاحمه فصل الشتاء وانقطاع الميرة عن العسكر فافرج عن الحصن ورجع الى الجزيرة ثم أجاز الى المغرب فاتح سنة اثنتين وتسعين

﴿ غزوة اخرى ﴾

فى سنة اثنتين وتسعين تظاهر ابن الاحمر والطاغية واتفقا على منع السلطان ان اراد الجئ

بعد المرة السابقة وسبب ذلك انه لما أجاز السلطان الى الاندلس سنة احدى وتسعين وبالغ
من نكاية العدو اهم الطاغية أمره وثقلت عليه وطأته وحذر بن الاحمر ايضا غائلة
السلطان ورأى ان معية حاله الاستيلاء على الاندلس وان يغلبه على امره ويستلبه ملكه
ففاوض الطاغية وتحدثوا ان استمكانه من الاجازة اليهم انما هو لقرب مسافة بحر الزقاق
وانتظام ثغور المسلمين حواليه فان ذلك يسهل عبور شوانيهم وسفنهم وان ام تلك الثغور
طريف وانهم اذا استمكنوا منها وملكوها من المسلمين تكون اساطيلهم بمرفاها بمرصد أساطيل
المسلمين فتمنع عبورها فاعتزم الطاغية على منازلة طريف لتملكها وزعم له ابن الاحمر
مظاهرته على ذلك ووعده بالمدد وارسال الميرة لاقوات العسكر ايام منازلتها ووعده
الطاغية انها تكون لابن الاحمر ان خلصت من ايديهم فأناخ الطاغية بعساكر النصرانية
على طريف وألح عليها بالقتال ونصب الآلات واحتلت اساطيله ببحر الزقاق فحالوا بين
صريخ المسلمين ووصوله الى السلطان وجمع ابن الاحمر عساكره على طريف وهيأها قريبا منه
وسرب اليه المدد من السلاح والرجال والميرة من الاقوات واتصلت هذه الحال اربعة اشهر حتى
اصاب اهل طريف الجهد ونال منهم الحصار غاية المشقة فراسلوا الطاغية في الصلح والنزول عن
البلد فصالحهم واستنزلهم ووفى لهم بعهده واستشرف ابن الاحمر ان الطاغية يسلمه طريف حسبما
كان الوعد بينهما فأعرض الطاغية عن ذلك واستأثر بها بعد ان كان ابن الاحمر نزل للطاغية عن
ستة من الحصون عوضا عنها ففسد ذات بينهما ورجع ابن الاحمر يطلب التمسك بالسلطان ليستعين
به على الطاغية فأوفد ابن عمه اباسعيد ووزيره اباسلطان الداني في وفد من رجال دولته على
السلطان لتجديد العهد وتقرير المعذرة فوافوا السلطان فقبلهم وقبل ما اعتذروا به وأحكموا
الصلح ورجعوا لابن الاحمر باسعاف غرضه من المواخاة وقد ذكرنا فيما تقدم انه كان جيش لبني
مرين مقيما بالاندلس دائما للغزو فقدر الله ان في خلال ذلك توفي قائد الجيش الذي بالاندلس
لبني مرين فعقد السلطان لابنه ولي عهده ابي عامر على ثغور الاندلس التي في طاعته مع النظر
في امر الجيش الذي بالاندلس وانفذه الى قصر الجاز بعساكر فوافاه ابن الاحمر هنالك وقدم له
هدية وللسلطان هدية ايضا فتلقاه الامير ابو عامر واحتفل في مبرته ثم قدم ابن الاحمر على السلطان
فوافاه بطنجة فبالغ في تكرمته وبسط له ابن الاحمر العذر في شأن طريف فقبل عذره ونزل له
ابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغربية وعشرين حصنا من ثغور الاندلس كانت قبل ذلك
لسلطان المغرب وعاد ابن الاحمر الى الاندلس خاتمة سنة ثنتين وتسعين محبوا مجبورا وأجازت
عساكر السلطان معه لحصار طريف وعقد السلطان على حربها لوزيره عمر الجرباش فنازلها
مدة فامتنع عليه اخذها فافرج عنها وهلك الطاغية شانجة سنة ثلاث وتسعين وستمائة واجتمع
النصارى على ابنه اذفونش هراندة وحصل قيام ثائرين من المسلمين بتلمسان خرجوا عن طاعة
السلطان فاعتزم السلطان على التجهيز والمسير اليهم بنفسه وانتشر بذلك فتنة يطول الكلام
بذكرها فسار السلطان بجيوشه اليهم وطالت تلك الفتنة الى سنة احدى وسبعمائة ومات ابن
الاحمر في هذه السنة بالاندلس وقام بالامر بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع بن محمد الفقيه بن محمد
الشيخ بن يوسف بن نصر وبعث ولده السلطان بتلمسان فأحكموا الامر والعهد بينهما وكتب

(السلطان)

السلطان الى رجاله المقيمين بثغور الاندلس فى اعانتهم وامدهم بالرجال سنة ثنتين وسبعمائة فكانت لهم نكاية فى العدو ثم بدا لابن الاحمر محمد المعروف بالمخلوع ان يصل يده بالطاغية هرامدة بن شانجة فكاتبه واحكم عقد السلم بينه وبينه واتصل الخبر بالسلطان وهو محاصر تلمسان فسخطه واستفره الصريخ فبعث ابنه اباسالم لسد تلك الفرجة وجمع اليه العساكر واستعد ابن الاحمر لمدافعة ابن السلطان فداخل اهل سبتة فى خلع السلطان والقبض على عامله فتم له ذلك فسار ابو سالم ابن السلطان بعساكره الى سبتة وحاصرها مرة ثم بيتوه ليلة فاختل معسكره وافرج عنها منهزما فسخطه السلطان واعتزم على النهوض لذلك بنفسه الا انه قد اشرف على فتح تلمسان فلم يمكنه النهوض بنفسه وكانت هذه الفتن متصلا بعضها ببعض وانجر الامر فيها الى سنة ست وسبعمائة فقدر الله بهلاك السلطان يوسف وهو محاصر تلمسان طعنه خصى من عبيده وهو على عملة بعواطاغوز برمى وزراء السلطان ثم صار الاختلاف الكثير بين اولاده واختلف بنو مرين فيمن يختارونه للملك منهم وبايعوا بعضهم ثم خلعوه وبايعوا آخر ثم خلعوه وبايعوا آخر من اخوته والكلام على ذلك طويل لا حاجة بنا الى ذكره ووقعت بينهم مع بعضهم فتن عظيمة واستمر الامر بينهم الى سنة عشر وسبعمائة فاستقر الملك لاخى السلطان يوسف المطعون واخوه الذى استقر الامر له هو ابو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق وفى خلال هذه الفتن قتل بالاندلس ابو الجيوش نصر بن محمد الفقيه اخاه محمد المخلوع بن محمد الفقيه بن الاحمر وذلك سنة ثمان فثار عليه ابن عمه ابو الوليد اسماعيل بن فرج الملقب بالرئيس ابن سعيد بن اسماعيل بن يوسف بن نصر وانقطع الملك عن اولاد محمد الشيخ بن يوسف بن نصر وصار فى اولاد ابن سعيد فرج الرئيس ابن اسماعيل بن يوسف بن نصر لانه لما ثار ابو الوليد على ابى الجيوش صالح ابو الجيوش سنة سبع عشرة وسبعمائة على الخروج الى وادى آش فلحق بها وجدد له بها ملكا الى ان مات سنة ثنتين وعشرين وسبعمائة ودخل ابو الوليد غرناطة فأصل لنفسه وبنيه ملكا وفى هذه المدة التى كانت فيها هذه الفتن اغتنم الطاغية الفرصة ونازل الجزيرة الخضراء ثم أقلع عنها على صلح بعد ان اذاقها من الحصار شدة وبعده نازل جبل الفتح المسمى جبل طارق وتقدم ان طارقا هو اول من فتح الاندلس وتسميه العامة الآن جبل الطار فتغلب عليه الطاغية وتملكه وذلك سنة تسع وسبعمائة وتراسل هرامدة ابن اذفونش مع صاحب برشلونة وامره ان يشغل اهل الاندلس من ورائهم فنازل المرية وحاصرها ونصب عليها الآلات وحفر العدو تحت الارض سربا بمقدار ما يسير فيه عشرون راكبا وتفطن المسلمون لذلك فاحتفروا قبالتهم مثله الى ان نفذ بعضهم الى بعض فاقتتلوا من تحت الارض وبعث ابن الاحمر عسكرا مددا لاهل المرية ونبذ عهد الطاغية فلقيهم جمع النصارى كان الطاغية بعثهم لحصار مرشانة فهزمهم عسكر ابن الاحمر واستلحمهم ونزل قريبا من معسكر الطاغية واقامت عسكر الطاغية على سماتة واسطبونة وزحفت عسكر بنى مرين المقيمون بالاندلس للجهاد على عسكر اسطبونة وقتلوا قائده القنش وثلاثة آلاف من قومه ودخل بعض عسكر المسلمين برجين فحاصرهم جموع النصارى فجاء مدد للمسلمين فانفض النصارى المحاصرون له وكان الطاغية بظاهر الجزيرة فارتحل يريد لقاء مدد المسلمين فخالف اهل البلد الى معسكره وانتهبوا محلاته وفساطيطه وصار للمسلمين الكرة وامتلأت ايديهم من غنائمهم وأسراهم ثم وقالت

الطاغية اثناء هذه الهزائم سنة ثنتي عشرة وسبعمائة وهو هراندة ابن شانجة وولي بعده ابنه
الهنشة وكان طفلا صغيرا جعلوه تحت نظر عمه دون بطرة ابن شانجة معزعيم للنصارى اسمه
جوان فكفلاه واستقام امرهم على ذلك وشغل السلطان ابو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق
ملك المغرب بشأن ابنه على فانه خرج على ابيه وكان بينهما مايطول ذكره فاغتنم النصارى
الفرصة وقوي امرهم بالاندلس فزحفوا على غرناطة كرسي سلطنة ابن الاحمر سنة ثمان عشرة
وسبعمائة واناخوا عليها بعسكرهم وأممهم فبعث اهل الاندلس صريخهم الى السلطان ابي سعيد
وهو في شغله فيما كان بينه وبين ابنه وكان بالاندلس كما تقدم جيش لبني مرين جعلوه مقيما دائما
بالاندلس لقصد الجهاد ودفع العدو وكان الرئيس على اولئك المجاهدين عثمان بن ابي العلا ادريس
ابن عبد الله بن عبد الحق المريني فلما جاء صريخ اهل الاندلس للسلطان ابي سعيد اعتذر اليهم السلطان
بسبب ماهو مشغول به من امر ابنه واعتذر اليهم ايضا بوجود عثمان بن ابي العلا رئيس الجيوش
بالاندلس وكان له قوة ورياسة وكان السلطان يخشى منه التغلب على السلطنة فتفترق كلمة
بني مرين فشرط عليهم ان يقبضوا على عثمان ابن ابي العلا ويدفعوه اليه برمته فيبقى عنده
ويبعث اليهم من يقوم بتدبير جيوش بني مرين بالاندلس مع ما يكفيه من ارسال العساكر ثم
اذا تم الجهاد يعيد ابن ابي العلا اليهم احتياطا على المسلمين لئلا تفترق الكلمة فلم يمكنهم ذلك
لقوة ورياسة عثمان بن ابي العلا بعصابته من قومه فأخفق سعي هؤلاء المستصرخين بالسلطان
ولم تحصل لهم نجدة منه واطالت امم النصرانية الحصار على غرناطة واكثروا الجيوش وطمعوا في
تملكها ثم ان الله تعالى نفس مخنقهم ودافع بيد قدرته كما ستراه مذكورا حالا في هذه الغزوة العظمى

﴿ غزوة عظمى ﴾

لما اراد الله حصول النصر والفرج للمسلمين الذين حاصرهم العدو بغرناطة سنة ثمان عشرة
وسبعمائة وفق الله شيخ الغزاة من بني مرين المقيمين بالاندلس للجهاد وهو عثمان بن ابي العلا
المتقدم ذكره حتى كان النصر بسببه واعانته فكانت هذه من الغرائب والعجائب بل هي من
اعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم في نصرة الله لامته والقصة طويلة وملخصها ان
النصارى عزموا في ذلك العام على استيصال المسلمين واخراجهم من الاندلس بحيث لايبقى
شيء من الاندلس تحت يد المسلمين فتجهزوا لغزو غرناطة التي فيها ابو الوليد اسماعيل بن الاحمر
وأتاها الطاغية دون بطرة في جيش لايحصى ومعه خمسة وعشرون ملكا من ملوك الفرنج
وكان النصارى وملوكهم قبل ذلك رحلوا الى من يرجعون اليه في دينهم وهو البابا صاحب
رومة فدخل ملكهم دون بطرة صاحب طليطلة على البابا وسجد له وتضرع وطلب منه
استيصال من بقي من المسلمين بالاندلس وأكد عزمه فقلق المسلمون بغرناطة وغيرها وعزموا
على الاستنجاد بالسلطان ابي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني صاحب فاس ومراكش
وأنفذوا اليه رسلا فاعتذر منهم كما تقدم بيانه فرجعوا الى اعظم الادوية وهو الالتجاء
الى الله تعالى واخلصوا النيات مع حصول غاية الاضطرار واقبل الافرنج في جموع لا تحصى
فقضى ناصر من لا ناصر له سواه بهزيمة جيش النصرانية وقتل طاغيتهم دون بطرة ومن معه
وكان نصرا عزيزا ويوما مشهورا مشهودا وكان سلطان الاندلس اذ ذاك الغالب بالله ابو

الوليد اسماعيل ابن الرئيس ابى سعيد فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر المعروف بابن
الاحمر وشيخ الغزاة المقيم بالاندلس من بنى مرين الشيخ العالم ابو سعيد عثمان بن ابى العلا
ادريس بن عبدالله بن عبدالحق المرينى فاجتهد ابن الاحمر فى تحصين البلاد والثغور فلما بلغ
النصارى ذلك التحصين عزموا على منازلة الجزيرة الخضراء فانتدب ابن الاحمر لردهم وجهز
الاساطيل والرجال فلما رأوا ذلك عزموا على استيصال المسلمين وتوجهوا الى طليطلة ليكملوا
التأهب بذلك فأعدوا غاية الاهبة ووصلت الاثقال والمجانيق وآلات الحصار والاقوات
والمراكب ووصل العدو الى غرناطة كرسى ملك ابن الاحمر وامتلأت الارض بهم فتقدم ابن
الاحمر الى شيخ الغزاة ابى سعيد عثمان ابن ابى العلا وسأله الخروج للجهاد واجناد المسلمين ومن
معه من الغزاة والشجعان فخرج اليهم يوم الخميس الموفى عشرين من ربيع الاول سنة تسع
عشرة وسبعمائة ولما كانت ليلة الاحد اغارت سرية من العدو على سرية من المسلمين فخرج
اليهم جماعة من فرسان الاندلس الرماة فقطعوهم عن الجيش وفرت تلك السرية امامهم الى
جهة سلطانهم فتبعهم المسلمون الى الصبح فاستأصلوهم فكان هذا اول النصر ولما كان يوم
الاحد ركب شيخ الغزاة لقتال العدو فى خمسة آلاف من ابطال المسلمين المشهورين فلما شاهدهم
الفرنج عجبوا من اقدامهم مع قلتهم فى تلك الجيوش العظيمة فركب النصارى بجملتهم وحملوا
عليهم فقاتلهم المسلمون اشد القتال وهزم الله الفرنج اقبح هزيمة واخذتهم السيوف وتبعهم المسلمون
يقتلون ويأسرون ثلاثة ايام وقتل الله دون بطرة ملك النصارى وقتل الملوك خمسة
والعشرين الذين كانوا معه جميعهم وخرج اهل غرناطة لجمع الاموال واخذ الاسرى فاستولوا
على اموال عظيمة منها من الذهب ثلاثة واربعون قنطارا ومن الفضة مائة واربعون قنطارا
ومن السبى سبعة آلاف وكان من جملة السبى امرأة الطاغية واولاده فبذلت فى نفسها مدينة
طريف وجبل الفتح وثمانية عشر حصنا فلم يقبل المسلمون ذلك وزادت عدة القتلى من النصارى
فى هذه الغزوة على خمسين الفا ويقال انه هلك منهم بالوادى مثل هذا العدد لعدم معرفتهم
بالطرق واما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون واستمر البيع فى الاسرى والاسلاب
والدواب ستة اشهر ووردت البشائر بهذا النصر الى سائر البلاد ومن العجب انه لم يقتل من
المسلمين والاجناد سوى ثلاثة عشر فارسا وقيل عشرة انفس وكان عسكر المسلمين خمسة
آلاف وخمسمائة منهم الف وخمسمائة فارس واربعة آلاف رجالة وكانت النصارى تفوق الوصف
وسلخ الطاغية دون بطرة وحشى جلده قطنا وعلق على باب غرناطة وبقى معلقا سنوات
وطلب النصارى الهدنة فعقدت لهم وكانت هذه الغزوة سنة تسع عشرة وسبعمائة وكانت
وفاة شيخ الغزاة عثمان بن ابى العلا سنة ثلاثين وسبعمائة وعمره ثمان وثمانون سنة واستوفى
فى المشهور سبعمائة واثنين وثلاثين غزوة رحمه الله تعالى ورضى عنه وكتبوا على قبره ترجمة
طويلة تدل على علو شأنه فى العلم والعمل والاخلاص فى الجهاد وكانت وفاة ابن الاحمر سنة
سبع وعشرين وسبعمائة وولى بعده ابنه ابو الحجاج يوسف وتوفى السلطان عثمان المرينى سنة
احدى وثلاثين وسبعمائة وولى بعده ابنه ابو الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبدالحق المرينى

* * *

﴿ ذكر استخلاص جبل الفتح من النصارى ﴾

قد تقدم ان الطاغية تملك جبل الفتح سنة تسع وسبعمائة وكان هذا الجبل للمسلمين من احسن الثغور وكان شجاً في حلق العدو وهو فاصل بين افريقية والاندلس فأهم المسلمين شأنه وكان ابن الاحمر قدم على السلطان في سنة اثنتين وثلاثين فأكبر مقدمه واركب المسلمين للقائه وبالغ في اكرامه فتذاكر معه في شأن استخلاص الجبل المذكور فاتفقا على التجهيز لاستخلاصه فأمر السلطان ابو الحسن بالتجهيز لاستخلاصه وعقد لابنه الامير ابي مالك على جيش من بني مرين وانفذه مع ابن الاحمر لمنازلة الجبل فاحتل بالجزيرة وتابع اليه الاسطول بالمدد وارسل ابن الاحمر حاشرين في الاندلس يجمعون الناس ويستنفرونهم لذلك فتسايلوا اليه واجتمع معسكرهم جميعا بساحة جبل الفتح وأبلوا في حربه ومنازلته بلاء حسنا الى ان تغلبوا عليه وملكوه سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة واقتحمه المسلمون عنوة وقتلوا من كان به من النصرانية وغنموا ما كان معهم ووافاهم الطاغية ومعه امم كثيرة مددا لقومه بعد مضي ثلاثة ايام من الفتح وقد شحنه المسلمون بالاقوات ونقلوها من الجزيرة على خيولهم ولما وصل الطاغية اناخ بجيوشه عليه وبرز ابو مالك بعساكره فنزل بحذائه ونزل ايضا عسكر الاندلس بحذاء الطاغية وتحصن العدو في محلتهم فبادر ابن الاحمر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه وتلقاه الطاغية راجلا حاسرا اعظاما له فسأله ابن الاحمر الافراج عن هذا المعقل فرأى الطاغية ان تملكه الجبل وانتزاعه من المسلمين شديد عسر عليه فأجاب ابن الاحمر الى ما سأل وأتحفه بذخائر معالديه وارتحل لفوره واخذ الامير ابو مالك في تثقيف اطراف الثغر وسد فرجه وانزل الحامية به ونقل الاقوات وكان هذا الفتح فتحا طوق دولة السلطان ابي الحسن قلادة الفخر طول الدهر وكانت مدة منازلة المسلمين الى ان ملكوه ستة اشهر ثم اراد السلطان ابو الحسن ان يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع العدو في منازلته ولا يجد طريقا للتضييق عليه عند محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فأنفق السلطان كثيرا من الاموال وارضى العمال حتى بني سورا احاط بمجموعه احاطة الهالة بالهلال ثم زاد في التحصين بعده ابنه ابو عنان

﴿ ذكر غزوة السلطان ابي الحسن الى الاندلس ﴾

كان السلطان ابو الحسن بعد استيلائه على جبل الفتح اشتغل بقتال جماعة ثائرين عليه بتلمسان واستمر ذلك الى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة فرجعوا الى طاعته فتوجهت همته بعد ذلك لغزو النصارى بالاندلس فقصد اولا ولاية ابنه ابي مالك على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وكان الطاغية مدة اشتغال السلطان بقتال اهل تلمسان قد اعتز على المسلمين ونازل السلطان ابا الوليد ابن الاحمر بغرناطة مرارا ووضع عليه جزية فتقبلها لعدم قدرته على دفاعه واقبل الطاغية على انتهام المسلمين بالاندلس فلما فرغ السلطان ابو الحسن من شأن اهل تلمسان دعته نفسه الى الجهاد فأوعز الى ابنه الامير ابي مالك امير الثغور سنة اربعين بالدخول الى دار الحرب وجهز اليه عساكر كثيرة ثم شخص بنفسه غازيا فتوغل في بلاد الطاغية واكتسحها واكثر القتل والسبي وغنم عساكره غنائم كثيرة فلما شرع

في الرجوع عن ارضهم اتصل به الخبر بان النصارى جمعوا له وأجدوا السير في اتباعه فشار
عليه وزراؤه بالخروج من ارضهم وان يصير الى مدن المسلمين ويتحصن بها فامتنع من الرجوع
وكان قرمانا ثبتا الا انه غير بصير بالحروب لصغر سنه فصبحهم عساكر النصرانية في مضاجعهم قبل
ان يركبوا وادركوا الامير ابامالك قبل ان يركب على فرسه فقتلوه وكتب الله له الشهادة وقتلوا
كثيرا من قومه واحتووا على عسكره بما فيه من الاموال ورجعوا على اعقابهم واتصل الخبر
بالسلطان ابي الحسن ففجع لهلاك ابنه واسترجع واسترحم له واحتسب عند الله اجره وشرع في اجازة
العساكر للجهاد وتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء وعرض الجند وأزاح عللهم واستنفر اهل
المغرب وارتحل الى سبتة ليباشر أحوال الجهاد فتسامعت امم النصرانية بذلك فاستعدوا للدفاع
وأخرج الطاغية اسطوله الى الموضع المعروف عندهم بالزقاق ليمنع السلطان من الاجازة واستحث
السلطان اساطيل المسلمين من مراسي العدو وبعث الى ملوك بني حفص بافريقية بتجهيز اسطولهم
اليه فبعثوا اليه عشرين اسطولا مشحونة بالعساكر وتوافت اساطيل المسلمين بسبتة تناهز
المائة فناجزوا اسطول النصارى التي بالزقاق وزحفوا اليهم وتواقعوا مليا ثم قربوا الاساطيل
بعضها الى بعض وقرنوها للمصاف فلم يكن الا قليل حتى هبت ريح النصر واظفر الله المسلمين
بعدوهم وخالطوهم في اساطيلهم واستلحموهم ضربا بالسيوف وطعنا بالرماح والقوا اشلاءهم
باليم وقتلوا قائدهم واستاقوا اساطيلهم الى مرسى سبتة واستولى المسلمون عليها فبرز الناس
لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤس العدو في جوانب البلد ونظمت اصفاد الاسرى بدار الانشاء
وعظم الفتح وجلس السلطان ابو الحسن للتهنئة وانشدت الشعراء القصائد بين يديه وكان يوما
من اعز الايام ولله الحمد والمنة ثم شرع السلطان في اجازة من عنده من العساكر الغزاة والمتطوعة
والمرتزقة ولما استكمل اجازة العساكر اجاز هو في اسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة اربعين
ونزل بساحة طريف واناخ بعساكره عليها وهي بيد النصارى واحاط عسكره بفنائها ووافاه
سلطان الاندلس ابن الاحمر بعسكر الاندلس واحاط الجميع بطريف نطاقا واحدا ونصبوا عليها
الآلات وجهز الطاغية اسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن العسكر وطال حصارهم
للبلد ففنيت ازوادهم وافتقدوا العلوفات واختلت احوال العسكر واحتشد الطاغية امم النصرانية
واعانه البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس فجاء معه في قومه وزحف على المسلمين لستة اشهر
من نزلتهم ولما قرب معسكرهم ارسلوا قطعة من جيش النصارى الى طريف فدخلوها ليلا على
غفلة من العسس واحسوا بهم آخر الليل فثاروا بهم من مراصدهم وادركوا اعقابهم قبل دخول
البلد فقتلوا منهم عددا ولبسوا على السلطان وقالوا لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته
وزحف الطاغية من الغد في جموعه وعبى السلطان مواكب المسلمين صفوفا وتزاحفوا ولما نشب
القتال كان للعدو جيش كمين فبرز وخالفوهم الى معسكر السلطان وعمدوا الى فسطاط السلطان
ودافعهم عنهم من كان عند الفسطاط للحراسة فاستلحموهم وقتلوهم وكان مع السلطان في هذه
الغزوة بعض نسائه فوصل هؤلاء الهاجمون الى النساء فدافع النساء عن انفسهن فقتلوهن وخلصوا
الى حظايا السلطان عائشة بنت عمه ابي يحيى بن يعقوب وفاطمة بنت سلطان افريقية ابي يحيى الحفصي
وغيرهن من حظاياه فقتلوهن عن آخرهن واستلبوهن وانتهبوا سائر الفسطاط وأضرموا

المعسكر نارا وأحس المسلمون الذين يقاتلون الكفار بجاورائهم فى معسكرهم فاختل مصافهم وارتدوا على اعقابهم بعدان كان ابن السلطان هجم فى طائفة من قومه حتى خالط الكفار فى صفوفهم فأحاطوا به وقبضوا عليه وولى السلطان متحيزا الى فئة المسلمين واستشهد كثير من الغزاة ووصل الطاغية بنفسه الى فسطاط السلطان ابى الحسن وانكر على قومه قتل النساء والولدان ووقف منه لمنتهى اثره ثم انكفأ راجعا الى بلاده ولحق ابن الاحمر بغرناطة كرسي ملكه وخلص السلطان الى الجزيرة ثم الى الجبل ثم ركب الى سبتة ومحص الله المسلمين واجزل ثوابهم ولما رجع الطاغية من طريف استأسد اى صار كالأسد على المسلمين بالاندلس وطمع فى التهامهم وجمع عساكر النصرانية ونازل قلعة بنى سعيد ثغر غرناطة على مرحلة منها وجمع الآلات والايدى على حصارها واشتد مخنقها واصابهم الجهد من العطش فنزلوا على حكمه وذلك سنة اثنتين واربعين وسبعمائة وانصرف الى بلده واما السلطان ابو الحسن فانه لما اجاز الى سبتة ألزم نفسه بالعود الى الجهاد وذهب الى فاس وبعث فى الامصار للاستنفار وأخرج قواده الى سواحل البحر لتجهيز الاساطيل حتى اكتمل منها عدة وافرة ثم ارتحل الى سبتة لمشارفتها وقدم عساكره الى العدوة مع وزيره وبعث الى الجزيرة بعض اقارب الوزير وبعث اليهم مددا وبلغ الطاغية الخبر فجهز اسطوله واجراه الى بحر الزقاق للمدافعة وتلاقت الاساطيل ومحص الله المسلمين واستشهد منهم اعداد وتغلب اسطول الطاغية على بحر الزقاق وملكوا دور المسلمين واقبل الطاغية من اشبيلية فى عساكر النصرانية حتى اناخ بها على الجزيرة الخضراء مرفأ اساطيل المسلمين وأمل ان يملكها فى مملكته مع جارتها طريف وحشر الفعلة والصناع بالآلات وجمع الايدى عليها وطاولها الحصار واتخذ اهل العسكر بيوتا من الخشب للمطاولة وجاء السلطان ابو الحجاج ابن الاحمر بعساكر الاندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح على سبيل الممانعة واقام السلطان ابو الحسن بمكانه من سبتة ليبعث المدد من الفرسان والمال والميرة فلم يغنهم ذلك شيأ واشتد الحصار عليهم واصابهم الجهد واجاز اليه السلطان ابن الاحمر ليفاوضه فى شأن السلم مع الطاغية بعد اذن الطاغية له فى الجواز مكرا به وترصد له بعض الاساطيل فى طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا الى الساحل بعد غص الريق وضاقت احوال الجزيرة ومن كان بها من عساكر السلطان وسألوا من الطاغية الامان على ان ينزلوا عن البلد فبذل الامان لهم وخرجوا فوفى لهم واجازوا الى المغرب وذلك سنة ثلاث واربعين فأنزلهم السلطان ابو الحسن ببلاده على خير نزل ولقاهم من الميرة والكرامة ما اعاضهم عما فاتهم وخلع عليهم واجازهم بجوائز سنية لا يزال الناس يتحدثون بها وانكفأ السلطان الى حضرته موقنا بظهور امر الله وانجاز وعده فى رجوع الكرة وعلو الدين والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم ثار على ابى الحسن ثائرون بالمغرب وتوالت فتن كثيرة الى ان توفى سنة ثنتين وخمسين وسبعمائة وولى بعده ابنه ابو عنان وثار بينه وبين اخوته فتن كثيرة واما سلطان الاندلس ابو الحجاج ابن الاحمر فقتل فى الصلاة يوم عيد الفطر طعنه اسود مدسوس عليه وولى بعده ابنه محمد الغنى بالله وذلك سنة خمس وخمسين وسبعمائة ثم خلع سنة ستين ثم اعيد سنة ثلاث وستين والكلام على ذلك طويل لا حاجة لنا بذكره واستمر فى ملكه الى ان توفى سنة ثلاث

وتسعين وسبعمائة وكان قدقوى ملكه وسلطانه بعد رجوعه الى ملكه سنة ثلاث وستين حتى صار ملك المغرب وسلطان بنى مرين تحت امره ووقع فى هذه السنين فتن بالاندلس بين النصارى مع بعضهم وذلك ان الهنش ملك النصارى هلك سنة احدى وخمسين وسبعمائة وولى بعده ابنه بطرة وثارت فتن وحروب بينه وبين اخوته وانتهز الفرصة ابن الاحمر وجمع جيوش المسلمين للجهاد ودخل بعساكر المسلمين فأثخن فى ارض النصرانية وخرب معاقلهم ومدنهم ثم رجع الى غرناطة وذلك سنة سبع وستين وسبعمائة ثم تشوف المسلمون الى ارتجاع الجزيرة الخضراء الى المسلمين فتراسل ابن الاحمر مع ملك مراكش وفاس وكان السلطان حينئذ السلطان عبدالعزيز بن السلطان ابى الحسن واتفقا على ان ابن الاحمر يزحف بعساكره وملك المغرب يمده بالمال والاساطيل الغزة جمع العسكر عليه لما كان فيه من الفتن فأوعز صاحب المغرب الى اساطيله فعمرت وسارت وبعث بمال كثير وذخائر وزحف ابن الاحمر بعساكره واستعد الآلات للحصار فنازلها اياما قلائل فأيقن النصارى بالهلكة لبعدهم عن الصريخ ويأسهم من مدد ملوكهم فألقوا باليد وسألوا النزول على حكم السلم فأجابهم السلطان ابن الاحمر اليه ونزلوا عن البلد وأقيمت فيه شعائر الاسلام ومراسمه ومحيت منه كلمة الكفر ومعالمه وكان ذلك فى سنة سبعين وولى عليها ابن الاحمر من قبله ولم تزل تحت نظره الى ان تمحض له النظر فى هدمها خشية استيلاء النصرانية عليها فهدمت سنة ثمانين وسبعمائة واصبحت خاوية كان لم تغن بالامس والبقاء لله وحده وتوفى الغنى بالله محمد بن ابى الحجاج يوسف بن الاحمر سلطان الاندلس سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وولى ابنه يوسف وتوالت فتن كثيرة فقصد الافرنج البرتغال مدينة سبتة سنة اربع عشرة وثمانمائة فى مراكب كثيرة فقاتلهم اهلها ثم تغلب عليهم الفرنج فملكوها وبقيت معهم نحو مائتين وخمسين سنة ثم انتزعها الاسبانيول منهم ثم توالت فتن بين بنى الاحمر مع بعضهم فى الاندلس وجرت امور يطول الكلام بشرحها وآل الامر فيها الى خروج ملك الاندلس عن ايدى المسلمين فأخذ العدو مالقة سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة واخذوا غرناطة سنة سبع وتسعين وثمانمائة وانقرض ملك بنى مرين سنة تسعين وثمانمائة وانتقل الملك لوزرائهم بنى وطاس ثم منهم للاشراف السعديين والكلام على ذلك طويل ولما حاصر العدو غرناطة أصاب المسلمون وقت حصار العدو لهم بها شدة الجوع وتفاقمت عليهم الخطوب فكاتبوا العدو فى الصلح واشترطوا شروطا وعقدوا وثائق ومكنوا العدو من غرناطة وكانت الشروط سبعا وستين شرطا منها تأمين الصغير والكبير فى النفس والاهل والمال ومنها ابقاء الناس واماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ماكانت ولا يحكم على احد منهم الابشريعتهم ومنها ان تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك وان لا يدخل النصارى دار مسلم وان لا ينصبوا احدا وان لا يتولى على المسلمين فى الاحكام نصرانى ولا يهودى وان يفك من كان اسيرا منهم ومنها أن من اراد الجواز الى المغرب لا يمنع ولا يؤاخذ من قتل احدا من النصارى ايام الحرب الى غير ذلك من بقية الشروط ثم ان النصارى نقضوا تلك الشروط شيأ فشيأ ونكثوها عروة عروة الى ان آل الامر الى حملهم المسلمين على التنصر حتى صاروا يقولون لبعض المسلمين ان جدك كان نصرانيا فأسلم فى زمن كذا فلابد ان ترجع نصرانيا كما

كان اجداد ذلك السابقون فلما فشى هذا الامر قام جماعة من المسلين كانوا بموضع يقال له الهوازين فقتلوا النصارى الذين كانوا عندهم فخرج الامر من سلطانهم بقتل المسلين الامن تنصر فانه ينجو من القتل فتنصر خلق كثير في البادية والحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى واجتمعوا فى بعض القرى متحصنين بها فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا وبقى جماعة من المسلين صعدوا جبلا واحتموا فيه وقاتلهم العدو فقتلوا من العدو خلقا كثيرا فأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وماخف من اموالهم ثم بعد هذا كله كان من اظهر التنصر من المسلين ولم يكن متنصرا فى الباطن يعبد الله فى خفية ويصلى فشدد عليهم النصارى فى البحث حتى انهم احرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكينة الضعيفة فضلا من غيرها من الحديد وقام المسلون الذين تحصنوا فى بعض الجبال على النصارى مرارا ثم تغلب النصارى عليهم ولم يقيض الله لهم ناصرا الى ان كان آخر وقت أخرجهم النصارى فيه سنة الف وعشر فخرج الوف من المسلين الى فاس والوف الى تلمسان ووهران وجمهورهم خرج الى تونس وتسلط على كثير منهم الاعراب ومن لايخشى الله ونهبوا اموالهم فى الوادى والطرقات واكثر النهب والاخذ وقع على الذين ذهبوا الى تلمسان وفاس واما الذين ذهبوا الى تونس فاكثرهم سلم من ذلك وقد عمر هؤلاء الخارجون من الاندلس كثيرا من القرى الخالية فى تلك المواضع التى ذهبوا اليها ومنهم جماعة بسلا وتطاون والجزائر واستخدم سلطان المغرب منهم عسكر اجرارا ووصل جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها الا انهم كانوا عددا كثيرا لايحصيهم الا الله تعالى والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين قال فى نفح الطيب والسلطان الذى أخذت منه غرناطة آخر سلاطين بنى الاحمر الذى انقرضت بانقراض دولته مملكة الاسلام بالاندلس ومحيت رسومها هو السلطان ابو عبد الله محمد بن السلطان ابى الحسن بن السلطان سعد ابن الامير على بن السلطان يوسف بن السلطان الغنى بالله محمد واسطة عقدهم والمشيد مبانيهم الابقة وسلطان دولتهم على الحقيقة ابن السلطان ابى الحجاج يوسف بن السلطان اسماعيل بن الرئيس ابى سعيد فرج بن اسماعيل بن نصر بن قيس الانصارى الخزرجى رحمهم الله جميعا وانتهى السلطان المذكور الى مدينة فاس باهله واولاده معتذرا عما أسلفه متلهفا على ماخلفه وبنى بفاس قصورا قال فى نفح الطيب وعهدى بذريته بفاس الى الآن سنة سبع وثلاثين والف يأخذون من اموال الفقراء والمساكين ويعدون من جملة الشحاذين ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا خلاصة ماكان بالاندلس بغاية الاختصار ولنرجع الى اتمام الكلام على ماكان بالديار الشامية وغيرها وليكن الابتداء بذكر حرب الصليب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تم الجزؤ الاول من الفتوحات الاسلامية ﴾

ويليه الجزؤ الثانى اوله ذكر ابتداء الحروب الصليبية

جلد اول

[illegible]

([illegible])

تاریخ اسلام ۴۰

[illegible]

الجزء الأول من الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية
لمؤلفها فريد العصر والأوان على الهمة عظيم الشان شيخ الاسلام
بالاقطار الحجازية ومفتي السادة الشافعية بمكة المحمية
المستمد من فيض جده سيد ولد عدنان مولانا
وسيدنا الاستاذ السيد احمد بن السيد
زيني دحلان متع الله بحياته
جميع المسلمين وأدام نعمه
عليهم بجاه الأمين
آمين آمين
آمين



(ا لاولى)

لا يجوز طبع هذا الكتاب الا باذن مؤلفه

طبع في المطبعة الميرية الكائنة بمكة المحميه

سنة

تاريخ اسلام ١٣٠٢

٢٧ × ١٨ سم
ص = ٢٨٨